استقرار القبائل العربية في العراق (العربي) في صدر الإسلام

إعداد
أروى سليم عقلة السعيدات

المشرف
الأستاذ الدكتور فالح حسين

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

تموز / ٢٠٠١

الإهـــداء

إلى قوافل المجد والخلود الذين يسقطون شهداء الحصار الظالم على العراق الماجد ... إلى الذين سطروا أسماءهم في سجلات التاريخ فرساناً وقادة ... إلى الذين اجترحوا المعجـــزة ... إلى أهلنا في العراق الصامد وفلسطين الحبيبة .

إلى من ربياني صغيراً وتعهداني كبيراً ... إلى النهر الخالد الجاري بالخير والعطاء... إلى القلب الذي لم تغمض أجفانه ولم يصمت لسانه فارتويت منهما حب العلم والتضحية ونهلت منهما العزم والتصميم ليكونا نبض حياتي : والدي ووالدتي .

إلى الكلمات الرقيقة التي أدفأت لي دربي ...أخوتي .

أهدي لكم جميعاً ثمرة جهدي .

شكر وتقدير

بعـد الشكر لله سبحانه وتعالى الذي أعانني على إنجاز هذه الدراسة ، لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشـكر وعظـيم الامتـنان إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور فالح حسين الذي تفضل برعاية هذه الرسـالة مـنذ أن كانـت فكـرة حتى أصبحت على ما هي عليه ، ولما منحني به من ثقته وعلمه واخلاصه، ولما قدمه لي من نصائح وإرشادات وتوجيه أعجز عن تقديرها ، فشكراً لك أستاذي الكبير على عطائك المميز ولك كل التقدير والإجلال .

وبالشـكر والعرفان أتقدم لكافة أساتذتي الأفاضل على كل دعم ومساندة أبدوها لي بسؤالهم عن حال الدراسة دون كلل أو تعب ؛ الأمر الذي كان حافزاً لي على المتابعة والمثابرة من دون تعب أو يأس ، فلهم جميعاً كل التقدير والامتنان .

وكل شكري وخالص عرفاني لكل من الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بالموافقة على مناقشة هذه الأطروحة .

وأقدم كل الحب والتقدير والعرفان والامتنان لأسرتي التي تحملت معي عناء رحلتي العلمية وصبرت علـى ظروفـي كاملـة وتقبلتها برحابة صدر وطيب خاطر وخففت عني متاعب كل ما واجهت في مشواري العلمي ووفرت لي كل السبل لإنجاز هذا العمل .

الرموز والمختصرات العربية : -

- أُشيرّ للمصادر والمراجع في الهوامش حسب النمط التالي :

يذكر في الهامش : اسم المؤلف أو اسم شهرته ، مع كلمة أو اكثر من اسم كتابه ، ثم الجزء (في حالة وجود أجزاء) والصفحة. مثل :

البلاذري، أنساب الأشراف ، ج٥، ص٧٣ .

- الرموز والمختصرات العربية :

ت :	توفي.	ق.م :	قبل الميلاد.
ج :	جزء.	ط :	طبعة.
ص :	صفحة.	د.ت :	دون تاريخ نشر.
هـ :	هجري.	د.م :	دون مكان نشر.
م :	ميلادي، مجلد، متر.	د.ن :	دون ناشر.
كم :	كيلومتر.	ق :	قسم.
م° :	درجة مئوية.	ع :	عدد.
سم :	سنتيمتر.		

الرموز والمختصرات الإنجليزية : -

E.I[1] : Encyclopedia of Islam, First Edition.
E.I[2] : Encyclopedia of Islam, New Edition.
Vol : Volume.
P: Page.
A.H. : Anno Hegirae.
A.D. : Anno Domini.

ثبت المحتويات

الموضوع	الصفحة

الملخص باللغة العربية

استقرار القبائل العربية في العراق (العربي) في صدر الإسلام

إعداد
أروى سـليم عقلة السـعيدات

المشـرف
الأستاذ الدكتور فالح حسـين

لقد ركزت معظم الدراسات التاريخية على النواحي السياسية ، وقلّما توفّرت دراسة تاريخية علمية جادة تبحـث فـي نواحي الإستقرار الإجتماعي الذي يلعب دوراً هاماً في تشكيل الأحداث السياسية لأي بلد ولأي مجتمع.

تناولـت هذه الدراسة موضوع إستقرار القبائل العربية في العراق (العربي) في صدر الإسلام هادفة الـى تتبع حركة هجرة القبائل العربية من مواطنها الأصلية في الجزيرة العربية الى العراق، وإظهار علاقة هذه القبائل بأرض العراق قبل الفتح العربي الإسلامي وبعده، ومدى انتشارها في أرض العراق وحجم هذا الانتشار.

ولقـد حاولـت هذه الدراسة التركيز على بعض الجوانب التي لم تحظَ بالعناية الكاملة والبحث الواسع، مثل أسماء وأعداد القبائل العربية المشاركة في الفتح، ثم بدء عملية الاستقرار العربي في العراق ضمن دُور الهجـرة التي أُنشئت لتكون قواعد عسكرية تتجمّع فيها القوات العربية الاسلامية لتنطلق نحو فتح الأقاليم الشرقية، والتي سرعان ما تحولت هذه القواعد الى مدن كبيرة ومراكز إدارية ساهمت في دعم الحكم العربي للمنطقة. ولقد أولت هذه الدراسة اهتماماً بتزايد أعداد هجرة القبائل العربية الى الأمصار وأثر ذلك في تغّير الخطط القبلية وتنظيمات القبائل حتى نهاية الدولة الأموية، كما ركزت هذه الدراسة علـى انتشـار القـبائل العربية في انحاء العراق والعوامل المشجعة على ذلك مما أدى لظهور القرى العربـية والمـدن الجديـدة، كما اهتمت الدراسة بملاحظة مجموعة التطورات التي نجمت عن حركة الانتقال للقبائل العربية من المجتمع البدوي الى المجتمع الحضري المدني .

قُسّمت هذه الدراسة الى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة تضمّنت نتائج الدراسة، تناول الفصل الأول – الجغرافية التاريخية للعراق العربي – أصل تسمية العراق العربي بذلك والمعاني التي اختص بها هذا المصطلح والتي تعبّر في معظمها عن خصائصه الجغرافية، ثم جاء الحديث عن حدود العراق الجغرافية التي تساير نطاق السهل الرسوبي على نهري دجلة والفرات، ثم تناول الفصل الأقسام الطبيعية للعراق والمناخ والأنهار وأثر ذلك في توزيع المناطق الزراعية وانتشارها، ثم جاء الحديث عن السكان الذين عاشوا في العراق قبل الفتح العربي الاسلامي وأماكن انتشارهم .

وتناول الفصل الثاني – القبائل العربية في العراق (العربي) قُبيل الإسلام – الحديث عن حركة القبائل العربية تجاه العراق ومحاولة تتبّع الهجرات العربية التي خرجت من مواطنها الأصلية في الجزيرة العربية الى العراق قبل الإسلام، موضّحاً العوامل التي دفعت القبائل العربية لمثل هذه الهجرات والفترة الزمنية التي كانت فيها وأماكن انتشارها حول العراق. ثم جاء الحديث عن طبيعة العلاقات بين الدولة الساسانية التي كانت تحكم العراق قبل الفتح والقبائل العربية القادمة الى العراق من خلال تتبع عدد من الأمثلة التي تصوّر الجوانب الإيجابية والسلبية لتلك العلاقات. ثم تناول الفصل العلاقات بين القبائل العربية في العراق والتي كانت تسير ضمن خطين متوازيين أولهما سلمي والثاني عدائي يمكن ان يطغى احدهما على الآخر حسبما تقتضيه ظروف كل قبيلة.

وتضمّن الفصل الثالث – الفتح العربي الإسلامي للعراق – الحديث عن الغارات التمهيدية التي كانت تشنّها عدد من القبائل العربية التي تنزل البوادي القريبة من العراق على الريف، والتي نجحت في الاتصال بالخلافة الإسلامية التي تبنّت إطلاق حركة الفتوح العربية نحو أطراف الجزيرة العربية، فلقد جاء استعراض القبائل العربية المشاركة في الفتح من حيث أسمائها وأعدادها عبر تتبع العمليات العسكرية التي كانت تشنّها في جبهتي الحيرة والأبلة. وجاء القسم الثاني من الفصل ليعالج موضوع إنشاء دُور الهجرة والخطوات التي اتبعتها الخلافة في اختيار مواطن الاستقرار الأولى وكيفية تنظيم المقاتلة وعائلاتهم الذين كانوا نواة المستقرين الأوائل في دور الهجرة، ثم تناول القسم الثالث تزايد اعداد الهجرات العربية الى العراق حتى أواخر خلافة الراشدين وأثر ذلك على تغّير التخطيط والتنظيمات القبلية داخل الأمصار.

وجاء الفصل الرابع – القبائل العربية في العراق العربي حتى نهاية العصر الأموي – ليبحث في تزايد هجرة القبائل العربية الى الأمصار بعد قيام الدولة الأموية وأثر ذلك في تغّير التنظيمات القبلية خاصةً في الكوفة حيث تكثر المجموعات القبلية المتنوعة. كما تضمن الحديث عن ظهور مدن جديدة في العراق سكنها العرب كواسط وفم النيل وقصر ابن هبيرة، كما ازدهرت مدن قديمة كالمدائن التي تزايد أعداد من سكنها من العرب.

ويبحث الفصل الخامس في أثر الاستقرار العربي في العراق العربي في صدر الاسلام، إذ تناول القسم

الأول إخـتلاط القـبائل العربية الفاتحة بأهل السواد، والعلاقات الناشئة عن هذا الإختلاط خاصة فيما يـتعلق بالموالـي وأهل الذمة؛ مما أظهر صورة الحياة المدنية المنظمة التي تجلت فيها مرونة العرب وقابليتهم للتعايش مع الشعوب والحضارات الأخرى جنباً لجنب مما كان له دور فعّال في نشر الاسلام والـثقافة العربية بسرعة مذهلة في انحاء العراق. ولقد أدى استقرار القبائل العربية المختلفة في رقعة جغرافـية واحدة الى ظهور مجموعة من المصالح الجديدة بين ابناء القبائل في المصر الواحد مما أدى لظهور نوع جديد من العصبية هي عصبية المصر.

أمـا القسـم الثاني من الفصل فقد عالج موضوع القبائل العربية والأرض، إذ تطرق الحديث فيه عن الـنظرة القبلية للأرض المفتوحة ومطالبة القبائل الفاتحة بقسمتها وموقف الخلافة الرافض لذلك. كما تناول الوسائل المتبعة في تكوين الملكيات العربية وانتشار العرب داخل العراق وتوزّع الأعراب حول السواد.

المقدمة

إن معظـم مـا أُلف في التاريخ العربي الاسلامي كان يركز على النواحي السياسية مما أظهر صورة للتاريخ العربي ملطّخة بالحروب والثورات والفتن، وأظهرت الناس وكأنهم يعيشون في جو مضطرب وقلق دائم، إلا أنّ مثل هذه الصورة السطحية تخفي وراءها ملامحاً لحياة مدنية تبرز فيها قدرة العرب على التعايش مع الشعوب والحضارات الأخرى.

ولفـترة صـدر الاسـلام أهمية خاصة في مجرى التاريخ العربي الإسلامي؛ إذ حصل فيه الاحتكاك الملمـوس لأبناء القبائل العربية التي شاركت في حركة الفتح والذين يحملون معهم المبادئ الإسلامية والـثقافة العربية وبين الحضارات المدنية التي أقامت على أطراف الجزيرة العربية مما أنتج امتزاجاً واضحاً تجّلى في العصور الاسلامية التالية.

وإذا كنتُ في اختياري لموضوع البحث ونطاقه مدفوعاً بميلي الشخصي ورغبتي الخاصة في التعرف على تطّور المجتمع العربي الذي استقر في العراق في فترة صدر الاسلام حيث تقل الدراسات العلمية المنهجـية التـي تبحـث فـي هذا الموضوع، فإن الصورة التي جهدت في تقديمها مستمدة مما تقدمه المصادر من المعلومات التي توخّيت فيها الدقة وتحرّي الصدق والحقيقة دون محاولة تشويه الحقائق .

وقـبل التعرف على المواضيع التي طّرقتها الدراسة لا بد من التعريج على الصعوبات والمشاكل التي واجهـتها اثـناء الكتابة فيها، إذ أن طول الفترة الزمنية الممتدة منذ فترة ما قبل الاسلام وحتى أواخر الدولة الأموية قد أوجد مشكلة في وضع خطة البحث وَجمع المادة، ولم تكن هذه الدراسة مُيّسرة فمادتها زاخـرة في بعض الجوانب وشحيحة مبعثرة في جوانب أُخرى مما كان يضطرني احياناً الى الاعتماد علـى الأخبار القليلة التي مضيت في تفسيرها بما يناسب السياق التاريخي العام او بما يتراءى لي انه تفسير مقنع، وربما خالف ذلك ما ألفه الناس او بدا مُرفوضاً في نظرهم. كما كانت معظم مادة البحث تضـم روايات مختلفة ومتعارضة في كثير من الأحيان مما يحتاج لمزيد من التحرّي لإزالة الالتباس ومحاولـة التوفـيق بيـنها وترجيح بعضها على الآخر، كما تطلب الأمر في أكثر الاحيان التدقيق في شخصـية الراوي وعلاقته بالحدث وميوله مما يترتب على صحة الرواية وضعفها ، كما أن معلومات الموضـوع جـاءت مجزأة لا نجدها تحت عنوان محدد في المصادر؛ فاقتضى ذلك العودة الى مختلف المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية والفقهية وكتب السير والتراجم والأنساب .

وقـد قُسـمت هـذه الدراسـة الى خمسة فصول تناول الفصل الأول منها الجغرافية التاريخية للعراق العربـي، إذ بحث في أصل تسمية العراق العربي بذلك والمعاني التي اختص بها هذا الإسم، ثم تناول الحـدود الجغرافـية لأرض العراق والاضطراب الذي حصل لدى بعض الجغرافيين العرب في تبيان الحـدود الشمالية نتيجة لتوسعها بعد بناء مدينة سامراء، ثم يبحث الفصل في الأقسام الطبيعية، والمناخ والعوامـل المؤثرة به، كما تناول الحديث عن نهري دجلة والفرات اللذان يشقّان العراق ويرتبط بهما

شـبكة مـن قنوات الري وبعض الأنهار الفرعية، كما جاء الحديث عن إنتشار المناطق الزراعية في العراق وأصناف النباتات التي تزرع فيهـا، ثم جاء الحديث عن السكان في العراق وأماكن إنتشارهم.

وفـي الفصـل الثاني الذي يتحدث عن القبائل العربية في العراق قُبيل الإسلام فقد تضمن تتبعاً لحركة هجرة القبائل العربية من مواطنها الأصلية في الجزيرة العربية الى العراق والعوامل المؤثرة في ذلك، ثم ابراز أهم المواطن الجديدة التي اتخذتها تلك القبائل في تخوم العراق، ثم تناول طبيعة العلاقات التي نشـأت بين القبائل العربية التي نزلت تخوم العراق والسلطة المركزية الحاكمة والممثلة بالامبراطورية الساسـانية التـي حاولـت ايقـاف هذا الضغط القبلي على ريف العراق بالقوة إلا أنها فشلت في ذلك فاضـطرت الى تنظيم هذه الهجرات عبر إنشاء مملكة عربية في الحيرة تقف حاجزاً منيعاً أمام ضغط القبائل العربية وتعمل على تنظيم علاقة الفرس بهم ضمن شروط تبادل المنافع. كما تناول هذا الفصل صور العلاقات السلمية والعدائية التي ربطت بين القبائل العربية التي نزلت البوادي القريبة من العراق قبل الاسلام.

أما الفصل الثالث فلقد تضمن الحديث فيه عن الفتح العربي الإسلامي للعراق مبرزاً القبائل العربية التي شـاركت فـي عمليات الفتح من حيث اسمائها وأعدادها، ثم تناول القسم الثاني منه إنشاء دور الهجرة والخطـوات المتـبعة لذلك إبتداءاً من اختيار الموقع ومروراً بكيفية انزال القبائل العربية ضمن خطط قبلية وزّعت عليهم و انتهاءاً بتنظيم القبائل داخل هذه الأمصار التي سرعان ما تطورت وتحولت لمدن ثابـتة لهـا مرافقها الخاصة، أما القسم الثالث منه فلقد تناول تزايد الهجرات القبلية للأمصار وأثر ذلك على تغير التنظيمات القبلية حتى أواخر عصر الخلفاء الراشدين.

وجاء الفصل الرابع ليبحث في القبائل العربية في العراق العربي حتى نهاية العصر الأموي، إذ تطرق الحديـث فـيه لـتزايد أعداد المهاجرين من القبائل العربية خلال العصر الاموي وأثر ذلك على تغير التنظـيمات القبلـية ، كمـا عالج الفصل ظهور عدد من المدن الجديدة في العراق في العصر الأموي ضمّت أعداداً من أبناء القبائل العربية الذين هاجروا من البصرة والكوفة وانتقلوا للعيش فيها.

أمـا الفصل الخامس، فلقد تضمن الحديث فيه عن أثر الاستقرار العربي في العراق العربي في صدر الاسلام إذ تناول في القسم الاول اختلاط أبناء القبائل العربية الفاتحة بأهل السواد ونشوء علاقات وثيقة أدت الى تعريب العراق ونشر الاسلام بين فئات مجتمعه، كما تناول طبيعة العلاقات التي ارتبطت بها مجمـوع القـبائل العربـية التـي سكنت العراق قبل الفتح الاسلامي وبعده مما أنتج مصالحاً مشتركة فرضتها الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الجديدة ووحدة المكان الذي يعيشون فيه مما أبرز عصبية جديدة عرفت بعصبية المصر. وتناول القسم الثاني القبائل العربية والأرض إذ بحث في النظرة القبلـية لـلارض المفتوحة ومطالبة القبائل الفاتحة بقسمتها وموقف الخلافة الرافض لذلك وحجّتها في ذلـك، كما تناول الحديث عن أنواع الأراضي في العراق والطرق المتبعة في امتلاكها من قبل العرب مما ساهم في انتشارالعرب داخل العراق وظهور القرى العربية وتوزع الأعراب حول السواد.

الفصل الأول

الجغرافية التاريخية للعراق العربي

١- أصل التسمية .

٢- الحدود .

٣- الأقسام الطبيعية للعراق العربي :

أ- الجبال والهضاب .

ب- السهول .

ج- البطائح .

٤- المناخ والأمطار .

٥- الأنهار وأنظمة الري .

٦- المناطق الزراعية .

٧- السكان .

١. أصل التسمية :-

عُرِفَ العراق العربي بذلك ((لأنَّ العرب كانت تنزله لقربه من بلادهم))[١]، وهذا يؤكد الصلات الوثيقة بيـن عرب شبه الجزيرة العربية وأرض العراق؛ وبذا فهو يتميّز عما عرف بعراق العجم الذي يقصد به بـلاد الجبال: وهي المنطقة المحصورة بين أذربيجان غرباً، وقسم من العراق وخوزستان جنوباً، ومفازة خراسان وفارس شرقاً وبلاد الدَيْلَم وقزْوين والرّيِّ شمالاً؛ ومن أشهر كوره: هَمَذان، الدِّينَوَر، أصبهان، قُمّ، مَـاه البصرة، مَـاه الكوفة[٢].

لقـد عَـرف العراق تسميات كثيرة منذ القدم، فلقد سـمّاه الإغريق بأرض بابل – بابليونا[٣]- ولم يعرف العـرب هذه التسمية؛ فيذكر المقدسي (ت٣٨٠هـ): ((وقد شققنا الإسلام طولاً وعرضاً فما سمعنا الناس يقولون إلا أن هذا اقليم العراق، وأكثر الناس لا يعلمون أين بابـل))[٤]. وهذا يدل على غلبة إسم العراق علـى هذه الناحية، حتى أن عُمر بن الخطاب لما سأل أبا بكر أن يبعث جنده الى هذه الناحية، قال له أبو بكـر: ((لأن يفتح الله على يدي شِبراً من الأرض المقدسة أحب الي من رستاق من رساتيق العراق ولم يقل من رساتيق بابل)) [٥].

ولقـد أطلـق الفـرس علـى المنطقة إسم "إيرَانشَهر"، وتعني أقاليم إيران وهي: العراق، فارس، الجبال، خراسان[٦]، إلا أن بلاد العراق لوحدها كان يطلق عليها اسم: "دَلّ إيرَانشَهر" ودَلّ بالفارسية معناها قلـب، فيكون معنى الكلمة قلب بلدان / أقاليم ايران [٧].

ومـن هـنا اعتـبر بعض الجغرافيين العرب أن مصطلح العراق اصله فارسي مُعرّب، فقيل أنّ إسم "دل ايرانشهر" يعني قلب العراق، لأنهم شبهوا السّواد بالقلب، وسائر الدنيا بالبدن [٨].

ويذكـر ابن رسته (ت٢٩٠هـ) أن ايرانشهر تقسم الى أقسام منها سورستان وهي السّواد ((وكانت القسمة المدعوة سورستان في سائر أقسام ايرانشهر كالقلب في الصدر، فكان يسمي أرض سورستان التي هـــي

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٤، ص ٣٣١ .

(٢) الـبكري، معجـم ما استعجم، ج٤، ص٤١٧ / الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج٢، ص ٦٧١ / ابن عبد الحق، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١، ص٣٠٩ .

(٣) الاصـطخري، مسـالك الممالك، ص ٦٠ / الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٧٠ / ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٩٥ / مكسمليان شتريك، خطط بغداد وأنهار العراق القديمة، ص٢٠ .

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١١٦ .

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١١٦ .

(٦) ياقوت، معجم، ج١، ص٢٨٩ / ابراهيم الدسوقي شـتا، المعجم الفارسي الكبير، ج١، ص٢٢٢ .

(٧) قدامـة بـن جعفـر، الخـراج وصناعة الكتابة، ص١٥٩ / ياقوت، معجم، ج١، ص٢٨٩ / عبد النعيم حسنين، قاموس الفارسية، ص١٢١٤ .

(٨) ياقوت، معجم، ج١، ص٢٨٩ .

السّواد في الدهر الأول دل ايرانشهر وتفسيره قلب ايرانشهر))[(١)].

وذكــر الــبعض أنها معّربة من كلمة ايراهستان، ومعنى ايراه: الساحل بالفارسية، وهي اسم لسيف كورة اردشير خّرة من أرض فارس المجاورة لخليج البصرة[(٢)].

إلا أن امكانــية الشك بتلك الروايات التي تدّعي أنّ لفظ العراق فارسي معّرب أمر وارد؛ ذلك لأن العرب عندما قاموا بعمليات الفتح الإسلامي وجدوا كثيراً من الأقاليم تشابه العراق من حيث قربها من المياه ومع ذلــك لــم يطلقوا عليها اسم العراق، كما أن المعروف أن العرب المسلمين لم يسعوا الى تعريب ألفاظ أي مدينة أو منطقة من أرض العراق أو ايران[(٣)].

لــذا يمكن القول أن لفظ العراق ذو أصل عربي وله عدة معان: فلقد ذكر أبو عبيدة (ت٢٠٩هــ) أنه سمي عــراقاً ((لأنــه سفل عن نجد، ودنا من البحر كعراق القربة))[(٤)]، أما الأصمعي (ت٢١٧هــ) فذكر أن معــناه الشــاطئ فقال: ((ان ما دون الرمل عراق))[(٥)]، و ذكر الماوردي (ت٤٥٠هــ) أن العراق يعني الاســتواء؛ لأنه أرض تخلو من جبال تعلو وأودية تنخفض[(٦)]؛ وقيل أن معناه فناء الدار كونه يتوسط بين الريف والبرية، أي الدار والطريق[(٧)]. ولما دخل الفتح العربي الإسلامي لهذه المنطقة، سمعنا عن استخدام العرب للفظة السّواد خاصة في فترات التنظيم الإداري للعراق في عهد عمر بن الخطاب، ولقد عرف بذلك ((لأنه حين تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر، وكانوا إذا خرجوا من أراضيهم اليه، فظهرت لهم خضرة الزرع والأشجار، وهم يجمعون بين الخضرة والسّواد في الأسامي))[(٨)].

وبــذا فإن السّواد يفيد معنى الأرض القاتمة الخضرة، التي تمتاز عن البادية القاحلة الناصعة البياض فلقد ذكر أبو عبيدة ((أنه لما رأت العرب كثرة القرى والنخل والشجر، قالوا: ما رأينا سواداً أكثر))[(٩)].

---

(١) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ٩٧ / الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢ ، ص٤١ .

(٢) ياقــوت، معجم، ج٤، ص ٩٤ / ابن عبد الحق، مراصد، ج١، ص١٣٧ / ابراهيم الدسوقي شتا، المعجم الفارسي ، ج١، ص ٢٢٢ .

(٣) الأزهـــــري، تهذيب اللغة، ج١، ص٢٢٢ / الجواليــقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ص٢٣١ / ثابــت الــراوي، العــراق في العصر الأموي، ص ١٩ / فضيل بني حمد، العراق في خلافة معاوية بن أبي سفيان، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية ١٩٩٠، ص ١٧ .

(٤) ابن الفقيــه، البلدان، ص ١٩٩ / أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٩١ .

(٥) ابن الفقيــه، البلدان، ص ١٩٩ / ياقــوت: معجم، ج٤، ص ٩٣ / ابن منظــور، لسان العرب، ج١٠، ص١١٩ .

(٦) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٥٤ / ياقوت، معجم، ج٤، ص ٩٤ .

(٧) البكري، معجم، ج٣، ص٣٢٩ .

(٨) المــاوردي، الأحكام، ص١٥٤ / ياقــوت، معجم، ج٣، ص ٢٧٢ / ابن منظــور، لسان العرب، ج٧، ص ٢٩٤ .

(٩) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٩٧ .

فالسّــواد لفظ أطلقه العرب على العراق لأن جُلّ أراضيه كانت مستغلة زراعياً، وبنفس المدلول قالوا فيما بعد: سواد البصرة وسواد الكوفة[١].

ولقد استخدم العرب كلا اللفظين، أما الجغرافيون العرب في القرنين الثالث والرابع الهجريين فقد استخدموا لفــظ العــراق أكــثر مــن لفظ السّواد للدلالة على نفس المنطقة، مما يؤيد أن المصطلحين كلاهما عربي الأصــل.

٢ . الحدود :-

تأتي كلمة العراق مرادفة لكلمة السّواد لدى العديد من الجغرافيين العرب، فلقد ذكر اليعقوبي (ت٢٨٤هـ) طساسـيج العراق[٢]، بينما أطلق عليها ابن خرداذبة (ت٢٧٢هـ) وقدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) طساسيج السّـواد[٣]، و يــرى المسعودي (ت٣٤٦هـ) أن العراق هو نفسه السّواد فقال: ((وقد حد كثير من الناس السّواد وهو العراق))[٤].

ويــتفق ابن خرداذبة (ت٢٧٢هـ)، وابن الفقيه (ت٢٨٩هـ)، و المسعودي (ت٣٤٦هـ) على أن عمر بن الخطــاب امر بمسح السّواد وحدوده في الشمال من العَلْث وحَرْبى[٥]؛ وهما قريتان الأولى شرق نهر دجلة وتقــع آخــر طسوج بُزُرْجَسَابُور إلى الشمال قليلاً من مصب نهر العظيم، أما قرية حربى فهي في آخر طســوج مسكن غرب نهر دجلة[٦]، ولقد ذكر المدائني (ت٢٢٥هـ) أن هاتين القريتين من أرض الموصل لا من السّواد[٧].

وفي آخر طسوج مَسْكِن يوجد في جنوب غربه دير الجَاثَلِيق الذي يعتبر رأس الحد بين السّواد وتَكْرِيت[٨]، بيــنما يعتــبر المــاوردي (ت٤٥٠هـ) و ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) أن العلث وحربى هما حد العراق

---

(١) ابــن الفقيه: البلدان، ص٣٧٧ (الأصمعي)/ الطبـــري، تاريخ، ج١، ص١٦٨، ٢٣٣، ج٣، ص٥٠٢، ج٤، ص٧٩/ جمال جودة، العرب والأرض في العراق، ص٣٠ .

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢٢١ .

(٣) ابن خرداذبة، المسالك ص ٥ / قدامة بن جعفر، الخراج، ص ١٥٩ .

(٤) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣٥ .

(٥) ابــن خــرداذبة، المسالك، ص١٤ / ابن رسته، الاعلاق، ص ٩٧ / ابن الفقيه، البلدان، ص ٣٩٠ / المسعودي، التنبيه، ص٣٥ / عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٧ .

(٦) المســعودي، التنبـيه، ص٣٥ / يــاقوت، معجم، ج٢، ص٥٠٣ / ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١، ص٣٩٠ .

(٧) أبو هلال العسكري، الأوائل، ص ١١٥ (المدائني) .

(٨) المســـعودي، التنبيه، ص ٣٥ / ياقوت: معجم، ج٢، ص ٥٠٣ / شيخ زاده، مجمع الأنهر في ملتقى الأبحر، ص٣١٧ / احمد سوسة، ري سامراء، ج٢، ص٤٩٧ .

العربي من الشمال[١].

يذكر أبو مخنف (ت١٥٧هـ) أن نهر حولايا يفصل بين أرض الموصل وأرض الكوفة؛ ويقع على جانبيه طسوجا الرّاذانين[٢]، وللغرب منه تقع قرية البَتّ وهي من أرض الموصل[٣].

ولعل نهر حولايا هو نفسه نهر العظيم الذي يدخل حدود العراق من ناحية جبل بارِمًا - حُمْرين- ويصب في نهر دجلة، وتقع تلك الطساسيج الثلاثة " بُزُرْجَسَابور والراذانين الأعلى والاسفل" على جانبي هذا النهر. وأشار ابن رسته والمسعودي وياقوت أن بزرجسابور هذا آخر طساسيج السّواد من الجانب الشمالي الشرقي لنهر دجلة[٤].

وأشار أبو مخنف عندما ذكر مسيرة الجيش الذي وجهه المختار بن أبي عبيد الثقفي لمحاربة عبيد الله بن زياد في الجزيرة الفراتية، أن الجيش مرَّ من المدائن فأرض جُوخَى[٥] ثم الراذانات ثم أرض الموصل[٦].

وأشار أبو عبيد (ت٢٢٤هـ) والمدائني (ت٢٢٥هـ) الى أن ((حدّ السّواد الذي وقعت عليه المساحة من لدن تخوم الموصل ماراً مع الماء الى ساحل البحر الى بلاد عَبّادان))[٧].

ويقصد بتخوم الموصل هنا المنطقة الإدارية التي تسمى بالجزيرة الفراتية الممتدة ما بين نهري دجلة والفرات وتشمل ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر[٨].

واعتبر العديد من الجغرافيين العرب أن أرض تكريت الواقعة شمال طسوجي بزرجسابور ومسكن تقع ضمن أرض الموصل، و ليست من أرض العراق؛ فيذكر البكري (ت٤٨٧هـ) أن الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ) اقتطع كورتي تكريت وطَبَرْهَان لاتصالهما بسامراء من أرض الموصل وأضافهما إلى العراق، فصار حدّ العراق من الشمال ينتهي حتى مدينة العَقْر[٩] الواقعة بين أرض العراق وأرض الموصل شرقي نهر دجلة إلى الشمال من مصب نهر الزاب الأسفل؛ وتمثّل نقطة

---

(١) الماوردي : الاحكام ، ص ١٥٤ / ياقوت ، معجم ، ج٣ ، ص ٢٧٣ / ابن عُبدالحق، مراصد، ج٣، ص٢٧٢ .

(٢) الراذانين : هما الراذان الأسفل والراذان الأعلى وهما كورتان بسواد العراق تشتمل على قرى كثيرة . ياقوت : معجم ، ج٣، ص١٢ .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٢٥١ (أبو مخنف) / أبو هلال العسكري ، الأوائل ، ص ١١٥ / احمد سوسة ، ري سامراء ، ج٢، ص٣٥٧-٣٥٨ .

(٤) ابن رسته : الأعلاق ، ص ٩٧ / المسعودي : التنبيه ، ص ٣٥ / ياقوت ، معجم ، ج١ ، ص ٤١٠ .

(٥) يقصد بها هنا المنطقة الواقعة الى الشرق من نهر دجلة . انظر الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٨ / الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٤٠ / ابن عبدالحق، مراصد ، ج١ ، ص٣٥٥ / احمد سوسة ، ري سامراء ، ج٢ ، ص٤٢٥ .

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٦، ص٤٠ .

(٧) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٣٨١ / البكري ، معجم ، ج١ ، ص٦ .

(٨) الاصطخري ، مسالك ، ص ٥٢ / ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٩ .

(٩) البكري ، معجم ، ج٤ ، ص ١٢٧٨ / الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج٢ ، ص ٦٥٤ / ابن سعيد المغربي ، الجغرافيا، ص١٥٧ .

حدود تنزل فيها القوافل التجارية(١). وهذا يثبت أن تكريت لم تكن من العراق قبل عهد المعتصم .
لقد أدى هذا الاجراء الإداري الى توّسع حدود العراق، كما قد أوجد اضطراباً عند العديد من الجغرافيين العرب في بيان الحدّ الشمالي لكل من السّواد والعراق العربي ، فأغلب هؤلاء الجغرافيون هم من القرنين الثالث والرابع الهجريين ، الذين فرّقوا بين السّواد والعراق ، فلقد ذكر ابن الفقيه (ت٢٨٩هـ) أن العراق يمتد طولاً من عانة الى البصرة التي تتاخم الأهواز(٢).
ويذكر الاصطخري (ت٣٥٠هـ) حدود العراق على جهاته الاربع في أيامه أنها تمتد ((من تكريت شمالاً الى عَبّادان على بحر فارس جنوباً ، حيث يمتد الحدّ من تكريت مما يلي المشرق حتى يجوز بحدود شَهْرَزُور، ثم يطوف حدود حُلْوان وحدود السِيرَوَان والصَيْمَرَة وحدود الطِّيب وحدود السُّوس حتى ينتهي الى حدود جُبىّ ثم إلى البحر.. ويرجع الى حد المغرب من وراء البصرة في البادية على سواد البصرة وبطائحها الى واسط ، ثم على سواد الكوفة وبطائحها الى الكوفة ، ثم على ظهر الفرات الى الأنْبَار، ثم من الأنْبَار إلى حد تكريت بين دجلة والفرات))(٣).
ويذكر بعض الجغرافيين العرب المتأخرين لاحقاً أن العراق يمتد ما بين حديثة الموصل الى عبادان جنوباً(٤)، بينما يرى آخرون أنه يمتد من الموصل الى عبادان جنوباً(٥).
ولعل مثل هذه الروايات المتأخرة جاءت متأثرة من قبل جغرافيي القرنين الثالث والرابع الهجريين بما فعله المعتصم عندما ألحق اراض من الموصل بأرض العراق ، حتى صارت كأنها جزء منه.
ولعل المسعودي قد وقع في هذا الالتباس لما ذكر مرة أن العراق يبدأ حده الشمالي من السّنّ (٦) وكذلك ذكر المقدسي(٧)، وهذا الحدّ الذي كان عليه العراق في أيامهما، ثم ذكر المسعودي مرة ثانية أن السّواد هو نفس العراق ويبدأ من العَلْث وحَرْبَى، وهو التحديد القديم للعراق منذ الفتح الاسلامي وعملية المسح التي قام بها عثمان بن حنيف وفق أوامر الخليفة عمر بن الخطاب.
وهذا ما يشير له الماوردي وياقوت الحموي اللذين فرّقا بين العراق والسّواد؛ فذكرا أن السّواد يبدأ من حديثة الموصل الى عبادان طولاً، وعرضه من عُذَيب القادسية إلى حلوان، وبلغ طوله بذلك مائة وستين

---

(١) ياقوت ، معجم ، ج٤ ، ص ١٣٦ .
(٢) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ١٩٩ .
(٣) الاصطخري ، مسالك ، ص ٥٦ / ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٨ / ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٩٦ .
(٤) ابو الفداء ، تقويم ، ص ٢٩١ / ابن عبدالحق، مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص ٩٢٦ / القلقشندي ، صبح ، ج٤ ، ص٣٣١ .
(٥) البكري ، معجم ، ج١ ، ص ٦ / القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٤١٩ .
(٦) المسعودي ، التنبيه ، ص ٣٣ .
(٧) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٣٤ .

فرســخاً[١]. ((فأما العراق فهو في العرض مستوعب لأرض السّواد عُرفاً ويقصر عن طوله في العرف لأن أوله من شرقي دجلة العلث وفي غربيها حربى ثم يمتد الى أعمال البصرة من جزيرة عبادان، فيكون طوــله مائــة وخمســة وعشرين فرسخاً يقصر عن السّواد بخمسة وثلاثين فرسخاً وعرضه مع تبعه في العرف ثمانون فرسخاً كالسواد))[٢].

ولقــد كــان تحديدهمــا للسواد أنه أطول من العراق اعتماداً على أن السّواد يقصد به ما كان مستغلاً من الأراضي الزراعية؛ إذ يرى الماوردي أن السّواد هو ((القسم الذي تغطيه الأشجار والزروع))[٣].

وتعتــبر الأنــبار أول طساسيج السّواد على الفرات[٤]، وتقع الى الجنوب الغربي من طسوج مسكن، ولقد ألحق بعض الجغرافيين العرب مدينة هِيت بالحدود العراقية وذلك قبل الفتح الاسلامــي حيــث كانت هي وعانــات جزءاً من طسوج الانبار حتى عهد كسرى أنو شــروان (٥٣١ -٥٧٩م) الذي خربت في عهده المدينتين وذلك عندما جدّد بناء الخندق الدفاعي لصدّ من يتسلل من القبائل الى ريف العراق[٥].

وكانــت هِيــت تخــرج أحياناً عن دائرة العراق لتدخل حيّز النفوذ البيزنطي، حسبما تكون عليه العلاقات العسكرية بين الدولتين الساسانية والبيزنطية[٦].

ويــبدو أن هيت ظلت تتبع إدارياً للعراق حتى تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة، والذي قام بفصل هيت عن الأنبار وجعلها تابعة للجزيرة الفراتية[٧].

أما البكري فيذكر أن بَقَّة -بجوار الرّمَادي حالياً- ((مدينة على شاطئ الفرات وهي حد العــــــراق))[٨].

ويمكــن القــول أن بداية العــراق علــى نهــر الفرات تقع شمال بَقَّة، وفي ذلك يشير سليمان بن مهنا (ت٧٤١هــ) ((ومن هيت تخرج الى فضاء العراق والسهول))[٩].

---

(١) الفرسُــخ : اخـتلف في أصله فقيل فارسي معرب أصله فرسنك وقيل عربي محض ، والفرسخ يساوي ١٢٠٠٠ ذراع هاشــمية؛ وقــيل ٧٠٠٠ خطوة، ويساوي ٦كم ، ويساوي طول العراق بالكيلومترات (٩٦٠كم) انظر ياقوت ، معجم، ج١، ص٣٥-٣٦ / فالترهنتس ، المكاييل والاوزان ، ص٩٤ .

(٢) الماوردي : الأحكام ، ص ١٥٤ / ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص٢٧٣ .

(٣) المــاوردي ، الأحكــام ، ص ١٥٤ / ابن سعيد المغربي ، الجغرافية ، ص١٥٨ / عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٨ .

(٤) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٣٨٤/ قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص١٦١ .

(٥) الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٣٢ ، ٤٠٥ .

(٦) اليعقوبي : تاريخ ، ج١ ، ص ٢٢٢ .

(٧) يــاقوت : معجــم ، ج٤، ص٤٨٤ ، ولقد ذكر الدينوري / ت ٢٨٢ هــ / أن ذلك الأمر كان في عهد يزيد بن معاوية ، الأخبار الطوال ، ص ٦٥ .

(٨) البكري : معجم ، ج١ ، ص ٢٦٥ .

(٩) القزويني: آثار البلاد ، ص ٤٢١ .

يكاد يجمع الجغرافيون العرب على أن عرض العراق العربي يمتد من قادسية الكوفة - العُذَيب- غرباً الى حلوان شرقاً[١]، ويقع العذيب على فم البر في الطرف الغربي من القادسية، ويبعد عنها ٨كم، وقيل ((هو حد السّواد))[٢].

وتُعتــبر البادية الحد الغربي للعراق؛ حيث راعى الاصطخري عندما رسم خارطة للعراق إذ أظهر تأخر البادية وتقدمها نحو أرض العراق[٣].

وتنتشــر فــي الــبادية عــيون ماء تسمى عيون الطَّفّ[٤]، ولقد ذكر العديد منها في فترات ما قبل الفتح الإسلامي وما بعده، ولم تكن هذه العيون من أرض العراق، بل كانت في الأراضي المتاخمةله، فيذكر أبو عبــيدة أن ذي قار، وهي أحد العيون المتاخمة لأرض السّواد[٥]، والتي قال عنها ياقوت أنها الحد الفاصل بين العراق وأرض العرب[٦]، ومن هذه العيون:

عَيْنُ أُبَاغ، القَطْقَطَانَة، عَيْنُ صَــيْد، عَيْنُ جَمَــل، عَيْنُ الرّهيمة، لَعْلَع، ذِي قَار، المَنْجَشَانِيَة[٧]. ولقد كانت هــذه العيون هدفاً للقبائل العربية قبل الفتح العربي الاسلامي للاستقرار فيها، حتى أنه ذكر أن بعض هذه العــيون كانــت بيد القبائل العربية، لما جاء الفتح الاسلامي، بعدما تمكنت من الاستيلاء عليها بعد هزيمة الفرس في يوم ذي قار[٨].

وبقيــت بعــض عيون الطف بيد الفرس الذين كانت لهم مسالح في هذه المناطق منذ أن أقطع كسرى أنو شــروان بعضها لرؤساء المسالح الفارسية، ولما قدم الفاتحون المسلمون الحيرة هرب الفرس من مسالحهم فــي عــيون الطف بعد أن طموا ما في أيديهم منها، وبقي الذي في أيدي العرب فأسلموا عليه، فأعتبر ما عمّر مما طمته الأعاجم منها أراض عشرية، لأنها كانت بمثابة إحياء لأراضٍ موات[٩].

---

(١) المســعودي، التنبــيه والإشراف، ص ٣٥ / الاصطخري، مســالك، ص ٥٦ / ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٠٨ / البكري: معجم ، ج١،ص٦ ، ١٩٧-١٩٨ / القزويني ، آثار البلاد ، ص ٤١٩ .

(٢) ياقوت ، معجم ، ج٤ ، ص٩٢ . انظر المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢، ص٣٢٨ .

(٣) الاصطخري ، أقاليم ، ص٥٠ (الخارطة) ، ص١٣ ، ص٤٥ .

(٤) يذكر الأصمعي (ت٢١٧هـ) أن الطفّ ما دنا من ريف العراق ، ويقال الطف : ساحل البطيحة بين الأهواز والبصرة . انظر ابن الفقيه ، البلدان ، ص٢٢٥ / البكري ، معجم ، ج٣ ، ص٨٩١ / ياقوت ، معجم ، ج٤ ، ص٣٥-٣٦ .

(٥) البكري : معجم ، ج٤ ، ص١٠٤٣ .

(٦) ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٣٦ .

(٧) أبــو عبيدة، أيام العرب، ج٢، ص ٤٩٢ / البكري: معجم، ج٣، ص١٠٤٢-١٠٤٣ / ياقوت، معجم، ج١، ص٦١، ج٤، ص٣٥ .

(٨) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٢٥ / ياقوت ، معجم ، ج٤ ، ص ٣٦ .

(٩) البــلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٩٦، (قالوا) / ابن الفقيــه، البلدان، ص٢٢٦ / ياقوت، معجم، ج٤، ص٣٦ .

ويــبدو واضحاً أنه يقصد هنا الحدّ الغربي للعراق وليس حدود أرض العراق كله بشكل عام، فكل ما ذكره مــن مواقــع تقع للغرب من نهر الفرات، وبذلك يعطي ابن الكلبي وصفاً للحدود الغربية التي تنتهي اليها أرض العراق العربي.

٣ . الأقسام الطبيعية للعراق العربي :-

أ- الجبال و الهضاب :

تمتاز معظم أراضي العراق العربي بأنها أقرب لمستوى السهل، حيث تخلو من وجود الجبال فيها، غير أن ثمــة سلســلة مــن الــتلال المبعثرة قليلة الارتفاع توجد في شمال شرق العراق وتعرف باسم جبل بارما (حمــريــن)، وتبدأ هذه السلسلة من شرقي البَنْدَنيجَين - مندلي- ثم تسير جنوب جلولاء حيث يقطعها نهر ديالي، وتتابع المسير الى الشمال الغربي حيث تمتد الى مصب نهر الزاب الأسفل على نهر دجلة[١].

كمــا توجد في الجنوب مرتفعات سَنَام وسَفَوَان اللتان تبعدان عن أرض البصــرة حوالـــي ١٠٠كم[٢]، ويقــع سَــنَام جــنوب البصــرة على طريق اليمامة، ويذكر ياقوت أن البصريين كانوا يرونه من سطوح دورهــــم[٣].

توجد الهضبة الصحراوية في غرب أرض العراق، وهي امتداد لهضبة شبه الجزيرة العربية وتتصف بأنها شديدة الإنحدار، وفقيرة في نباتها الطبيعي، لذا فهي معرّضة لعمليات التعريـــــة[٤]. وتشح مياه الأمطار في الهضبة الصحراوية إلا أنها تكون في الشمال أكثر منها في الجنوب، و لذلك كثرت الوديان في منطقة الشمال، وتمتد هذه الوديان باتجاه شرقي- غربي مما يُسّهل في حركة القوافل التجارية بين أرض العراق وأرض العرب، لأن طبيعة بطون الأودية تغطيها ترسبات ناعمة أسهل للحركة والنقل[٥].

وتنتشر في أنحاء الهضبة الصحراوية مجموعة من عيون الماء المعروفة بإسم عيون الطَّفّ، كانت تنتشر حولهــا مراكــز التجمّعات القبلية قبل الإسلام، وعدداً من المسالح الفارسية التي كانت هذه العيون تزوّدها بالمياه[٦].

---

(١) سهــراب : عجائب الأقاليم ، ص ١١٦ / الأصطخري : مسالك ، ص٧٥ / طه الهاشمي : جغرافية العراق ، ص١٩ .

(٢) صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص ١٠٦.

(٣) ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص٢٦٠ / صالح العلي : خطط البصرة ، ص١٠٦ .

(٤) أشهر ما روي مثالاً لتلك المنطقة الممتدة ما بين العذيب والقادسية ، فلقد كانت مجدبة عند الفتح ، ليس فيها سوى نخلة واحدة دفن عندها قتلى المسلمين في القادسية . انظر الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٥٠ .

(٥)جاسم الخلف : جغرافية ، ص٥٨ .

(٦)ابن الفقيه: البلدان ، ص ٢٢٥ / البكري : معجم ، ج٣ ، ص٨٩١ ، ج٣ ، ص١٠٤٢-١٠٤٣ .

ب – السهول :

تعتبر أغلب أرض العراق سهلاً رسوبياً شكّلته ترسبات نهري دجلة والفرات. ويمكن أن نقسم السهول في العراق العربي لعدة أقسام :

ا- مدرجات – ضفاف – الأنهار : ويمثل هذا النوع أقدم أجزاء السهل الرسوبي في العراق. وهي سهول ساعدت عمليات الترسيب للأنهار على جانبيها في تشكيلها؛ وهي سهول أعلى من مستوى الأراضي المجاورة لها، لذا فهي تحتاج لآلات وجواديف لرفع الماء اليها، ومن أمثلة وجود هذه السهو: المناطق القريبة من الفلّوجَة، و في غرب الفرات بين بقّة – قرب الرمادي – والهِنْدِيّة[١]. وتمتاز بأنه يمكن أن يصل ارتفاعها لحوالي ١٠م أعلى من مستوى الأراضي المجاورة لها[٢].

٢- سهول رسوبية :

تشكّلت من ترسبات مياه الرافدين، وخاصة في موسم الفيضان، حيث تمتاز بأنها سهول عالية قريبة لضفاف الأنهار، وهي أجود تصريفاً من السهول البعيدة عن الأنهار، وذلك لكبر حجم ذرات تربتها. أما السهول البعيدة عن ضفاف الأنهار فتكون تربتها ذات ذرات دقيقة، لذا تكون رديئة التصريف، ومن الأمثلة على السهول الرسوبية: سهل الفرات الممتدة بين الرمادي شمالاً وحتى الدِيوَانيّة في الجنوب وبين نهري الفرات ودجلة شرقاً، أما سهل دجلة فيمتد من شمال بغداد حتى الكوت ويكون معظمه الى الشرق من نهر دجلة[٣].

٣ – سهول الدلتا :

يتفرّع نهرا دجلة والفرات لفروع كثيرة الالتواءات، ويكون السهل الرسوبي في هذه المنطقة قليل الإنحدار، إذ يصل انخفاضه لأكثر من ٤٠٠ ميل طولاً[٤].

ويوجد حول هذا النوع من السهول ما يعرف بالأحواض، وهي ذات مساحات صغيرة تمتلئ بمياه الأنهار مما يُكوّن بذلك ما يعرف بالبطائح والمستنقعات، وهي أصغر مساحة وأقل ارتفاعاً من سهول الدلتا[٥]، ومن الأمثلة على سهول الدلتا: سهول دلتا دجلة الواقعة بين الكُوت والعَمَارة والنَاصِريّة؛ أما سهول دلتا الفرات فتمتد من الهندية حتى الناصرية[٦].

---

(١) جاسم الخلف: جغرافية ، ص ٤٦ .

(٢) جاسم الخلف: جغرافية ، ص ٤٧ .

(٣) جاسم الخلف: جغرافية، ص ٤٦-٤٧، عبد الرزاق البطيحي: دراسة في جغرافية العراق، ص ١٨، ٣٤-٣٨ .

(٤) Donner, The Arab Tribes in the Muslim Conquest , P.87

(٥) جاسم الخلف : جغرافية العراق الطبيعية ، ص ٤٨-٤٩ .

(٦) جاسم الخلف : جغرافية ، ص ٤٩ .

وفـي جـنوب العـراق حيث يوجد سهل البصرة؛ تكثر ترسبات مياه دجلة العوراء[١] حول ضفافه بسبب ظاهـرة المـدّ والجزر التي تحدث يومياً على ساحل خليج البصرة، مما يقلّل من سرعة جريان مياه دجلة العوراء؛ فينتج عن ذلك بالضرورة أن كان سهل البصرة أكثر إرتفاعاً من مستوى الخليج والبطائح[٢].
كمـا وصـفت المـناطق الواقعة شرق وغرب دجلة بأنها أراضٍ مستوية تكوّنت من ترسبات طمي دجلة العوراء، ويصفها الأصطخري ((وما كان الى دجلة أقرب فهو من جنس أرض البصرة في التسبّخ وكذلك الصحة ونقاء البشرة في الناس فيما بَعُدَ عن دجلة))[٣].

جـ – البطائح :

عرفت منطقة البطائح منذ القدم، فقد ذكرتها النقوش المسمارية باسم " أكامي" وتعني : البطائح، و "ابراته" ومعـناها إقليم القصب[٤]. وهي بالأصل منطقة جغرافية قليلة الإنحدار لدرجة تسمح ببطئ جريان المياه، وزيـادة الترسبات في قيعان الأنهار، مما يجعلها مهدّدة باستمرار لأخطار تبدّل مجاري القنوات المائيـة، حتى أن نهر دجلة قد يُغيّر مجراه جزئياً أو كلياً في هذه المنطقة[٥].
ومما يدل على قدم وجود البطائح جنوب العراق ما دلت عليه الحفريات الأثرية التي قام بها العالم (وولي) في تل العبيد الواقع شمال مدينة أور على مسافة ٧كم، وترجع لحضارة عصر العبيـــد (٤٥٠٠-٣٨٠٠ ق.م) حيــث وجـد مجموعــة من القطع الفخارية عليها آثار لعيدان الحلفا – البردي– وهو نبات موجود بكثرة في البطائح[٦].
وتقــع الــبطائح جـنوب العــراق في المنطقة المحصورة بين واسط والبصرة. ذكرت بعض المصادر الجغرافــية أن نهر دجلة تغيّر مجراه في عهد الملك قباذ (٤٨٨-٥٣١م)، إذ (انبثق في أسافل كَسْكَر بثق عظيــــم، فأغفل حتى غلب ماؤه، وغرّق كثيراً من الأراضي العامرة)[٧].

---

(١) وهو اسم لدجلة البصرة وتمتد من عبدسي الى المذار ، تكوّنت بسبب تحوّل مجرى نهر دجلة ليصبّ في البطائح ، ويبلغ طولــه ٦كم . انظر ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٣٣ / ابن رسته ، الأعلاق ، ص٩٠ / سهراب ، عجائب الأقاليم السبعة الى نهاية العمــارة ، ص١٣٥ / ياقوت ، معجم ، ج٢ ، ص٤٤٢ .

(٢) ابن رسته، الأعلاق، ص ٨٩ / جاسم الخلف، جغرافية، ص ٥٠ / جمال جودة، العرب والأرض في العراق، ص ٤٦ .

(٣) الأصطخري ، مسالك ، ص ٦٣ .

(٤) جمال جودة ، العرب والأرض ، ص ٤٦ .

(٥) عبد الرزاق البطيحي، دراسة في جغرافية العراق، ص ٣٥ / صالح العلي، "منطقة الكوفة "، مجلة سومر، مجلد (٢١)، بغداد، ١٩٦٥ ، ص ٢٣١ / Al-Ali, " Al-Batiha", EI^2, vol.1.P.1093

(٦) روث مـــور، الأرض التــي نعــيش عليها، ترجمة اسماعيل حقي ، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦١، ص ٢٩ – ص٣٠، وردت في كتاب حسن الخياط ، جغرافية أهوار ومستنقعات جنوبي العراق ، ص ٢٠ .

(٧) البلاذري : فتوح ، ص ٢٩٠ / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ١٦٨ / شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص٦٩ .

ولقــد كــان مجــرى نهر دجلة يسير أولا ممتداً من الكُوت (مَاذارَيا) شرقاً باتجاه الجنوب حيث عَبْدَسِي والمَــذار، وكان يلتقي بمياه الفرات قرب القرنة(١).

ولمــا تولــى كسرى أنو شروان (٥٤١-٥٧٩م) حاول إصلاح البثوق التي حصلت في السدود والمسنّيات وإقامة سدود أخرى جديدة وإعادة دجلة لمجراه الأول إلا أنه فشل في ذلك(٢).

وفــي أواخر عهد كسرى أبرويز بن هرمز (٥٩٠-٦٢٨م) وتحديداً في سنة ٦-٧هــ /٦٢٧-٦٢٨م وهي الســنة التي أرسل فيها النبي (ص) عبد الله بن حذافة السهمي لكسرى أبرويز، وفيها ((زاد الفرات ودجلة زيادةً عظيمةً لم يُرَ مثلها قبلها ولا بعدها))(٣)، فحصلت بذلك فيضانات كبيرة جهد فيها كسرى أبرويز أن يصــلحها ((وركب كسرى بنفسه لسدّ تلك البثوق، ونثر الأموال على الأنطاع وقتل الفعلة بالكفاية وصلب على بعض البثوق فيما يقال أربعين جسّاراً في يوم واحد، فلم يقدر للماء على حيلة))(٤).

ولقــد كان لتلك البثوق دوراً كبيراً في تخريب القنوات والمسنّيات القريبة من نهر دجلة مما أدى لفيضان المــيــاه؛ وبالتالي تغريق عدد من الأراضي الزراعية(٥)، وكان لشدة قوة المياه وكميتها أن زادت مساحة البطائح زيادة كبيرة.

واســتمرت البطائح بالإتساع في فترة عمليات الفتح الإسلامي، حيث انشغل الفرس بالحروب مع المسلمين ممــا أدى لإهمــال السدود وتدفق المياه وشغل الأعاجم عن اصلاحها وعجز الدهاقين على سدّ عظمها(٦)، فكــان أن هــرب العديــد من الفلاحين من قراهم، فترك الأمر بيد المسلمين الذين لم يكن لديهم خبرة في الــتعامل مــع هــذه المعضلة؛ وبعدما ألقت الحرب أوزارها وتمكن المسلمون من فتح العراق، كان أمر الــبطائح مستفحلاً، وكان من الصحة ذلك القرار الذي اتخذته الخلافة الإسلامية بإعادة الفلاحين لأراضيهم بعد مصالحتهم، لأنهم هم الوحيدون القادرون على رعايتها.

ويذكر البلاذري أن طريق البريد الذي كان يصل لمَيْسَان ودَستُميسَان والأهْوَاز في شقّه القبلي فلما تبطّحت البطائح سمّي ما استأجم من شق البريد: آجام البريد، والشق الآخر آجام أغْمَربَثِي(٧).

ويمكــن أن نفسر ما حصل جغرافياً، بأن أرض البصرة هي أرض مستوية تخلو من المرتفعات التي تبعد

---

(١) كي لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٠ .

(٢) البلاذري : فتوح ، ص ٢٩٠ / ابن رسته : الأعلاق ، ص ٩٠ .

(٣) البلاذري : فتوح ، ص ٢٩٠ / صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص٢٨ .

(٤) البلاذري : فتوح ، ص ٢٩٠ / الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٨٨ / قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص١٦٩ .

(٥) يذكر المسعودي أنها غرقت طسوج الثرثور من بلاد كسكر، وبذا اصبح مجرى دجلة بين فَمّ الصِّلح وبَهَنْدَف وبادَرَايَا وباكُسَايا .. إلى نهر جور والمذار . انظر : المسعودي : التنبيه ، ص ٤٨ .

(٦) البلاذري : فتوح ، ص ٢٩٠ / عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢٢ .

(٧) البلاذري : فتوح ، ص ٢٩١ / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ١٦٩ .

الرموز والمختصرات العربية : -

- أُشيرَ للمصادر والمراجع في الهوامش حسب النمط التالي :

يذكر في الهامش : اسم المؤلف أو اسم شهرته ، مع كلمة أو اكثر من اسم كتابه ، ثم الجزء (في حالة وجود أجزاء) والصفحة. مثل :

البلاذري، أنساب الأشراف ، ج٥، ص٧٣ .

- الرموز والمختصرات العربية :

ت :	توفي.	ق.م :	قبل الميلاد.
ج :	جزء.	ط :	طبعة.
ص :	صفحة.	د.ت :	دون تاريخ نشر.
هـ :	هجري.	د.م :	دون مكان نشر.
م :	ميلادي، مجلد، متر.	د.ن :	دون ناشر.
كم :	كيلومتر.	ق :	قسم.
م° :	درجة مئوية.	ع :	عدد.
سم :	سنتيمتر.		

الرموز والمختصرات الإنجليزية : -

E.I^1 : Encyclopedia of Islam, First Edition.
E.I^2 : Encyclopedia of Islam, New Edition.
Vol : Volume.
P: Page.
A.H. : Anno Hegirae.
A.D. : Anno Domini.

ثبت المحتويات

الموضوع | الصفحة

المقدمة

إن معظم ما أُلف في التاريخ العربي الاسلامي كان يركز على النواحي السياسية مما أظهر صورة للتاريخ العربي ملطّخة بالحروب والثورات والفتن، وأظهرت الناس وكأنهم يعيشون في جو مضطرب وقلق دائم، إلا أنّ مثل هذه الصورة السطحية تخفي وراءها ملامحاً لحياة مدنية تبرز فيها قدرة العرب على التعايش مع الشعوب والحضارات الأخرى.

ولفترة صدر الاسلام أهمية خاصة في مجرى التاريخ العربي الإسلامي؛ إذ حصل فيه الاحتكاك الملموس لأبناء القبائل العربية التي شاركت في حركة الفتح والذين يحملون معهم المبادئ الإسلامية والثقافة العربية وبين الحضارات المدنية التي أقامت على أطراف الجزيرة العربية مما أنتج امتزاجاً واضحاً تجّلى في العصور الاسلامية التالية.

وإذا كنتُ في اختياري لموضوع البحث ونطاقه مدفوعاً بميلي الشخصي ورغبتي الخاصة في التعرف على تطّور المجتمع العربي الذي استقر في العراق في فترة صدر الاسلام حيث تقل الدراسات العلمية المنهجية التي تبحث في هذا الموضوع، فإن الصورة التي جهدت في تقديمها مستمدة مما تقدمه المصادر من المعلومات التي توخّيت فيها الدقة وتحرّي الصدق والحقيقة دون محاولة تشويه الحقائق.

وقبل التعرف على المواضيع التي طَرقتها الدراسة لا بد من التعريج على الصعوبات والمشاكل التي واجهتها اثناء الكتابة فيها، إذ أن طول الفترة الزمنية الممتدة منذ فترة ما قبل الاسلام وحتى أواخر الدولة الأموية قد أوجد مشكلة في وضع خطة البحث وَجمع المادة، ولم تكن هذه الدراسة مُيّسرة فمادتها زاخرة في بعض الجوانب وشحيحة مبعثرة في جوانب أُخرى مما كان يضطرني احياناً الى الاعتماد على الأخبار القليلة التي مضيت في تفسيرها بما يناسب السياق التاريخي العام او بما يتراءى لي انه تفسير مقنع، وربما خالف ذلك ما ألفه الناس او بدا مُرفوضاً في نظرهم. كما كانت معظم مادة البحث تضم روايات مختلفة ومتعارضة في كثير من الأحيان مما يحتاج لمزيد من التحرّي لإزالة الالتباس ومحاولة التوفيق بينها وترجيح بعضها على الآخر، كما تطلب الأمر في أكثر الاحيان التدقيق في شخصية الراوي وعلاقته بالحدث وميوله مما يترتب على صحة الرواية وضعفها ، كما أن معلومات الموضوع جاءت مجزأة لا نجدها تحت عنوان محدد في المصادر؛ فاقتضى ذلك العودة الى مختلف المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية والفقهية وكتب السير والتراجم والأنساب.

وقد قُسمت هذه الدراسة الى خمسة فصول تناول الفصل الأول منها الجغرافية التاريخية للعراق العربي، إذ بحث في أصل تسمية العراق العربي بذلك والمعاني التي اختص بها هذا الإسم، ثم تناول الحدود الجغرافية لأرض العراق والاضطراب الذي حصل لدى بعض الجغرافيين العرب في تبيان الحدود الشمالية نتيجة لتوسعها بعد بناء مدينة سامراء، ثم يبحث الفصل في الأقسام الطبيعية، والمناخ والعوامل المؤثرة به، كما تناول الحديث عن نهري دجلة والفرات اللذان يشقّان العراق ويرتبط بهما

شـبكة مـن قنوات الري وبعض الأنهار الفرعية، كما جاء الحديث عن إنتشار المناطق الزراعية في العراق وأصناف النباتات التي تزرع فيهـا، ثم جاء الحديث عن السكان في العراق وأماكن إنتشارهم.

وفـي الفصـل الثاني الذي يتحدث عن القبائل العربية في العراق قُبيل الإسلام فقد تضمن تتبعاً لحركة هجرة القبائل العربية من مواطنها الأصلية في الجزيرة العربية الى العراق والعوامل المؤثرة في ذلك، ثم ابراز أهم المواطن الجديدة التي اتخذتها تلك القبائل في تخوم العراق، ثم تناول طبيعة العلاقات التي نشـأت بين القبائل العربية التي نزلت تخوم العراق والسلطة المركزية الحاكمة والممثلة بالامبراطورية الساسـانية التـي حاولـت ايقـاف هذا الضغط القبلي على ريف العراق بالقوة إلا أنها فشلت في ذلك فاضـطرت الى تنظيم هذه الهجرات عبر إنشاء مملكة عربية في الحيرة تقف حاجزاً منيعاً أمام ضغط القبائل العربية وتعمل على تنظيم علاقة الفرس بهم ضمن شروط تبادل المنافع. كما تناول هذا الفصل صور العلاقات السلمية والعدائية التي ربطت بين القبائل العربية التي نزلت البوادي القريبة من العراق قبل الاسلام.

أما الفصل الثالث فلقد تضمن الحديث فيه عن الفتح العربي الإسلامي للعراق مبرزاً القبائل العربية التي شـاركت فـي عمليات الفتح من حيث اسمائها وأعدادها، ثم تناول القسم الثاني منه إنشاء دور الهجرة والخطـوات المتـبعة لذلك إبتداءاً من اختيار الموقع ومروراً بكيفية انزال القبائل العربية ضمن خطط قبلية وزّعت عليهم و انتهاءاً بتنظيم القبائل داخل هذه الأمصار التي سرعان ما تطورت وتحولت لمدن ثابـتة لهـا مرافقها الخاصة، أما القسم الثالث منه فلقد تناول تزايد الهجرات القبلية للأمصار وأثر ذلك على تغير التنظيمات القبلية حتى أواخر عصر الخلفاء الراشدين.

وجاء الفصل الرابع ليبحث في القبائل العربية في العراق العربي حتى نهاية العصر الأموي، إذ تطرق الحديـث فـيه لـتزايد أعداد المهاجرين من القبائل العربية خلال العصر الاموي وأثر ذلك على تغير التنظـيمات القبلـية ، كمـا عالج الفصل ظهور عدد من المدن الجديدة في العراق في العصر الأموي ضمّت أعداداً من أبناء القبائل العربية الذين هاجروا من البصرة والكوفة وانتقلوا للعيش فيها.

أمـا الفصل الخامس، فلقد تضمن الحديث فيه عن أثر الاستقرار العربي في العراق العربي في صدر الاسلام إذ تناول في القسم الاول اختلاط أبناء القبائل العربية الفاتحة بأهل السواد ونشوء علاقات وثيقة أدت الى تعريب العراق ونشر الاسلام بين فئات مجتمعه، كما تناول طبيعة العلاقات التي ارتبطت بها مجمـوع القـبائل العربـية التـي سكنت العراق قبل الفتح الاسلامي وبعده مما أنتج مصالحاً مشتركة فرضتها الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الجديدة ووحدة المكان الذي يعيشون فيه مما أبرز عصبية جديدة عرفت بعصبية المصر. وتناول القسم الثاني القبائل العربية والأرض إذ بحث في النظرة القبلـية لـلارض المفتوحة ومطالبة القبائل الفاتحة بقسمتها وموقف الخلافة الرافض لذلك وحجّتها في ذلـك، كما تناول الحديث عن أنواع الأراضي في العراق والطرق المتبعة في امتلاكها من قبل العرب مما ساهم في انتشارالعرب داخل العراق وظهور القرى العربية وتوزع الأعراب حول السواد.

الفصل الأول

الجغرافية التاريخية للعراق العربي

١- أصل التسمية .

٢- الحدود .

٣- الأقسام الطبيعية للعراق العربي :

أ- الجبال والهضاب .

ب- السهول .

ج- البطائح .

٤- المناخ والأمطار .

٥- الأنهار وأنظمة الري .

٦- المناطق الزراعية .

٧- السكان .

١. أصل التسمية :-

عُرِفَ العراق العربي بذلك ((لأنَّ العرب كانت تنزله لقربه من بلادهم))[١]، وهذا يؤكد الصلات الوثيقة بيـن عرب شبه الجزيرة العربية وأرض العراق؛ وبذا فهو يتميّز عما عرف بعراق العجم الذي يقصد به بـلاد الجبال: وهي المنطقة المحصورة بين أذربيجان غرباً، وقسم من العراق وخوزستان جنوباً، ومفازة خراسان وفارس شرقاً وبلاد الدَيلَم وقزوين والرَيّ شمالاً؛ ومن أشهر كوره: هَمَذان، الدِينَور، أصبهان، قُمّ، مَـاه البصرة، مَـاه الكوفة[٢].

لقـد عَـرف العراق تسميات كثيرة منذ القدم، فلقد سـمّاه الإغريق بأرض بابل – بابليونا[٣]– ولم يعرف العــرب هذه التسمية؛ فيذكر المقدسي (ت٣٨٠هــ): ((وقد شققنا الإسلام طولاً وعرضاً فما سمعنا الناس يقولون إلا أن هذا اقليم العراق، وأكثر الناس لا يعلمون أين بابـل))[٤]، وهذا يدل على غلبة إسم العراق علـى هذه الناحية، حتى أن عُمر بن الخطاب لما سأل أبا بكر أن يبعث جنده الى هذه الناحية، قال له أبو بكـر: ((لأن يفتح الله على يدي شِبراً من الأرض المقدسة أحب الي من رستاق من رساتيق العراق ولم يقل من رساتيق بابل)) [٥].

ولقـد أطلـق الفـرس علـى المنطقة إسم "إيرَانشَهر"، وتعني أقاليم إيران وهي: العراق، فارس، الجبال، خراسان[٦]، إلا أن بلاد العراق لوحدها كان يطلق عليها اسم: "دَلّ إيرَانشَهر" ودَلّ بالفارسية معناها قلــب، فيكون معنى الكلمة قلب بلدان / أقاليم ايران [٧].

ومــن هـنا اعتــبر بعض الجغرافيين العرب أن مصطلح العراق اصله فارسي مُعرّب، فقيل أنّ إسم "دل ايرانشهر" يعني قلب العراق، لأنهم شبهوا السّواد بالقلب، وسائر الدنيا بالبدن [٨].

ويذكــر ابن رسته (ت٢٩٠هــ) أن ايرانشهر تقسم الى أقسام منها سورستان وهي السّواد ((وكانت القسمة المدعوة سورستان في سائر أقسام ايرانشهر كالقلب في الصدر، فكان يسمي أرض سورستان التي هـــي

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٤، ص ٣٣١ .

(٢) الـبكري، معجـم ما استعجم، ج٤، ص٤١٧ / الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج٢، ص ٦٧١ / ابن عبد الحق، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١، ص٣٠٩ .

(٣) الاصـطخري، مسـالك الممالك، ص ٦٠ / الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٧٠ / ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٩٥ / مكسمليان شتريك، خطط بغداد وأنهار العراق القديمة، ص٢٠ .

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١١٦ .

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١١٦ .

(٦) ياقوت، معجم، ج١، ص٢٨٩ / ابراهيم الدسوقي شـتا، المعجم الفارسي الكبير، ج١، ص٢٢٢ .

(٧) قدامــة بـن جعفـر، الخـراج وصناعة الكتابة، ص١٥٩ / ياقوت، معجم، ج١، ص٢٨٩ / عبد النعيم حسنين، قاموس الفارسية، ص١٢١٤ .

(٨) ياقوت، معجم، ج١، ص٢٨٩ .

السّواد في الدهر الأول دل ايرانشهر وتفسيره قلب ايرانشهر))(١).

وذكر البعض أنها معّربة من كلمة ايراهستان، ومعنى ايراه: الساحل بالفارسية، وهي اسم لسيف كورة اردشير خرّة من أرض فارس المجاورة لخليج البصرة(٢).

إلا أن امكانية الشك بتلك الروايات التي تدّعي أنّ لفظ العراق فارسي معّرب أمر وارد؛ ذلك لأن العرب عندما قاموا بعمليات الفتح الإسلامي وجدوا كثيراً من الأقاليم تشابه العراق من حيث قربها من المياه ومع ذلك لم يطلقوا عليها اسم العراق، كما أن المعروف أن العرب المسلمين لم يسعوا الى تعريب ألفاظ أي مدينة أو منطقة من أرض العراق أو ايران(٣).

لذا يمكن القول أن لفظ العراق ذو أصل عربي وله عدة معان: فلقد ذكر أبو عبيدة (ت٢٠٩هـ) أنه سمي عراقاً ((لأنه سفل عن نجد، ودنا من البحر كعراق القربة))(٤)، أما الأصمعي (ت٢١٧هـ) فذكر أن معناه الشاطئ فقال: ((ان ما دون الرمل عراق))(٥)، و ذكر الماوردي (ت٤٥٠هـ) أن العراق يعني الاستواء؛ لأنه أرض تخلو من جبال تعلو وأودية تنخفض(٦)؛ وقيل أن معناه فناء الدار كونه يتوسط بين الريف والبرية، أي الدار والطريق(٧). ولما دخل الفتح العربي الإسلامي لهذه المنطقة، سمعنا عن استخدام العرب للفظة السّواد خاصة في فترات التنظيم الإداري للعراق في عهد عمر بن الخطاب، ولقد عرف بذلك ((لأنه حين تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر، وكانوا إذا خرجوا من أراضيهم اليه، فظهرت لهم خضرة الزرع والأشجار، وهم يجمعون بين الخضرة والسّواد في الأسامي))(٨).

وبذا فإن السّواد يفيد معنى الأرض القاتمة الخضرة، التي تمتاز عن البادية القاحلة الناصعة البياض فلقد ذكر أبو عبيدة ((أنه لما رأت العرب كثرة القرى والنخل والشجر، قالوا: ما رأينا سواداً أكثر))(٩).

---

(١) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ٩٧ / الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢ ، ص٤١ .

(٢) ياقوت، معجم، ج٤، ص ٩٤ / ابن عبد الحق، مراصد، ج١، ص١٣٧ / ابراهيم الدسوقي شتا، المعجم الفارسي ، ج١، ص ٢٢٢ .

(٣) الأزهري، تهذيب اللغة، ج١، ص٢٢٢ / الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ص٢٣١ / ثابت الراوي، العراق في العصر الأموي، ص ١٩ / فضيل بني حمد، العراق في خلافة معاوية بن أبي سفيان، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية ١٩٩٠، ص ١٧ .

(٤) ابن الفقيه، البلدان، ص ١٩٩ / أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٩١ .

(٥) ابن الفقيه، البلدان، ص ١٩٩ / ياقوت: معجم، ج٤، ص ٩٣ / ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص١١٩ .

(٦) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٥٤ / ياقوت، معجم، ج٤، ص ٩٤ .

(٧) البكري، معجم، ج٣، ص٣٢٩ .

(٨) الماوردي، الأحكام، ص١٥٤ / ياقوت، معجم، ج٣، ص ٢٧٢ / ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص ٢٩٤ .

(٩) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٩٧ .

فالسّـــواد لفظ أطلقه العرب على العراق لأن جُلَّ أراضيه كانت مستغلة زراعياً، وبنفس المدلول قالوا فيما بعد: سواد البصرة وسواد الكوفة[١].

ولقد استخدم العرب كلا اللفظين، أما الجغرافيون العرب في القرنين الثالث والرابع الهجريين فقد استخدموا لفـــظ العـــراق أكـــثر مـــن لفظ السّواد للدلالة على نفس المنطقة، مما يؤيد أن المصطلحين كلاهما عربي الأصـــل.

٢ . الحدود :-

تأتي كلمة العراق مرادفة لكلمة السّواد لدى العديد من الجغرافيين العرب، فلقد ذكر اليعقوبي (ت٢٨٤هـ) طساســيج العراق[٢]، بينما أطلق عليها ابن خرداذبة (ت٢٧٢هـ) وقدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) طساسيج السّــواد[٣]، و يـــرى المسعودي (ت٣٤٦هـ) أن العراق هو نفسه السّواد فقال: ((وقد حد كثير من الناس السّواد وهو العراق))[٤].

ويـــتفق ابن خرداذبة (ت٢٧٢هـ)، وابن الفقيه (ت٢٨٩هـ)، و المسعودي (ت٣٤٦هـ) على أن عمر بن الخطـــاب امر بمسح السّواد وحدوده في الشمال من العَلْث وحَرْبى[٥]؛ وهما قريتان الأولى شرق نهر دجلة وتقـــع آخـــر طسوج بُزُرْجَسَابُور إلى الشمال قليلاً من مصب نهر العظيم، أما قرية حربى فهي في آخر طســـوج مسكن غرب نهر دجلة[٦]، ولقد ذكر المدائني (ت٢٢٥هـ) أن هاتين القريتين من أرض الموصل لا من السّواد[٧].

وفي آخر طسوج مَسْكِن يوجد في جنوب غربه دير الجَاثَلِيق الذي يعتبر رأس الحد بين السّواد وتَكْرِيت[٨]، بيـــنما يعتـــبر المـــاوردي (ت٤٥٠هـ) و ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) أن العلث وحربى هما حد العراق

---

(١) ابـــن الفقيه: البلدان، ص٢٧٧ (الأصمعي)/ الطبـــــري، تاريخ، ج١، ص١٦٨، ٢٣٣، ج٣، ص٥٠٢، ج٤، ص٧٩/ جمال جودة، العرب والأرض في العراق، ص٣٠ .

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢٢١ .

(٣) ابن خرداذبة، المسالك ص ٥ / قدامة بن جعفر، الخراج، ص ١٥٩ .

(٤) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣٥ .

(٥) ابـــن خـــرداذبة، المسالك، ص١٤ / ابن رسته، الاعلاق، ص ٩٧ / ابن الفقيه، البلدان، ص ٣٩٠ / المسعودي، التنبيه، ص٣٥ / عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٧ .

(٦) المســـعودي، التنبـــيه، ص٣٥ / يـــاقوت، معجم، ج٢، ص٥٠٣ / ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١، ص٣٩٠ .

(٧) أبو هلال العسكري، الأوائل، ص ١١٥ (المدائني) .

(٨) المســـعودي، التنبيه، ص ٣٥ / ياقوت: معجم، ج٢، ص ٥٠٣ / شيخ زاده، مجمع الأنهر في ملتقى الأبحر، ص٣١٧ / احمد سوسة، ري سامراء، ج٢، ص٤٩٧ .

العربي من الشمال[١].

يذكر أبو مخنف (ت١٥٧هـ) أن نهر حولايا يفصل بين أرض الموصل وأرض الكوفة؛ ويقع على جانبيه طسوجا الرَاذانين[٢]، وللغرب منه تقع قرية البَتّ وهي من أرض الموصل[٣].

ولعل نهر حولايا هو نفسه نهر العظيم الذي يدخل حدود العراق من ناحية جبل بارِمًا - حُمْرين- ويصب فـي نهـر دجلـة، وتقع تلك الطساسيج الثلاثة " بُزُرْجَسَابور والراذانين الأعلى والاسفل" على جانبي هذا الـنهـر. وأشـار ابـن رسته والمسعودي وياقوت أن بزرجسابور هذا آخر طساسيج السّواد من الجانب الشمالي الشرقي لنهر دجلة[٤].

وأشـــار أبو مخنف عندما ذكر مسيرة الجيش الذي وجهه المختار بن أبي عبيد الثقفي لمحاربة عبيد الله بن زياد في الجزيرة الفراتية، أن الجيش مرَّ من المدائن فأرض جُوخَى[٥] ثم الراذانات ثم أرض الموصل[٦].

وأشـــار أبو عبيد (ت٢٢٤هـ) والمدائني (ت٢٢٥هـ) الى أن ((حدّ السّواد الذي وقعت عليه المساحة من لدن تخوم الموصل ماراً مع الماء الى ساحل البحر الى بلاد عَبّادان))[٧].

ويقصـد بـتخوم الموصـل هنا المنطقة الإدارية التي تسمى بالجزيرة الفراتية الممتدة ما بين نهري دجلة والفرات وتشمل ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر[٨].

واعتـبر العديـد من الجغرافيين العرب أن أرض تكريت الواقعة شمال طسوجي بزرجسابور ومسكن تقع ضـمن أرض الموصـل، و ليسـت مـن أرض العراق؛ فيذكر البكري (ت٤٨٧هـ) أن الخليفة العباسي المعتصـم (٢١٨-٢٢٧هـــ) اقـتطع كورتي تكريت وطَبَرْهَان لاتصالهما بسامراء من أرض الموصل وأضـافهما إلـى العـراق، فصار حدّ العراق من الشمال ينتهي حتى مدينة العَقْر[٩] الواقـعة بين أرض العـــراق وأرض الموصل شرقي نهر دجلة إلى الشمال من مصب نهر الزاب الأسفل؛ وتمثـّل نقطة

---

(١) الماوردي : الاحكام ، ص ١٥٤ / ياقوت ، معجم ، ج٣ ، ص ٢٧٣ / ابن عُبدالحق، مراصد، ج٣، ص٢٧٢ .

(٢) الراذانين : هما الراذان الأسفل والراذان الأعلى وهما كورتان بسواد العراق تشتمل على قرى كثيرة . ياقوت : معجم ، ج٣، ص١٢ .

(٣) الطـبري : تـاريخ ، ج٦ ، ص٢٥١ (أبـو مخنف) / أبو هلال العسكري ، الأوائل ، ص ١١٥ / احمد سوسة ، ري سامراء ، ج٢، ص٣٥٧-٣٥٨ .

(٤) ابن رسته : الأعلاق ، ص ٩٧ / المسعودي : التنبيه ، ص ٣٥ / ياقوت ، معجم ، ج١ ، ص ٤١٠ .

(٥) يقصـد بهـا هنا المنطقة الواقعة الى الشرق من نهر دجلة . انظر الدينـوري ، الاخبار الطوال ، ص ٨ / الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٤٠ / ابن عبدالحق، مراصد ، ج١ ، ص٣٥٥ / احمد سوسة ، ري سامراء ، ج٢ ، ص٤٢٥ .

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٦، ص٤٠ .

(٧) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٣٨١ / البكري ، معجم ، ج١ ، ص٦ .

(٨) الاصطخري ، مسـالك ، ص ٥٢ / ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٩ .

(٩) البكـري ، معجم ، ج٤ ، ص ١٢٧٨ / الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج٢ ، ص ٦٥٤ / ابن سعيد المغربي ، الجغرافيا، ص١٥٧ .

حدود تنزل فيها القوافل التجارية[١]. وهذا يثبت أن تكريت لم تكن من العراق قبل عهد المعتصم .

لقد أدى هذا الاجراء الإداري الى توّسع حدود العراق، كما قد أوجد اضطراباً عند العديد من الجغرافيين العرب في بيان الحدّ الشمالي لكل من السّواد والعراق العربي ، فأغلب هؤلاء الجغرافيون هم من القرنين الثالث والرابع الهجريين ، الذين فرّقوا بين السّواد والعراق ، فلقد ذكر ابن الفقيه (ت٢٨٩هـ) أن العراق يمتد طولاً من عانة الى البصرة التي تتاخم الأهواز[٢].

ويذكر الاصطخري (ت٣٥٠هـ) حدود العراق على جهاته الاربع في أيامه أنها تمتد ((من تكريت شمالاً الى عَبّادان على بحر فارس جنوباً ، حيث يمتد الحدّ من تكريت مما يلي المشرق حتى يجوز بحدود شَهْرَزُور، ثم يطوف حدود حُلْوان وحدود السِيرَوَان والصَيْمَرَة وحدود الطِّيب وحدود السُوس حتى ينتهي الى حدود جُبىّ ثم إلى البحر.. ويرجع الى حد المغرب من وراء البصرة في البادية على سواد البصرة وبطائحها الى واسط ، ثم على سواد الكوفة وبطائحها الى الكوفة ، ثم على ظهر الفرات الى الأنْبَار، ثم من الأنْبَار إلى حد تكريت بين دجلة والفرات))[٣].

ويذكر بعض الجغرافيين العرب المتأخرين لاحقاً أن العراق يمتد ما بين حديثة الموصل الى عبادان جنوباً[٤]، بينما يرى آخرون أنه يمتد من الموصل الى عبادان جنوباً[٥].

ولعل مثل هذه الروايات المتأخرة جاءت متأثرة من قبل جغرافيي القرنين الثالث والرابع الهجريين بما فعله المعتصم عندما ألحق اراض من الموصل بأرض العراق ، حتى صارت كأنها جزء منه.

ولعل المسعودي قد وقع في هذا الالتباس لما ذكر مرة أن العراق يبدأ حده الشمالي من السّنّ [٦] وكذلك ذكر المقدسي[٧]، وهذا الحدّ الذي كان عليه العراق في أيامهما، ثم ذكر المسعودي مرة ثانية أن السّواد هو نفس العراق ويبدأ من العَلْث وحَرْبَى، وهو التحديد القديم للعراق منذ الفتح الاسلامي وعملية المسح التي قام بها عثمان بن حنيف وفق أوامر الخليفة عمر بن الخطاب.

وهذا ما يشير له الماوردي وياقوت الحموي اللذين فرّقا بين العراق والسّواد؛ فذكرا أن السّواد يبدأ من حديثة الموصل الى عبادان طولاً، وعرضه من عُذَيب القادسية إلى حلوان، وبلغ طوله بذلك مائة وستين

---

(١) ياقوت ، معجم ، ج٤ ، ص ١٣٦ .

(٢) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ١٩٩ .

(٣) الاصطخري ، مسالك ، ص ٥٦ / ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٨ / ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٩٦ .

(٤) ابو الفداء ، تقويم ، ص ٢٩١ / ابن عبدالحق، مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص ٩٢٦ / القلقشندي ، صبح ، ج٤ ، ص٣٣١ .

(٥) البكري ، معجم ، ج١ ، ص ٦ / القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٤١٩ .

(٦) المسعودي ، التنبيه ، ص ٣٣ .

(٧) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٣٤ .

فرسخاً[١]. ((فأما العراق فهو في العرض مستوعب لأرض السّواد عُرفاً ويقصر عن طوله في العرف لأن أوله من شرقي دجلة العلث وفي غربيها حربى ثم يمتد الى أعمال البصرة من جزيرة عبادان، فيكون طولـه مائـة وخمسـة وعشرين فرسخاً يقصر عن السّواد بخمسة وثلاثين فرسخاً وعرضه مع تبعه في العرف ثمانون فرسخاً كالسواد))[٢].

ولقد كان تحديدهما للسواد أنه أطول من العراق اعتماداً على أن السّواد يقصد به ما كان مستغلاً من الأراضي الزراعية؛ إذ يرى الماوردي أن السّواد هو ((القسم الذي تغطيه الأشجار والزروع))[٣].

وتعتبر الأنبار أول طساسيج السّواد على الفرات[٤]، وتقع الى الجنوب الغربي من طسوج مسكن، ولقد ألحق بعض الجغرافيين العرب مدينة هِيت بالحدود العراقية وذلك قبل الفتح الاسلامي حيث كانت هي وعانات جزءاً من طسوج الانبار حتى عهد كسرى أنو شروان (٥٣١ -٥٧٩م) الذي خربت في عهده المدينتين وذلك عندما جدّد بناء الخندق الدفاعي لصدّ من يتسلل من القبائل الى ريف العراق[٥].

وكانت هِيت تخرج أحياناً عن دائرة العراق لتدخل حيّز النفوذ البيزنطي، حسبما تكون عليه العلاقات العسكرية بين الدولتين الساسانية والبيزنطية[٦].

ويبدو أن هيت ظلت تتبع إدارياً للعراق حتى تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة، والذي قام بفصل هيت عن الأنبار وجعلها تابعة للجزيرة الفراتية[٧].

أما البكري فيذكر أن بَقّة -بجوار الرّمَادي حالياً- ((مدينة على شاطئ الفرات وهي حد العـــــراق))[٨]. ويمكن القول أن بداية العراق على نهر الفرات تقع شمال بَقّة، وفي ذلك يشير سليمان بن مهنا (ت٧٤١هـ) ((ومن هيت تخرج الى فضاء العراق والسهول))[٩].

---

(١) الفرسخ : اختلف في أصله فقيل فارسي معرب أصله فرسنك وقيل عربي محض ، والفرسخ يساوي ١٢٠٠٠ ذراع هاشمية؛ وقيل ٧٠٠٠ خطوة، ويساوي ٦كم ، ويساوي طول العراق بالكيلومترات (٩٦٠كم) انظر ياقوت ، معجم، ج١، ص٣٥-٣٦ / فالترهنتس ، المكاييل والاوزان ، ص٩٤ .

(٢) الماوردي : الأحكام ، ص ١٥٤ / ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص٢٧٣ .

(٣) الماوردي ، الأحكام ، ص ١٥٤ / ابن سعيد المغربي ، الجغرافية ، ص١٥٨ / عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٨ .

(٤) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٣٨٤/ قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص١٦١ .

(٥) الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٣٢ ، ٤٠٥ .

(٦) اليعقوبي : تاريخ ، ج١ ، ص ٢٢٢ .

(٧) ياقوت : معجم ، ج٤، ص٤٨٤ ، ولقد ذكر الدينوري / ت ٢٨٢ هـ / أن ذلك الأمر كان في عهد يزيد بن معاوية ، الأخبار الطوال ، ص ٦٥ .

(٨) البكري : معجم ، ج١ ، ص ٢٦٥ .

(٩) القزويني: آثار البلاد ، ص ٤٢١ .

يكاد يجمع الجغرافيون العرب على أن عرض العراق العربي يمتد من قادسية الكوفة - العُذَيب- غرباً الى حلوان شرقاً[١]، ويقع العذيب على فم البر في الطرف الغربي من القادسية، ويبعد عنها ٨كم، وقيل ((هو حد السّواد))[٢].

وتُعتبر البادية الحد الغربي للعراق؛ حيث راعى الاصطخري عندما رسم خارطة للعراق إذ أظهر تأخر البادية وتقدمها نحو أرض العراق[٣].

وتنتشر في البادية عيون ماء تسمى عيون الطَّفّ[٤]، ولقد ذكر العديد منها في فترات ما قبل الفتح الإسلامي وما بعده، ولم تكن هذه العيون من أرض العراق، بل كانت في الأراضي المتاخمة له، فيذكر أبو عبيدة أن ذي قار، وهي أحد العيون المتاخمة لأرض السّواد[٥]، والتي قال عنها ياقوت أنها الحد الفاصل بين العراق وأرض العرب[٦]، ومن هذه العيون:

عَيْنُ أُبَاغ، القَطْقَطَانَة، عَيْنُ صَيْد، عَيْنُ جَمَل، عَيْنُ الرّهيمة، لَعْلَع، ذِي قَار، المَنْجَشَانِيَة[٧]. ولقد كانت هذه العيون هدفاً للقبائل العربية قبل الفتح العربي الاسلامي للاستقرار فيها، حتى أنه ذكر أن بعض هذه العيون كانت بيد القبائل العربية، لما جاء الفتح الاسلامي، بعدما تمكنت من الاستيلاء عليها بعد هزيمة الفرس في يوم ذي قار[٨].

وبقيت بعض عيون الطف بيد الفرس الذين كانت لهم مسالح في هذه المناطق منذ أن أقطع كسرى أنو شروان بعضها لرؤساء المسالح الفارسية، ولما قدم الفاتحون المسلمون الحيرة هرب الفرس من مسالحهم في عيون الطف بعد أن طموا ما في أيديهم منها، وبقي الذي في أيدي العرب فأسلموا عليه، فأعتبر ما عمّر مما طمته الأعاجم منها أراض عشرية، لأنها كانت بمثابة إحياء لأراضٍ موات[٩].

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٥ / الاصطخري، مسالك، ص ٥٦ / ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٠٨ / البكري: معجم ، ج١،ص٦ ، ١٩٧-١٩٨ / القزويني ، آثار البلاد ، ص ٤١٩ .

(٢) ياقوت ، معجم ، ج٤ ، ص٩٢ . انظر المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢، ص٣٢٨ .

(٣) الاصطخري ، أقاليم ، ص٥٠ (الخارطة) ، ص١٣ ، ص٤٥ .

(٤) يذكر الأصمعي (ت٢١٧هـ) أن الطفّ ما دنا من ريف العراق ، ويقال الطف : ساحل البطيحة بين الأهواز والبصرة . انظر ابن الفقيه ، البلدان ، ص٢٢٥ / البكري ، معجم ، ج٣ ، ص٨٩١ / ياقوت ، معجم ، ج٤ ، ص٣٥-٣٦ .

(٥) البكري : معجم ، ج٤ ، ص١٠٤٣ .

(٦) ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٣٦ .

(٧) أبو عبيدة، أيام العرب، ج٢، ص ٤٩٢ / البكري: معجم، ج٣، ص١٠٤٢-١٠٤٣ / ياقوت، معجم، ج١، ص٦١، ج٤، ص٣٥ .

(٨) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٢٥ / ياقوت ، معجم ، ج٤ ، ص ٣٦ .

(٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٩٦، (قالوا) / ابن الفقيه، البلدان، ص٢٢٦ / ياقوت، معجم، ج٤، ص٣٦ .

ويــبدو واضحاً أنه يقصد هنا الحدّ الغربي للعراق وليس حدود أرض العراق كله بشكل عام، فكل ما ذكره مــن مواقــع تقع للغرب من نهر الفرات، وبذلك يعطي ابن الكلبي وصفاً للحدود الغربية التي تنتهي اليها أرض العراق العربي.

٣ . الأقسام الطبيعية للعراق العربي :-

أ- الجبال و الهضاب :

تمتاز معظم أراضي العراق العربي بأنها أقرب لمستوى السهل، حيث تخلو من وجود الجبال فيها، غير أن ثمــة سلســلة مــن الــتلال المبعثرة قليلة الارتفاع توجد في شمال شرق العراق وتعرف باسم جبل بارما (حمــريــن)، وتبدأ هذه السلسلة من شرقي البَنْدَنيجَين – مندلي– ثم تسير جنوب جلولاء حيث يقطعها نهر ديالي، وتتابع المسير الى الشمال الغربي حيث تمتد الى مصب نهر الزاب الأسفل على نهر دجلة[١].

كمــا توجد في الجنوب مرتفعات سَنَام وسَفَوَان اللتان تبعدان عن أرض البصــرة حوالـــي ١٠٠كم[٢]، ويقــع سَــنَام جــنوب البصـــرة على طريق اليمامة، ويذكر ياقوت أن البصريين كانوا يرونه من سطوح دورهـــم[٣].

توجد الهضبة الصحراوية في غرب أرض العراق، وهي امتداد لهضبة شبه الجزيرة العربية وتتصف بأنها شديدة الإنحدار، وفقيرة في نباتها الطبيعي، لذا فهي معرّضة لعمليات التعريـــة[٤]. وتشح مياه الأمطار في الهضبة الصحراوية إلا أنها تكون في الشمال أكثر منها في الجنوب، و لذلك كثرت الوديان في منطقة الشمال، وتمتد هذه الوديان باتجاه شرقي– غربي مما يُسّهل في حركة القوافل التجارية بين أرض العراق وأرض العرب، لأن طبيعة بطون الأودية تغطيها ترسبات ناعمة أسهل للحركة والنقل[٥].

وتنتشر في أنحاء الهضبة الصحراوية مجموعة من عيون الماء المعروفة بإسم عيون الطَّفّ، كانت تنتشر حولهــا مراكــز التجمّعات القبلية قبل الإسلام، وعدداً من المسالح الفارسية التي كانت هذه العيون تزوّدها بالمياه[٦].

---

(١) سهـراب : عجائب الأقاليم ، ص ١١٦ / الأصطخري : مسالك ، ص٧٥ / طه الهاشمي : جغرافية العراق ، ص١٩ .

(٢) صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص ١٠٦.

(٣) ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص٢٦٠ / صالح العلي : خطط البصرة ، ص١٠٦ .

(٤) أشهر ما روي مثالاً لتلك المنطقة الممتدة ما بين العذيب والقادسية ، فلقد كانت مجدبة عند الفتح ، ليس فيها سوى نخلة واحدة دفن عندها قتلى المسلمين في القادسية . انظر الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٥٠ .

(٥)جاسم الخلف : جغرافية ، ص٥٨ .

(٦)ابن الفقيه: البلدان ، ص ٢٢٥ / البكري : معجم ، ج٣ ، ص٨٩١ ، ج٣ ، ص١٠٤٢-١٠٤٣ .

ب – السهول :

تعتبر أغلب أرض العراق سهلاً رسوبياً شكّلته ترسبات نهري دجلة والفرات. ويمكن أن نقسم السهول في العراق العربي لعدة أقسام :

١- مدرجات – ضفاف – الأنهار : ويمثل هذا النوع أقدم أجزاء السهل الرسوبي في العراق. وهي سهول ساعدت عمليات الترسيب للأنهار على جانبيها في تشكيلها؛ وهي سهول أعلى من مستوى الأراضي المجاورة لها، لذا فهي تحتاج لآلات وجواديف لرفع الماء اليها، ومن أمثلة وجود هذه السهو: المناطق القريبة من الفَلُّوجَة، و في غرب الفرات بين بقّة – قرب الرمادي – والهِنْدِيّة[١]. وتمتاز بأنه يمكن أن يصل ارتفاعها لحوالي ١٠م أعلى من مستوى الأراضي المجاورة لها[٢].

٢- سهول رسوبية :

تشكّلت من ترسبات مياه الرافدين، وخاصة في موسم الفيضان، حيث تمتاز بأنها سهول عالية قريبة لضفاف الأنهار، وهي أجود تصريفاً من السهول البعيدة عن الأنهار، وذلك لكبر حجم ذرات تربتها. أما السهول البعيدة عن ضفاف الأنهار فتكون تربتها ذات ذرات دقيقة، لذا تكون رديئة التصريف، ومن الأمثلة على السهول الرسوبية: سهل الفرات الممتدة بين الرمادي شمالاً وحتى الدِيوَانيّة في الجنوب وبين نهري الفرات ودجلة شرقاً، أما سهل دجلة فيمتد من شمال بغداد حتى الكوت ويكون معظمه الى الشرق من نهر دجلة[٣].

٣ – سهول الدلتا :

يتفرّع نهرا دجلة والفرات لفروع كثيرة الالتواءات، ويكون السهل الرسوبي في هذه المنطقة قليل الإنحدار، إذ يصل انخفاضه لأكثر من ٤٠٠ ميل طولاً[٤].

ويوجد حول هذا النوع من السهول ما يعرف بالأحواض، وهي ذات مساحات صغيرة تمتلئ بمياه الأنهار مما يُكوّن بذلك ما يعرف بالبطائح والمستنقعات، وهي أصغر مساحة وأقل ارتفاعاً من سهول الدلتا[٥]، ومن الأمثلة على سهول الدلتا: سهول دلتا دجلة الواقعة بين الكُوت والعَمَارة والنَاصِريّة؛ أما سهول دلتا الفرات فتمتد من الهندية حتى الناصرية[٦].

---

(١) جاسم الخلف: جغرافية ، ص ٤٦ .

(٢) جاسم الخلف: جغرافية ، ص ٤٧ .

(٣) جاسم الخلف: جغرافية، ص ٤٦-٤٧، عبد الرزاق البطيحي: دراسة في جغرافية العراق، ص ١٨، ٣٤-٣٨ .

(٤) Donner, The Arab Tribes in the Muslim Conquest , P.87

(٥) جاسم الخلف : جغرافية العراق الطبيعية ، ص ٤٨-٤٩ .

(٦) جاسم الخلف : جغرافية ، ص ٤٩ .

وفي جنوب العراق حيث يوجد سهل البصرة؛ تكثر ترسبات مياه دجلة العوراء[١] حول ضفافه بسبب ظاهرة المد والجزر التي تحدث يومياً على ساحل خليج البصرة، مما يقلّل من سرعة جريان مياه دجلة العوراء؛ فينتج عن ذلك بالضرورة أن كان سهل البصرة أكثر إرتفاعاً من مستوى الخليج والبطائح[٢].
كما وصفت المناطق الواقعة شرق وغرب دجلة بأنها أراضٍ مستوية تكوّنت من ترسبات طمي دجلة العوراء، ويصفها الأصطخري ((وما كان الى دجلة أقرب فهو من جنس أرض البصرة في التسبّخ وكذلك الصحة ونقاء البشرة في الناس فيما بَعُدَ عن دجلة))[٣].

جـ – البطائح :

عرفت منطقة البطائح منذ القدم، فقد ذكرتها النقوش المسمارية باسم " أكامي" وتعني : البطائح، و "ابراته" ومعناها إقليم القصب[٤]. وهي بالأصل منطقة جغرافية قليلة الإنحدار لدرجة تسمح ببطئ جريان المياه، وزيادة الترسبات في قيعان الأنهار، مما يجعلها مهدّدة باستمرار لأخطار تبدّل مجاري القنوات المائية، حتى أن نهر دجلة قد يُغيّر مجراه جزئياً أو كلياً في هذه المنطقة[٥].
ومما يدل على قدم وجود البطائح جنوب العراق ما دلت عليه الحفريات الأثرية التي قام بها العالم (وولى) في تل العبيد الواقع شمال مدينة أور على مسافة ٧كم، وترجع لحضارة عصر العبيد (٤٥٠٠-٣٨٠٠ ق.م) حيث وجد مجموعة من القطع الفخارية عليها آثار لعيدان الحلفا – البردي – وهو نبات موجود بكثرة في البطائح[٦].
وتقع البطائح جنوب العراق في المنطقة المحصورة بين واسط والبصرة. ذكرت بعض المصادر الجغرافية أن نهر دجلة تغيّر مجراه في عهد الملك قباذ (٤٨٨-٥٣١م)، إذ (انبثق في أسافل كَسْكَر بثق عظيم، فأغفل حتى غلب ماؤه، وغرّق كثيراً من الأراضي العامرة)[٧].

---

(١) وهو اسم لدجلة البصرة وتمتد من عبدسي الى المذار ، تكوّنت بسبب تحوّل مجرى نهر دجلة ليصبّ في البطائح ، ويبلغ طوله ٦كم . انظر ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٣٣ / ابن رسته ، الأعلاق ، ص٩٠ / سهراب ، عجائب الأقاليم السبعة الى نهاية العمارة ، ص١٣٥ / ياقوت ، معجم ، ج٢ ، ص٤٤٢ .

(٢) ابن رسته، الأعلاق، ص ٨٩ / جاسم الخلف، جغرافية، ص ٥٠ / جمال جودة، العرب والأرض في العراق، ص ٤٦ .

(٣) الأصطخري ، مسالك ، ص ٦٣ .

(٤) جمال جودة ، العرب والأرض ، ص ٤٦ .

(٥) عبد الرزاق البطيحي، دراسة في جغرافية العراق، ص ٣٥ / صالح العلي، "منطقة الكوفة "، مجلة سومر، مجلد (٢١)، بغداد، ١٩٦٥ ، ص ٢٣١ / Al-Ali, " Al-Batiha", EI^2, vol.1.P.1093

(٦) روث مور، الأرض التي نعيش عليها، ترجمة اسماعيل حقي ، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦١، ص ٢٩ – ص٣٠، وردت في كتاب حسن الخياط ، جغرافية أهوار ومستنقعات جنوبي العراق ، ص ٢٠ .

(٧) البلاذري : فتوح ، ص ٢٩٠ / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ١٦٨ / شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص٦٩ .

ولقــد كــان مجــرى نهر دجلة يسير أولا ممتداً من الكُوت (مَاذارِيا) شرقاً باتجاه الجنوب حيث عَبْدَسِي والمَــذَار، وكان يلتقي بمياه الفرات قرب القرنة[١].

ولمــا تولــى كسرى أنو شروان (٥٤١-٥٧٩م) حاول إصلاح البثوق التي حصلت في السدود والمسنّيات وإقامة سدود أخرى جديدة وإعادة دجلة لمجراه الأول إلا أنه فشل في ذلك[٢].

وفــي أواخر عهد كسرى أبرويز بن هرمز (٥٩٠-٦٢٨م) وتحديداً في سنة ٦-٧هـ /٦٢٧-٦٢٨م وهي الســنة التي أرسل فيها النبي (ص) عبد الله بن حذافة السهمي لكسرى أبرويز، وفيها ((زاد الفرات ودجلة زيادةً عظيمةً لم يُرَ مثلها قبلها ولا بعدها))[٣]، فحصلت بذلك فيضانات كبيرة جهد فيها كسرى أبرويز أن يصــلحها ((وركب كسرى بنفسه لسدّ تلك البثوق، ونثر الأموال على الأنطاع وقتل الفعلة بالكفاية وصلب على بعض البثوق فيما يقال أربعين جسّاراً في يوم واحد، فلم يقدر للماء على حيلة))[٤].

ولقــد كان لتلك البثوق دوراً كبيراً في تخريب القنوات والمسنّيات القريبة من نهر دجلة مما أدى لفيضان المــياه؛ وبالتالي تغريق عدد من الأراضي الزراعية[٥]، وكان لشدة قوة المياه وكميتها أن زادت مساحة البطائح زيادة كبيرة.

واســتمرت البطائح بالإتساع في فترة عمليات الفتح الإسلامي، حيث انشغل الفرس بالحروب مع المسلمين ممــا أدى لإهمــال السدود وتدفق المياه وشغل الأعاجم عن اصلاحها وعجز الدهاقين على سدّ عظِمها[٦]، فكــان أن هــرب العديــد من الفلاحين من قراهم، فترك الأمر بيد المسلمين الذين لم يكن لديهم خبرة في الــتعامل مــع هــذه المعضلة؛ وبعدما ألقت الحرب أوزارها وتمكن المسلمون من فتح العراق، كان أمر الــبطائح مستفحلاً، وكان من الصحة ذلك القرار الذي اتخذته الخلافة الإسلامية بإعادة الفلاحين لأراضيهم بعد مصالحتهم، لأنهم هم الوحيدون القادرون على رعايتها.

ويذكر البلاذري أن طريق البريد الذي كان يصل لمَيْسَان ودَستُميسَان والأهْوَاز في شقّه القبلي فلما تبطّحت البطائح سمّي ما استأجم من شق البريد: آجام البريد، والشق الآخر آجام أغْمَربَثِي[٧].

ويمكــن أن نفسر ما حصل جغرافياً، بأن أرض البصرة هي أرض مستوية تخلو من المرتفعات التي تبعد

---

(١) كي لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٠ .

(٢) البلاذري : فتوح ، ص ٢٩٠ / ابن رسته : الأعلاق ، ص ٩٠ .

(٣) البلاذري : فتوح ، ص ٢٩٠ / صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص٢٨ .

(٤) البلاذري : فتوح ، ص ٢٩٠ / الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٨٨ / قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص١٦٩ .

(٥) يذكر المسعودي أنها غرقت طسوج الثرثور من بلاد كسكر، وبذا اصبح مجرى دجلة بين فَمّ الصلّح وبَهَنْدَف وبادَرَايَا وَباكُسَايا .. إلى نهر جور والمذار . انظر : المسعودي : التنبيه ، ص ٤٨ .

(٦) البلاذري : فتوح ، ص ٢٩٠ / عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢٢ .

(٧) البلاذري : فتوح ، ص ٢٩١ / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ١٦٩ .

عنها حوالي ١٠٠كم، وتتمثّل بمرتفعات سَفَوَان وسَنَام، وتتصف أرض البصرة بأن ارتفاعها لا يزيد عن (٤م) فوق سطح البحر[١]، ولذلك فهي بطيئة الإنحدار يضاف الى ذلك سوء أحوال تربتها، ولكون المنطقة تتزوّد بالمياه من دجلة العوراء الذي يصب فيها ماء دجلة والفرات، ولمّا كانت هذه المياه تتناقص منذ تحول مجرى دجلة إثر الفيضان الكبير سنة ٧هـ/٦٢٢م، وانقطاع الماء عن المجرى الأسفل لنهر دجلة الذي أصبح يسمى بدجلة العوراء، لذا تكوّنت البطائح وزادت مساحتها في فترة الفتح الإسلامي، فقلّت المياه الذاهبة الى البحر، وتعرقلت الملاحة النهرية أسفل دجلة، وأصبح طريق البر – الظَهْر – هو الطريق السالك بين الكوفة والبصرة [٢].

وظل الأمر كذلك حتى العهد العباسي عندما حفر أبو الأسد وهو أحد قواد الخليفة المنصور نهراً عرف بإسم نهر أبي الاسد يصل ما بين دجلة البصرة والبطائح مما أدى لتسهيل عملية الملاحة النهرية[٣].

ولقد عرفت المنطقة ما بين نهر دجلة ودجلة العوراء باسم بطن جُوخَى ((وهو من حدّ فارس من أعمال واسط الى نحو السُوس من أعمال خُوزستَان))[٤].

ولقد كانت البطائح قبل أن تخرق دجلة مجراها قرىً وأراضٍ زراعية متصلة ببلاد العرب، يسكن حولها قبائل عربية من يشكر وباهلة وبنو عنبر[٥].

وكان دجلة يسير من المذار، ولمّا تحول النهر الى ناحية واسط – قبل إنشائها – اصبحت البطائح الأولى جوخى فيما بين المذار وعبدسي، ولمّا تحول نهر دجلة انقطع الماء عنها فتحوّلت لمفاوز وصحاري شديدة الحرارة صيفاً[٦].

ولقد اعتمد البصريون منذ أوائل تأسيس مدينتهم على مياه البطيحة لأنها أعذب من ماء دجلة[٧].

ولم تكن مساحة البطائح ثابتة لأنها تعتمد على كمية الماء الذي يزداد فيها وقت الفيضان أو عندما تخرب المشاريع والقنوات الاروائية، فتفيض المياه فيها، ولذلك كان اتساعها كبيراً في اوائل سنوات الفتح بسبب اضطراب احوال الري وإهمال الدولة الساسانية اصلاحها للفوضى السياسية التي كانت تنتشر في كيانها.

---

(١) صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص ٢٨ .

(٢) ابن رسته ، الأعلاق ، ص ١٥٧-١٥٨ / البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٢ / صالح العلي ، خطط البصرة ، ص٢٨ .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٢ .

(٤) النويري ، نهاية الأرب ، ج١ ، ص ١٦٩ .

(٥) ابن رسته ، الأعلاق ، ص ٨٩-٩٠ .

(٦) ابن رسته، الأعلاق ، ص٩٠ / المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٤ ، ص٧٤ / وبذلك اصبحت المنطقة الشرقية من المجرى الأسفل لدجلة صحراء قاحلة ، أما النصف الغربي منه فكان عامراً .

(٧) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٠ .

٤ . المناخ والأمطار :-

يقـــع العراق العربي في نطاق الأقليم الجغرافي الرابع[١] الذي يتميّز باستواء أرضه ووقوعها في مستوى يـــتعرض فـــيه لكـــتل هوائـــية جافـــة حارة تسبب ارتفاع درجات الحرارة وكبر المدى الحراري اليومي والسنوي، وطول فصل الصيف، وبذلك فإن العراق يُعدُ من البلاد الحـــــارة[٢].

يوجـــد فـــي العراق العربي فصلان رئيسيان هما: فصل الشتاء وهو فصل البرودة والمطر حيث يمتد من شـــهر تشرين الثاني الى أوائل نيسان وفصل الصيف وهو فصل حار يمتد من شهر أيار الى أواخر شهر أيلـــــــول [٣].

أما فصلي الربيع والخريف فهما فصلان قصيران زمنياً كما أنهما لا يتميزان كثيراً عن الفصلين البارزين فـــيذكر اليعقوبي ((ويكون دخول الخريف الى الشتاء غير متباين الهواء، ويكون الربيع الى الصيف غير متبايـــن الهـــواء))[٤]. وبـــذا فهما فصلان انتقاليان لا يتجاوز طول كل منهما الشهرين، حيث يقع فصل الربـــيع بيـــن أواخـــر شباط ونيسان ويمتد الخريف من أواخر ايلول الى أواخر تشرين الثاني[٥]. ويعتبر شـــهري تمـــوز وآب من أشد شهور الصيف حرارة حيث تتجاوز الحرارة أحياناً ٤٩°م[٦] بينما يمكن أن تهبط الحرارة في شهر كانون الثاني البارد الى (٤-٥ر١٥°م)[٧].

إلا أن درجـــات الحرارة تتفاوت من منطقة الى أخرى في العراق، فيمكن أن تنخفض درجات الحرارة في جنوب العراق وخاصة في البصرة في شهر كانون الثاني لتصل ٥ر١٢°م[٨].

وتشـــتد الحـــرارة صـــيفا وترتفع نسبة الرطوبة إذ أن كثرة المسطحات المائية في العراق وإرتفاع درجة الحرارة يؤديان لإرتفاع نسبة التبخر في الجو وبالتالي ترتفع الرطوبة.

بالنســـبة لجـــنوب العـــراق، فإن الحرارة مرتفعة جداً في الصيف، فمثلاً تتصف منطقة البصرة بإختلاف هوائها في اليوم الواحد، غير أنه لمّا تهّب ريح الشمال فإنها تلطّف من شدة الحـــرارة، ومن ظريف مـــــا قيل في ذلك: ((عيشنا في البصرة عيش ظريف، إن هبّت شمال فنحن في طيب وريف وإن كانت جنوب

---

(١) اليعقوبي : البلدان ص ٤ / حسن الخياط : جغرافية أهوار ، ص ٨٩ .

(٢) جاســـم الخلـــف : جغرافية ، ص٨٦ / البطيحي ، جغرافية ، ص٢٣ / ثابت الراوي : العراق ، ص٢١ / جمال جودة : العرب والأرض ، ص ٤٩ .

(٣) عبد الرزاق البطيحي: جغرافية، ص ٢٣/ جاسم الخلف: جغرافية، ص ١١٢/ طه الهاشمي: جغرافية، ص١٧-٢٠ .

(٤) اليعقوبي : البلدان ، ص ٤ .

(٥) طه الهاشمي : جغرافية ، ص٢٢ / جاسم الخلف : جغرافية ، ص٨٦ / جمال جودة : العرب والأرض ، ص٥٠ .

(٦) جاسم الخلف : جغرافية ، ص ٨٦ / جمال جودة : العرب والأرض ، ص٤٩ .

(٧) جاســـم الخلـــف: جغرافـــية، ص ٨٩ / وذكر المقدسي أن الماء يجمد في فصل الشتاء في البصرة وبغداد، انظر أحسن التقاسيم، ص ١٣٦ .

(٨) جاسم الخلف / جغرافية ، ص ٨٩ .

فإنّا في كنيف))[١].

ووصـــفت المصـــادر البصرة بأن حرّها شديد متقلّبة الهواء عفنة[٢]، أما منطقة البطائح فهي أشد وخومة، وترتفع درجة الحرارة فيها تدريجياً كلما اتجهنا نحو الجنوب.

يروي المقدسي ((أن البصرة حين هبوب الرياح الجنوبية تكون بحرارة شديدة ومؤذية .. والبطائح نعوذ بالله منها ومن شاهدها في الصيف رأى العجب))[٣].

امـــا مـــنطقة واسط فقد اعتبرت أصح هواءاً من البصرة لأنها ترتفع عن البطائح[٤]، ولكن هوائها سريع الانقلاب ((ربما يتوهج في الصيف ثم انقلب سريعاً))[٥].

اما منطقة شمال العراق العربي خاصة في المدائن فيتصف هواؤها بالوخومة ((حتى أن العرب لمّا نزلوا بها اترتقت بطونها وخفّت أعضادها وتغيّرت ألوانها))[٦]، وهي كثيرة الذباب والغبـــار.

ويـــروي الشعبي أن عمر سأل أهل الكوفة أي منزليهم أحبُّ لهم ويعني بذلك الكوفة والمدائن التي نزلوها قـــبل أن تخطّ الكوفة، فرد عليه جرير قائلاً: ((أما منزلنا هذا –يعني الكوفة – الأدنى فإنه أدنى محلة من السّـــواد من البر، وأما الآخر – المدائن – فوعك البحر وغمّه وبعوضه))[٧]. وكان صيف منطقة الحيرة لا يطاق حتى أن أهلها كانوا ((ينزعوا ستور بيوتهم مخافة من إحراق السمائم لها))[٨].

كمـــا تـــتفاوت الحـــرارة فـــي العراق بين الليل والنهار خلال اليوم الواحد بدرجة كبيرة، وذلك بسبب قلّة الـــرطوبة النســـبية فـــي الهواء، حيث تزداد سخونة الأرض في النهار، وسرعان ما تفقدها في الليل لقلة الغـــيوم، فيمكن أن تصل درجة الحرارة صيفاً في النهار لـــ٤٩°م وتهبط الى ٣ر١٨°م ليلاً. أما في فصل الشتاء فتصل العظمى لـــ ٤ر٢٩°م والصغرى تنخفض لـــ(٤-٥ر١٥°م)[٩].

تســـود معظـــم أنحـــاء العـــراق العربي الرياح الشمالية الغربية التي تخرج من أرض العراق نحو خليج البصرة.

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٢٥ ، القزويني : آثار البلاد ، ص ٣١٠ .

(٢) ابن الفقيه : البلدان ، ص ٢٣٨ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص١١٨ ، ١٢٩ .

(٣) المقدسي : أحسن ، ص ١٢٥ .

(٤) المقدسي : أحسن ، ص ١١٨ .

(٥) المقدسي : أحسن ، ص ١٢٥ ، انظر ايضا ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٦٤ .

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٠-٤٢ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص ١٦٣ .

(٨) الحميري : الروض ، ص ٢٠٧ / ولقد قيل عن الحيرة (سهل وجبل وبادية وبستان وبر وبحر ، محل الملوك ومزارهم ومسكنهم ومثواهم) ، الاصفهاني : الأغاني ، ج٢ ، ص١٢١ . أنظر ابن الفقيه : البلدان ، ص٢١٦ .

(٩) جاســم الخلــف، جغرافــية، ص ٩٨ / احمــد سوســة: تطور أنظمة الري، ص ١٢ / جمال جودة: العرب والأرض، ص٥٠ .

وبذلك تكون حارةً جافةً صيفاً وباردةً جافةً شتاءاً[١]، وتهّب في بعض الأحيان رياح جنوبية شرقية تسمى محلــياً (الشــرجي) تهّــب في فصل الشتاء قادمة من الخليج وتمّر على البطائح لذا تكون دافئة محملة بالرطوبة، ولكن ذلك يحدث لمدة قصيرة[٢].

ويخــتلف تأثير الرياح على مناطق العراق، حيث تعمل الرياح الشمالية الغربية والتي تهب عادة في شهر حزيران حتى نهاية شهر تموز بإنقطاع على تلطيف شدة الحرارة في البصرة صيفاً، بينما إن هبّت الرياح الجنوبية فالحرارة تكون عالية جداً[٣].

ويذكر ابن وحشية أن ما كان ((من اقليم مهب الجنوب مثل طِيزَنَابَاذ وسُورَا مما يلي ذلك البرّ فإنها رديّة، ربمــا عــرض فيها الوباء كثيراً ، أما سورا فإنها وبيّة دائماً))[٤]. أما ما يلي المشرق ما بين الأُبُلَّة إلى حلوان ((فإنه أصبح من تلك الناحية الجنوبية وأبعد من وقوع الوباء وهو أملح وهواه أغذى وأجود))[٥]، أمــا الرياح في الكوفة فيذكر محمد بن عمير بن عطارد التميمي ((أنه إذا هبّت الشمال تهّب مسيرة شهر علــى مغــل رضــراض الكــافور، وإذا هبّــت الجــنوب جاءتنا بريح السّواد و ورده وياسمينه وخيريه وأتــرجــــــه))[٦]. ولعــل اعتدال المناخ في شرق العراق ما بين حلوان الى الأُبلّة والتي وصفت بأنها بادية قليلة العمارة لأن الأنهار تقل فيها، كان سبباً في انتشار الأعراب فيها بعد الفتح[٧].

يتركز فصل الأمطار في العراق العربي ما بين شهري تشرين حتى أيار، ويكاد أن ينعدم سقوط المطر في الشهور الأخرى[٨]، لذلك كانت امطار العراق فصلية، وتختلف كمية المطر من سنة لأخرى، كما أن كمية الســاقط قلــيلة لا تكفي لأغراض الزراعة أو لتخزين المياه حيث تتوزع الكميات الساقطة بين التّبخر او امتصاص التربة الجافة لها، وقسم قليل يخرج للأنهار . وتزداد الأمطار غزارة كلما اتجهنا من الغرب الى الشــرق، حيــث توجد الجبال المحاذية لأرض العزاق والتي تسقط عليها الثلوج شتاءاً، كما هو الحال في مدينة حلوان[٩].

---

(١) جاسم الخلف : جغرافية ، ص ١٠٩ / خطاب العاني : جغرافية العراق الزراعية ، ص٢٨-٢٩ .

(٢) جاسم الخلف : جغرافية ، ص ١١٣ / طه الهاشمي : جغرافية ، ص ٧٣ ، ولما تهّب الرياح الجنوبية الشرقية في فصل الصيف خاصة في شهر آب ويستفاد منها في إنضاج ثمار النخيل / جاسم الخلف : جغرافية ، ص ١١٣ .

(٣) طه الهاشمي : جغرافية ، ص ٢٢ .

(٤) ابن وحشية : الفلاحة النبطية ، ج١ ، ص١٩٧ .

(٥) ابن وحشية : الفلاحة النبطية ، ج١ ، ص ١٩٧ .

(٦) ابــن الفقيــه: الــبلدان، ص ٢٠٢ / انظر البــلاذري: فتوح، ص ٢٧٧ / ابن قتيبة: عيون الاخبار، ج١، ص٢٥٢/ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٠٣ .

(٧) ابن وحشية : الفلاحة النبطية ، ج١ ، ص١٩٧-١٩٨ / عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص٢٥ .

(٨) جاسم الخلف : جغرافية ، ص١١٠ .

(٩) الاصطخري : مسالك ، ص ٦١/ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٢٢٠ .

وتقـل الأمطـار في الوسط والجنوب لقلة الارتفاع، والملاحظ أن الأمطار ليست منتظمة في كميتها فهي تخـتلف من موسم لآخر، مما يصّعب الاعتماد عليها في الإنتاج الزراعي، مما جعل الزراعة في العراق تعتمد بشكل دائم على الري[١].

٥ . الأنهار وأنظمة الري :-

يشـق أرض العراق نهران عظيمان هما دجلة والفرات، ويرتبط بكل منهما شبكة من قنوات الري وبعض الأنهار الفرعية التي تروي ما يحيط بها من أراضي.

ولا يمكـن الانتفاع مباشرة من النهرين الا بعد دخولهما الى السهل الرسوبي الذي يبدأ عند مدينة بلد على نهر دجلة الواقعة شمال حَرْبَى[٢]، وعند المنطقة الواقعة شمال بقّة بنحو ٢٠كم[٣] على نهر الفرات.

تـنحدر أرض العـراق بشـكل تدريجي من الشمال الى الجنوب، ثم يتلاشى الإنحدار جنوباً حيث ترتفع مسـتوى مجـاري الأنهار بسبب الترسبات الفيضية التي شكّلت البطائح، و لقد ساهمت الطبيعة الجغرافية لمجـرى الرافديـن بتوزيع القنوات المائية للأراضي المحيطة بها، ذلك أن ضفاف نهر الفرات الموجودة جنوب الرمادي ترتفع ٥٩م فوق سطح البحر، وتصل لـ٥ر٢٥م في منطقة الدّيوَانيَّة وهي بذلك أعلى من مستوى نهر دجلة الذي يرتفع في منطقة بغـداد ٥ر٣١م و ٢٤م عند الكوت[٤].

ينشأ نهر الفرات في منطقة جبلية في بلاد الروم، يزيد ارتفاعها عن ٣٠٠٠م[٥]، ويسير عبر اتجاه جنوبي شرقي ليعبر الهضبة الصحراوية الواقعة غرب العراق ليدخل بعدها الى بقّة قرب الرمادي، وبعد خروجه من هيت ((يصير أنهاراً يسقي زروع السّواد))[٦]؛ حيث تتوزع المياه في قنوات للري مما يؤدي لتناقص كميات المياه في مجرى النهر.

ويذكـر البلاذري وجود نهر سَعْد الذي ينسب لسعد بن ابي وقاص الذي بدأ بحفره لما سأله دهاقين الأنبار ذلك عندما توجّه لفتح المدينة، ولا تذكر الروايات اي معلومات حول مخرجه ومصبه سوى أن سعداً بدأ

---

(١) عـبد الرزاق البطيحي : جغرافية ، ص٢٤ / طه الهاشمي : جغرافية العراق ، ص٧٣ / خطاب العاني ، جغرافيـة ، ص٢٩-٣٠ / جمال جودة : العرب والارض ، ص٥١ .

(٢) جاسـم الخلف : جغرافية ، ص٤١ ، ١٨٣ / احمد سوسة : تطور الري ، ص٥ / عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصـادي ، ص١١٧ .

(٣) طه الهاشمي : جغرافية ، ص ٤٥ / جاسم الخلف : جغرافية ، ص١٨٧ / احمد سوسة : تطور الري ، ص٣٢٢ .

(٤) جاسم الخلف : جغرافية ، ص ٨٣ ، ١٧٩ / طه الهاشمي : جغرافية ، ص٥٨ / احمد سوسة ، تطور الري ، ص٢٢ / Husam Al-Samarraie, Agriculture in Iraq, P.12 .

(٥) احمد سوسة : الدليل الجغرافي .

(٦) ابن الفقيه : البلدان ، ص ٢١١ / ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٢٤١ / القزويني : آثار البلاد ، ص ٤٢١ .

بحفره إلا أنه لم يُتَّم ذلك حتى تولي الحجاج بن يوسف الثقفي للعراق الذي جمع الفعلة من كل ناحية وأكمل حفـــر النهر[١]. و يتابع نهر الفرات مسيره ليمر في الفَلُوجَة ثم يسير بعدها مقترباً لنهر دجلة حتى تصل المسافة بينهما ٤٠كم[٢].

ولقـــد اســـتُغل هذا الانحدار في مجرى نهر الفرات بشق عدد من القنوات التي تخرج من ضفته الشرقية لتروي أراضي ما بين النهرين، ومن أهم هذه الأنهار وهي من الشمال الى الجنوب:

-١- نهر صَرْصَر :

يخـــرج مـــن نهـــر الفرات قرب قرية صرصر الواقعة على بعد ١٨كم جنوب دِمِمّا[٣]، ويسير النهر نحو الجنوب الشرقي ليسقي طسوجي الفَلُوجَة العليا وبَهُرَسِير، ثم يتابع مسيره عبر أراضي بَادُوريا ليصبَّ في نهر دجلة فوق المدائن بـــ ٢٤ كم[٤].

-٢- نهر المَلِك :

ويبعد في مخرجه مسافة ٣٠كم عن مخرج نهر صرصر، وهو أكبر الأنهار الخارجة من الفرات، ويسقي طســـوجي نهـــر الملـــك والرُومَقان، ويتفرع النهر لفرعين: أحدهما ينتهي قرب قصر ابن هبيرة، والآخر يصب في نهر دجلة عند مدينة كُوثَى جنوب المدائن بـــ ١٨ كم[٥].

وهـــو نهـــر قديم يجري في أرض رخوة قليلة الإنحدار مما يجعله عرضةً لأخطار تراكم الطمي التي من الممكن أن تغيّر مجراه [٦].

-٣- نهر كُوثَى :

وهـــو نهـــر قديـــم ايضاً، يبعد في مخرجه ١٨كم أسفل مخرج نهر الملك، ويسقي طساسِيج كوثـــى، نهر دَرْقِيط، نهر جُوبَر، ويصب في نهر دجلة أسفل المدائن على بعد ٦٠ كم[٧].

ثم يتابع نهر الفرات مسيره نحو الجنوب، و بعد مسافة ٣٦ كم من مخرج كوثى ينقسم الفرات لفرعين: أحدهما غربي يمر بطرف الكوفة ويسمى بالعَلْقَم، والآخر شرقي يسمى بنهر سورا وهو الأكبر[٨].

---

(١) البلاذري : فتوح ، ص٢٧٣-٢٧٤ / ياقوت : معجم ، ج٥، ص٣٢١ .

(٢) جاسم الخلف : جغرافية ، ص ١٨٧ / احمد سوسة ، الدليل الجغرافي .

(٣) سهراب : عجائب ، ص ١٢٤ / البكري : معجم ، ج٣ ، ص٨٣١ / الادريسي : نزهة المشتاق ، ج٢ ، ص٦٦٨ .

(٤) البكري : معجم ، ج٣ ، ص٨٣١ / أبو الفداء : تقويم ، ص٣٠٣ .

(٥) سهراب : عجائب ، ص ١٢٤ / الاصطخري : مسالك ، ص٦٠ ، أقاليم ، ص٤٨ .

(٦) صالح العلي : معالم العراق ، ص ١٠٧ .

(٧) المسعودي: مروج ، ج١ ، ص٢٢٣ / سهراب : عجائب ، ص١٢٤ .

(٨) سهراب : عجائب ، ص١٢٤-١٢٥ / الاصطخري : مسالك ، ص٦٠ ، أقاليم ، ص٤٨ .

ويذكـــر سهراب أنه يتفرع من نهر سورا عدة قنوات، ذلك أن نهر سورا والمسمى بسورا الأعلى هو نهر أعظم وأعرض من الفرات تسقي أنهاره المتفرّعة عنه طسوج سُورًا وبَربِسْما وبَارُوسْما، ويمر هذا النهر بازاء مدينة قصر ابن هبيرة بأقل من ميل – أقل من ٢ كم – حيث يحمل منه نهر أبي رَحًا وهو نهر أوله فـــوق القصر بـــ٦كم، ويمر هذا النهر مع مدينة القصر ويصب في سورا أسفل قصر ابن هبيرة بـــ٦كم، كما يحمل منه نهر سورا الأسفل الواقع جنوب القصر بـــ٣٦كم، وتوجد على فوّهته قنطرة عظيمة تعرف بقـــنطرة القَامْغَان، ويسقي نهر سورا الأسفل طساسيج: بَابل، خُطَرْنِيَة، الجَامِعَين، الفَلُّوجَة العليا والفَلُّوجَة السفلى.

وتتفرّع منه عدة أنهار تسقي طسوج جُنْبُلاء وما والاها، ويصب فيه نهر البداة الذي يأخذ من الفرات أسفل الكوفـــة، كما ويحمل من نهر سورا الأسفل: نهر النَرْس الذي يسقي سواد الكوفة ويبعد فم نهر النرس عن قنطرة القامغان مسافة ٣٦كم، ويصب هذا النهر في البَدَاة الموجودة في سواد الكوفة شرق الفرات(١).

إذا جـــاوز نهـــر سورا أعلى قنطرة القامغان سمي بالصراة الكبيرة الذي يمر بمدينة العَقْر ثم مدينة النيل، حيـــث توجد هناك قنطرة الماس، وعندما يجاوز النهر القنطرة يعرف بنهر النيل، الذي يستمر في مجراه ليصل في نهر دجلة أسفل قرية سَابُس بـــ ٦ كم ولقد حفره الحجاج بن يوســـف(٢).

ويـــتفرّع مـــن نهر العلقم أنهار عديدة تجري ما بين الحيرة والخَوَرنَق والنَّجَف(٣)، وكانت على نهر العلقم قنطرة كبيرة عند أُلَيس عرفت بمجمع الأنهار، حيث تخرج منها القنوات الى غرب النهر، ولقد ذكرت إبّان الفتح الإسلامي لأرض العراق(٤).

وتذكر الروايات الأولى أن خالد بن الوليد لما أتى أُلَيس خرج إليه جابان عظيم العجم، فقدم لقتاله المثنى بن حارثـــة الشيباني الذي لقيه بنهر الدم، وهو نهر قرب أُلَيس كانت عليه أرحاء، سمي بذلك لأن خالداً أقسم على أن يجري النهر بدماء من يقاتلهم من العجم(٥).

يذكر المسعودي وجود نهر الحيرة المسمى بنهر العَتيق، وهو الذي كانت عنده وقعة القادسيـــة(٦).

ويشـــير المسعودي أن نهر الفرات كان قد غيّر مجراه قبل الإسلام بقوله أن نهر الفرات ((الأكثر من مائة ينتهـــي الى بلاد الحيرة)) وذكر أنه كان يصبّ في البحر الحبشي الذي كان حينئذ في النجف ويدلّل على ذلك ما تذّكره عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني بقوله لخالد بن الوليد ((أذكر سفن الصين وراء هذه

---

(١) سهراب : عجائب ، ص ١٢٤-١٢٥ / القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٣٩٨ .

(٢) سهراب : عجائب ، ص١٢٥ / ابن عبدالحق: مراصد ، ج٣ ، ص١٤١٣ .

(٣) ابـــن الفقـــيه : الـــبلدان ، ص ٢٢٥ / الأصـــطخري : مســـالك، ص٥٨ / ابـــن حوقل : صورة الأرض ، ص٢١٤ / شيخ الربوة: نخبة الدهر ، ص٩٤ .

(٤) البلاذري : فتوح ، ص٢٤٤ .

(٥) البلاذري : فتوح ، ص٢٤٤ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٥٦-٣٥٧ .

(٦) المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، ص١١٢ .

الحصـــون فلما انقطع الماء عن مصبه في ذلك الموضع انتقل البحر براً فصار بين الحيرة وبين البحر في هذا الوقت مسيرة أيام كثيرة))[١].

أما نهر دجلة فينبعث من عين تمر بين جبلين عند مدينة آمد، ثم يمر ليصير الى بلد الموصل حيث يوافيه نهـــر الـــزاب الأعلى من الغرب خارجاً من بلاد أذربيجان، ثم ينصب فوق الحديثة بـــ٦كم، ثم يسير نهر دجلة عبر مدينة السِّنّ فيعترضه نهر الزاب الأسفل القادم من أرض شَهْرزُور، ويصب في نهر دجلة فوق تكريت، ثم يتجاوز نهر دجلة أرض سامراء ليلتقي مع نهر العظيم القادم من الجبل، ثم يسير ليشق بغداد ثم المدائن، ثم يشق واسط ويصب أخيراً في البطائح حيث يبلغ طوله ١٨٠٠كم[٢].

و يـــرفد نهر دجلة مجموعة من الروافد أغلبها يقع خارج نطاق أرض العراق العربي، وهي على الجانب الشـــرقي للنهر، والسبب في ذلك وجود الجبال العالية في شمال شرق النهر والتي يتراكم عليها الثلوج في فصـــل الشـــتاء، وعندما تذوب في فصل الصيف، فإنها تغذّي روافد النهر بما يقارب ٦٥% من مجموع مياهه السنوية[٣].

ومن أهم الأنهار التي تصب في نهر دجلة، وتعتبر من روافده:

* نهـــر الدُّجَـــيْل: حيـــث يخرج من الضفة الغربية لنهر دجلة جنوب سامراء ويسير في مجراه للجنوب الغربـــي مـــن نهر دجلة، ويسقي عدداً من الأراضي والضياع مثل مَسْكَن، قُطْرَبُّل، كورة أوَانَا، الحَظِيرَة وصَرِيفين، و تصبّ فضلته في نهر دجلة بين عُكْبَرَا و بغداد[٤].

* نهـــر العظـــيم: وهو نهر يمتاز بعمق مجراه ويدخل السهل الرسوبي بعدما يقطع جبل حمرين -بارما- علـــى بعـــد ١٤٣كم جنوب بيجي، ويروي طسوجي الراذانين وجزءاً من طسوج بزرجسابور[٥] ويصب جنوب قرية العلث.

* نهـــر الـــنهروان: يـــبدأ مـــن شـــمالي مـــنطقة سامراء حيث يبدأ دخوله لأرض العراق ماراً بطسوج بُزُرْجَسَـــابور ثـــم يسير قرب بَعْقُوبا حيث يوازي نهر ديالي ويغذيه بالماء[٦]، وسمي هذا القسم بالقاطول الكسروي، ثم يسير عبر أراضي طسوج النهروان الأعلى و طسوج النهروان الأوســـط، ثم يجري بعدها

---

(١) المسعودي : مروج ، ج١ ، ص١١٢ / انظر اليعقوبي : البلدان ، ص٦٩ .

(٢) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص١٥٤ / الابشيهي : المستطرف ، ج٢ ، ص٥٥٩ .

(٣) والـــروافد هي : الزاب الكبير (الأعلى) ، الزاب الصغير (الأسفل) ، العظيم ، ديالي ، والنهران الاخيران يجريان داخل حدود العراق العربي . انظر جاسم الخلف: جغرافية ، ص١٨٢ .

(٤) سهراب : عجائب ، ص١٢٤ / الاصطخري : مسالك ، ص٥٩ .

(٥) سهراب : عجائب ، ص١٢٨ / احمد سوسة : الدليل الجغرافي .

(٦) Robert Adams, Land Behind Baghdad, P.74-76 / كي لسترانج : بلدان الخلافة ، ص ٨١ .

ليصب في نهر دجلة جنوب جَرْجَرَايا[١].

ويتفرع من نهر النهروان ما بين باجسرا و مدينة النهروان: نهرا بُوق و بَيْن، اللذين يرويان طساسيج نهر بُوق و كَلْوَاذَى و نهر بَيْن[٢].

ويذكر الأصبهاني أن النهروان هو إسم معرّب للإسم الفارسي جوروان، كما أن له اسم سرياني آخر هو – تامرا – [٣]، و يوجد على النهروان عدد من القناطر مثل قنطرة حجارة، قنطرة كسرويه[٤].

* نهر ديالي: ويسمى أحياناً بتَامَرَّا، أصل مخرجه من جبال أرمينيه، ثم يمر عبر أذربيجان وشَهْرَزُور، ويتفرع من أنهر عديدة تسير كلها نحو الجنوب الغربي، وهي بالأساس مجموعة من القنوات حفرت لتروي الأراضي المجاورة لها وأشهرها: قناة بَرَاز الرُوز وتنسب لبلدة سمي بها طسوج يضم سبعة رساتيق، ذكرت لأول مرة في أخبار الخوارج عندما مرّ بها شبيب[٥].

وتسير القناة نحو الجنوب الشرقي لتصب للشمال من إسكاف، وتسقي خلال ذلك طسوج سِلْسِل و مَهْرُوذ والدَّسْكَرَة و الرستاقين، كما يأخذ من نهر ديالي قناة أخرى شرق مجراه تسمى مَهْرُوذ، وقناة ثالثة بين قناة مهروذ و مجرى النهر تسمى بقناة سِلْسِل، وهاتان القناتان تسقيان طساسيج سلسل ومهروذ والدّسكرة والرستاقين، إضافة لوجود قناة الخالص غرب نهر ديالي والتي تمتد من جبل بارما حتى تصب في دجلة قرب عُكْبَرَا و تسقي طسوج الذيبين و أسفل طسوج بزرجسابور[٦]، و يصب نهر ديالي في نهر دجلة جنوب بغداد.

لقد كان نهر دجلة قبل الإسلام يجري من عند المذار في أرض مَيْسَان بين واسط والبصرة إلا أن بثقاً كبيراً حصل في عهد بهرام جور أدى لتحوّل دجلة عن مجراه، مما أدى لتغريق عدد من الأراضي والقرى التي كانت موضع البطائح مما أدى الى إتساع البطائح[٧].

وفي سَنة ٧هـ/٦٢٨م حصل فيضان عظيم في نهري دجلة والفرات، أدى لتحويل القسم الأسفل من نهر دجلة في مجراه من جهة العَمَارة والمَذَار الى ناحية واسط[٨]، وأصبحت مياه دجلة والفرات تصب في البطيحة بين واسط والبصرة، وبقي القسم الأسفل من نهر دجلة مبتوراً وسمي بدجلة العوراء، وهو ما

---

(١) سهراب : عجائب ، ص ١٢٨ / الادريسي : نزهة المشتاق ، ج٢ ، ص٦٧١ / كي لسترانج : بلدان الخلافة ، ص٤٧ .

(٢) سهراب : عجائب ، ص١٢٩ .

(٣) ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٣٢٥ .

(٤) سهراب : عجائب ، ص١٣٦ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٢٣٣ .

(٦) سهراب : عجائب ، ص١٢٨ / Adams, Land Behind Baghdad, P.76-79 .

(٧) ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٦٧ / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ١٦٩ .

(٨) ابن رسته : الأعلاق ، ص٨٩ .

يعــرف اليوم بشط العرب ويعرف أيضاً بدجلة البصرة وهي عبارة عن التقاء مياه دجلة والفرات الخارجة مــن الــبطائح من منطقة القرنة حتى الخليج العربـــي، ويبلغ طولها حوالي ٦كم[١]، ولما كان مصب مياه الرافدين في البطائح قد أدى لتباطئ جريان الماء فترسّب الطمي في البطيحة، كان يخرج منها ماء صاف يصــلح للشرب و لكنه يخلو من الطمي اللازم للتربة و هم ((يعيبون ماء البصرة، وماء البصرة رقيق قد ذهب عنه الطين والماء المشوب بماء بغداد والكوفة لطول مقامه بالبطيحة وقد صفا ولان))[٢].

ولقــد اعتمد البصريون منذ إنشاء مدينتهم على مياه البطيحة في الشرب، ذلك أن توفير المياه العذبة كانت مــن المشاكل التي واجهت ولاة البصرة لأن مياه البحر المالحة كانت تؤثر في عذوبة الماء الخارجة من الــبطائح فــيما يســمى بدجلة العوراء، فاضطر عدد من الولاة أن يحفروا صهاريجاً تخزّن مياه الأمطار لغايات الشــرب[٣].

ولقد وصف ابن عياش (توفي بعد سنة ١٥٨هــ) البصرة بقوله ((إنما البصرة من العراق بمنزلة المثانة من الجسد ينتهي اليها الماء بعد تغييره وفساده))[٤].

ولقد كان شرب أهل البصرة أولاً من مكان يسمى دير قاووس فوهته فوق الابلة بأربعة وعشرين كيلومتر على نهر دجلة، وكان يجري في سباخ لا عمارة على حافاته[٥].

و لقــد شُقّت في منطقة البصرة شبكة من القنوات والأنهار تأثرت بظاهرة المد والجزر التي تحصل يومياً فــي خلــيج البصــرة الذي يبعد عن مدينة البصرة ١٠ أميال/٢٠كم[٦]. وكانت المياه تتوزع في الأنهار والقــنوات وقــت المد، وتتراجع بذاتها من غير جهد وعناء وقت الجــزر، لذلك لم تكن الآلات الخاصة بالــري تســتعمل هــناك، فيذكر المقدسي ((وليس بالفرات ماء جارٍ إلا بالدواليب والسواقي غير أرض البصرة، فإن المدّ يسقيها))[٧].

ومن الأنهار التي كانت موجودة في جنوب العراق اثناء فترة الفتح الإسلامي:

<u>نهر المرأة :</u> وهو نهر حفره أردشير الأصغر، وإختلفت الروايات حول إسم المرأة التي ينسب إليها النهر، فــيذكر الــبلاذري أنـــه ينســب لكامن دار بنت نرسي إبنة عم النوشجان، وعرفت بالمرأة لأن أبا موسى

---

(١) ابن الفقيه : البلدان ، ص ٢٢٣ .

(٢) الجاحظ : البلدان ، ص٤٩٩ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص٣٦٣ .

(٤) ابن الفقيه : البلدان ، ص ٢٠٥ .

(٥) البلاذري : فتوح ، ص٣٥٢ .

(٦) ابن بطوطه : رحلة ، ج١ ، ص١٤٤ .

(٧) المقدسي : البدء والتاريخ ، ج٤ ، ص٧٤ / الأصطخري ، أقاليم ، ص٤٦ / El-Sammarraie, Agriculture, P.8.

الأشعري كان ينزل بها، فزوّدته بإحدى المرات خبيصاً فجعل يقول أطعمونا دقيق المرأة[١].

ويصب نهر المرأة في دجلة العوراء. ولما قدّم الوفد البصري الى المدينة قدّم الاحنف بن قيس شكواه للخليفة عمر بن الخطاب حول قلّة المياه العذبة الصالحة للشرب و بُعدها عن مستقر الناس فقال ((يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين، وتخرج المرأة لذلك فتربق ولدها ، كما يربق العنز يخاف بادرة العدو وأكل السبع))[٢]، فاستجاب عمر لهذا وأمر أبا موسى الأشعري أن يحفر نهراً لأهل البصرة.

فكان هناك أصلاً نهر الأُبلّة، ويذكر البلاذري نقلاً عن جماعة من أهل العلم ((كان لدجلة العوراء وهي دجلة البصرة خور والخور طريق الماء لم يحفره أحد، يجري فيه ماء الأمطار اليها، و يتراجع ماؤه فيه عند المد و ينضب عند الجزر، وكان طوله قدر فرسخ، وكان يحدّه مما يلي البصرة فورة واسعة تسمى في الجاهلية الإجّانَة وسمّته العرب في الاسلام الجزارة، وهو على مقدار ثلاثة فراسخ من البصرة))[٣].

و قيل أنه سُمّي بذلك لأن أهل البصرة كانوا ((يدنون منه وهو بركة واسعة ويغسلون ثيابهم وكانت فيه أجاجين وخزوف والآت القصار، فلذلك سمي بالإجّانَة))[٤].

وإحتفر أبو موسى النهر من الاجانة وأجراه مسافة ١٨كم حتى بلغ به البصرة، فصار طول نهر الأُبلّة ٢٤ كم، ثم انطمّ ما بين البصرة وبثق الحيري وذلك على قدر ٣كم من البصرة [٥].

وقيل أن ذلك كان في خلافة عثمان بن عفان و ولاية عبد الله بن عامر على البصرة، حيث أشار عليه والي الديوان و بيت المال أنذاك زياد بن أبيه بأن يحفر لينفذ نهر الأُبلّة من حيث انطم حتى يوصله بنهر الاجانه، و لما شخص ابن عامر لخراسان استخلف زياد بن أبيه على حفر أبي موسى، فحفر زياد نهر الأُبلّة حتى وصله بالاجانه فصار نهراً مخرجه من فم الاجانه و ينتهي الى الأُبلّة [٦]. ولمّا قدم ابن عامر غضب على زياد وقال له : ((إنما أردت أن تُذْهِبَ بذكر النهر دوني فتباعد ما بينهما حتى ماتا)) [٧]، ومع ذلك لم يكن حفر زياد للنهر الذي حفر من قبل أيام أبي موسى معمقاً لمجراه لذلك لم يكن نهر الأبلة صالحاً لملاحة السفن الكبيرة لوجود دوّارة في مدخله تعيق دخولها [٨].

---

(١) البلاذري: فتوح، ص٣٣٦ / وذكر البكري أن المرأة اسمها رباب بنت موسى. انظر معجم ما استعجم، ج٤، ص١٢٠٤/ وذكر ياقوت أن اسمها طماهيج: انظر معجم البلدان، ج٥، ص٣٢٣ .

(٢) البلاذري : فتوح ، ص٣٥٢ / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٣٢-٢٣٣ / صالح العلي : خطط البصرة ، ص٣٠-٣١.

(٣) البلاذري : فتوح ، ص٣٥١ / ياقوت : معجم، ج٥ ، ص٣١٦ .

(٤) ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٣١٧ .

(٥) ينسب بثق الحيري لنبطي من الحيرة كان مولى لزياد بن أبيه، البلاذري: فتوح، ص٣٥٢ / ابن الفقيه: البلدان، ص٢٣٣ .

(٦) ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٣١٦ .

(٧) البلاذري : فتوح ، ص٣٥١ .

(٨) صالح العلي : خطط البصرة ، ص١٦٤ .

وهـناك أيضـاً نـهر الدير المنسوب لدَيْر الدّهْدَار الموجود عند فوهته، ويبعد النهر عن البصرة مسافـة ١٢٠كم[١]، والراجح أنه يعود لفترة ما قبل الإسلام[٢].

نهر مَعْقِل: وهو نهر أشتق عن نهر دجلة[٣]، وذكر الواقدي أن عمر بن الخطاب أمر أبا موسى الأشعري بحفـره، وأن يجريه على يد معقل بن يسار بن عبد الله المزني، صاحب رسول الله (ص)[٤]، أما المدائني والقحذمي فيرويان أن المنذر بن الجارود العبدي كلّم معاوية بن أبي سفيان في حفر نهر ثانٍ للأبلة، فحفر زياد هذا النهر[٥].

ويتفرع من نهر معقل أنهار أخرى تسقي الأراضي التي حولها، مثل نهر المَرْغاب الذي كان يمرّ بقطيعة هلال بن أحوز المازني التي أقطعها إياه يزيد بن عبد الملك [٦].

وكـان نهـر معقل يبلغ القبة التي يستعرض فيها الجند، وعمل زياد بن أبيه على ((ردّ النهر الى مستقبل الجنوب حتى أخرجه الى أصحاب الصدقة بالجبل فسمي ذلك العطف بنهر دُبَيْس))[٧].

ويـرد ذكـر وجود رصيف ترسو السفن عليه قرب هذا النهر و يسمى بالكلاء؛ فذُكر أن الحجاج لما تقدّم ابـن الأشعث نحو العراق، عزم الحجاج بن يوسف على مصادرة طعام التجار في الكلاء[٨]. ورغم حفر هـذه الأنهار إلا أن شكاوي أهل البصرة من ملوحة مائهم ظلت قائمة، فلما تولّى عبد الله بن عمر بن عبد العزيـز ولايـة البصرة، احتفر نهراً سمي بنهر ابن عمر، يخرج من البطيحة ويصب في فيض البصرة ويبلغ طوله ٢٤كم[٩].

وكـان مـن قبله عامل الخليفة عمر بن عبد العزيز قد احتفر نهراً عرف باسمه وهو نهر عدي بن أرطأة الفـزاري، ولقد حفره عدي بن أرطأة من بثق شيرين المنسوب لشيرين امرأة كسرى بن هرمز[١٠]، ولقد حفره نحو البصره من أجل توفير المياه العذبة لأهلها[١١].

---

(١) ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٥٠٩ .

(٢) صالح العلي : خطط البصره ، ص١٤٨ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١١٧ .

(٤) البلاذري ، فتوح ، ص٣٥٢ .

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص٣٥٢ / ياقوت ، معجم ، ج٥ ، ص٣٢٤ .

(٦) البلاذري ، فتوح ، ص٣٥٣ .

(٧) البلاذري ، فتوح ، ص٣٥٣ .

(٨) البلاذري ، انساب ، ج٧ ، ص٣٠٤ / الطبري ، تاريخ ، ج٦ ، ص٣٤٠ / ياقوت ، معجم ، ج٤ ، ص٤٧٢

(٩) الفيض : حفره زياد بن أبيه بعدما أصلح نهر الأبلة ، ويبدأ من لدن دارفيل مولاه الى موضع الجسر . انظر البلاذري ، فتوح ، ص٣٥٢ (أبو عبيدة) / ابن رسته ، الأعلاق ، ص٨٩ / ياقوت ، معجم ، ج٥ ، ص ٣١٥ .

(١٠) البلاذري ، فتوح ، ص٣٦٠ / سهراب ، عجائب ، ص١٣٥ .

(١١) ياقوت ، معجم ، ج٥ ، ص٣٢١ .

وعُـرف أيضــاً نهــر بلال المنسوب الى بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري، وهو نهر يخترق البصــرة، إذ فتق نهر معقل في فيض البصرة في فترة خلافة هشام بــن عبــد الملــك (١٠٥-١٢٥هـ) ونقل على جانبي هذا النهر الأسواق والحوانيت(١).

وذكــر ابــن حوقل أن الأنهار عُدّت في أيام بلال بن أبي بردة فزادت على ٢٠٠٠٠ نهر(٢)، ورغم وجود مبالغة واضحة في هذا الرقم الا أنها إشارة واضحة على كثرة القنوات التي شقّت في المنطقة.

و ذكــرت بعض الروايات وجود أنهار على الجانب الشرقي من المجرى الأسفل لدجلة، منها نهر المبارك الــذي حفــره خــالد بن عبد الله القسري(١٠٥-١٢٠هـ)(٣)، ونهر السَّيب في الطرف الجنوبي الشرقي للمَذّار، ونهر خداش، ونهر أفريد اللذان ذكرا في حرب ابن الأشعث ٨٣هـ(٤).

٦- المناطق الزراعية :

تتوزع المناطق الزراعية وفقاً لإنتشار الأنهار، والقنوات المائية المتفرعة عن الأنهار، كما يؤثر المناخ في إيجاد اصناف عديدة من النبات الطبيعي في عدد من الأماكن، حيث ينتشر القصب في الأهوار التي تتجمع فــيها المياه لمدة طويلة في السنة بينما ينعدم النبات الطبيعي تقريباً في الهضاب الصحراوية لقلة الأمطار، ولعدم وصول مياه الأنهار اليها. ومن أشهر المناطق الزراعية:

سقي شرق دجلة :

ويــبدأ بســقي نهر العظيم الذي يروي طسوجي الراذانين ما بين جبل بارما وطسوج بزرجسابور الواقعة علــى جانبــي النهروان، وتمتد المنطقة من العَلث حتى نهر ديالي، كما يسقي طسوج نهر بوق وطسوج كلواذى وهر بين شمال شرق بغداد وطسوج جازر.

أما سقي نهر النهروان فيسقي طساسيج النهروان الأعلى والنهروان الأوسط والنهروان الأسفل وكلها تمتد غــرباً حــتى نهــر دجلــة، وتنتشــر المــناطق الزراعية في مراكز هذه الطساسيج مثل جرجرايا ودير العــاقــــول(٥). ولقد وصفت الأراضي الواقعة بين بغداد والنهروان أنها من أخصب أراضي المنطقة، فيذكر ابن رسته عندما يصف الطريق الى النهروان ((انها في نخيل ومزارع متصلة، والنهروان تبعد عن بغداد اربعة فراسخ))(٦) أي ٢٤كم.

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٨ / ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢١٢ / ياقوت ، معجم ، ج٥ ، ص٣٢١.

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ، ص٢١٢ .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص٢٨٩ / الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٥٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٦ ، ص٣٨٢ .

(٥) ابن خرداذبه ، المسالك ، ص ٦-٧ / قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص١٥٣ ، ١٦٠.

(٦) ابن رسته ، الاعلاق ، ص١٤٣ .

وذكــر الاصطخري شهرتها بكثرة الغلة فيها والخيرات والنخيل والكروم والسمسم خاصة[١]، كما ويذكر الاصــطخري أن مدينة الدسكرة بها نخيل و زروع عامرة، ثم تبدأ المنطقة من حد العراق الى حد الجبل فهــو قليل العمارة ((وإذا جزت النهروان الى الدسكرة خفّت المياه والنخيل ثم يصير من الدّسكرة الى حد حلــوان كالــبادية المــنقطعة العمــارة، مفترشة منفردة المنازل))[٢]. فتذكر بعض المصادر أن المنطقة المحصــورة بين عكبرا والنهروان غنية في خراجها من الحنطة والشعيـــر[٣]. وهناك ايضاً نهر تامرا الــذي يمــتد سقيه من النهروان الى خانقين حيث يزرع الزيتون والنخيل خاصة في حلوان التي اشتهرت ايضــاً بكــروم العنــب وأشــجار الرمان و التين[٤]. ويتبع هذا القسم أرض البَنْدَ نيجَين - مندلي - التي توصــف بأنها قليلة العمارة وذلك لقلة أنهارها[٥]، وهناك ايضاً طسوجي بادرايا وباكسايا اللذان يمتدان من شمال شرق الكوت حتى منطقة الجبال، وتشتهر بالحبوب والأشجار المثمرة [٦].

سقي ما بين النهرين :

حيــث يجــري العديــد من الأنهار التي تخرج من الفرات وتصب في نهر دجلة مثل أنهار: صرصــر، الملك، كوثى، العلقم وسورا. ويصف البكري المنطقة بأنها ((مرج واحد من البساتين لا حائط له))[٧]. ويقول الاصطخري ((وبين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز يخترق اليها أنهار من الفرات))[٨].

سقي البطائح :

وتعــرف الأراضـــي الزراعــية الموجــودة بيــن الأهوار باسم الجوامد، وهي أراضي خصبة ذات تربة غرينيـــة[٩]، وكانت تتبع كورة كسكر التي اشتهرت بالقمح والشعير والبلح والزيتون[١٠].

---

(١) الأصطخري، مسالك، ص٦٠ / ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢١٨ .

(٢) الاصطخري، الأقاليم، ص٥٠ / مسالك، ص٦٠ .

(٣) انظر قوائم مقادير الخراج لدى ابن خرداذبه، المسالك ، ص١٣ / قدامه ، الخراج ، ص١٦٦ .

(٤) اليعقوبــي، الــبلدان، ص٣٥/ أبو دلف، الرسالة الثانية، ص٢١/ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٢٠ / ابن عبدالحق، مراصد، ج١ ، ص٤١٨ .

(٥) الاصطخري ، مسالك ، ص٦١ / الأقاليم ، ص٥٠ / أبو دلف ، الرسالة الثانية ، ص٢١

(٦) ابن خرداذبه ، المسالك ، ص١٣ .

(٧) ابن حوقل: صورة ، ص٢١٧ / البكري: معجم ، ج١ ، ص٧٢ / ابن جبير : رحلة ، ص١٩١ .

(٨) الاصطخري: الاقاليم ، ص٤٨ / الادريسي : نزهة المشتاق ، ج٢ ، ص٦٦٧ .

(٩) Al-Ali, Al-Batiha, EI^2 vol.1, P.1094

(١٠) الجاحظ : الحيوان ، ج٣ ، ص٩٥ / البكري : معجم ، ج٤ ، ص١١٢٨ .

ونظـــراً لأخطـــار الفيضانات المتكررة فإن الانتاج الزراعي غالباً ما يتضرر، وكان الأرز من المحاصيل الهامة التي تزرع في البطائح[١].

مناطق غرب الفرات :

تقع فيها أراضٍ عرفت بخصبها وعمارتها كطسوج النَّهْرَين وعَيْن التَّمر والسَيْلَحِين والحِيْـــرَة[٢].

ومـــن أشـــهر المناطق طِيزَنَابَاذ الواقعة بين الكوفة والقادسية، وتوصف بأنها محفوفة بالكروم والأشجار، والخانات والمعاصر[٣].

واشـــتهرت القادسية والتي وصفت بأنها ((على شفير البادية وهي مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه و زروع ليس بالعراق بعدها ماء جارٍ ولا شجر))[٤].

و وصـــفها ســـعد بن أبي وقاص في كتابه الى الخليفة عمر بن الخطاب قبيل وقعة القادسية ((ان ما على يســـار القادسية بحر أخضر في جوف لاح الى الحيرة بين طريقين، فأما أحدهما فعلى الظَهْر، وأما الآخر فعلى شاطئ يدعى الحُضُوض يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة، وأما عن يمين القادسية الى الولجة فيض من فيوض مياههم))[٥].

والحُضُوض هو نهر كان بين الحيرة والقادسية يقع شمال القادسية [٦].

أمـــا الحـــيرة فهـــي علـــى سيف البادية يحيط بها النخيل والزروع وتبعد عن الكوفة نحو ٦كم [٧]وصفها الاصـــطخري بأنهـــا ((مديـــنة جاهلـــية طيـــبة مفترشة البناء كبيرة الا أنها خلت من الأهل لما عمرت الكوفـــــة)) [٨].

أمـــا الكوفـــة فلقـــد وصفها الأحنف بن قيس من خلال شكواه لما قدم مع الوفد البصري الى المدينة فقال: ((نـــزل أهـــل الكوفـــة في منازل كسرى بن هرمز بين الجنان الملتفّة والمياه الغزيرة والأنهار المطّردة، تأتيهم ثمارهم غضّة لم تخضد ولم تفسد))[٩].

وكـــان ما يلي أرض النَّجَف يضم البساتين والنخل والجنان والأنهار في ناحية الغرب، وكان الفرات على

---

(١) ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٥١ .

(٢) ابن وحشية : الفلاحة ، ج١، ص١٩٨-١٩٩ / ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٩٢، ٢٩٢

(٣) القزويني : آثار البلاد ، ص٤١٧ .

(٤) الاصطخري : مسالك ، ص٥٨ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٩٢ / ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٢٩١ .

(٦) ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٢٧٢ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٢١٥ .

(٨) الاصطخري : مسالك ، ص ٥٨ .

(٩) ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٠٣ ، ٢٤٨ /انظر البلاذري : فتوح ، ص٣٥٠ .

الجانب الشرقي، وكان بحذاء نهر الفرات قصر الخَوَرْنَق والى جانبه السَّدير الذي سُمّي بذلك ((لأن العرب نظرت الى سواد النخل فسَدرت أعينهم أي تحيّرت، فقالوا ما هذا إلا سدير))[١].

كور دجلة :

تمـــتد من الأُبلّة الى ما فوق المذار بقليل وحتى الأهواز شرقاً[٢]، وتعتبر الأُبلّة من أخصب الأراضي، قيل عنها ((الأُبلّة صغيرة المقدار حسنة الديار، واسعة العمارة متصلة البساتين والضياع عامرة بالناس)) [٣] واشتهرت المنطقة بزراعة الموز والعنب والأرز لتوفر المياه والحرارة[٤].

٧ - السكان :

عُــرف سكان العراق العربي من غير العرب عشيّة حركة الفتح الاسلامي باسم النبط[٥]، كما عرف بهذا الاسم كل سكان المناطق المفتوحة من أهل الأرض.

و ذكــر ابــن وحشــية فـــي كــتابه الفلاحة النبطية أصول النبط بقوله ((اقتديت فيه بحكماء الكسدانيين والكنعانيــن والنهريين والسورانيين الأولين وغير هؤلاء من أجيال النبط))[٦]، مما يُشعر بأن كلمة النبط كانـــت تخـــصّ سكان العراق القدماء بصرف النظر عن أصولهم وانتماءاتـــهم[٧]. ويرتبط اسم النبط عند العرب دائماً بالزراعة فقد قيل ((والنبط إنما سُمّوا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين))[٨].

وقـــيل ((إنمـــا سُمّوا نبطاً لأنهم أنبطوا الأرض أي احتفروا أنهارها الكبار))[٩]. وذكر ابن منظور في الأصـــل اللغـــوي لكلمـــة نبط أنه ((الماء الذي ينبط من قعر البئر إذا حفرت.. والنبيط والنبط .. جيل يـــنزلون السّـــواد، وفـــي المحكـــم يـــنزلون ســـواد العراق .. إنما سموا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضيـــــن))[١٠].

---

(١) ذكر ابن الفقيه أن السدير يقع ما بين نهر الحيرة الى النجف الى كسكر . انظر ابن الفقيه : البلدان ، ص٢١٣ ، ٢٢٥ .

(٢) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ٣٣٦ / ابن عبد الحق : مراصد ، ج٣ ، ص١١٨٦ / صالح العلي: "منطقة واسط"، مجلة سومر، مجلد ٢٦ ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ٢٤١ .

(٣) الادريسي : نزهة ، ج١ ، ص٣٨٤ / القزويني : آثار البلاد، ص٢٨٦-٢٨٧ .

(٤) ابن سعيد المغربي : الجغرافيا ، ص ١٨٥ .

(٥) يحيى بن آدم : الخراج ، ص ٢٠ / ابن صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص٦ / ثابت الراوي : العراق في العصر الأموي ، ص ١٠٤ .

(٦) ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج ٢ ، ص ٩٢٢ .

(٧) عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص٣١ / ثابت الراوي : العراق في العصر الاموي ، ص١٠٤.

(٨) بحشل ، تاريخ واسط ، ص ١٤٣ (وهب بن منبه) .

(٩) ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٧٦-٢٧٧ (الهيثم بن عدي) .

(١٠) ابن منظور : لسان العرب ، ج١٤ ، ص١٧٦-١٧٧ .

ممـــا يفهم بأن النبط هم الفلاحون والزرّاع. وكانوا يسكنون القرى وإليها كانوا ينسبون، فلما يُسأل أحدهم عن نسبه يقول: أنا من قرية كـــذا[١]. ويقول أحد الشعراء:

وأهل القرى كلهم يدعون بكسرى قباذ فأين النبط [٢]

وكـــان النبط يعملون في الأرض يخضعون للدهاقين، اذ كان لكل قرية دهقاناً ((وجعل أهلها خولاً وعبيداً وألبســـهم لـــباس المذلة وأمرهم بطاعته))[٣]؛ لأن الدهاقين هم المسؤولون عن جباية الضرائب[٤]. وكان الدهاقيـــن مـــن أصـــول متعددة من عرب، نبط، وفرس[٥]، ولما بدأ التنظيم الإداري للدولة الاسلامية في العـــراق لم يفقد الدهاقين الكثير من سلطتهم على الفلاحين فلقد استمروا في عملهم كجباة للضرائب، نظراً لمعرفـــتهم في الأرض والزرع وأساليب الجباية. وسكن الى جانب النبط مجموعة أخرى من السكان وهم الفرس؛ فلقد امتد حكم الفرس الساسانيين على أرض العراق أكثر من اربعة قرون (٢٢٦-٦٣٧م)، وكانوا موجودين فيها من قبل ذلك العهد.

وكوّن الفرس طبقة خاصة في العراق كحالهم في الأقاليم الأخرى في الامبراطورية الساسانية لأنهم معدن الملك، فتملّكوا الأراضي الزراعية و وُجد منهم الإداريون والملاكون والجنود.

وتركّز الوجود الفارسي في العاصمة الساسانية المدائن، التي أسكن فيها اردشير بن بابك مجموعات كبيرة من الفرس لما دخل العراق[٦].

كمـــا ذكـــر وجود للفرس شرق نهر دجلة في دَيْر العَاقُول وهي مدينة النَّهْرَوان الأوسط وجَرْجَرَايا مدينة النهروان الأسفل التي وصفت بأنها ديار أشراف الفرس، وكانت مَاذَرَايا منزل أشراف العجم[٧].

واســـتقر العديد منهم في القرن السادس الميلادي على نهر دجلة وديالي[٨]، و رُوي أن كسرى أنو شروان قـــد بـــنى في هذه الفترة مدينة سَلُوقِيَة (الرُومِيَّة) على نهر دجلة جنوب المدائن[٩] وربما كان ذلك بسبب

---

(١) الحســـيني : غايـــة الاختصــــار في البيوتات العلوية ، ص ٣ / ابن خلدون : تاريخ ، ج١ ، ص٢٢٨ / ثابت الرّاوي ، العراق ، ص١٠٤ .

(٢) المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٣٥ .

(٣) البيروني : الآثار الباقية ، ص ٢١٨ / آرثر كرستنسن : ايران في عهد الساسانيين ، ص٨٥ / ثابت الراوي : العراق ، ص١٠٤ .

(٤) عبد العزيز الدوري: " نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية "، مقالة مستلة من مجلة المجمع العلمي العراقي، بغـــداد، ١٩٧٠، ص ٦، ١١.

(٥) كلود كاهين : تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ص ٥٦ ، ١٨٣ .

(٦) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٤٢ / ابن الفقيه، البلدان، ص٢٤٨ / كرستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ص ٤٣٨ .

(٧) اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٨ .

(٨) الطبري ، تاريخ ، ج١ ، ص٥٦٨ / انظر ابن الفقيه ، البلدان ، ص٢٤٨ .

(٩) الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٠٢ / المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٣ ، ص١٦٨ .

تـزايد الوجـود الفارسي في المنطقة واتخذ الفرس لهم مستقراً آخر في المسالح الحدودية التي ترابط على حدود العراق مع بلاد العرب خاصة في عيون الطَّف[١]، الأبلّة[٢]، بَانقْيَا وأُلّيـس والحِيرة[٣]، السَيْلحِين[٤]، العُذَيـب[٥]، القَادِسـيّة[٦]، الأنْبَار[٧]، وعَيْن التّمر[٨]. و وجد دهاقين فرس يجمعون الضرائب في الأنبار والحيرة[٩].

ورغـم هـذه المراكز التي عاش فيها الفرس إلا أنهم لم يكونوا الأكثرية في العراق ومما يشعر بذلك في أخـبار الفتح الإسلامي أن خالد بن الوليد بعد انتصاراته في مراكز غرب الفرات، بدأ يشن غاراته باتجاه نهر دجلة دون وجود مقاومة فارسية تذكر، كما أن سعد بن أبي وقاص استطاع الوصول الى المدائن دون وجود مقاومة فارسية قوية ضده[١٠].

ولقـد وجـدت صلات قديمة للعرب مع أرض العراق، وكانت تتخذ أشكالاً سلمية على هيئة التجار الذين يـأتون لغايـات البـيع والشراء، أو على هيئة حربية ضمن غارات متكررة تقوم بها القبائل العربية التي هجـرت مواطـنها الأصـلية فـي شـبه الجزيرة العربية بسبب القحط والجفاف الذي أصاب ديارها، أو لاحـتكاكات قبلـية ولّـدت صراعات عنيفة بين القبائل، فرأت بعضها في أطراف العراق منافذ قريبة لها للدخول في ثنايا الريف حيث المعاش والمتّسع والمياه والمرعـى[١١].

وجـاء في كثير من المصادر التاريخية اشارات كثيرة حول بعض الهجرات التي قامت بها مجموعة من القبائل العربية ضمن الأزمان الغابرة قبل الإسلام، وتمكّن بعضها من الاستقرار في أرض العراق ونواحيه مستغلة الأزمات السياسية والاضطرابات الداخلية التي كانت تعاني منها الدول التي حكمت العراق[١٢] .

---

(١) أبو عبيدة ، النقائض ، ج٢ ، ص٦٤٠ / البلاذري ، فتوح ، ص٢٥٥ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص٢٤٣ / الطبري ، تاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٧ .

(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص١٤٢ –١٤٥ / البلاذري ، فتوح ، ص٢٤٤ / المبرد ، الكامل ج١ ، ص٣٩٩ / ثابت الراوي، العراق ، ص١٠٥ .

(٤) خليفه بن خياط ، تاريخ ، ص١٣٢ .

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص٢٤٥ / المقدسي ، البدء ، ج٣ ، ص٩٠ .

(٦) البكري ، معجم ، ج٢ ، ص١٠٤٢ .

(٧) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٤٥ .

(٨) ابن سعيد المغربي ، جغرافيا ، ص ١٥٦ / ثابت الراوي ، العراق ، ص١٠٥ .

(٩) كلود كاهين ، تاريخ العرب ، ص ١٨٣ .

(١٠) البلاذري ، فتوح ، ص٢٥٠ ، ٢٦٢ / الطبري ، تاريخ ، ج٣ ، ص٦٢٢ .

(١١) الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٥ / ابن اعثم ، الفتوح ، ج١، ص٧٣ / الثعالبي، تاريخ غرر السير ، ص٥١٤ .

(١٢) الطبري، تاريخ، ج١، ص٥٥٨/ ج٢، ص٥٥/ الاصفهاني، تاريخ، ص٨٦/ أبو البقاء، المناقب المزيدية، ج١، ص١٠٣.

ومن أشهر هذه القبائل: الأزد وقضاعة[١] وبكر بن وائــل[٢] وغيرها من القبائل العربية٠
وكــان إستمرار هذا الضغط على حدود الريف وإنشغال الاكاسرة بأزماتهم الداخلية دوراً في تكوين حاجز منيع يقلل من اختراق القبائل لريف العراق، لذا وجدت مملكة الحيرة غرب الفرات لتكون يد الامبراطورية الطولــى في التنكيل بالقبائل المعادية والمتمردة، ومُساعداً لها ضد عدوتها اللدودة بيزنطه٠ كما أنها همزة الوصــل فــي تنظيم العلاقات الساسانية مع العديد من القبائل العربية الأخرى بهدف كسبها بجانب فارس، والحدّ من اعتداءاتها[٣]٠

وسيفصّل الحديث حول هذا الموضوع في الفصل الثاني من هذه الرسالة٠

---

(١) الاصــفهاني ، تاريخ ، ص٨٨ / أبو البقاء ، المناقب ، ج١ ، ص٥٥-٦١ / محمد الخضري : محاضرات تاريخ الامم، ج١، ص٧٥ ٠

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج١ ، ص٦١٢ / المقدسي ، البدء ، ج٣ ، ص٢٠٢ ٠

(٣) المســعودي، مــروج الذهــب ج٢ ، ص٩٦ / أبو البقاء ، المناقب ج٢ ، ص٤٣٢-٤٣٣ / ابن خلدون ، تاريخ ، ج٣، ص٣٤٥ ٠

الفصل الثاني

القبائل العربية في العراق قبل الإسلام

أ- حركة القبائل العربية تجاه العراق العربي.

ب- العلاقات بين الدولة الساسانية و القبائل العربيةالقادمة الى العراق.

ج- العلاقات بين القبائل العربية في العراق.

أ – حركة القبائل العربية تجاه العراق العربي :

ترجع العلاقات بين سكان شبه الجزيرة العربية وأرض العراق الى عهود قديمة تعود الى فجر الحضارة في العراق٠ و ترد أقدم إشارة عن هذه العلاقات في عهد الملك الأكادي نرام سين – Naram Sin حوالي (٢٢٧٠-٢٢٢٣ ق٠م)، عندما استولى على الأراضي المتصلة بأرض بابل والتي يسمى أهلها بإسم العـــرب (Aribu, Arabu)[١]٠ وهذا يؤكد على الوجود العربي قرب أرض بابل – العراق – في عهده، كما يعني أن وجودهم كان أقدم من ذلك العهد٠

استمرت الإشارات الى العرب ترد في النقوش المسمارية الآشورية، إذ يرد نقش يعود لعهد ملك آشور " شلمنّصر الثالث " الذي هزم حلفاً عسكرياً شارك فيه عدد من الملوك الآراميين الذين حكموا المدن السورية، ومعهم زعيم قبيلة عربي، عرف باسم (جُندب، جُنديبو) و سجّل النقش انتصار الآشوريين على هذا الحلف في معركة قرقر، وكان ذلك في القرن التاسع قبل الميلاد[٢] و لم يُبيّن النقش مكان أرض جنديبو بالتحديد، ولكن ربما تكون في أطراف البادية، ويذكر جواد علي أنه –جنديبو– كان ملكا على غرار الملوك سادات القبائل حيث كان يتناول الاتاوات من الحكومات الكبيرة مقابل حماية حدودها والاشتراك معها في الحـــــروب[٣]٠

ولقد حفلت النقوش القديمة بالإشارات حول ملوك وملكات من العرب كانوا يدفعون الجزية لملوك العراق، وذلك لتأمين مصالحهم التجارية من خلال السماح لقوافلهم بالمرور بحريّة في الأراضي الخاضعة لملوك العراق[٤]٠

ولا بد من الإشارة هنا الى أن كلمة العرب التي ترد في النقوش القديمة، كانت تدل على البدو الأعراب، حيث لم تكن آنذاك تطلق عَلَماً على جنس معين، فهي لفظة تدل على الجماعات التي تتكلم ما يعرف باللغات السامية وتعيش حياة الترحال، وتمارس الضغط المستمر على البلاد الخصبة[٥]٠

تبدأ المصادر التاريخية العربية بتحديد بداية الهجرات العربية نحو أرض العراق ومحاولات اختراق الريف الخصيب والاستقرار فيه منذ عهد بختنصر ما بين (٦٠٥-٥٦٢ ق٠م)[٦]٠

---

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج١ ، ص٥٧٣ ٠

(٢) وتقع قرقر شمال مدينة حماة ، أنظر : جواد علي ، المفصل ، ج١ ، ص٥٧٤-٥٧٦ ٠
Ran Zadok, Arabians in Mesopotamia, P.57 .

(٣) جواد علي ، المفصل ، ج١ ، ص٥٧٦ ٠

(٤) مثال ذلك نقش من عهد تجلات بلاصر سنة ٧٧٨ ق٠م حيث قدمت له زبيبة ملكة العرب الجزية ، كما هزم تجلات بلاصر ملكة العرب شمسي سنة ٧٣٢ق٠م ، وفي كتابات أسرحدون ٦٧٦ق٠م اشارات الى فرض الجزية على العرب في دومة الجندل ٠ انظر / جرجي زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ص٤٥ / رضا جواد الهاشمي : " العرب في ضوء المصادر المسمارية " : مجلة كلية الآداب (بغداد) ، العدد ٢٢ (شباط ١٩٧٨) ص٦٣٩، ص٦٤٥ ٠

(٥) ان تعبير السامية يشير الى التشابه بين مجموعة اللغات التي يفترض ان تعود الى أصل واحد ٠ انظر جواد علي : المفصل، ج١ ، ص٥٧٤ / عبد العزيز الدوري : التكوين التاريخي ، ص١٦ ٠

(٦) المسعودي : مروج ، ج١ ، ص٢٣٥-٢٣٦ / ابن الوردي: تاريخ، ج١ ، ص٣٦-٣٧ ٠

وشظف عيشهم))[١]. وبذلك كان العامل الاقتصادي أساساً في خروج القبائل العربية نحو أطراف الجزيرة، حيث الأراضي المنتجة الخصيبة، خاصة عندما يصيب القحط و الجفاف منازلها، فإنها تضطر لتركها واللجوء الى منازل أخرى تحفظ فيها استمرارية بقائها و وجودها، لذا يمكن القول أن حركة القبائل العربية من مواطنها الأصلية داخل شبه الجزيرة العربية الى أطرافها حيث تخوم الشـــام والعراق لم يكن سوى توجه طبيعي للخلاص من خطر الفناء.

ولقد أكد رستم -القائد الفارسي في وقعة القادسية- على الصورة العالقة في ذهن الفرس عن العرب و علاقتهم بأرض العراق عندما قال: ((ولم يكن في الأمم أصغر عندنا امراً منكم، كنتم اهل قشف ومعيشة سيئة، لا نراكم شيئا، وكنتم تقصدوننا اذا قحطت بلادكم فنأمر لكم بشيء من التمر والشعير ثم نردّكم، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم الا الجهد في بلادكم))[٢].

ويتبين لنا أن اختراقات القبائل العربية على طول حدود شبه الجزيرة العربية مع أرض العراق كانت لغايات توفير المتسع في المسكن والمأكل والمرعى، لقلة ما يمكن أن تقتات به القبائل في مواطنها الأولى، وبهذا شكّلت بوادي العراق: باديتي الكوفة والبصرة اللّتان تقعان في أقصى البرّ من أرض العرب وأدنى أرض الريف من ارض العجم، بوابات لدخول القبائل من أرض الجفاف الى ارض الخصب والمرعى، لذا اندفعت العديد من القبائل التي أصاب القحط والمحل الشديدين مواطنها نحو أرض العراق بقوة كلما هيأت الظروف لها ذلك، وخاصة اذا لمست القبائل وجود ضعف و وهن في السلطة المركزية الحاكمة في البلاد الخصبة فإن فرصة نجاحها نحو التغلغل داخل تلك البلاد تصبح أكبر[٣].

لقد اتسمت حركة القبائل العربية لأرض العراق بشكلين اساسيين، فإما أن تكون سلمية حيث تفد القوافل التجارية عبر خطوط التجارة الرئيسية التي تربط شبه الجزيرة العربية بما يجاورها، فيتمكن العرب من الدخول للأرض الخصيبة كتجار، ويتمكن بعضهم من الاستقرار ان لاحت له الفرصة، أما الشكل الثاني فهو بصورة عدائية تتخذ هيئة غارات تشنها تلك القبائل على أراضي الريف لغايات السلب والنهب، حتى تتمكن من اتخاذ مواطن جديدة لها تستقر فيها، وتصبح مع الزمن جزءاً منها، أو تمارس حياتها في التّنقـــل حولـــها.

ومن الأمثلة على مثل هذه القبائل وتلك الظروف ما حصل من تزايد في أعداد بني معد بن عدنان داخل الجزيرة العربية، مما أدى لتنافس القبائل والبطون على الموارد الطبيعية في منازلها، فلقد جاورت قضاعة

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٢، ص٥٥ / الثعالبي: تاريخ غرر السير، ص٥١٤ .

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١١٠ / الطبري، تاريخ، ج٣، ص٥٢٣ (محمد بن اسحاق) / ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٣١٣ .

(٣) الطبري، تاريخ، ج١، ص٦١١-٦١٢، ج٢، ص٥٥ / ابو البقاء، المناقب، ج١، ص٩٣ / جواد علي، المفصل، ج٢، ص٦٠١-٦٠٢ .

نزاراً في أرض تهامة، وكانت قضاعة حينذاك تنسب لمعد بن عدنان[١]، حيث نشبت الحروب بينهما، فخرجت تيم اللات بن أسد بن وبرة القضاعية، وفرقة من بني رفيده بن ثور بن كلب بن وبرة وفرقة من الأشعريين الى ارض البحرين حيث أجلوا النبط من هجر واستقروا فيها[٢]. ثم لحق بهذه المجموعة اكثر ولد قنص بن معد الذين أجلتهم مضر و ربيعة، فخرجوا مع الحيقار بن الحنق ولحقوا بقضاعة في البحرين[٣].ويصعب تحديد الفترات الزمنية التي قامت فيها هجرات هذه القبائل العربية، وذلك لأن رواة هذه الأخبار من الحقبة الاسلامية.

بدأت العديد من القبائل العربية تلتحق بالقبائل الأولى التي استقرت في البحرين وكان ((ينضم الى الفرقة طوائف من غيرها يتبع الرجل أصهاره وأخواله))[٤]، وتشير الروايات الى قدوم مالك وعمرو ابنا فهم ابن تيم اللات بن اسعد، ومالك بن زهير بن عمرو بن فهم وغطفان بن عمرو بن الطمثان بن عوذ مناة الإيادي مع جماعات من أقوامهم، وأنضم لكل هؤلاء قسم من قبيلة الأزد الذين هاجروا من اليمن منذ القرن الثاني الميلادي واستقروا في البحرين وذلك بسبب الجفاف الذي أصاب ديارهم اضافة لعامل سياسي تمثل في انهيار دولة سبأ فتفرقت العديد من القبائل اليمانية. وكان يرأس ازد البحرين انذاك جذيمة الأبرش ابن مالك بن فهم بن غانم الأزدي. وكونت مجموع هذه القبائل ما عرف باسم تنوخ[٥]. وهي بذلك حلف ضم عددا من القبائل وأصل التنوخ المقام، ثم انضم لهذه المجموعات بطون أخرى مثل نمارة بن لخم وملكان بن كندة ومعهما ما عرف باسم النجدات الذين ينتسبون لقبيلة كندة[٦] حيث ((تعاقدوا على التوازر والتناصر، فصاروا يداً على الناس وضمهم اسم تنوخ، فكانوا بذلك الاسم كأنهم عمارة من العمائر))[٧].

---

(١) اختلف النسابون في اصول قضاعة ، فاشار البعض الى أنها تنسب الى حمير ، وقيل بل تنسب الى عدنان، ويرى البعض أنها ترجع في نسبها الى حمير ثم اجلاهم بنو الحارث بن كعب من الازد عن مواطنهم في بلاد الشحر ونجران، فساروا الى الحجاز ودخلوا في قبائل معد بن عدنان مما يعني أنهم ذو اصل يماني. أنظر ابن الكلبي ، نسب معد بن عدنان، ج٢ ، ص٥٥١-٥٥٣ / الزبيري : نسب قريش ، ص٥ / ابن حزم: جمهرة النسب ، ص٨ / ابن عبد البر، انباه الرواة ، ص٣١- ٣٧.

(٢) البكري: معجم، ج١، ص٢١ (عمر بن شبة) / ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٥٠١-٥٠٢/ عمر كحاله، معجم، ج١، ص١٣٤ .

(٣) البكري: معجم، ج١، ص٥٣ / ابن الاثير: الكامل، ج١، ص٢٦١-٢٦٢ / ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٥٤٠ .

(٤) البكري ، معجم ، ج١ ، ص٢٥-٢٦ (عمر بن شبه) .

(٥) سموا تنوخاً لأن مالك بن فهم قال (نقيم بالبحرين ونتحالف على من سوانا فتحالفوا فسموا تنوخاً) . الأصفهاني ، تاريخ ، ص٨٣ / وقيل تنوخ ثلاثة بطون : فهم ، نزار وهم لوث اي مختلطون من بطون قضاعة كلها ، والأحلاف من جميع قبائل العرب : كندة ، لخم ، جذام ، عبد القيس . انظر : ابن حزم ، جمهرة النسب ، ص٤٥٣ / السمعاني ، الأنساب ، ج١ ، ص٣٥٠ / ابن الاثير ، اللباب ، ج١ ، ص٢٢٥ / ابن خلدون ، تاريخ ، ج٣، ص٥٠٣-٥٠٤ / القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص١٨٩ / عمر كحاله ، معجم ، ج١ ، ص١٣٣-١٣٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ج١ ، ص٦١١ / الدواداري ، كنز الدرر ، ج٢ ، ص٣٤٥ .

(٧) الطبري، تاريخ، ج١، ص٦١٠ (هشام بن محمد) / ابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص٤٩/ ابن الأثير: اللباب، ج١، ص٢٢٥ .

ويشير ابن الكلبي الى أن تشكيل هذا الحلف تم في عهد ملوك الطوائف[١]، ولقد أقامت تنوخ في البحرين مدة سنتين ثم بدأت تندفع على شكل موجات الى أرض العراق، فانطلقت الموجة الأولى بقيادة الحيقار بن الحنق مع جماعة من قومه وأخلاط من الناس، إلا أنه فشل في دخول السواد، فخرج الى الحيرة والأنبار، وعُرف من معه فيما بعد بأشلاء قنص[٢].

اما الموجة الثانية والتي تمكنت من التغلغل في جهات السواد فكان يقودها مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم اللات اللذين قادا القبائل المتحالفة تحت اسم تنوخ ودخلوا الحيرة والأنبار وكان ذلك في مطلع القرن الثالث الميــلادي[٣].

عاشت تنوخ في ريف العراق حياة البداوة، فسكنوا الأخبية والمظال ولم يدينوا بالطاعة للعجم[٤]. وعرفوا باسم عرب الضاحية، حيث امتدت مساكنهم في المنطقة المحصورة ما بين الحيرة و الأنبار الى طف الفرات[٥] وكان يتولى زعامتهم مالك بن فهم الذي كان أول ملك بالعراق من العرب[٦] ثم خلفه أخوه عمرو ثم جذيمه الابرش.

وتذكر بعض الروايات قدوم موجة عربية جديدة في عهد ملوك الطوائف جاءت مع ياسر بن عمرو (ياسر النعم/ انعم) المسمى تُبّع أسعد ابو كرب بن مَلْكِيكَرب الذي خرج غازياً من اليمن، وخلّف ضعاف جنده في الحيرة وكانوا ((من كل القبائل من بني لحيان وهم بقايا جرهم وفيهم جُعفى وطيء وكلب وتميم ولبسوا إلا بالحيرة))[٧].

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد نجاح بعض العرب الوافدين من عُمان بتأسيس مملكة عربية في عهد ملوك الطوائف عرفت بإسم مملكة ميسين او ميسان (Mesene) والتي حكمت ما بين ٢٢٥ق.م-٢٢٠م في نطاق جغرافي أمتد حول مصب نهر دجلة في بحر فارس والبصرة -الخليج العربي- حيث ضمت جنوب العراق من الكوت حتى بحر فارس ونهر قارون في الأهواز[٨].

---

(١) أو دولة الأرصيسيديين Arsacides وهي الطبقة الرابعة لملوك فارس حكمت ما بين (٢٥٠ق.م -٢٢٦م) وكانوا من أجناس شتى من عرب وفرس ونبط حكموا الأرض الواقعة من بلاد آشور - الموصل - الى أقصى بلاد العجم. انظر: الطبري، تاريخ، ج١، ص٥٨٢، ٦١٠ / المسعودي، التنبيه، ص٨٣ / جمال جودة، العرب و الأرض، ص٦١ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج١ ، ص٦١١ (هشام بن محمد) .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج١ ،ص٦١١ / ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص٢٦٢ / ابن خلدون ، تاريخ ، ج٣ ، ص٤٩٧ .

(٤) ابن الفقيه ، البلدان ، ص٢١٦ / الطبري ، تاريخ ، ج١ ، ص٦١٢ / البكري ، معجم ، ج١ ، ص٥٣ .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج١ ، ص٦١١ / ابو البقاء ، المناقب ، ج١ ، ص٩٥ / ابن الأثير ، الكامل ، ج١ ، ص٢٦٢ .

(٦) ابن خلدون ، تاريخ ، ج٣ ، ص٥٤١ (ابو عبيدة) .

(٧) قيل أن تبّع هذا لما أقبل بجيوشه نحو العراق ضلّ دليله فتحيّر في هذا الأمر، ولذا جاء تسمية الحيرة بذلك. انظر ياقوت، معجم، ج٢، ص٣٢٩ / الطبري، تاريخ، ج١، ص٥٦٧، ٦١٢ / ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص١٠٠ .

(٨) كرستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ص ٧٥ .

كما كان للعرب آنذاك حضوراً في كرمان وفارس[١]. وبالتزامن مع مملكة ميسين ظهرت مدينة الحضر الواقعة جنوب غرب الموصل وتبعد عن الموصل مسافة ١٤٠كم، و لقد ازدهرت في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، و قضى عليها سابور بن اردشير بن بابك سنة ٢٤١م، و قد قيل أن مؤسسيها كانوا من العرب[٢].

ومن القبائل العربية التي وفدت الى العراق قبل الإسلام قبيلة اياد العدنانية والتي ارتحلت من اليمامة قادمة من موطنها الأصلي في تهامة، ثم اتجهت الى عَيْن أُبَاغ في منتصف القرن الثالث الميلادي[٣]. وخرجت مجموعة أخرى منها الى ناحية سِنْدَاد[٤] ودَير قُرَّة[٥] ودَير الأعْوَر[٦]، وأتخذت اياد لها بيتاً للعبادة يشبه الكعبة وعرف باسم ذي الكعبات، وكان قصراً في سِنْدَاد في بادية الكوفة تحج اليه العرب[٧].

وترجع أول اشارة تذكر وجود إياد في العراق العربي الى القرن الثالث الميلادي، عندما حارب جذيمة الأبرش قوماً منهم ما بين أرض الجزيرة العربية الى أرض البصرة غرب الفرات[٨].

وبدأت اياد تتوسع في هجراتها الى العراق مع بداية القرن الرابع الميلادي[٩] حتى امتدت منازلها من سنداد الى كَاظِمة و أطراف الأُبلّة جنوباً، وبموازاة الفرات شمالاً حتى أنها وصلت لأرض الجزيرة الفراتية. ومن أشهر منازلها: دَيْر الأعور، دَير قُرَّة، سِنْدَاد، السَّدير والخَوَرْنَق[١٠]، وبَارِق[١١] ودَير الجَمَاجم[١٢].

---

(١) جواد علي : المفصل ، ج٢ ، ص٦٣٨ / صالح العلي ، امتداد العرب ، ص٤٤ .

(٢) أنظر: جواد علي ، المفصل ، ج٢ ، ص٦٠٩-٦١٥ / نزار الحديثي ، " العراق عند مجيء الإسلام" بحث في كتاب : حضارة العراق ، بغداد ١٩٨٥ ، ج٥ ، ص٩ .

(٣) عين أُباغ: قيل هو عين ماء نسب الى أباغ وهو رجل من العمالقة ، وفي كتاب ابن الكلبي اسمه يباغ بن أسليجا الجرمقاني، وقيل هو وادي على طريق الفرات الى الشام وراء الأنبار على الجانب الغربي . أنظر ياقوت: معجم، ج٤، ص١٧٥ / الحميري: الروض ، ص١٠ / ابن عبدالحق: مراصد ، ج٢ ، ص٩٧٦ .

(٤) سنداد : يقع أسفل سواد الكوفة وراء نجران الكوفة / ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص٢٦٦ .

(٥) دير قُرَّة ينسب لرجل من اياد وقيل أن قرة رجل من لخم بنى الدير في أيام ملك المنذر/ ياقوت: معجم، ج٢، ص٥٩٢-٥٩٣.

(٦) دَر الأعور ينسب الى رجل من اياد من بني أميه بن حذافة /ابن الفقيه: البلدان، ص٢١٧/البكري، معجم ، ج٣، ص٥٩٢.

(٧) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص٤٥ / البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص ٣٠-٣٢ (هشام بن محمد) / ابن حزم ، جمهرة أنساب، ص٤٩٤ / البكري ، معجم ، ج١ ، ص٦٩ (عمر بن شبه) .

(٨) اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص٢٥٤ / ابن خلدون : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٤٣ .

(٩) يذكر الثعالبي (سار جمع عظيم من بلاد اياد الى العراق) : تاريخ غرر السير ، ص٥١٤ .

(١٠) ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، ص ٦٥ / اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص ٢٥٤ .

الخَوَرنَق والسَّدير: يقعان على طرف البادية مما يلي الغرب، فالخورنق قصر بحذاء نهر الفرات، والسدير ما بين نهر الحيرة الى النجف.أنظر ابن الفقيه، البلدان، ص٢١٣، ٢٢٩/ الاصطخري، مسالك، ص٥٨ / ياقوت: معجم، ج٢، ص ٥٠٣-٥٠٤.

(١١) بارق:ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة ، ويعد من أعمال الكوفة، ياقوت، معجم، ج٢، ص٣١٩/ ابن عبدالحق، مراصد ، ج١ ، ص١٥١ .

(١٢) دَير الجماجم : من منازل اياد يبعد عن الكوفة سبعة فراسخ /٢١ ميل او ٤٢ كم ، سمي بذلك لحرب وقعت بين بني بهراء ابن الحاف من قضاعة وبين القين بن جسر بن شيع الله بن وبرة ، فلما انقضت الوقعة ، دفنوا قتلاهم عند الدير ، وكانوا اذا حفروا فيه بعد ذلك لبعض أمورهم وجدوا جماجماً . ياقوت ، معجم ، ج٢ ، ص ٣١٩ .

ولقد أشار الأسود بن يعفر لمنازل إياد بقوله ..

ماذا أُومّل بعد آل محـــــرّق[١] تركوا منازلهـــم وبعد ايـــاد
أهل الخَوَرْنَق والسّدير وبــارق والقصر ذو الشرفات من سِنداد [٢]

ومع قيام الدولة الساسانية ٢٢٦م، استمر ضغط موجات الهجرات القبلية على ريف العراق لذا بدأت السلطة الحاكمة الجديدة تشنّ هي الأخرى هجماتها لتأديب القبائل المجاورة لتخوم العراق، خاصة قبائل تنوخ التي رفضت تقديم الولاء والطاعة للساسانيين ولمن كان قبلهم من العجم، مما أدى لوجود هجرة عكسية قامت بها بعض قبائل تنوخ ممن رفضت الانصياع للساسانيين لأنهم ((كرهوا مجاورة العراق على الصَغَار))[٣]. وربما لجأت تنوخ الى الرحيل عن العراق لأنها لم تعتد وجود سلطة مركزية تخضع لها، وهذا ما يدل عليه اتخاذها لنمط البداوة والتنقل دون الاستقرار في المراكز الحضرية التي نزلت قربها، كما أنها أَنِفَت التبعية للعجم وهذا أمر ظهر منذ بداية مجيئها للعراق، فخرج ضجعم بن حماطة بن عوف القضاعي ولبيد بن الحدرجان السليحي في جماعات من سليح وقضاعة الى أطراف الشام حيث نزلوا الى ظرب بن حسان العمليقي الذي أنزلهم مناظر الشام من البلقاء[٤]، وسار عمرو بن مالك التزيدي في تزيد وعشم إبني حلوان بن عمران، وجماعة من علاف وبني جرم الى أطراف الجزيرة الفراتية حيث خالطوا أهلها[٥].

لم يجد من تبقى من القبائل في العراق مفراً من طاعة الفرس، فدان عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي لأردشير الذي أنزله ومن معه من العرب الحيرة حيث ((ابتنوا بها المنازل وسكنوا الجدار))[٦]، وهذه الإشارة الأولى لتحوّل من بقي من تنوخ في العراق من حياة البداوة والعيش في الخيام الى حياة التحضر والعيش في المنازل المسقوفة، الا أن هذا لم يمنع من استمرار بعض القبائل تعيش نمط البداوة والترحال.

إن استمرار ضغط القبائل في حركتها نحو العراق جعل الحاكم الساساني أردشير بن بابك يفكر جديا بالسيطرة على هذه الحركة فتفتّق ذهنه عن فكرة تكوين جدار منيع يقف أمام القبائل فعمد الى تشكيل مملكة عربية تنظّم العلاقة مع من يجاور تخوم العراق من قبائل ضمن شروط تبادل المنافع، ولقد أكد النعمان بن المنذر بعـــد اربعة قرون للقبائل العربية التي وفدت اليه قائلا ((إنما أنا رجل منكم وإن ملكت وعززت بمكانكم و ما يتخوف من ناحيتكم))[٧] و بذلك تأسست مملكة الحيرة في القرن الثالث الميلادي، وكانت تصنّف ضمن الممالك التابعة للامبراطورية الساسانية ويُعدُّ عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث

---

(١) ال محرّق : هم آل امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر ، لقب بذلك لأنه أول من عاقب بالنار. البلاذري ، انساب ، ج١ ، ص٣٤ .

(٢) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص ٣٤ / ياقوت ، ج٣ ، ص٢٦٦ .

(٣) الأصفهاني ، تاريخ ، ص٨٥ / الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤٢ / ابن الأثير ، الكامل ، ج١ ، ص٢٩٦ .

(٤) البكري : معجم ، ج١، ص٢٦-٢٧ (عمر بن شبه) .

(٥) البكري : معجم ، ج١ ، ص ٢٢ / ابن خلدون : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٠٣-٥٠٤ .

(٦) ابو البقاء : المناقب ، ج١، ص١٠٣ / ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٣٣١ .

(٧) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١ ، ص٢٧٣ .

اللخمي[١] مؤسساً للأسرة اللخمية التي حكمت مملكة الحيرة حتى القرن السابع الميلادي، ولعل إسناد مهمة حماية تخوم العراق وتنظيم العلاقات الساسانية مع القبائل لهذه المملكة الناشئة ما هو الا تأكيد على الانتشار الكبير للعرب حول تخوم العراق٠ وتذكر رواية منقولة عن محمد بن اسحاق (ت١٥٢هـ) أن عمراً هو عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر، وأن جده ربيعة بن نصر لما فسّر له الكهان رؤياه بغلبة الأحباش على اليمن والفرس من بعدهم، جهّز بنيه وأهل بيته الى العراق، وكتب الى سابور فأسكنهم الحيرة[٢]٠

الملاحظ على هذه الرواية أنها تفيض بعنصري الخيال والتشويق ويغلب عليها الطابع القصصي، وهي تناقض الفترة الزمنية، ذلك أن رواية هشام بن محمد بن الكلبي (ت٢٠٤هـ) تشير الى نزول عمرو بن عدي الحيرة وبداية تولّيه حكم المملكة الناشئة في عهد أردشير بن بابك حيث يروي أنه ((أول من مجّده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق وإليه ينسبون وهم ملوك آل نصر))[٣]٠

ولقد خَلَف عمرو بن عدي خاله جذيمة الأبرش وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي[٤]، ولقد امتد نفوذه فيما بين الحِيرة والأنبار وهِيت[٥] ونواحيها الى عين التَّمر[٦]، وأطراف البر الى الغُمَير[٧] والقُطْقُطَانَة[٨] وخَفِيَّة وما والاها[٩]، وكان يفرض الأتاوات على من يخضع له من فلاحي السواد، والقبائل العربية الأخرى، ولربما أمتدت سيطرته حتى واحة يبرين وهي من أصقاع البحرين من قرى الاحساء تبعد عن هجر مرحلتان[١٠] ، وذكر رجل من العرب:

أضحى جذيمة في يبرين منزله   قد حاز ما جمعت في عمرها عـــاد[١١]

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج١ ، ص٦٢٧-٦٢٨ (هشام بن محمد) / ابن خلدون ، تاريخ ، ج٣ ،ص٤٩٦ ٠

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٥٣ / الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص١١٢-١١٤ (محمد بن اسحاق) / ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٢ ، ص٧٢ / ابن خلدون ، تاريخ ، ج٣ ، ص١٠٣ ٠

(٣) الأصفهاني ، تاريخ ، ص ٨٥ / الطبري ، تاريخ ، ج١ ، ص٦٢٧ (هشام بن محمد) ٠

(٤) ويعرف باسم جذيمةُ الصباح ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٩٦ ، ولقب بالأبرش والوضاح أي الأبرص لبرص كان فيه ، الا أن العرب هابت أن تسميه به وتنسبه اليه إعظاماً له/ أنظر الطبري، تاريخ، ج١، ص٦١٢ (هشام بن محمد) ٠

(٥) هِيت:مدينة على شاطئ الفرات سميت بذلك لأنها في هوة من الأرض، تقع شمال الأنبار٠ أنظر البكري، معجم، ج٤، ص١٣٥٧/ ياقوت، معجم، ج٥، ص٤٢٠-٤٢١ ٠

(٦) عين التمر: بلدة من الأنبار غربي الكوفة، بالقرب منها موضع يسمى شفاثا ومنها يجلب التمر الى أنحاء البلاد / ياقوت، معجم، ج٤ ، ص٢٢٧ ٠

(٧) الغُمير: موضع بين ذات عرق والبستان، كان يقال له في الجاهلية غمر ذي كندة٠ أنظر ياقوت، معجم، ج٤، ص٢١٣.

(٨) القُطقُطَانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف ٠ ياقوت ، معجم ، ج٤ ، ص٣٦٠ ٠

(٩) خَفيّة : أجمة في سواد الكوفة تقع غرب عين الرُهَيمة ٠ ياقوت ، معجم ، ج٢ ، ص٣٨٠ ٠

(١٠) يذكر ياقوت عدة مواقع أخرى ليبرين فقال هي بأعلى بلاد بني سعد، وقيل أنها من قرى حلب من نواحي عزاز٠ ياقوت، معجم ، ج٥ ، ص٤٢٧ / حمد الجاسر ، المعجم الجغرافي لبلاد العربية السعودية ، ق٣ ، ص١٥٥٢ ٠

(١١) الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ٩٨ / ابو البقاء ، المناقب ، ج١ ، ص١٠٠ ٠

وذُكر أن جذيمة هو أول ملوك العرب في العراق الذين اتخذوا الحيرة منزلاً لحكمهم[١].
ولقد نجحت مملكة الحيرة حتى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي بالسيطرة على عدد كبير من القبائل العربية وتسخيرها لخدمة مصالحها ومصالح الفرس من خلال ما قدمته لشيوخ القبائل من هبات و امتيازات[٢].
ومن القبائل التي تحركت صوب العراق قبل الإسلام قبيلة بكر بن وائل[٣]، التي هجرت مواطنها في هجر بسبب الجفاف والقحط الذي أصابها[٤].
بدأت قبيلة بكر بن وائل توجه أنظارها نحو العراق في مطلع القرن الرابع الميلادي، عندما حصل اضطراب سياسي في فارس إثر وفاة الملك هرمز الثاني، وكان ولي عهده سابور ما يزال صغيرا، فانتهزت قبيلة بكر الفرصة، وبدأت تشنُّ غاراتها على العراق، ونجحت بالنزول في أغدَرة السيدان[٥] وموضع الفِرَاض[٦]، وسكن اللّهازم – وهم من بطونها- وبنو شيبان ثَيْتَل والنِّبَاج[٧]. و وصل بنو عجل وهم من بطون قبيلة بكر الى أطراف بادية الكوفة وبادية البصرة فكانت الشبروم الواقعة في طرف بادية الكوفة من عيونهم، كذلك الهجيرة الواقعة بين الكوفة والبصرة[٨].
ويشير الهمداني الى منازل بكر بأنها تمتد عبر أطراف سواد العراق من الأبلة جنوباً حتى هيت شمالاً[٩].
ويذكر الأخنس بن شهاب التغلبي كثرة بكر في العراق:

وبكر لها برُّ العراق وان تشأ   يحل دونها من اليمامة حاجب[١٠]

---

(١) الأصفهاني، تاريخ، ص٨٥ / ابن الاثير، الكامل، ج١، ص٢٦٢، ٢٦٩-٢٧٠/ الدواداري، كنز الدرر، ج٢، ص ٣٤٦ .
(٢) ابو عبيدة ، النقائض ، ج١ ، ص٢٣٠ / ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٦١ / ابو البقاء ، المناقب ، ج٢ ، ص٤٣٢-٤٣٣ .
(٣) هي بكر بن وائل بن أفصى بن دعمي بن جديلة من ربيعة . انظر الكلبي ، نسب معد ، ج١ ، ص١٨ / المبرد ، نسب عدنان، ص١٥/ ابن عبد البر، أنباه الرواة، ص٨٦-٨٧ / انظر أيضا الطبري، تاريخ، ج٢، ص٥٧ / المقدسي، البدء، ج٣، ص١٦٠ .
(٤) البكري ، معجم ، ج١ ، ص٨٥-٨٦ / Caskel, Baker, B. Wa,il , vol.1. P.963 / نزار الحديثي : " العراق عند مجيء الإسلام " ، بحث في كتاب حضارة العراق ، ج٥ ، ص١٠ .
(٥) أغدرة السيدان: تقع وراء كاظمة على الطريق ما بين البصرة والبحرين، وتقارب جانب البحر. أنظر ياقوت، معجم، ج١، ص٢٢٣ .
(٦) الفراض: موضع بين البصرة واليمامة قرب فليج وهو وادي في بادية البصرة يعد من ديار بكر. ياقوت، معجم، ج٤، ص١٤٣ .
(٧) قال ابو عبيدة أنهما موضعان متقاربان بينهما دوح ينزلهما اللهازم وهم بنو قيس وتيم الله ابني ثعلبة ، وعجل وعنزه وهما موضعان بالبصرة . أنظر ابو عبيدة ، النقائض ، ج٢ ، ص٣٧٨ / البكري ، معجم ، ج٤ ، ص١٢٩١ .
(٨) وكان بنو عجل نصارى ، الطبري ، تاريخ ، ج٣ ، ص٣٥٥ / ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٤١ / القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص٣٥١ / عمر كحاله ، معجم ، ج٢ ، ص٧٥٧ .
(٩) الهمداني ، صفة ، ص ٣١٩ .
(١٠) الهمداني ، صفة ، ص٣٦٨ .

ومما يدل على تزايد نفوذ بكر بن وائل في العراق في نهاية القرن الخامس الميلادي قيام الملك قباذ بن فيروز (٤٨٨-٤٩٦/ ٤٩٨-٥٣١م) بمنح حكم الحيرة الى الحارث بن عمرو الكندي لقاء تصديه لغارات قبيلة بكـــر[١]. ورغم ذلك تزايدت أعداد بكر في بادية الكوفة[٢] ولعل ما يشعر بقوة القبيلة أنذاك هو هزيمتها للفرس في وقعة ذي قار[٣]، وكان على أثر ذلك أن ازدادت غارات القبائل العربية على الريف بعدما أحست بنفسها القوة على مجابهة العجم وحتى هزيمتهم، وبذلك انتشرت قبيلة بكر عشية الفتح الإسلامي في جنوب شرق الحيرة وحتى بادية البصرة، وكان لها سوق تجاري قرب الأنبار[٤].

ولقد تركزت سَدَوس حول البصرة، اما بنو عجل فنزلوا السماوة، بينما نزل بنو شيبان ما بين السماوة والمذار الى الحيرة، أما بنو حنظلة فانتشروا في الأهواز[٥].

و وصف المثنى بن حارثة الشيباني – أحد قادة الفتح الاسلامي من أهل العراق – منازل قبيلة بكر للرسول (ص) فذكر أنها تمتد عبر ((اليمامة وأرض العرب وطفوف الريف وأنهار كسرى وبلاد فارس))[٦].

وكانت قبيلة تميم بن مرّ قد انتشرت بشكل واسع في بادية البصرة[٧]، ولقد كانت أساساً تسكن مع ابناء عمومتهم من ضبّة وعُكَل في بلاد نجد[٨]، ثم انتقلت الى اليمامة وهجر ونزلت ما بين وادي الباطن في البحرين واليمامة و واحة يبرين – الواقعـــة في جهات البحرين- جنوباً الى غرب الفرات بموازاة الحيرة شمالاً[٩]. لقد بدأ اتصال قبيلة تميم بالعراق منذ القرن السادس الميلادي عندما كانت تشنّ غارات السلب والنهب على السواد مما اضطر المنذر الثالث لاسترضائهم بأن منحهم حق الردافة مقابل وقف غاراتهم[١٠].

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٩٦ / الأصفهاني ، تاريخ ، ص٥١ / المقدسي : البدء ، ج٣ ، ص٢٠٢ .

(٢) ومن أشهر منازلها سنداد وذي قار . انظر ياقوت ، معجم ، ج٢ ، ص٢٩٣ / الزمخشري : الأمكنة والمياه ، ص٧٩ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ ، ج١ ، ص٢٦٣ / الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص١٩٣ / المقدسي : البدء ، ج٣ ، ص٢٠٥-٢٠٦ .

(٤) ويسمى سوق الخنافس . انظر الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٧٣ / ياقوت ، معجم ، ج٢ ، ص٣٩١ .

(٥) الطبري، تاريخ، ج٢، ص٥٧/ صالح العلي، امتداد العرب، ص١٧/ نزار الحديثي: " العراق عند مجيء الإسلام "، بحث في كتاب حضارة العراق ، ج٥ ، ص١٠ .

(٦) ابو البقاء ، المناقب ، ج٢ ، ص٤٢١ .

(٧) ابو عبيدة، النقائض، ج١، ص٢١٠/ الاصطخري، مسالك، ص٢١/ الأقاليم، ص١٥/ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٩ .

(٨) تنسب تميم الى مرّ بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر العدنانية ، وتنسب ضبه الى أد بن طابخة بن الياس، وتنسب عكل الى عبد مناة بن أد بن طابخة، انظر ابن قتيبة، المعارف، ص٤٤/ اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص٢٧٨/ ابن عبد البر، انباه الرواه، ص ٦-٧ .

(٩) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٢٠٧ / البكري ، معجم ، ج١ ، ص٨٨ / القلقشندي ، نهاية ، ص ١٨٨ .
Dellavida, Tamim, EI[1]. Vol IV. P.644

(١٠) الردافة هي أن يجلس الملك فيكون الردف عن يمينه ، وأن ينوب الردف مكان الملك ان خرج للغزو ، وكان من حقه المرباع وأتاوة يأخذها من ارجاء المملكة. أنظر ابو عبيدة: النقائض، ج١، ص٢٣٠-٢٣٢ / ابن قتيبة، المعارف، ص٣٦١ . البلاذري، أنساب، ج١٢، ص١٥٢، ١٥٤ .

ولقد انتشرت قبيلة تميم على مساحة واسعة في بادية الكوفة حيث نزل من بطونها بنو يربوع في وادي العذيب[١]، ومن أهم منازلهم الحزن الذي عرف بحزن بني يربوع[٢]، حيث تولوا خفارة القوافل التجارية المارّة بأراضيهم. وفي القرن السابع الميلادي تزايدت اعداد بني تميم فبدأت الصراعات تنشب بينها وبين جيرانها من قبيلة بكر بن وائل وذلك من أجل الفوز بأخصب المراعي[٣]، حتى اضطر بنو تميم لاستئذان كسرى فارس بدخولهم السواد بشرط عدم اعتدائهم على الفلاحين[٤].

كما سكنت أسد بن ربيعة بن نزار بادية الكوفة[٥]، ومن بطونها عنزة التي نزلت عين التمر[٦].

وتحركت قبيلة عبد القيس بن أفصى بن دعمي من جديلة بن اسد نحوالعراق في القرن السادس الميلادي، ثم بدأت تتجه نحو أرض فارس[٧]، أما أخوانهم النمر بن قاسط فلقد خرجوا من اليمامة ومعهم قبيلة تغلب ونزلوا ما بين الأنبار وعين التمر[٨]، واتجهوا ايضا نحو الجزيرة الفراتية، فنزلوا حول تكريت وهيت[٩]، ولقد اشارت روايات الفتح أن المثنى أغار على احياء من النمر وتغلب في صفين بشاطئ الفرات[١٠].

وهاجرت جماعات من قبائل كلب وقضاعة الى العراق في عهد ملوك الطوائف[١١]، حيث يشار الى أن اردشير بن بابك أغار عليهما في منطقة تكريت والأنبار، و ورد ذكرهما في فترة الفتح قرب هيت وشمال الأنبار[١٢].

ومع ذلك لم تتسم العلاقات بين هاتين القبيلتين والدولة الساسانية بنفس القدر من العدائية التي اتسمت بها علاقات الدولة الساسانية مع بكر واياد وتميم وربما يرجع سبب ذلك الى قرب هذه القبائل من مناطق الجزيرة الفراتية اكثر من قربها لأرض سواد العراق، كما أن مواطنها هناك كانت تكفي احتياجات هذه القبائل، فلم تضطر الى مهاجمة الريف، وربما ان اعداد من استقر من هذه القبائل في تلك النواحي كان محدوداً[١٣].

---

(١) ابن دريد : الاشتقاق ، ص٢٢٤ / القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص١٨٨ .

(٢) الحزن: هو طريق بين المدينة وخيبر وهو يقع غرب فيد من جهة ويعتبر من أجلّ مرابع العرب، البكري، معجم، ج٢، ص٤٤٢ / ياقوت ، معجم ، ج٢ ، ص٢٥٤ .

(٣) ابو عبيدة ، النقائض ، ج٢ ، ص٦٣٠ / ج٣ ، ص١٠٩٦-١٠٩٧ / أيام العرب ، ج٢ ، ص٤٢٩ ، ٤٣٨ ، ٤٤٥ .

(٤) ابو عبيدة ، النقائض ، ج٢ ، ص٦٣٠-٦٣١ / البلاذري ، أنساب ، ج١٢ ، ص٢١ .

(٥) الهمداني ، صفة ، ص ٢٣١ / السويدي ، سبائك ، ص ٢٢٢-٢٢٣ .

(٦) الهمداني : صفه ، ص ٢٣٦ / ياقوت ، معجم ، ج٤ ، ص ٢٢٧ .

(٧) W. Caskel, Abd-Al Kays, EI[1]. Vol. 1. P.7

(٨) الطبري ، تاريخ ، ج٣ ، ص٤٧٥ / البكري ، معجم ، ج٢ ، ص٣١٩ / الحميري ، الروض ، ص٤٢٣ .

(٩) البلاذري : فتوح ، ص ٢٤٩-٢٥٠ / الطبري ، تاريخ ، ج٣ ، ص ٤٧٥ .

(١٠) نصر بن مزاحم ، صفين ، ص١٤٦ / البلاذري ، فتوح ، ص ٢٤٩ .

(١١) الطبري ، تاريخ ، ج١ ، ص ٦٠٩ ، ٦١٢ (هشام بن محمد) / الاصفهاني ، تاريخ ، ص ٨٣ .

(١٢) الطبري ، تاريخ ، ج١ ، ص ٥٦٧ (هشام بن محمد) ج٣ ، ص٣٧٨ / الهمداني ، صفة الجزيرة ، ص ١٣٢ / ابن الاثير ، الكامل ، ج١ ، ص٢٦٢ .

(١٣) جمال جودة ، العرب والأرض ، ص ٦٩ .

وما أن ابتدأت عمليات الفتح العربي الإسلامي للعراق حتى كانت القبائل العربية قد تأصلت جذورها القوية في أرض السواد وباديته، فاستقرت بعض القبائل في القرى الزراعية والمدن المجاورة حول العراق وفي أعمال الجزيرة الفراتية، وبقي بعضها يتنقل في أطراف بوادي العراق.

كما سكن الحيرة مجموعة من القبائل العربية من الأصول القحطانية (اليمانية) والعدنانية (الشمالية) واختلطت هذه القبائل بمن يفد عليها من النبط الذين يلتجئون الى الحيرة بسبب أحداث ارتكبوها، حتى لقد شابت لهجة العرب هناك رطانة نبطية[١]، كما وجدت اقلية من الفرس في الحيرة.

تقسم القبائل العربية في الحيرة الى ثلاث فئات: عرب الضاحية وهم سكان المظال وبيوت الشعر والأخبية الذين لم يسكنوا بيوت المدر في الحيرة[٢]، وهم من قبائل تنوخ وكانوا ينزلون ما بين الحيرة والأنبار والفئة الثانية هي العباد وهؤلاء سكنوا الحيرة، وابتنوا بها، ولقد اختلف في أصل تسميتهم فقيل أن جماعة منهم وفدوا الى كسرى فارس، وكانت اسماء الوافدين تبدأ بكلمة عبد، فقال لهم كسرى((أنتم عبّاد كلكم))[٣]. وقيل أن سابور ذو الأكتاف (٣١٠-٣٧٩م) لما أراد قتالهم، اتخذوا شعاراً لهم: يا آل عبّاد وكانوا يقولون:

نحن العبّاد وربنا الرحمن   وله علينا الطوع والإذعان [٤]

والعبّاد هم قبائل شتّى تجمعها وحدة الدين، اذ كانوا يعتنقون الديانة المسيحية النسطورية وتجمعهم وحدة المكان الذي استقروا فيه لذا عرف نصارى عرب الحيرة بالعبّاد دون غيرهم من نصارى العرب[٥]. والى العبّاد ينتسب عدد من الأسر العربية كأسرة عدي بن زيد العبادي وهي من تميم، و بنو مرينا اللخميين[٦]، وقيل أنهم ينسبون الى جُعفى، وكانت ديارهم بين دير هند[٧] والكوفة[٨]، ومن البيوت الكبيرة في الحيرة

---

(١) جواد علي ، المفصّل ، ج٣ ، ص ١٦٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج١ ، ص ٦١٢ / أبو البقاء ، المناقب ، ج١ ، ص٩٥ / ابن خلدون ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٤٢ / جواد علي، المفصّل، ج٣ ، ص ١٦٦ .

(٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ١٢٣-١٢٤ / الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص٧٧ / البكري : معجم ، ج١ ، ص٢٥ / ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٣٣١ / جواد علي ، المفصّل ، ج٣ ، ص١٧٠ .

(٤) البكري ، معجم ، ج١ ، ص٢٥ / ابو البقاء : المناقب ، ج١، ص١٠٨ / ابن خلدون ، تاريخ ، ج٣ ، ص٥٠٤ .

(٥) وفي ذلك قال ابو البقاء ((وأهل الحيرة بأسرهم يعرفون بالعباد غلب هذا الاسم عليهم حتى صار كالنسب لهم واقتنعوا به عن الانتساب الى عشائرهم وعرفت به أعقابهم بعدهم في الإسلام)) ، المناقب ، ج١ ، ص١٠٧ .

(٦) اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص٢٦٠ / الأصفهاني ، الأغاني ، ج٢ ، ص٢١ / ج٨ ، ص٦٢ .

(٧) يقصد به دير هند الكبرى وينسب الى هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي وهي ام عمرو بن هند ، وبني الدير في عهد كسرى خسرو أنو شروان ويقع على طرف النجف وتذكر الروايات أن رهطاً من بني آكل المرار قتلوا عنده في عهد المنذر وفيهم يقول امرئ القيس :

ملوك من بني حجر بن عمرو   يساقون العشية يقتلونـــــا
ولو في معركة اصيبـــــوا   ولكن في ديار بني مرينا

انظر ابو البقاء ، المناقب ، ج١ ، ص١١٠ / ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٥٤٢ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج١ ، ص٣٣٧ / يوسف رزق الله غنيمة ، الحيرة ، ص ١٧.

بيت بقيله العباديين من الأزد الذي ينسب اليهم قصر بني بقيله في الحيرة[١]، وبنو زمّان بن تيم الله الازديين٠كما يذكر العدسيون وهم من قبيلة كلب ينسبون الى أمهم عدسة بنت مالك بن عوف الكلبي ، ولهم قصر بطرف الحيرة يعرف بقصر العدسيين[٢].

ويذكر البلاذري أن جماعات من بني كلب سكنوا في دومة الحيرة منذ أيام النبي عليه السلام[٣]. وينسب للعباديين بناء العديد من الأديرة داخل الحيرة وما حولها[٤].

ويشير ابو البقاء الى أن عمراً بن امرئ القيس لما ملك الحيرة، أدخل في العبّاد أهل البيوتات من ربيعة ومضر وإياد لم يكونوا منهم من قبل[٥]، مما يؤكد أن العبّاد من قبائل عربية مختلفة.

أما الفئة الثالثة في الحيرة فهم الأحلاف وهم أفراد وجماعات من قبائل شتّى في الجزيرة العربية التحقوا بالحيرة على فترات وعاشوا بها، عنهم يقول الطبري: ((وكان ناس من العرب يُحدثون في قومهم الأحداث او تضيق بهم المعيشة فيخرجون الى ريف العراق وينزلون الحيرة))[٦].

وقيل أنهم بلغوا أربعة عشر حيّاً عرف منهم بنو لحيان من بني الحارث بن كعب، وقوم من غسان، وقوم من عبد القيس، ومن الأوس بن عمرو، وبنو حية من طيء رهط إياس بن قبيصة[٧].

والأحلاف بالأصل لا ينتمون لقبيلة بعينها ولا لتنوخ ولا للعباد، وسموا بالأحلاف لأنهم حالفوا العباد ودخلوا معهم في أمرهم[٨].

وأخيراً يمكن القول أن الحيرة سُكنت من قِبل قبائل عديدة من مذحج، حِمْيَر، طيء، كَلْب[٩]، جُعفى، الأزد، لَخم، غسان، كندة، الحارث بن كعب، سليم، وحلف قبائل تنوخ[١٠].

ويتضح أن معظم هذه القبائل يمانية وهذا ما أشار له أحد زعماء الحيرة عندما فتحها خالد بن الوليد:

تقسّمنا القبائل من معد   علانية كأيسار الجزور[١١]

---

(١) ابن حزم ، جمهرة أنساب ، ص ٣٧٤ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٤٥ .

(٣) البلاذري، فتوح، ص٢٤٥. تقع دومة الحيرة قريبا من الكوفة بناها اكيدر صاحب دومة الجندل / ياقوت، ج٢، ص٤٨٦.

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤٣ / Buhl, Al-Hira, EI^2. Vol.II, P.314 .

(٥) ابو البقاء ، المناقب ، ج١ ، ص ١١١ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤٣ / الاصفهاني ، الأغاني ، ج٢ ، ص١٨ / الاصفهاني : تاريخ ، ص٨٦ .

(٧) ابو البقاء ، المناقب ، ج١ ، ص١١١ .

(٨) ابو البقاء ، المناقب ، ج١ ، ص١١٠ .

(٩) ابو عبيد، الأموال، ص ١٠١ / اليعقوبي، البلدان، ص٦٩ / الطبري، تاريخ، ج١، ص٥٦٧/ ياقوت: معجم، ج٢، ص٣٢٩-٣٣٠ .

(١٠) البلاذري: فتوح، ص٢٤٤ / الطبري: ج١، ص٥٦٧، ٦١٢ / المقدسي: البدء، ج٣، ص١٩٦ / ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٥٣١ .

(١١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٦٢ / السجستاني ، المعمرون، ص ٤٨.

وتشير روايات الفتح أن من سكن الحيرة من العرب ((هم أخلاط من أفناء العرب من تميم وطيء وغسان وتنوخ وغيرهم))[١]. وانتشرت العديد من القبائل العربية في مواطن أخرى غير الحيرة مثل عين التمر، حيث يتبيّن من أسماء الأسرى الذين وقعوا بيد المسلمين عند الفتح وجود العرب فيها[٢]. ومن أشهر القبائل هناك قبيلة النمر بن قاسط التي كان يقودها آنذاك هلال بن عقّة بن قيس الذي حارب لجانب الفرس، وتذكر الروايات أنه قاد افراداً من النمر وتغلب وإياد ممن يعيشون في عين التمر وأعالي الفرات[٣].

وفي جنوب العراق ظهرت بنو عجل حول الأُبلّة وبعضهم امتد نحو الحيرة[٤]، أما بطون بكر الأخرى فاستقرت حول الأنبار في الشمال وامتدت جنوباً في البادية حتى كاظمة[٥]، وبذلك امتدت القبائل العربية ضمن قوس منطقة غرب الفرات ولعل هذا الوجود هو الذي جعل ابن الكلبي يرى أن العراق العربي هو منطقة غرب الفرات[٦].

ب - العلاقات بين الدولة الساسانية والقبائل العربية القادمة الى العراق:

قامت الدولة الساسانية عام ٢٢٦م على يد أردشير بن بابك بن ساسان الذي نجح في توحيد فارس ومدّ نفوذه الى العراق وما يجاورها من أراضي الجزيرة الفراتية، وذلك بعد قضائه على ملوك الطوائف، فأقام امبراطورية فارسية جديدة تحكمها أسرة توارثت العرش حتى مقتل يزدجرد بن شهريار في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - سنة ٣١هـ/٦٥٣م[٧].

وقد أراد أردشير بن بابك ومنذ بداية حكمه للعراق (٢٢٦-٢٤١م) اخضاع القبائل العربية التي كانت تجوب تخوم العراق، وتشن الغارات على ريف السواد بين الحين والآخر، لذا بدأ بشن حملاته العسكرية على منازل تلك القبائل، فخافه العرب[٨].

ولعل هذه المعاملة التي استهل بها أردشير عهد دولته الجديدة بها قد أضفت نوعاً من العلاقات العدائية التي ستظهر معالمها تباعاً بين الفرس والعرب، ويمكن البحث في طبيعة العلاقات بين الدولة الساسانية والقبائل العربية من خلال حالتي العداء والسلم بينهما، ونبدأ اولاً بالعلاقات العدائية:

---

(١) ابو عبيد: الأموال، ص ١٠١ / البلاذري: فتوح، ص٢٤٤ / الطبري: تاريخ، ج١، ص٥٦٧، ٦١٢ / ابن خلدون: تاريخ، ج٣ ، ص٥٣١ .

(٢) البلاذري : فتوح ، ص٢٤٨ / الطبري : تاريخ ، ج٣، ص٣٧٦-٣٧٧ / ابن الاثير : الكامل ، ج٢، ص٢٤٦ .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٧٦-٣٧٧ .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٥٥ / Donner, The Arab Tribes, P.85 .

(٥) البلاذري : فتوح ، ص ٢٤٧-٢٤٨ / الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص٥٧ / التنوخي : المستجاد ، ص٧٠ .

(٦) البكري : معجم ما استعجم ، ج١ ، ص٦ .

(٧) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص٤٢ / الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٩٣ / المسعودي : التنبيه ، ص٨٤ .

(٨) الطبري : تاريخ ، ج٢، ص٤٢ / الأصفهاني : تاريخ سني ، ص٨٥ / ابن الاثير ، الكامل ، ج١ ، ص٢٩٦ .

لقد حاولت الدولة الساسانية ومنذ عهد أردشير بن بابك (٢٢٦-٢٤١م) التقليل من خطورة هجمات القبائل العربية ومحاولاتها المستمرة لاختراق ريف العراق، وتهديد الأراضي الزراعية والفلاحين. فبدأت ببناء المسالح في المشارف المؤدية لريف العراق لأجل مراقبة تحركات القبائل، ولقد مثّلت هذه المسالح خطوطاً أمامية للدفاع، حيث وضعت فيها القوات العسكرية التي خصصت لها بعض الأراضي الخصبة لتزرعها وتعتاش منها دون أن تدفع الخراج(١).

ولقد أقيمت سلسلة من المسالح على أطراف بادية العراق المتصلة مع البادية العربية الممتدة من هيت وحتى الأبلّة ومن أهم هذه المسالح: في عيون الطَّف(٢) والقادسية(٣) والعُذَيب(٤) وعين التَّمر(٥) والأبلّه والخُريبة(٦) وبَانقيا وألّيس والحِيرة(٧) والأنبار(٨)، ولقد زُوّدت هذه المسالح بمخازن للأسلحة وأهراء للطعام، وحفرت لها آبار المياه(٩).

كما بنيت عدد من الخنادق ولعل أبرز ما تذكره المصادر هو خندق سابور الذي قيل أن سابـــور ذو الاكتاف (٣١٠-٣٧٩م) بناه وهو يبدأ من هيت ويمر عبر عيون الطف وينتهي في نواحي كاظمة(١٠).

وكان الهدف من بنائه للحيلولة دون اختراق القبائل العربية لريف العراق، و في عهد كسرى أنو شـــــروان (٥٣١-٥٧٩م) ((بلغه أن طوائف من الأعراب يغيرون على ما قرب من السواد الى البادية فأمر بتجديد سور مدينة تعرف بآلس كان سابور ذو الأكتاف بناها و جعلها مسلحة لحفظ ما قرب من البادية))(١١). وأتخذت في الصحراء عدد من الحصون والمناظر كانت بمثابة ابراج للمراقبة كما هو في الوقت الحاضر مثل: حصن مهيب، منظرة بخطيرة، منظرة حديثة، ومناظر أخرى في الأنبار ودير الجماجم والقادسية(١٢).

---

(١) البلاذري، فتوح، ص٢٩٦ / الطبري: تاريخ، ج٣، ص٤٧٨ / ابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص٨٤ / جواد علي: المفصل، ج٢، ص٦٢٨ .

(٢) البلاذري : فتوح ، ص٢٤٥ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٧٨ .

(٣) البكري : معجم ، ج١ ، ص٢٢٣ .

(٤) ابو يوسف : الخراج ، ص ١٤٢ / المقدسي : البدء ، ج٣، ص٩٠ / ياقوت : معجم ، ج٤، ص٩٢ .

(٥) ابو يوسف : الخراج ، ص ١٤٥ .

(٦) البلاذري : فتوح ، ص ٢٩٦ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٤ (الشعبي) / ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٣٦٣ .

(٧) ابو يوسف : الخراج ، ص١٤٢ ، ١٤٥ / البلاذري : فتوح ، ص ٢٤٤-٢٤٥ .

(٨) ابن سعيد المغربي : الجغرافية ، ص١٥٦ .

(٩) جواد علي : المفصل ، ج٢ ، ص٦٤٧-٦٤٨ .

(١٠) ابن قتيبة: المعارف، ص٣٦٥ / البلاذري: فتوح، ص٢٩٦ / ابن رسته: الاعلاق، ص١٠٠، البكري: معجم، ج٣ ، ص٩١٤ / المقدسي: البدء، ج٣، ص٩٠ / كاظم الجنابي: تخطيط مدينة الكوفة، ص١٦٣ / يوسف غنيمة: الحيرة والمدينة، ص٩ .

(١١) البلاذري: فتوح، ص٢٩٦ / ابن الفقيه: البلدان، ص٣٨٨ / ابن رسته: الاعلاق، ص١٠٠، ياقوت، معجم، ج٢، ص٣٩٢ .

(١٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٢ ، ص٨٤ / ابن سعيد المغربي : الجغرافية ، ص١٥٦ .

و وصف ابن الجوزي أثر هذه الإجراءات بقوله ((فكان من أراد من العرب أن يدخل الى ملك فارس لقضاء حاجته لا يخرج الا من الحصن الذي دخل فيه فيعرض نفسه على صاحب الحصن فيكسر الختم الذي في يده ويعلم على اسمه ثم يخرج الى البادية، فاستقامت بذلك مملكة فارس وحفظت من العرب))[١].

ورغم ذلك استمرت القبائل العربية تغير على سواد العراق، لذا نسمع أحياناً عن إسناد مهمة صد غارات القبائل العربية لقبائل عربية أخرى توالي الفرس ، لقاء إتاوات تدفع لشيوخها. ومثال هذا تبنّي الدولة الساسانية إنشاء إمارة عربية موالية لها في الحيرة يحكمها بنو لخم.

لقد نشأت مملكة الحيرة في عهد أردشير بن بابك في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي وكان عمرو ابن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم مؤسساً لمملكة اللخميين في الحيرة ، وعنه يقول حمزة الأصفهاني ((هو أول من أتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب، وأول من مجّده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق واليه ينسبون وهم ملوك آل نصر))[٢].

ولقد كانت الغايات من انشاء هذه المملكة تصب في صالح الأمبراطورية الفارسية، فلقد اتخذت من مملكة الحيرة حاجزاً يصد هجمات القبائل العربية التي تحاول اختراق السواد والعبث فيه، وأكد المسعودي على أن سبب تكوين هذه المملكة هو ((ليكفوا بهم من يليهم من بوادي العرب))[٣].

ومن أجل ضمان ولاء اللخميين للفرس منح الفرس لقب ملك العرب لرئيسهم وجعلوه ملكاً على الحيرة وما حولها في تخوم العراق.

كانت العلاقات الساسانية العربية تتخذ أبعاداً مختلفة وانقسم العرب بهذا الشأن لأقسام، فقد وجد من يدين للفرس ويدفع لهم الاتاوات، خاصة عندما يصيب القحط منازلهم، فتخرج القبيلة تطلب الإذن لدخول الريف ليعتاشوا فيه فترة من الزمن، ومقابل ذلك يقدمون الولاء والطاعة للسلطة الحاكمة، كما وجد العرب اللقاح وهم الذين لا يدينون ولا يواثقون الفرس ولا صنائعهم من ملوك الحيرة، ومثال ذلك أسد بن خزيمة وغطفان بن سعد اللتان سمّيتا بالحليفتين، واستمروا لقاحاً حتى أواخر حكم النعمان الأصغر الذي قال للنابغة الذبياني ((قد كان لك في قومك ممتنع و حصن، ولم يأتِ الملوك أحد منهم الا نفر معد و دون من وافد او مهادن او تاجر او ذي حلة أو مصاهر كسنان بن ابي حارثة، والنابغة الشاعر و حذيفة بن بدر))[٤].

لقد ظهرت نتائج الضغط القبلي على العراق جليّة في القرن الرابع الميلادي، فلقد تميزت هذه الفترة بصور عديدة للعلاقات العدائية، وإحدى هذه الصور مجموعة من الحروب والمعارك التي يشنها أحد الأطراف على الآخر، ثم يأتي دور الطرف الآخر في أخذ ثأره.

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٢ ، ص٨٤ .

(٢) حمزة الأصفهاني : تاريخ ، ص٨٥ .

(٣) المسعودي: التنبيه، ص١٥٨ / أنظر الطبري: تاريخ، ج١، ص٦٢٨ / جواد علي: المفصل، ج٢، ص٦٣٠-٦٣١ / Donner, The Early Arab Conquests. P.171

(٤) ابو البقاء : المناقب ، ج٢ ، ص٣٧٠ .

وتروي المصادر عن إنتهاز بعض القبائل فرصة وفاة كسرى هرمز بن نرسي، وكان وقتها ولي عهده سابور ما يزال صغيراً، وكانت أمور الدولة تسيّرها اهواء ومصالح الوزراء والعظماء، فطمعت بعض القبائل التي كانت تعاني شظف العيش وسوء الحال ((فورد جمع عظيم من الأعراب من ناحية البحرين وكاظمة الى أبرشهر وسواحل أردشيرخّرة فشنوا بها الغارة وأتى بعض ملوك غسان على الجزيرة في جموع عظيمة حتى أغاروا على السواد))(١).

ولكن هذا الوضع سرعان ما تغير عندما امتلك سابور زمام السلطة وأصبح من القوة بمكان أن أُعتبر رمزاً لصدّ القبائل العربية عن حدود دولته فقد استعان بقبائل عربية أخرى مؤيدة له لمحاربة القبائل المتمردة والمفسدة في السواد، وذلك لأن الجيش الفارسي جيش نظامي كبير لا يمكنه التوغل بسهولة في أعماق الصحراء فهم لا يعرفون مداخلها ومخارجها كما يعرفها سادتها من العرب(٢). وتحدد الروايات المسار الذي أتخذه سابور بن هرمز (٣١٠-٣٧٩م) والذي تلقّبه سابور ذي الاكتاف، في حروبه ضد العرب، فابتدأ بمن نزل منهم في أبر شهر وأسياف فارس وسواحل أردشيرخرّة ، فقتل العديد منهم وطرد الآخرين ، ثم قطع بحر فارس باتجاه الخط حيث هاجم من بالبحرين وهجر من عرب تميم وبكر وعبد القيس، ثم توجه الى اليمامة وأكثر في أهلها القتل، وغوّر مياههم(٣). ويروي الثعالبي أن سابور قتل في حروبه تلك مائة وخمسين الفاً من العرب من سائر منازلهم ما عدا اليمن لموالاة ملوكها اياه، ورغم أن هذا يحمل شيئا من المبالغة، الا أنه يدل على مدى الطابع العنيف الذي تميّزت به حملات سابور على العرب حتى أنهم لقّبوه سابور ذو الاكتاف لأنه ((كان ينقب اكتافهم فيجمع بين كتفي الرجل منهم بحلقة ويسببه فسمته الفرس بهذا الاسم وسمّته العرب ذا الأكتاف))(٤).

ولقد حاولت بعض القبائل العربية الانتقام من سابور فانضم العديد منهم لجيوش الامبراطور البيزنطي لليانوس الذي حارب سابور وتمكن من احتلال طيسفون فترة من الزمن قبل أن يحررها سابور(٥). ولقد اصطدم سابور مع قبيلة إياد، فشنّ عليها غارات عنيفة في منازلها بالعراق والبحرين والجزيرة الفراتية(٦).

---

(١) ابن قتيبة: المعارف، ص٣٦٥ / الدينوري: الاخبار، ص٤٨ / الثعالبي: تاريخ، ص٥١٤، ٥١٧ / ابن الاثير: الكامل، ج١، ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص ٥٦-٥٧ / جواد علي : المفصل ، ج٢ ، ص٦٤٠ .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص٥٥-٥٧ / المسعودي : مروج ، ج١ ، ص٢٦٤ / الثعالبي : تاريخ ، ص٥١٩-٥٢٠ / ابن الجوزي: المنتظم، ج٢، ص٨٤، ٨٧ / ابن الاثير: الكامل، ج١، ص٣٠٢ / ابو الفداء: المختصر، ج١، ص٨٣ / ابن الوردي: تاريخ ، ج١ ، ص٤١ .

(٤) البلاذري: انساب، ج١، ص٣٤ / الطبري، تاريخ، ج٢، ص٦٠ / الأصفهاني: تاريخ، ص٤٧ / الدواداري: كنز الدرر، ج٢، ص٢٨١ .

(٥) تبالغ الروايات في ذكر عدد القبائل التي انضمت للبيزنطيين اذ يرد أنهم كانوا ١٧٠٠٠٠ر مقاتل عربي . انظر الطبري: تاريخ ، ج٢ ، ص٥٨-٥٩ .

(٦) الثعالبي : تاريخ ، ص٥١٤ / ابن الاثير : الكامل ، ج١ ، ص٣٠١-٣٠٢ .

وذلك عقاباً لها على غاراتها على المسالح الفارسية في بادية الكوفة[١]. ولقد كانت تصيّف بالجزيرة وتشتو بالعراق، وتشير المصادر الى أن لقيط بن يعمر بن خارجه الإيادي حاول إنذار قبيلته قبيل خروج سابور، فكتب لهم شعراً قال فيه[٢]:

سلام في الصحيفة من لقيط   الى من بالجزيرة من إيـــاد
بأن الليث آتيكم دليفـــــا   فلا يحسبكم سوق النقـــاد
اتاكم منهم سبعون الفـــا   يجرّون الكتائب كالجـــراد
على خيل ستأتيكم فهـــذا   اوأن هلاككم كهلاك عـــاد

الا أن اياداً لم تعبأ بهذا الانذار، وتمكن سابور من الظفر بهم، ويشكك جواد علي بالزمن الذي قيل فيه هذا الشعر، ويرى أن لقيطاً عاش في فترة القرن السادس الميلادي في عهد كسرى أنو شروان وأن كسرى أنو شروان هو من حارب إياداً، ورغم هذا التشكيك فلا بد من القول أن كسرى أنو شروان حارب إياداً ايضاً، ذلك لأنها كانت قد بدأت بالتجمّع ما بين عين التمر والأنبار، في عهد قباذ بن فيروز، فقد روى عمر بن شبه ((وكثر من بعين أباغ منهم حتى صاروا كالليل كثرة))[٣].

لذلك لما تولى كسرى أنو شروان الحكم أرسل كتيبة عربية من قبيلة بكر بن وائل تساندها كتيبة من الفرس لحرب إياد، وقام بنفيهم الى قرية الحُرْجِيَة[٤]، ثم شن غارات أخرى عليهم حتى اضطروا الى الخروج الى أطراف الشام وحمص وأرض الروم[٥].

ورغم ذلك لا نستطيع أن ننفي تلك الاستراتيجية العسكرية العنيفة التي اتسمت بها سياسة سابور ذو الأكتاف تجاه العرب، وكما ذكرت المصادر سابقاً أن غارات اياد في عهده على السواد كانت تستدعي الرد عليها وتفريق القبيلة بعيداً عن تخوم العراق. وهناك رواية تصف الذي حصل لقبيلة اياد أنه كان في عهد كسرى بن هرمز، حيث تذكر أن كسرى بن هرمز أمر لقيطاً بن يعمر الإيادي، وكان محبوساً لديه أن يكتب لقومه في سنداد ليقبلوا الى قومهم فيتجمعـــوا، وبذا يسهل على كسرى إبادتهم في مكان واحد ومرة واحدة، فكتب لقيط لقومه[٦]:-

أبلغ اياداً وخلل في سراتهـــم   أني أرى الرأي ان لم أُعصَ قد يضعا
يا لهف نفسي اذا كانت أموركم   شتى وأحكم أمـــر الناس فاجتمعــــا

---

(١) البلاذري : أنساب ، ج١ ، ص٣٣/ البكري : معجم ، ج١ ، ص٧٠-٧١ .

(٢) المسعودي : مروج ، ج١ ، ص٢٦٢ / البكري : معجم ، ج١ ، ص٧٢ / ابن الاثير ، الكامل ، ج١ ، ص٣٠٣/ النويري: نهاية الأرب ، ج١٥ ، ص١٧٣ .

(٣) البكري : معجم ، ج١ ، ص٦٩ (عمر بن شبه) / انظر الطبري : تاريخ ، ج١ ، ص٦١٤ (هشام بن محمد) .

(٤) الحرجية: هي قرية في الجزيرة الفراتية تبعد عن الحصنين فرسخان:٦ أميال / ١٢ كم . البكري: معجم، ج١، ص٣٤١ .

(٥) ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص٦٠٤-٦٠٥ / البلاذري: أنساب، ج١، ص٣٣-٣٤ / البكري: معجم، ج١، ص٧١ .

(٦) ابو هلال العسكري: الأوائل، ص٦٧ / البكري، معجم، ج١، ص٧٣-٧٤ / ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٣٠٢-٣٠٣

يا قوم لا تأمنوا ان كنتم غُـيُراً على نسائكم كسرى وما جمعـــــا
هو الفناء الذي يجتث أصلكم فمن رأى مثل ذا رأياً ومن سمعـــا

وعند ذلك هربت إياد من منازلها، فلحق بهم جيش كسرى يقتّلهم، حتى تمكن من نجا منهم اللحاق بتكريت في نواحي الجزيرة الفراتية وأرض غسان وبادية الكوفة[١]، وكانت إياد قد هزمت في البداية حملة فارسية في موضع دير الجماجم، وقيل أنها اتخذت أسمها من الجماجم التي جمعها العرب هناك بعد هذه الوقعة، فعرف الموضع بدير الجماجم[٢]. ومهما تعددت الروايات حول الفترة الزمنية لشنّ الفرس غاراتهم ضد قبيلة اياد، فكلها تؤكد على العلاقة العدائية التي كانت تتميز بها علاقات الفرس بالاياديين في بعض الفترات والظروف. كما تؤكد على درجة القوة والتهديد الذي كانت تمثله اياد على أرض العراق، حتى أنها سميت بالطَبَق لأنها كانت إن حاربت قوماً أطبقت عليهم وفي ذلك قالت كاهنتهم[٣]:

لقيت شنّ اياداً طَبَقـــــاً بالقنا وافق شناً طَبَقَــــه

وكانت اياد قد خرجت الى تكريت ونزلت مجاورة لبني تغلب المسيحيين، مما أدى لإعتناق اياد هذه الديانة، ومع ذلك لم يطل بهم المقام في تكريت لأن بني تغلب أساءوا جوارهم، فخرج جماعة من الاياديين الى الحيرة متنكّرين، وقيل أن ذلك زمن كسرى أنو شروان (٥٣١-٥٧٩م) ومن هؤلاء بنو مالك بن قيس الذين ينسب لأبيهم أقساس مالك[٤].

والملاحظ خلو المصادر من أي اشارة الى قبيلة اياد بعد نفي سابور لهم عن العراق في القرن الرابع الميـــلادي، واستمر ذلك حتى القرن السادس، حيث تجمعوا ما بين عين التمر والأنبار في عهد قباذ بن فيروز[٥]. وتشير بعض المصادر لعودة اياد مرة أخرى الى العراق حيث دخلت في جملة قبائل ربيعة التي كانت غالبة على السواد، فأصبحت موالية لهم، ويرد ذكر مشاركتهم الى جانب الفرس ضد الفاتحين العرب المسلمين في وقعة عين التمر ١٢ هـ /٦٣٤م[٦].

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ، ج١ ، ص٢٧٤ / البكري : معجم ، ج١ ، ص٧٥ .
Butzer, Some Aspects of Postglacial Climatic Variation, P.109

(٢) البلاذري: أنساب، ج١، ص٣٢ / المسعودي: التنبيه، ص ١٧٥ / البكري: معجم، ج١، ص٧٠ / ياقوت: معجم، ج٢، ص ٥٠٣-٥٠٤ .

(٣) اليزيدي: الأمالي، ص٦٠ (هشام بن محمد) / المسعودي: مروج، ج١، ص٢٦٢ / البكري: معجم، ج١، ص٨١ .

(٤) أقساس مالك: هي قرية أو كورة في الكوفة تنسب لمالك بن قيس الأيادي / البلاذري : أنساب ، ج١، ص٣٣-٣٤ / ياقوت: معجم، ج١، ص٢٣٦ / ابن عبدالحق: مراصد ، ج١ ، ص١٠٤ / حسين البراقي : تاريخ الكوفة ، ص١٥٥ .

(٥) الطبري: تاريخ، ج١، ص٥٦٧، ٦١٤ / الهمداني: صفة الجزيرة، ص١٨٧ / المسعودي: مروج، ج١، ص٢٦٥-٢٦٦ .

(٦) ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص٦٠٥ / البلاذري: انساب، ج١، ص٣٣-٣٤ / الهمداني: صفة، ص١٨٧ / عمر كحاله: معجم، ج١، ص٥٤ .

ومن صور العلاقات العدائية بين الساسانيين والقبائل العربية ما حصل لقبيلة تميم يوم الصفقة[١]، فلقد كانت القوافل التجارية تسير بين الامبراطورية الساسانية واليمن من خلال التبادل التجاري القديم بين الجانبين، وتمرُّ هذه القوافل عبر منازل القبائل ومنها منازل تميم في الجزيرة العربية، وفي إحدى المرات اعتدت قبيلة تميم على إحدى هذه القوافل، فقرر كسرى فارس الانتقام منها، فأرسل الى عامله على البحرين أزاذ فيروز بن جشيش الملقّب بالمُكعبر أن يقاتل بني تميم، فانتهز المكعبر فرصة أيام جني المحاصيل، حيث كانت تميم تخرج لهجر للميرة واللقاط[٢]، فتمكّن المكعبر من تدبير حيلة لهم انتهت بمقتلهم في مذبحة رُتّب لها في حصن المشقّر[٣]، تم الابقاء فيها على الغلمان الصغار الذين أرسلوا الى كسرى، ويذكر هبيرة ابن حديد العدوي أنـــه ((رجع الينا بعدما فتحت اصطخر عدة منهم))[٤].

وهذه الحادثة تعكس محاولة الفرس لتأديب وإخضاع تميم لهم لتهديدها مصالحهم التجارية وتعدّيها على أموالهم فكان يوم الصفقة محاولة من الفرس للرد على هذا التهديد.

وزيادة على القبائل العربية فإن العلاقات العدائية تعدّت الى مملكة الحيرة التي أوجدها الساسانيون بأنفسهم لتكون حاجزاً يصدّ غارات القبائل على حدود امبراطوريتهم.

فلقد بدأت العلاقات الساسانية مع ملوك آل نصر اللخميين في الحيرة تنذر بتراجع وفتور كبيرين وذلك منذ عهد قباذ بن فيروز (٤٨٨-٤٩٦/٤٩٨-٥٣١م) الذي نحّى المناذرة عن حكم الحيرة ومنحه للحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي، وتذكر بعض المصادر سبب ذلك أن قباذاً أمتاز بضعف شخصيته وإهمالـــــه لسياسة رعيته مما أدى لاستشراء الفساد فيها ((ومرج أهل فارس في المعاصي وانتشرت فيهم الزندقة))[٥]، التي نشرها مزدك في بلاد فارس، واعتنقها قباذ وأمر عُمّاله على الممالك بإعتناقها.

وتشير الروايات الى رفض المنذر بن ماء السماء اعتناقها، فكان ذلك سبباً في طرده من حكم الحيرة، بينما

---

(١) عرف بذلك لإصفاق / اغلاق باب حصن المشقر الذي جرت داخله المذبحة على بني تميم ، وقيل أنه كان في عهد عامل كسرى أنو شروان على اليمن وهرز ما بين (٥٣١-٥٧٩م)، انظر الطبري: تاريخ، ج٢، ص١٦٩ / ابن الاثير: الكامل، ج١، ص ٣٦٢ . وقيل أنه كان في عهد عامل اليمن باذام في زمن كسرى أبرويز (٥٩١-٦٢٨م) وكان حينذاك النبي عليه السلام مبعوثاً ولم يهاجر. انظر ابو عبيدة: النقائض، ج١، ص٢٦٥ . أيام العرب، ج٢، ص٦٦ / ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص١٨٥-١٩٠ .

(٢) ابو عبيدة : النقائض ، ج١ ، ص٢٦٥ / ايام العرب ، ج٢ ، ص١٥ / الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص١٦٩ .

(٣) حصن المشقر: قال ابن الفقيه أنه حصن بين نجران والبحرين وهو من بناء طسم، وقيل هو قصر بالبحرين وقيل هو مدينة هجر بناه معاوية بن الحارث بن معاوية الكندي . انظر البكري: معجم، ج٤، ص١٢٣٢ / ياقوت: معجم، ج٥، ص١٣٤ .

(٤) ابو عبيدة: أيام العرب، ج٢، ص١٦ / ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص١٨١-١٨٥ / ابن الاثير: الكامل، ج١، ص٣٦٢ .

(٥) الأصفهاني : تاريخ ، ص ٩٢ / انظر الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٩٢ ، ٩٥ / المقدسي : البدء ، ج٣ ، ص٢٠٢ .

استجاب له الحارث بن عمرو الكندي ((فعظّمه قباذ وطرد المنذر))[١].

وهناك إشارة لدى ابن الكلبي تشجّع على الشك بمثل هذه الروايات، ولربما أن قصة اعتناق الحارث الكندي للمزدكيه أمر موضوع من قبل أهل الحيرة الذين كرهوا حكمه عليهم ولم يلحقوا اسمه بقوائم أسماء ملوكهم، ويعلل ابن الكلبي ذلك بقوله ((وظني أنهم انما تركوه لأنه توثّب على الملك بغير اذن من ملوك فارس لأنه كان بمعزل عن الحيرة التي كانت دار المملكة، ولم يعرف له مستقر وإنما كانت سيّارة في أرض العرب))[٢]. ويمكن أن يكون أهل الحيرة ألصقوا بالحارث هذه القضية لكراهيتهم لحكمه وإلحاق العار به، ويعتقد جواد علي أن القضية التي دعت قباذ الى اقصاء المنذر لم تكن لدافع ديني، بل لدافع المُلك والسلطان[٣]، ذلك أن قباذاً أحس بقوة شخصية الحارث أمام البيزنطيين، فإن كان قوياً أمام قوة عظمى كبيزنطة، فهو أجدر أن يكون قوياً أيضاً في وجه غارات القبائل العربية على السواد، خاصة بعد هزيمة امرئ القيس – والد المنذر – أمام قبيلة بكر بن وائل في إحدى غزواته ضدها، وتذكر بعض المصادر سبب ذلك أنه أهمل الحزم في حربه معهم خاصة بعد زواجه من مارية بنت عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة وهي من النمر بن قاسط – وتعرف بماء السماء لجمالها وحسنها –[٤].

وتشعر المصادر أن ضعف الملوك اللخميين إنما هو عائد لضعف الامبراطورية نفسها وضعف أكاسرتها فيذكر الاصفهاني ((فبهذا السبب ضعف ملك العرب لأن مادة قوة ملوك العرب كانت من جهة ملوك الفرس))[٥].

ولقد كان المنذر بن امرئ القيس رجلاً ذو شخصية قوية، أوقع الرعب في أرض الروم وأكره بيزنطة على مفاوضته عام ٥٢٤م، حيث تم الاتفاق على تسلّم المنذر معونات من بيزنطة مقابل ضمان حياده في الحروب التي تنشب بين فارس وبيزنطة، وبذا شعر قباذ بانحراف ولاء الملوك اللخميين عنه[٦].

ويمكننا تصديق الروايات التي تجعل من قباذ ملكاً ضعيفاً، فها هو يطلب من الحارث الكندي حماية حدوده مقابل أن يتنازل له عن ستة طساسيج من أسفل الفرات مما يلي بلاد العرب[٧].

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص ٩٥ / ابن الاثير : الكامل ، ج١ ، ص٣٣٦ / ابو الفداء : المختصر ، ج١ ، ص٨٨ / ابن الوردي : تاريخ ، ج١ ، ص٦٠ .

(٢) الأصفهاني : تاريخ ، ص٩٢ .

(٣) جواد علي : المفصل ، ج٣ ، ص٣٤١ .

(٤) الأصفهاني : تاريخ ، ص ٩٠-٩٢ / الدواداري : كنز الدرر ،ج٢ ، ص٣٤٨-٣٤٩ .

(٥) الأصفهاني : تاريخ ، ص ٩٤ .

(٦) نبيه عاقل : تاريخ العرب القديم ، ص ١٧٥ / محسن يونس : " علاقة كندة بدولة الفرس وعمالهم ملوك الحيرة " ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، العددان ٢١ ، ٢٢ ، آذار – حزيران ١٩٨٦ ، ص١٩٥ ، ص٢٠٤ .

(٧) وذلك مقابل تصديه لقبيلة بكر التي كانت تغير على السواد، الطبري: تاريخ، ج٢، ٩٥-٩٦ (هشام بن محمد) ابن الاثير، الكامل، ج١، ص٣٢٠-٣٢٢ / ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص ١٠٦ .

Butzer, Some Aspects of Postglacial climatic variation in the near East , P.107

ولقد قدّم الحارث الكندي وصفاً دقيقاً لأوضاع مملكة فارس عندما أرسل الى تُبّع – ملك اليمن – يسأله الإغارة على أرض فارس[١] بقوله: ((ليس دون ملكهم شيء لأن الملك عليهم لا يأكل اللحم ولا يستحل هراقة الدماء وله دين يمنعه من ضبط الملك))[٢].

ولقد قَدِم تُبّع بجنده الى الحيرة و وجّه ابن أخيه شمّر بن ذي الجناح الى قباذ فقاتله وهزمه حتى لحق قباذ بالرّي[٣]، ويعتقد أن هذا الأمر تم ما بين ٥٢٤-٥٢٨م[٤]، ولما تولى كسرى أنو شروان بن قباذ عام ٥٣١م خالف سيرة والده فقتل المزدكيين، وأصلح أحوال البلاد وأعاد المنذر الى الحيرة[٥]، الا أن هذه العلاقات الطيبة لم تدم طويلاً، ففي عام ٦٠٢م أقصى كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان[٦] الأسرة اللخمية عن حكم الحيرة وترجع المصادر سبب ذلك الى مكيدة دبّرها زيد بن عدي بن زيد العبادي، الشاعر والمترجم في البلاط الساساني ضد النعمان بن المنذر[٧].

وكان أن غضب كسرى على النعمان الذي فرَّ هارباً بأهله ودروعه للإحتماء بالقبائل العربية التي امتنعت عن مناصرته ، حتى انتهى به المطاف بدخوله في ذمة هانئ بن قبيصة الذهلي الشيباني من قبيلة بكر[٨]. لكنه عاد واستسلم لكسرى الذي سجنه ثم قتله تحت أرجل الفيلة، ويقال بل انه مات بالطاعون[٩].

وكان ما قام به كسرى أبرويز ضد النعمان بمثابة المسمار الأخير الذي دُقَّ في نعش العلاقات الساسانية – اللخمية. ونتج عن ذلك أن أُلحقت الحيرة مباشرةً بفارس حيث عُيّن إياس بن قبيصة الطائي حاكماً على

---

(١) يذكر ابن الكلبي أنه تُبّع بن حسان بن تُبّع بن ملكيكرب بن تُبّع الأقرن وهو خال الحارث الكندي ، الا أن الكتابات الجنوبية لا يرد فيها هذا الاسم ويرى Harttman أن الرواة قصدوا به شرحبيل يكن ، أما جواد علي فيشير الى عدم امكانية تحديد اسم تبع لتضارب الأسم في الروايات اليمانية ونصوص المسند . أنظر الطبري: تاريخ ، ج٢ ، ص٩٥-٩٦ (هشام بن محمد) / جواد علي : المفصل ، ج٣ ، ص٣٧٢ .

(٢) الطبري: تاريخ، ج٢، ص٩٦ (هشام بن محمد) / ابن الاثير: الكامل، ج١، ص٣٢٢ / النويري: نهاية الأرب، ج١٥، ص١٩٠ / ابن خلدون : تاريخ ، ج٣ ، ص١٠٦ .

(٣) الطبري: تاريخ، ج٢، ص٩٦ (هشام بن محمد) / النويري: نهاية الأرب، ج١٥، ص١٩٠ / ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص١٠٦ .

(٤) جواد علي : المفصل ، ج٣ ، ص٣٤١ .

(٥) الطبري: تاريخ، ج٢، ص١٠١، ١٠٣ / الأصفهاني: تاريخ، ص٩٢ / ابن الاثير: الكامل، ج١، ص٣٣٧ / ابو الفداء: المختصر ، ج١ ، ص٨٨ ، ١٢٢ .

(٦) حكم ما بين (٥٩٠-٦٢٨م) ولقد عاصر عهد النبوة ، وتلقى رسالة النبي (ص) التي تدعوه فيها الى الاسلام .

(٧) ابو عبيدة : النقائض ، ج٣ ، ص٧٩١ / الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص٢٠٦ / ابو هلال العسكري: الأوائل ، ص٢٨٨-٢٨٩ / ابو البقاء : المناقب ، ج٢ ، ص٤٠٣ .

Abd Al-Husain Zarrinkub , The Arab Conquest of Iran ,the Cambridge History of Iran, Vol.4. P.3

(٨) البلاذري : أنساب ، ج١٢ ، ص٣٩٣-٣٩٤ / الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص٢٠٥ / المسعودي : مروج ، ج٢ ، ص١٠٧-١٠٨ / المقدسي : البدء ، ج٣ ، ص٢٠٥-٢٠٦ .

(٩) الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص٢٠٦ / ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٢٩٣-٢٩٤ .

الحيرة والى جانبه مُشْرِف فارسي يشرف على ما يخصّ اقطاعات وممتلكات فارس وعرف بالنخيرجان، وكانت مدة حكم إياس ما يقارب التسع سنوات[١]. ثم تولى بعده أزاذبه بن ماهان الفارسي لمدة سبعة عشر عاماً[٢]، ويذكر ابن الكلبي في آخر قائمة اسماء ملوك الحيرة المنذر بن النعمان الأخير، ويدعوه المغرور، وهو الذي قُتل بالبحرين يوم جواثا، وأشار الى أن ملكه استمر مدة ثمانية أشهر[٣] ومع ذلك فإن المسلمين لما أقبلوا لفتح العراق بقيادة خالد بن الوليد لقيهم أزاذبه الذي وُصف أنه صاحب مسالح كسرى فيما بينه وبين العرب[٤].

وازدادت الغارات العربية على العراق بعد مقتل النعمان، وخاصة تلك التي قام بها بعض الأفراد من بكر ابن وائل ممن اعتنقوا الاسلام كالمثنى بن حارثة الشيباني ومذعور بن عدي العجلي وسويد بن قطبة العجلي وقطبة بن قتادة السدوسي وغيرهم في الحيرة والسَّماوة وكَسكر والأبلّة[٥]، والتي أكملها العرب المسلمون بفتح العراق الذي بدأ على يد خالد بن الوليد ١٢هـ/٦٣٤م .

ومن أبرز صور العلاقات العدائية بين الفرس والقبائل العربية تحدّي قبيلة بكر بن وائل التي ازدادت أعدادها وقوتها في مطلع القرن السابع الميلادي للفرس عندما قامت وقعة ذي قار[٦].

ولقد اختلف في أسباب قيام تلك الوقعة، فأغلب المصادر تذكر أن النعمان أغضب كسرى أبرويز بسبب مكيدة أحاكها له زيد بن عدي[٧] وقيل أن كسرى سخط على النعمان لأنه رفض مصاحبته حين ولّى هارباً أمام بهرام جوبين[٨]، وهناك من يذكر الميول العقائدية للنعمان مما أشاع أنه يتآمر على كسرى[٩]. ويرى الدينوري أن النعمان بن المنذر اعتبر نفسه حليفاً للفرس وليس تابعاً لهم، وكان ميله نحو التفاهم مع القبائل العربية غرب الفرات للاستناد عليها حيث يذكر الدينوري رواية على لسان كسرى ابرويز يقول فيها ((فإن النعمان وأهل بيته واطأوا العرب وأعلموهم توكّفهم خروج المُلك عنا))[١٠].

---

(١) البلاذري: أنساب، ج١٢، ص٣٩٤ / الطبري: تاريخ، ج٢، ص٢١٣ / الأصفهاني: تاريخ، ص٩٤-٩٦ / الدواداري: كنز الدرر، ج٢، ص٣٤٩-٣٥٠ .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص ٢١٣ / ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص ٣٨١ .

(٣) الطبري: تاريخ، ج٢، ص٢١٤ (هشام بن محمد) انظر البلاذري : أنساب، ج١٢، ص٣٩٤ / المسعودي: مروج، ج٢، ص١٠٨ .

(٤) البلاذري : فتوح ، ص ٢٤٤ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٥ ، (ابو مخنف) .

(٥) الواقدي : الردة ، ص ١٢٧ / الدينوري : الأخبار ، ص ١٠٧ / ابن أعثم : الفتوح ، م:١ ، ص٧٤ .

(٦) ذو قار : عين ماء قريب من الكوفة وهو من منازل بكر بن وائل ، البكري : معجم ، ج٣ ، ص١٠٤٢ / ياقوت : معجم، ج٤، ص٢٩٣ / المشترك وضعاً ، ص ٣٣٧ .

(٧) ابو عبيدة : النقائض ، ج٣ ، ص ٧٩١ / الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص٢٠٦ / ابو البقاء : المناقب ، ج٢ ، ص٤٠٣ .

(٨) كرستنسن : ايران ، ص ٤٣٥ .

Abd Al-Husain Zarrinkub, The Arab Conquest of Iran, The Cambridge History, Vol.4, P.3.

(٩) Zarrinkub, The Arab Conquest of Iran, The Cambridge history, Vol.4. P.3

(١٠) الدينوري: الأخبار، ص ١٠٣ / عبد العزيز الدوري: التكوين التاريخي، ص ٢٩ .

ومهما تعددت الأسباب، فقد خرج النعمان هارباً من غضب كسرى نحو جبلي أجأ وسلمى حيث تنزل قبيلة طيء التي يرتبط معها برباط المصاهرة الا أنهم لم يراعوا تلك العلاقة خوفاً من بطش الفرس فقالوا له ((لولا صهرك لقاتلناك، فإنه لا حاجة لنا في معاداة كسرى [ولا طاقة لنا به]))[١]. و جعل النعمان يتنقّل بين عدد من القبائل حتى انتهى به المطاف للدخول في ذمة هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيباني[٢]، وربما يؤكد هذا إشارة الدينوري حول محاولة النعمان الاستناد الى القبائل العربية والاحتماء بها عند الضرورة.

وكان السبب الرئيسي لوقوع حرب ذي قار هو سؤال كسرى لهانئ بن قبيصة أن يردّ له ما استودعه النعمان بن المنذر لديه من أموال وسلاح وتهديده بالقتال، فأنكر هانئ ما عليه[٣]، وتشير بعض الروايات الى أن ما زاد الأمور توتراً هو استمرار غارات بكر بن وائل على السواد مما زاد في حنق كسرى عليهم، حتى أنه اضطر أن يُقطع قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجُدّين الأبلّة وما والاها على أن يضمن له عدم دخول بكر السواد[٤].

ويذكر الواقدي (ت٢٠٧هـ) أن علاقة بني شيبان لم تكن عدائية مع الفرس الا بعد أن بدأت الفرس ((تتعدى على العرب وتؤذيهم غاية الأذى بسبب المُلك أنه فيهم، فلم يزالوا كذلك حتى وقعت بينهم العداوة والشحنـــــاء))[٥] وربما يعود ذلك الى أن الفرس بدأوا يتطلعون لتخليص بعض الجيوب من الوجود العربي، لذا قرروا التحرش بالقبائل وطردها.

وبسبب امتناع بكر بن وائل من الاستجابة لأمر كسرى، فقد جهز الفرس جيشاً ضخماً عقد فيه للنعمان بن زرعة من ولد السفاح التغلبي على تغلب والنمر، وعقد لخالد بن يزيد البهراني على قضاعة واياد وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب[٦]، و قُدّر عدد المشاركين من العرب بـــ ٣٠٠٠ رجل كما عقد للهامرز التستري مرزبان مسالح القادسية والقُطقُطَانَة على ١٠٠٠ فارس من الأساورة، وعقد لجلابزين مرزبان مسلحة بارق على ١٠٠٠ فارس أيضاً وعهد كسرى لقيس بن مسعود بن قيس عامله على سفوان بالخروج معهم[٧].

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٢، ص٢٠٥-٢٠٦ (هشام بن محمد) / ابو هلال العسكري، الأوائل، ص٢٨٩ / ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٥٥٨ -٥٦٠ .

(٢) ابو عبيدة : النقائض ، ج٣ ، ص ٧٩١ / العسكري : الأوائل ، ص ٢٨٩ / ابو البقاء : المناقب ، ج٢ ، ص٤٠٣ / الحميري : الروض ، ص ٢٦٠ / ويرى البعض أنه هانئ بن مسعود ، الا أن ابا عبيدة يرى الأول هو الأثبت .

(٣) الأصفهاني : الأغاني ، ج٢٠ ، ص١٣٢-١٣٣ / ابو البقاء : المناقب ، ج٢ ، ص٤٠٣ .

(٤) الأصفهاني : الأغاني ، ج٢٠ ، ص ١٣٢ -١٣٣ / ابو البقاء : المناقب ، ج٢ ، ص٤٠٣ .

(٥) الواقدي : الردة ، ص ١٢٧ .

(٦) الأصفهاني : الأغاني ، ج٢٠ ، ص ١٣٤ / ابو هلال العسكري : الأوائل ، ص٢٨٩ .

(٧) الأصفهاني: الأغاني/ ج٢٠، ص ١٣٤/ العسكري: الأوائل، ص ٢٨٩، ابو البقاء: المناقب، ج٢، ص٤٠٩-٤١٢ / الحميري: الروض، ص ٢٦١ / ابو الفداء: المختصر، ج١، ص١٣١/ جواد علي: المفصل ، ج٣، ص٢٩٣ .

وبدأت بكر تتوافد أيضاً بمقاتليها من كافة البطون ماعدا بنو حنيفة[١] وانضم لهم جماعات من عبس و تميم[٢]، ولقد دارت رحى المعركة بجوار عين ماء متاخم للسواد يعرف باسم ذي قار فسميت الوقعة باسم وقعة ذي قار نسبةً اليه[٣]. وقبيل حسم المعركة في بطحاء ذي قار أرسلت جماعات اياد المشاركة الى جانب العجم لبني جلدتها من بكر سراً أنها ستقوم بالانسحاب من المعركة عند بدء اللقاء الحاسم ، وهذا ما حصل بالفعل[٤].

ولقد اختلف المؤرخون في تحديد هذه الوقعة التي اعتبرت من أعظم أيام العرب وأبلغها في توهين أمر العجــم[٥] فقيل أنه كان يوم ولادة النبي (ص) وقيل بعد هجرته عليه السلام، وقيل ما بين وقعتي بدر وأحــد ٢-٣هــ /٦٢٣-٦٢٤م[٦]، ويصعب أن نأخذ بالرأي الأخير على اعتبار أن النعمان قتل ٦٠٢م، فهناك فترة زمنية طويلة بين مقتله وغزوة بدر أو أحد. وقيل أنه كان زمن مبعث النبي الكريم[٧] وقيل كان قبل الهجـــــرة[٨]. ويروي أكثر أهل الأخبار أنه كان عند المبعث، وتؤكد معظم الدراسات الحديثة الى أنه حصل ما بين ٦٠٤-٦١٠م [٩]. وهذا مبني على أساس أنه نهاية حكم النعمان للحيرة كان عام ٦٠٢م وكانت نهاية حكم إياس بن قبيصة الطائي بعد ذلك بتسع سنوات أي ٦١١م، و بما أن وقعة ذي قار حصلت في عهد حكم اياس لذا يمكن اعتماد هذه الفترة الزمنية التقريبية لذلك اليوم العظيم في حياة العرب و الذي أكد على أهميته ما نسب للرسول (ص) قوله ((هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا))[١٠].

وكان من أهمية يوم ذي قار أن فُتح الباب واسعاً للقبائل العربية المجاورة لتخوم العراق وخاصة بكر بن وائل لتقوم بهجمات اكثر قوة وفعالية في سواد العراق بعدما استهانوا بقوة الفرس واكتشفوا مدى ضعفهم مما مهّد الطريق لحركة الفتح العربي الإسلامي.

---

(١) ابن عبد ربه : العقد ، ج١ ، ص ٣٦٨ .

(٢) ابو عبيدة : النقائض ، ج٣ ، ص٨٠٠ / الأصفهاني : الأغاني ، ج٢٠ ، ص١٣٨ / ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٢٩٣ .

(٣) وعرف اليوم كذلك بيوم ذي الحنو، يوم قراقر، يوم الحسى، يوم العجوم، يوم الجبانات، يوم الغذوان ويوم البطحاء . انظر ابو عبيدة: ايام العرب، ج٢، ص ٤٨٩-٤٩٠/ ابو هلال العسكري: الأوائل، ص ٢٨٩ / ابو البقاء: المناقب، ج٢، ص ٤١٤ .

(٤) ابو عبيدة: النقائض، ج٣، ص ٧٩٤ / الطبري: تاريخ، ج٢، ص٢٠٧-٢٠٨ / ابو هلال العسكري: الأوائل، ص٢٩٠ / ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص ٣٧٩-٣٨٠ .

(٥) الميداني : مجمع الأمثال ، ج٢ ، ص ٥١٩ .

(٦) الأصفهاني : الأغاني ، ج٢٠ ، ص١٣٥ / ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٢٩٤ / ابو الفداء : المختصر، ج١ ، ص١٣١ / ابن خلدون : تاريخ ، ج٣ ، ص ٣٦٦ .

(٧) ابو عبيدة : أيام العرب ، ج٢ ، ص ٤٨٩ / ابن عبد ربه : العقد ، ج٤ ، ص٢١٣ / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣٧٩ .

(٨) ابن حبيب : المحبر ، ص٣١٠ / ابن خلدون : تاريخ ج٣ ، ص ٣٦٧ .

(٩) Nicholson, A Literary History of the Arabs, P.70 / جواد علي : المفصل ، ج٣ ، ص ٢٩٤ / هشام جعيط : الكوفة ، ص ١٤ .
Zarrinkub, The Arab conquest of Iran, The Cambridge History, Vol.4, P.4

(١٠) الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص ١٩٣ / انظر : اليعقوبي : تاريخ ، ج١ ، ص٣٦٥ / العسكري : الأوائل ، ص٢٩١ / الهيثمي: مجمع الزوائد ، ج٦ ، ص٢١١ .

ولم يكتفِ الفرس بمحاربة القبائل العربية بل عمدوا الى تشتيت وجودها ومنعها من الاستقرار او التنقّل بعيداً عن أنظارهم، وكان الحل الأمثل من وجهة نظرهم هو إعادة توزيع أماكن القبائل لتبقى تحت أنظار السلطة الحاكمة ، لضمان وقف أو التقليل من غاراتها على الحدود.

فيذكر ياقوت أن سابور ((خرج يرتاد موضعاً يجعله حصناً وباباً لبلاد السواد مما يلي الروم، فأتى شط الفرات فرأى موضعاً مستوياً ومنه مساكن للعرب، فنقل العرب الى بقّة والعقير وبنى في ذلك الموضع مدينة حصينة .. وسمى المدينة فيروز سابور اي نصر سابور وكورّها وضم اليها ما جاوزها الى حدود دجلة، وكان حدُّها من هِيت وعَانات الى قُطربُّل))[١] وأشار ياقوت أن فيروز سابور هو اسم لمدينة الأنبار وما اتصل بها الى قرى بغداد[٢]، وهذا يؤكد ما ذكر سابقاً من أن الأنبار كانت من مراكز التجمعات القبلية للعرب قبل قيام الدولة الساسانية، ولقد حظيت في عهد سابور بتدابير إدارية أفضل.

لقد أضطر الفرس لإستخدام تدابير اعادة توزيع القبائل وتحديد مواقعها لعدم جدوى استمرارهم في سياسة العنف التي اتبعوها. و روي أن سابور أسكن بعض قبائل بني تغلب المناطق المسماة دارين وتذكر أنها تسمى أيضا هيج او الخط[٣].

كما نقل بعضاً من عبد القيس وتميم وبكر ممن كانوا في هجر وأسكنهم أرض كرمان وتوّج أي داخل الأراضي الفارسية[٤]، كما نقل جماعات من بني حنظلة وأسكنها الرّميلة في الأهواز[٥].

ولقد ورد على ألسنة عدد من الملوك وقادة فارس اثناء عمليات الفتح الإسلامي أوصافاً للعلاقات الفارسية العربية، فذكر يزدجرد للنعمان بن مقرن أن العرب كانوا من أشقى الأمم وقال ((قد كنا نُوكّل بكم قرى الضواحي فيكفوننا أمركم ولا تطمعوا ان تقدموا لفارس))[٦]. وهو بذلك يشير لاستخدام الفرس للقبائل المتعاونة معهم في صدّ القبائل الأخرى التي تتجرأ على شن غاراتها على السواد، أما رستم فذكر للمغيرة ابن شعبة حين وفد اليه قبيل القادسية كيف أن الفرس عاملوا العرب بالحسنى وقدموا لهم المعونات فقال: ((أنه لم يكُن في الناس أُمةً أصغر عندنا امرأً منكم، كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة، لا نراكم شيئا ولا نعدّكم وكنتم إذا قحطت أرضكم وأصابتكم السنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشيء من التمر والشعير ثم نردّكم))[٧].

---

(١)نقلاً عما كتبه ابو الفضل العباس بن علي الصولي المعروف بابن برد الخيار ، انظر ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٢٨٤ .

(٢)ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص ٢٨٣-٢٨٤ / ابن خلدون : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٩ .

(٣)هي فُرضة بالبحرين تبعد عن الساحل مسيرة يوم وليلة ، انظر ياقوت ، معجم ، ج٢ ، ص٤٣٢ .

(٤)كَرمَان: تقع بين فارس ومكران وسجستان وخُراسان وهي بلاد كثيرة النخل والزرع ومن مدنها: جيرفت وموقان والسيرجان. ياقوت: معجم، ج٤، ص٤٥٤-٤٥٥ / توّج: مدينة بفارس شديدة الحر لأنها في غور من الأرض، تبعد عن شيراز ٣٢ فرسخا أي حوالي ١٩٢كم . ياقوت: معجم، ج٢، ص٥٦ .

(٥)الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص ٥٧ ، ٦١ / الثعالبي : تاريخ ، ص٥٢٩ / ابن خلدون : تاريخ ، ج٣، ص٣٤٨ .
Zarrinkub, The Arab conquest of Iran, The Cambridge history of Iran, Vol.4. P.1

(٦)الطبري: تاريخ، ج٣، ص ٤٩٩ / ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص ٣٠٥ / ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص٣٩-٤٠ .

(٧)الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص ٥٥ / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص ٥٣٢ .

ولعل الفرس اعتبروا الغارات الإسلامية الأولى وحتى وقعة القادسية أنها لا تعدو كونها غارات بسبب المجاعات التي تصيب القبائل العربية عادة.

أما العلاقات الأخرى التي صبغت العلاقات بين الفرس الساسانيين والقبائل العربية هي علاقات التعاون السلمي بين الجانبين حسبما تقتضيه الظروف. إذ وجدت بعض القبائل التي ارتبطت مع الفرس بعلاقات طيبـــة، حيث المصالح المشتركة تقتضي التعاون بينهما، فلقد وجد من القبائل من تخرج مع لطائم الملوك وقوافلهم التجارية كخفارات لها خلال مرورها في ديار العرب، حيث كانت توفّر الحماية والحراسة لحين وصول هذه القوافل الى هدفها، لذا كانت السلطة الحاكمة في فارس تدفع لتلك القبائل جعالات خاصة[١].

وكانت تقام في كثير من الأحيان اسواق تجارية على تخوم العراق المحاذية لبادية العرب، حيث يسهل على القبائل القدوم اليها ومبادلة منتوجات البادية بما تنتجه الأرض الخصبة، ومن أشهر تلك الأسواق: بَقّة، الحَصيد، الخَنافس، الأنبار، الحيرة، الأبلّة[٢].

وكانت بعض القبائل العربية تتولى خفارة تلك الأسواق، فروي مثلاً أن قبيلتي قضاعة وربيعة كانتا تقوم بخفارة سوق الخنافس فيما وراء الأنبار عشية الفتح الإسلامي[٣].

ومما يؤكد على أهمية التبادل التجاري بين الفرس والعرب قول رستم ((كنا نميرهم ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا وقد كان لهم في ذلك معاش))[٤].

وكانت بعض القبائل العربية تقدّم خدماتها في إرشاد القوافل للطرق والمسالك والتزود بالحيوانات او استبدالهـــا.

وكما سبق الإشارة الى تعاون بعض القبائل العربية مع الملوك الساسانيين ضد الخارجين على الدولة، ويدل على ذلك ما نصح به عامل الحيرة إياس بن قبيصة لكسرى أبرويز بشأن محاربة بكر بن وائل بأن يبعث عليهم ((العيون حتى ترى غرّةً منهم ثم ترسل كتيبة من العجم فيها بعض القبائل التي تليهم فيوقعون بهم وقعة الدهر))[٥].

ويذكر هشام بن محمد (ت٢٠٤هـ) أن كسرى هرمز استعان برجال من إياد يقدر عددهم من ٣٠٠-٤٠٠ رجل ((فكانوا عنده وجعلهم مراصد على الطريق فيما بينه وبين الفرات لئلا يعبره أحد عليهم))[٦].

---

(١) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، ج٢ ، ص٦٣٢ / عفيف عبد الرحمن : الشعر وأيام العرب ، ص٦٣ .

(٢) الجاحظ : الحيوان ، ج٤ ، ص٣٦٩ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٧٣ / ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٣٩١ / جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ، ص٢٢٤ .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٧٣ (سيف بن عمر) / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٢٩٢ .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥١٧ (سيف بن عمر) ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣١٣ .

(٥) الحميري : الروض ، ص٢٦١ .

(٦) البكري: معجم ، ج١ ، ص٧١-٧٢ .

كما قدّمت روايات الفتح الإسلامي للعراق مجموعة من الأخبار حول اشتراك بعض القبائل العربية في العراق الى جانب الفرس ضد المسلمين كما حصل مثلاً في عين التمر[١].

ولقد لعبت مملكة الحيرة التي حكمها بنو عمرو بن عديِ اللخمي دور الرقيب على الحدود الفارسية مع بلاد العرب، وتمكّنت من مد نفوذها على عدد من القبائل العربية بالقوة والبطش تارةً والهبات والامتيازات المادية تارةً أخرى[٢].

وكان أهل الحيرة يحاربون طاعة لكسرى وحفظاً لبيضتهم وأنفسهم وأموالهم، وكان الفرس يزوّدونهم بجنود يقيمون في الحيرة هم قوام ملكهم، وعرف هؤلاء بإسم الوضائع وهم أساورة من الفرس كان يقدّمهم كسرى لملك الحيرة ليكونوا مدداً في حروبه، ويعدّون بألف فارس يخدمون سنة واحدة ثم يستبدلون[٣].

ووجدت ايضاً كتيبة الدَّوسر وهي لتنوخ وكانت من القوة بحيث ضرب بها العرب المثل في البطش فقالـــــوا ((أبطش من دُوسر))[٤]، والى جانبها كتيبة الشهباء وهي لفارس، وكان يقال للكتيبتين القبيلتان، يغزى بهما بلاد الشام ومن لا يدين للفرس من العرب[٥].

ومن مظاهر العلاقات السلمية بين القبائل العربية وبالأخص المناذرة والساسانيين، أن عهد يزدجرد بن بهرام الأكبر للنعمان بن امرئ القيس اللخمي، تربية ولده بهرام جور، و ذلك لأنه كان مريضاً ويحتاج لمناخ يشبه البادية ليبرأ من مرضه، و لأجل ذلك بنى النعمان قصر الخورنق ليكون مسكناً يليق بالأمير الفارسي[٦]، فنشأ بهرام عربي الأدب والطباع ولذلك عندما توفي يزدجرد أراد عظماء فارس صرف المُلك عن بهرام ((لأنه لم يتأدب بأدب العجم وإنما أدّبه العرب وخُلقِه كخُلقِهم لنشئته بين أظهرهم))[٧].

إلا أن بهرام تمكن من توّلي الحكم بمساعدة المنذر بن النعمان الذي أقبل ومعه عشرة الآف مقاتل الى المدائـــن[٨]؛ وتعهد بهرام لعظماء فارس بأنه سيلتزم سبيل الحق والصلاح في حكمه ((فلما سمع القوم مقالة بهرام هذه وما وعد من نفسه استبشروا بذلك وأنبسطت آمالهم ، وقالوا فيما بينهم: إنا لسنا نقدر على

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٣، ص ٣٥٣ (سيف بن عمر)، ص٣٥٥ (سيف بن عمر)، ص٣٧٦-٣٧٧ (سيف بن عمر).

(٢) ابو البقاء : المناقب، ج٢ ، ص ٥٠٢-٥٠٣ .

(٣) المبرد: الكامل، ج١، ص٣٩٣ (ابو عبيدة) / ابو البقاء: المناقب، ج١، ص١٠٦/جواد علي: المفصل، ج٣، ص١٩٨ .

(٤) الميداني : مجمع الأمثال ، ج١ ، ص١٢٤ .

(٥) الاصفهاني: تاريخ ، ص٨٨ / الطبري: تاريخ، ج٢، ص٦٧ / الأصفهاني: الأغاني، ج٢، ص٣٧ / ابو البقاء: المناقب، ج١، ص١١٠-١١١ .

(٦) ابن الفقيه : البلدان ، ص ٢١٣ / ابن الجوزي : المنتظم ، ج١ ، ص٩١ / ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٤١٢ / الدواداري: كنز، ج٢، ص٢٩٦ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص٧١ / Zarrinkub, The Arab conquest of Iran, The Cambridge History of Iran, Vol.4. P.3.

(٨) الدينوري : الأخبار ، ص٥٤ / الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص٧٢-٧٣ / ابو البقاء : المناقب ، ج١ ، ص١١٣-١١٦/ ابن الجوزي : المنتظم ، ج٢ ، ص٩٣-٩٦ .

رد قول بهرام، مع أنّا ان تممنا صرف المُلك عنه نتخوف أن يكون في ذلك هلاكنا لكثرة من استمد واستجاش من العرب))[١]. ولعل هذه الإشارة تشعر بهيبة العرب أنذاك.

وحكم بهرام جور (٤٢٠-٤٣٨م) حيث لم تذكر المصادر أية أحداث عدائية بين الفرس والعرب في عهده، ولقد ثبّت بهرام جور المنذر على حكم الحيرة، وتمتّع المنذر بالمرتبتين الساميتين اللتين منحهما يزدجرد الأثيم لوالده النعمان وهما (رام أبزوذ يزدجرد) أي الذي زاد سرور يزدجرد، و(بمهشت) أي أعظم الخـــول (الخدم)[٢].

ومن صور العلاقات السلمية وجود ملاكين عرب أفراداً كانوا أم أسراً في أنحاء العراق العربي. ففي الحيرة تذكر بعض المصادر التاريخية أُسراً عربية تملكت الأراضي والاقطاعات مثل بنو مرينا اللخميين وهم من أشرف بيوتات العرب في الحيرة[٣]. ويذكر هشام بن محمد بن الكلبي (ت٢٠٤هـ) ((وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة، فلم يك في الدهر يوم الا على باب النعمان هدية من ابن مرينا))[٤]. وهناك بنو الذميل اللخميين وكانوا أيضاً من أشراف الحيرة[٥].

وعرف أيضاً ذوو الآكال وهم من وائل، وعرف منهم قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين الذهلي الشيباني من بكر بن وائل الذي أطعمه كسرى ابرويز الأبلة وثمانين قرية من قراها، ويزيد ابن مسهر بن أصرم الذهلي الشيباني، والحارث بن وعلة بن مجالد بن الزبان الذهلي[٦].

كما أقطع الأكاسرة ملوك الحيرة ((قرىً من جملة اقطاعهم، ولم تكن الأكاسرة تقطعهم الا ما كان في أطراف البلاد لقربه منهم وكونه فيما يليهم))[٧].

فذكر ابو البقاء مثلاً أن كسرى أقطع النعمان اراضي من رستاق السيلحين، وقطائع بني طلحة وسام طباق وهي بأرض النجف غرب فرات تستر[٨].

كما تملك النعمان بن المنذر قرى الصنيّن[٩] والسيلحين[١٠] والنشاستج (النشاستك)[١١].

---

(١) الدينوري: الأخبار، ص٥٠ / الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص٧٣ .

(٢) الطبري: تاريخ، ج٢، ص٦٩ / الثعالبي : تاريخ ، ص٥٥٥ / ابن الأثير: الكامل ، ج١، ص٣٠٨-٣١٠ / كرستنسن: ايران ، ص٣٦١ .

(٣) اليعقوبي :تاريخ ، ج١ ، ص٢٦٠ / الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص١٩٤ / الأصفهاني : الأغاني ، ج٢ ، ص٢١ .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص ١٩٦ (هشام بن محمد) .

(٥) ابن الفقيه : البلدان ، ص٢١٧ / البلاذري : فتوح ، ص٢٨٢ / ابن دريد : الإشتقاق ، ص٣٧٧ .

(٦) ابن حبيب : المحبر ، ص٢٥٣ .

(٧) ابو البقاء : المناقب ، ج٢ ، ص٥٠١ .

(٨) ابو البقاء : المناقب المزيدية ، ج٢ ، ص٥٠٠-٥٠١ .

(٩) الصنيّن : بلد بظاهر الكوفة وبه نهر ومزارع . ياقوت : معجم ،ج٣ ، ص٤٣١ .

(١٠) السليحين أو سيلحون وهو موضع بالحيرة . البكري : معجم ، ج٣ ، ص٢٧٢ .

(١١) النشاستج قيل انها ضيعة أو نهر بالكوفة ولقد اقطعت لطلحة بن عبيد الله التيمي، وكانت من أهم املاكه . ياقوت: معجم، ج٥، ص٢٨٥ .

ويذكر أبو البقاء أن حسان بن حنظلة الطائي كان أول عربي أُقطع في السواد حيث أقطعه كسرى ابرويز ابن هرمز ضياعاً بخُطَر نيَة نظير مساعدته ضد بهرام جوبين لما ثار عليه(١).

وأقطع كسرى أبرويز (٥٩٠-٦٢٨م) قيس بن مسعود بن عمرو الشيباني الأبلّة قبيل ذي قار، كما أقطع أيضا عمراً بن قيس الأزدي موضع الكويفة(٢).

كما سمح ملوك آل ساسان للقبائل العربية النصرانية ببناء عدد من الكنائس والأديرة داخل الحيرة وما حولها، كان يحيط بها الأراضي الخصبة(٣)، ومن بين كنائس الحيرة كنيسة لبني عمرو بن مازن الغسانيين تسمى بيعة بني مازن(٤)، وبيعة بني عدي التي تنسب لبني عدي بن الذُميل اللخميين(٥)، كما بنى ملوك الحيرة عدداً من الأديرة كدَيْر اللُجّ الذي بناه النعمان بن المنذر(٦)، ودير مَارت مَريم وهو من بناء المنذر بنواحي الحيرة بين الخَوَرنق والسَّدير(٧)، ودير هند الكبرى(٨)، ودير هند الصغرى(٩).

ومن المظاهر السلمية قدوم الوفود العربية على الفرس بين الفينة والأخرى، تطلب الإذن لدخول الريف او تطلب الهبات والمنح المالية، مقابل عرض خدماتهم على الملوك(١٠).

ولقد تولى بعض العرب مراكزاً مرموقة لدى أكاسرة آل ساسان فمنهم من شغل مناصب الكتابة والترجمة لملوك فارس مثل اسرة زيد بن عدي بن زيد بن حماد التميمي العبادي، حيث خدموا في دواوين البلاطين الفارسي واللخمي(١١).

---

(١) ابو البقاء : المناقب ، ج٢ ، ص ٣٩٧ .

(٢) البكري : معجم ، ج٣ ، ص١١٤٤ / ابن منظور : لسان العرب ، ج١٣ ، ص١٣٤ .

(٣) الشابشتي : الديارات ، ص٢٣٨ / ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٤٩٦-٤٩٨ ، ٥٠١ .

(٤) البلاذري : فتوح ، ص٢٨٠ / السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص ٣٠٥ .

(٥) البلاذري : فتوح ، ص٢٨٢ / وتنسب لعدي بن الدميك اللخمي وتقع بالكوفة . ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٥٣٢ .

(٦) دير اللج: هو بالحيرة وصفه ياقوت أنه لم يكن في ديارات الحيرة أحسن بناءً منه ولا أنزه موضعا . ياقوت: معجم، ج٢، ص٥٣٠ .

(٧) دير مارت مريم: هو دير قديم من بناء آل المنذر بنواحي الحيرة بين الخورنق والسدير مشرف على النجف. انظر ياقوت: معجم، ج٢، ص٥٣٠ .

(٨) يقع بالقرب من دير اللج على طف النجف ينسب الى هند بنت الحارث بن عمرو الكندي، بُني في عهد كسرى خسرو انو شروان، وهي ام الملك عمرو بن المنذر (٥٥٤-٥٧٤م) انظر البكري: معجم، ج٢، ص٦٠٤ / ياقوت: معجم، ج٢، ص٥٤٢ .

(٩) دير هند الصغرى: يقع قرب الحيرة مما يلي خندق القادسية، ينسب لهند بنت النعمان بن المنذر والمسماة حرقة . ياقوت: معجم، ج٢، ص٥٤١ .

(١٠) ابن عبد ربه: العقد، ج١، ص٢٧٩-٢٨٠ / الميداني: مجمع الأمثال،ج١، ص٢٩٠ / محمود شكري الألوسي: بلوغ الأرب، ج١، ص١٤٧ .

(١١) الطبري: تاريخ، ج٢، ص١٩٣-١٩٤ / الاصفهاني: الأغاني، ج٢، ص١٩ / ابن الاثير: الكامل، ج١، ص٣٧٤ .

ولقد شارك العرب في إدارة بعض مناطق العراق، فلقد كان المناذرة اللخميون ممثلين للحكم الفارسي في الحيرة و ما حولها، و ذُكر أن سعداً بن ضباب الإيادي كان عاملاً على أحد كسور العراق[١]. و كان اياس ابن قبيصة الطائي عاملاً على أُلَيــس و الحيرة فيما بعد [٢]، و كان قيس بن مسعود بن قيس الشيباني عامل كسرى على سفوان و الأبلّة[٣]، و يَرد أن من العرب من كان دهقاناً مثل جفينة العبادي و دهقان عين التمر[٤].

ولقد تأثرت بعض القبائل العربية بمؤثرات الحضارة الفارسية، فعرفوا اللغة الفارسية، ونقل أهالي الحيرة كثيراً من آداب الفرس إليهم، وحاكى البلاط الملكي في الحيرة مثيله في المدائن واقتبس العرب الزندقة والتي كان مركزها الحيرة. الا أن ذلك كله لم يعنِ الاندماج الكلي بين الفرس والعرب.

جـ . العلاقات بين القبائل العربية في العراق قبل الإسلام:

أُعتبرت القبيلة هي اللبنة الأساسية في حياة العرب قبل الإسلام؛ ويعود ذلك الى طبيعة البيئة الجغرافية التي عاش فيها العرب؛ حيث يتعذر الحصول على الموارد الحياتية بسهولة، وبالإضافة الى قسوة الطبيعة كان يندر وجود حكومة مركزية ترعى مصالح الناس وتحفظ أرواحهم وأموالهم، فاضطرهم ذلك لإيجاد نظام يؤمن الحماية لهم ضد الآخرين، فكان على أفراد القبيلة الواحدة واجب الذود عن كيانها، وحماية مصالحها وتوفير أسباب العيش لأبنائها.

وتقوم القبائل العربية على فكرة النسب المشترك[٥]، الا أنه لا يعني أن تكون القبيلة مغلقة ضمن هذا الإطار، بل كان ينضم اليها أفراد وجماعات من أصول أخرى عن طريق الولاء أو الحلف، ليصبحوا تدريجياً داخلين في نسبها، ولعل أبرز الأمثلة على ذلك هي تنوخ وهي حلف ضم عدداً من القبائل العربية وعدداً من البطون ((تعاقدوا على التّوازر والتناصر فصاروا يداً على الناس وضمّهم اسم تنوخ، فكانوا بذلك الأسم كأنهم عمارة من العمائر))[٦]. فلم يربط هذه القبائل والبطون التي كوّنت تنوخاً أي نسب أو وحدة الدم فيما بينها.

يقول ابن خلدون ((وأعلم أنه من البيّن أن بعضاً من أهل الأنساب يسقط الى أهل نسب آخر بقرابة اليهم أو حلف أو ولاء أو لفرار من قومه بجناية أصابها؛ فيدعى بنسب هؤلاء ويعد منهم في ثمراته من النعرة والقود وحمل الديات .. ثم أنه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان ويذهب أهل العلم به فيخفى))[٧].

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ، ج١ ، ص٢٦٧ .

(٢) ابو يوسف : الخراج ، ص١٤٣ / البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٤٤ .

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج٢٠، ص١٣٤/ ابو هلال العسكري: الأوائل، ص٢٨٩ / ابو البقاء: المناقب، ج٢، ص٤١٠ .

(٤) ابو يوسف : الخراج ، ص ١٤٦ / البلاذري : فتوح ، ص٤٤٤ / اليعقوبي : تاريخ ، ج٢ ، ص٤٥ .

(٥) عبد العزيز الدوري : التكوين التاريخي ، ص ٢١ / انظر إحسان النص ، العصبية القبلية ، ص٨٢ .

(٦) الطبري: تاريخ، ج١، ص٦١٠ (هشام بن محمد)/ ابن الجوزي: المنتظم، ج٢، ص٤٩ / ابن الأثير: اللباب، ج١، ص٢٢٥ .

(٧) ابن خلدون : تاريخ ، ج١ ، ص٢٢٩ .

لقد تأثرت القبائل العربية بقسوة جغرافية منازلهم الأولى، حيث القحط والجفاف يتكرر بصورة مستمرة مما أملت على القبائل أن تعيش في حركة دائمة للبحث عن مصادر الماء ومنبت العشب، ولا نستغرب إن وجدت نظرة التنافس بين القبائل مع بعضها وأدت لوجود علاقات عدائية بينها ٠

ولقد كانت العلاقات بين القبائل العربية مع بعضها تسير ضمن خطين متوازيين أولهما: سلمي، والثاني: عدائي٠ ويمكن أن يطغى أحدهما على الآخر وفقاً لما تُمليه ظروف كل قبيلة ومصالحها٠ ويمكن البدء أولاً بالعلاقات العدائية٠ فلقد حفلت كتب التاريخ والأدب العربي بتصوير العلاقة القاسية والصعبة ضمن ما أسمته بأيام العرب: وهي مجموعة من الأخبار حول حروب القبائل قبل الإسلام(١)٠

ولقد اجتمعت عوامل عديدة في إبراز العلاقات العدائية بين القبائل، ولعل العصبية القبلية وهي شعور التماسك والتلاحم بين أفراد القبيلة الواحدة، هي الدافع الرئيسي الذي ميّز العلاقات العربية – العربية آنذاك، فالعصبية تدعو الفرد للتألب مع جماعته ونصرتها ظالمة أو مظلومة ويمكن أن تتحول العصبية للقبيلة الواحدة الى عصبية قومية يدافع فيها العرب عن بعضهم ضد ما هو غير عربي، كما حصل في وقعة ذي قار، كما سبق ذكره٠

ويمكن حصر بعض الأسباب التي أدت لقيام شكل من العلاقة العدائية بين القبائل العربية، فأبرز تلك الأسباب هو قسوة البيئة الجغرافية التي عاشت فيها القبائل العربية حيث قلة الموارد وضيق المكان وقلة الغذاء تسوّغ للقبائل الصراع مع الآخرين٠ فإن أحستّ قبيلة ما بضعف موارد مواطنها من نضوب عيون الماء، وجفاف المرعى فإنها تسارع الى حشد قواها لتغير على من يجاورها من القبائل الغنية الأخرى وتسلب ما عندها من أنعام وأموال ومتاع، وتعود الى مواطنها فخورة بما أنجزته(٢)٠

ويمكن للقبيلة أن تحارب من أجل أن تستولي على مواطن القبيلة الأخرى وبالتالي إجلائها عن مواطنها، وأمثلة ذلك في التاريخ كثيرة ٠٠ وخاصة تلك الحروب التي نشبت بين قبيلتي تميم وبكر بن وائل، ذلك أن موطن قبيلة تميم يُعدّ من المواطن الخصبة، مما يجعلها هدفاً لغارات القبائل الأخرى، وخاصة قبيلة بكر التي تجاورها في المنازل وعيون الماء، ومن أشهر هذه الأيام: يوم سفوان الذي ينسب لموضع سفوان الذي يبعد عن باب المربد بالبصرة مرحلة واحدة(٣)٠

وتذكر الأخبار أنه اقتتل بنو مازن من تميم وبنو شيبان من بكر، لأنهما تنازعا على أحقية كل واحد منهما بالمكان، وانتهت المعركة بظهور تميم وإخراج بني شيبان لماء المُحْدَث(٤)٠

---

(١) ابو عبيدة : أيام العرب ، ج١ ، ص٥٩ ٠

(٢) البكري : معجم ، ج١ ، ص٥٣ / ابو البقاء : المناقب ، ج٢ ، ص٣٦٨ ٠

(٣) سفوان: وهو عين ماء يبعد عن البصرة ٤ فراسخ / ١٢ ميل ٠ انظر ابو عبيدة: أيام العرب، ج٢، ص٤٣٣-٤٣٤ / ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص٢٢٥ ٠

(٤) ابو عبيدة : أيام العرب ، ج٢ ، ص٤٣٣ / ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤ ، ص١٦٣ ٠

ومثال ذلك أيضا يوم الشّيّطين[١]؛ وهو من منازل بكر بن وائل، فلما ظهر الإسلام التحقت بكر بالعراق وظلوا هناك حتى لحقهم الوباء وطاعون شيرويه، فعادوا هاربين حتى نزلوا لعلع[٢]، وكانت حينذاك أرضاً مجدبة بينما الشّيّطين قد أخصبت، فسار بنو تميم نحو الشّيّطين، ونزلوا بها، ولما علمت بكر بخصبها همّت بالإغارة على تميم، وكانت المسافة بين لعلع والشيطين تقدّر بثمانية ليال، تمكنت بكر من اجتيازها بنصف المدة حيث تمكنت من هزيمة تميم[٣].

ومثال آخر على هذا ما حصل يوم الزُويرين[٤]، إذ كانت بكر تقيم في أرض تميم حيث تخرج لترعى مراعيها ان أصاب منازلها القحط، وعندما يعودون لمواطنهم لا يَدَعُون شيئاً الا اكتسحوه، فقررت تميم منعهم من الرعي في أراضيها فقامت الحرب التي انتهت بانتصار بكر بن وائل[٥].

وهناك أمثلة كثيرة على هذه الأيام بين قبيلتي بكر وتميم[٦].

ويمكن أن تنشب الحروب لأسباب اجتماعية دافعها الثأر والانتقام لشرف القبيلة، أو لخلافات عائلية كما حصل بين بني عجل من قبيلة بكر وبني يربوع من قبيلة تميم، حيث روي أن شجاراً عائلياً نشب بين عميرة بن طارق اليربوعي وزوجته أخت أبجر العجلي، فما كان من أخيها الا وقاد قومه للإيقاع ببني يربوع، وكان ذلك في يوم ذي طُلُوح الذي انتهى بهزيمة العجليين[٧].

ويمكن أن يكون الدافع للأيام مجرد الرغبة في الغزو كحرب تميم وبكر في يوم النِباج وثَيْتَل[٨]، إذ غزا قيس بن عاصم المنقري ومعه قبيلة مقاعس وهم بنو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة

---

(١) او الشُيّطَان، وقيل أنهما واديان لبني دارم من تميم يبعد عن لعلع ثماني مراحل. البكري: معجم، ج٤، ص١١٥٦/ ياقوت: معجم، ج٣، ص٣٨٥ .

(٢) لعلع: ماء في البادية، وقيل يقع بين البصرة والكوفة في آخر السواد. انظر البكري: معجم، ج٤، ص ١١٥٦ / ياقوت: معجم، ج٥، ص١٨ .

(٣) ابو عبيدة ، النقائض ، ج٣ ، ص١٠٩٧ / البكري : معجم ، ج٤ ، ص١١٥٦ / ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص٥١٦ / النويري : نهاية الأرب ، ج١٥ ، ص٣٩٣ .

(٤) نسبة الى جملين أحضرتهما قبيلة تميم مقرونين مقيدين، ويرى ابن الأثير انهما بمثابة الهين لها . أنظر ابو عبيدة: ايام العرب، ج٢، ص ٤٣٨-٤٣٩ / ابن الاثير : الكامل ، ج١ ، ص٤٨٠ .

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص١٦٧ / النويري: نهاية الأرب، ج١٥، ص٣٩١-٣٩٢ / عمر كحاله: معجم، ج١، ص١٢٨ .

(٦) ابو عبيدة : ايام العرب ، ج٢ ، ص٣٤٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٨ ، ٤٤٥ / النويري : نهاية الأرب ، ج١٥ ، ص٣٨١-٣٨٢ .

(٧) ذي طلوح هو وادي يصب في رقمة فلج الواقعة ما بين البصرة والكوفة . البكري : معجم ، ج٣ ، ص٨٩٣ / ويذكر ياقوت أنه في حَزن بني يربوع بين الكوفة وفَيد . معجم ، ج٤ ، ص٣٩ / أنظر ابو عبيدة : النقائض ، ج٣ ، ص٩٠٢-٩٠٤ / أيام العرب ، ج٢ ، ص٣٩٠-٣٩٥ / ابن عبد ربه : العقد ، ج٤ ، ص١٥٢ .

(٨) النباج وثيتل هما موضعان متقاربان بالبصرة . انظر ابو عبيدة: النقائض، ج٢، ص٣٧٨ / البكري: معجم، ج٤، ص١٢٩١ / جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص٢٥٧ .

ومعهم الأجارب وهم بنو كعب بن سعد بن زيد مناة من تميم، قبيلة بكر بن وائل في موضعي النّبَاج وثَيتل حيث كان اللهازم وهم بنو قيس وتَيّم اللات ابنا ثعلبه، وعجل بن لجيم وعنزه بن اسد بن ربيعة بن نزار ومعهم بنو ذهل بن ثعلبه بن عكابة، وانتهى اليوم بهزيمة بكر وسلبها[١].

ويمكن أن تنشب الحروب بين بطون القبيلة الواحدة، أو قبيلتان تعودان في نسبها لأب مشترك كما كان بين بكر وتغلب ابني وائل بن قاسط بن هنب العدناني[٢]، حيث فتكت الحروب بأبناء القبيلتين وشردت تغلب عن منازلها مثل يوم الحنو إذ ظهرت فيه بكر[٣]، وكذلك يوم بارق[٤]. ومن أسباب هذه الحروب هو تنافس القبيلتين على الرئاسة.

ومن أمثلة هذا التنافس أيضاً نزاع الملوك المناذرة اللخميين، خاصة في عهد المنذر بن ماء السماء (٥١٥ –٥٤٧م) مع قبيلة كندة القحطانية التي تمكن ملكها الحارث بن حجر بن عمرو آكل المرار من مدّ سيطرته على معظم القبائل العربية، وأنشأ مملكة قوية امتدت في بادية الحجاز، وهددت مملكة الحيرة بغزواتها، حتى تمكّن الحارث من كسب عطف الملك قباذ بن فيروز الذي منحه حكم الحيرة[٥]، ولما قُتل الحارث، قام ولده بما في أيديهم ((من سلطان، وصبروا على قتال المنذر، طلباً بثأر أبيهم، فلما رأى المنذر تغلّبهم على أرض العرب نفسّهم ذلك وواقع بينهم الشرور))[٦]، واستمر المنذر ينازع أبناء الحارث على رئاسة القبائل العربية حتى نجح في القضاء عليهم.

كما اشتعلت الحروب بين ملوك الحيرة وبعض القبائل العربية، خاصة اذا أحست هذه القبائل بأي ضعف في جانبهم، فإنها تبدأ بالتمرّد والثورة عليهم والعبث بمصالحهم، ومثال ذلك حرب يوم أوَارة الأول[٧] عندما امتنعت بكر بن وائل تسليم سلمة بن الحارث الكندي للمنذر بن ماء السماء، وذلك استضعافاً له[٨].

وكانت العلاقات بين القبائل العربية وملوك الحيرة متأرجحة بين السلم والعداء، فأحياناً نجد ملوك الحيرة يعطفون على بعض القبائل ويمنحوها الهبات والامتيازات، وأحياناً أخرى يسلبونها حقوقها ويحاربونهـــــا،

---

(١) ابو عبيدة : أيام العرب ، ج٢ ، ص٤٢٩-٤٣١ .

(٢) أنظر ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص٤٨٤ / السمعاني: أنساب، ج١، ص٣٣٩ / عمر كحاله: معجم، ج١، ص١٢٠-١٢١ .

(٣) الحنو: موضع يبعد عن ذي قار مسيرة ليلة ويقع في بادية الكوفة . ياقوت: معجم، ج٤، ص٢٩٤ / انظر ابو عبيدة: النقائض، ج٣، ص٧٩١ .

(٤) ابن الاثير: الكامل، ج١، ص٥١٢ / Caskel, Baker B. Wa,il, EI[1].Vol.1, P963

(٥) الطبري: تاريخ، ج٢، ص٩٥-٩٦ / الأصفهاني: تاريخ، ص٩١-٩٢ / ابن الاثير: الكامل، ج١، ص٣٢٠ .

(٦) اليعقوبي: تاريخ، ج١، ص٢٦٤ / ابن حبيب: المحبّر، ص٣٦٨-٣٧١ / الاصفهاني: الأغاني، ج١١، ص٦٠-٦٢ / ابن الاثير: الكامل، ج١، ص٤٣٥ .

(٧) ابن الاثير: الكامل، ج١، ص٤٣٧ / ابو الفداء: المختصر، ج١، ص١٣٠ / ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٦٧ / جواد علي: المفصل، ج٣، ص٢٢٧ .

(٨) ابو عبيدة: النقائض، ج١، ص٢٣٠ / البلاذري: أنساب، ج١٢، ص١٥٢ / ابو البقاء: المناقب، ج٢، ص٤٣٣ .

ومثال ذلك محاولة المنذر بن ماء السماء (٥١٥-٥٤٧م) إخراج الردافة من بني يربوع التميميين، عندما طلب منه حاجب بن زرارة التميمي ذلك إثر وفاة عَتّاب بن هرمي اليربوعي، إذ ان ولده عوف الذي سيرث هذا المنصب ما يزال صغيراً، وأراد أن يصرفها لأخوانهم بني مجاشع، الا أن اليربوعيين رفضوا وقالـــوا ((انه لا حاجة لأخواتنا فيها ولكن حسدونا مكاننا من الملك ، و عوف بن عتّاب على حداثة سنه أحرى للردافـــة))[1]. وعلى إثر ذلك اشتعلت نار الحروب في يوم طَخْفَة[2]، وإنتهت بهزيمة المناذرة واضطرار الملك المنذر بقبول حصر الردافة في بني يربوع[3].

وفي هذا دلالة واضحة على عظمة القبيلة التي رأت في نفسها قوة تستطيع بها أن تصون حقوقها وامتيازاتها، مما يدل على امتناع العرب عن قبول الضيم والذل، كما أن في ذلك إشارة لإحساس بني يربوع بضعف ملوك الحيرة وإلا لما دخلوا معهم في حرب ضروس الا إذا كانوا يضمنون عواقبها. ويذكر ابو البقاء في هذا الشأن ((فليتأمل متأمل حكم هذا المَلك مع بني يربوع وهم قبيلة واحدة من قبائل تميم وحَجْرهم عليه في ملكه وإلزامهم إياه لأنفسهم ما لا يريده لنفسه ... ليعلم أنه كان رعية لهم ، ولن يكونوا رعية له))[4].

الى جانب هذه العلاقات العدائية ، فسح المجال لظهور علاقات سلمية بين القبائل ، إذ يصعب أن تعيش القبيلة لوحدها وأن تحقق لنفسها اكتفاءاً ذاتياً بكافة المجالات، كما يصعب العيش دائماً في جو من العداء والصراع مع الآخرين، لذا فرض التجاور بين القبائل في المنازل احتكاكات سلمية اتخذت أشكال وصور عديدة: فعندما تتجاور قبيلتين أو أكثر، يمكن أن تتشابك الأرحام فيما بينها وتتولد علاقات المصاهرة عن طريق الزواج بين أفرادها[5]، وهناك أيضاً الولاء وهو دخول أي فرد تخلعه قبيلته في قبيلة أخرى بقصد أن تحميه فيصبح مولى لها، ويدخل نسبه بمرور الزمن في نسبها[6].

وهناك أواصر التحالف، والحلف عند العرب نوعان: شخصي يُعقد بين فرد وفرد، أو بين فرد وجماعة ، وقبلي وهو يعقد بين قبيلة وقبيلة، وكانت الاحلاف بين القبائل أشبه بالمعاهدات السياسية بين الدول في الوقت الحاضر، فإذا أحست قبيلة بضعفها حيال القبائل القوية، التحقت بقبيلة أقوى منها لتحتمي بها، وقد تنقضي الأزمان فيصبح للحليفين أسم ينسبهما معاً الى جد مشترك وغالباً ما يكون اسم القبيلة القوية، ومثال ذلك اليرابيع الذين كانوا من بطون النمر بن قاسط ثم انتسبوا لأحلافهم من بني القين من تغلب[7]، وكذلك

---

(١) ابو عبيدة: النقائض، ج١، ص٢٣٠ / البلاذري: أنساب، ج١٢، ص١٥٢ / ابو البقاء: المناقب، ج٢، ص٤٣٣ .

(٢) طَخفَة: موضع بعد النباج على يسار طريق البصرة الى مكة . أنظر البكري، ج٣، ص٨٨٨-٨٨٩ / ياقوت: معجم، ج٤، ص٢٣ .

(٣) ابو عبيدة : أيام العرب ، ج٢ ، ص٤٥٧ / البلاذري : أنساب ، ج١٢ ، ص١٥٢ / ابن عبد ربه: العقد الفريد ، ج٤ ، ص١٩٠ / ابن الاثير : الكامل ، ج١ ، ص٥١٢ .

(٤) ابو البقاء : المناقب ، ج٢ ، ص٤٣٤ .

(٥) إحسان النص : العصبية ، ص ٨٧ / السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب ، ص٤١٣ .

(٦) ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٢٢٩ / السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب ، ص٤١٣ .

(٧) الأصفهاني : الأغاني، ج١٢ ، ص١٤٦ / عمر فروخ : تاريخ الجاهلية ، ص١٥٠ .

لما حالف عمرو بن تميم بكراً بن وائل وأقاموا في ديارهم بعدما اختلفوا مع أخوانهم بني حنظلة وفي ذلك قال أوس بن حجر:

نحن بنو عمرو بن بكر بن وائل نحالفهم ما دام للزيت عاصر[١]

ويذكر البكري ((فلما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة وتنافس في الماء والكلأ والتماسهم المعاش في المتسع وغلبة بعضهم بعضاً على البلاد والمعاش واستضعاف القوي الضعيف، انضم الذليل منهم الى العزيز وحالف القليل منهم الكثير)) [٢].

ويمكن أن تتحالف مجموعة من البطون التي تعود في أصولها لأنساب متعددة، فتجنح الى الاتحاد وتكوين تجمع قبلي كبير ومثال ذلك في العراق تنوخ[٣].

وأتخذت الإجارة مظهراً مهماً في العلاقات القبلية، فلما خرجت بكر مع الفرس لحرب قبيلة إياد في عهد كسرى أنو شروان وطردهم من تكريت وقرية الحرجية، أجار الحارث بن همام بن مرة بن ذهل الشيباني أناساً من اياد كان منهم ابو دواد الايادي[٤].

وكان في تقارب منازل تميم من قبيلتي بكر وتغلب ابني وائل بن قاسط النصرانيتان داعياً لانتشار النصرانية في بني تميم[٥].

ومن صور العلاقات الحميمة بين ملوك الحيرة وبعض شيوخ القبائل الموالية لهم، منحهم عدداً من الامتيازات المادية، كما حاولت الحيرة تنظيم العلاقة مع القبائل التي لا تدين لها ضمن شروط تبادل المنافع من خلال تسيير القوافل التجارية في أراضيهم والسماح لهم بخفارتها، أو السماح للقبائل التي تعاني من جفاف مواطنها بالرعي في تخوم العراق[٦].

فلقد روي اقطاع النعمان بن المنذر قرية السوادية الموجودة في منطقة الكوفة لسواد بن زيد بن عدي التميمي العبادي[٧].

كما اقطع النعمان أيضا عبد هند من بني زهر بن اياد قرية الخص (الخصوص) الواقعة في بطن النجف قرب القادسية[٨]، وصالح أيضاً ضمرة بن ابي ضمرة التميمي، وهو من قال فيه كلمته المشهورة ((أن

---

(١) ابو عبيدة : النقائض ، ج١ ، ص٣٢٩ .

(٢) البكري : معجم ما استعجم ، ج١ ، ص٥٣ (هشام بن محمد) .

(٣) الطبري: تاريخ، ج١، ص٦١٠ (هشام بن محمد)/ البكري: معجم، ج١، ص٥٣ / ابن الجوزي: المنتظم ، ج٢، ص٤٩ .

(٤) البكري : معجم ، ج١ ، ص٧١ .

(٥) Dellavida, Tamim, EI[1], Vol.IV. P.643 .

(٦) جمال جودة : العرب والأرض ، ص٦٩ .

(٧) ابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٤٩ / البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٨١ / ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص٢٧٥ .

(٨) ابو البقاء : المناقب ، ج٢ ، ص٥٠١-٥٠٢ / ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٣٧٥ .

تسمع بالمعيدي خير من أن تراه))[١]، لأنه كان رجلاً دميماً، وكان ضمرة يغير بقومه على السواد، فصالحه النعمان على عدة كثيرة من الإبل يؤديها اليه ليكف غاراته.

وكانت وفود القبائل العربية لا تنقطع عن بلاط الحيرة، حيث ينالون التكريم والإحترام والهبات فيرد مثلاً وفود وجوه العرب وأصحاب الرهائن عند مطلع كل سنة في أيام الربيع الى الملك النعمان ((وقد صيّر لهم أُكَلاً عنده وهم ذوو الآكال فيقيمون شهراً ويأخذون آكالهم ويبدلون رهائنهم وينصرفون الى احيائهم))[٢]. والآكال كما عرّفها ابن الأعرابي أنها ((الميرة التي يمتري بها الناس في الجدب))[٣].

وفي إحدى المناسبات وهب المنذر بن ماء السماء بردى أبيه امرئ القيس المحرّق لعامر بن أحيمر بن عوف الذي وفد اليه مع قومه، وتبارز مع عرب آخرين عمن تكون أعز القبائل فكانت قبيلته بهدلة من سعد ابن زيد مناة بن تميم أعز قبائل العرب وأكثرها عدداً[٤].

ومن المراتب الرفيعة التي أنعم بها ملوك الحيرة على شيوخ القبائل: الردافة والتي كانت في أكثر الأحيان محصورة في بني يربوع التميميين[٥]. كما منحت أحياناً أخرى لقبائل مثل بكر، تغلب، ضبّة بن أد، وذلك لأنها قبائل معروفة بقوة بأسها[٦].

وكانت مملكة الحيرة في منافسة حامية مع مملكتي كندة والغساسنة العربيتين من أجل استقطاب أكبر عدد من القبائل لجانبها، ومحاولة اخضاع تلك القبائل وضمان ولائها لصالح أحد هذه الممالك، وكم كانت الحاجة ماسة لمشاركة القبائل الممالك في حروبها وغزواتها ضد بعضها وكذلك لخفارة قوافلها التجارية وسلامة وصولها لأهدافها.

ولقد اختلفت الروايات في تحديد زمن نشوء الردافة، ويرجح عدد من الباحثين أنها نشأت في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي[٧]، وذلك لتراجع قوة ملوك الحيرة وعدم قدرتهم على متابعة صد الهجمات العربية على حدودهم، و خاصة بني يربوع، فاضطر ملك الحيرة لمصانعتهم بمنحهم هذا المنصب و هو أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه، فإذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس، وإذا غزا الملك،

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص١٧١ / ابن عاصم: الفاخر، ص٦٥ / الألوسي: بلوغ الأرب، ج١، ص٣١٦ .

(٢) جواد علي: المفصل، ج٣، ص١٩٩ . وقيل انها تعني قطائع كانت للملوك تؤكّلها الاشراف . أنظر ابو عبيدة: النقائض، ج١، ص٣٢٨ .

(٣) ابن منظور: لسان العرب ، ج١ ، ص١٢٧ .

(٤) ابو عبيدة : النقائض ، ج٣ ، ص٨٣٨ / ابن عبد ربه : العقد ، ج١ ، ص٣٩٩ / ابو البقاء : المناقب ، ج١ ، ص٢٨٦ / ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج٣ ، ص٤٢٦ .

(٥) ابن قتيبة: المعارف، ص٣٦١ / ابن ابي الحديد: شرح، ج٣، ص٤٢٧ / القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٤٠١ .

(٦) صالح درادكه : "الردافة على ضوء بعض العلاقات القبلية في شمال شرق الجزيرة العربية"، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١١، ١٩٨٣، ص٣٥ / Donner, The Arab Tribes, P.51-52 .

(٧) Dellavida, Tamim, EI[1], Vol.IV. P.644 / انظر أيضاً جمال جودة: العرب والأرض، ص٦٧ / صالح درادكة: "الردافة على ضوء بعض العلاقات القبلية في شمال شرق الجزيرة العربية"، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١١، ١٩٨٣، ص ٣١، ص٣٢ .

جلس الردف في مجلسه وخلفه على الناس حتى يرجع من غزاته، قال رجل من بني تميم:

ومن يناوِ آل يربوع يُجـــب   يأتك منهم خير فتيان العـــرب

المجلس الأيمن والردف الحب [١]

وكان للرديف ربع الغنيمة، فقال جرير:

رَبْعَنا وأردفنا الملوك فظللوا   وطاب الأحاليب الثمام المنزعا[٢]

ورأينا كيف عجز الملك المنذر بن ماء السماء عن انتزاع الردافة من بني يربوع حتى قيل ((فكان الملك مع بني يربوع في الردافة كالمحجور عليه))[٣].

ولقد لعبت عوامل مهمة في منح بني يربوع الردافة أهمها أن منازلهم تقع على طريق القوافل التجارية الممتدة ما بين وادي الباطن الى البحرين واليمامة، ومن واحة يبرين جنوباً حتى غرب الفرات بموازاة الحيرة شمـــالاً[٤].

لجأ ملوك الحيرة الى تجنيد عدد من القبائل العربية ضمن كتائب عسكرية لضمان ولائها. فكانت اياد وتغلب والنمر وبكر وتميم وقبائل عربية أخرى تشارك ملوك الحيرة في حروبها[٥].

ويروي الدينوري أن عمراً بن المنذر والمعروف بعمرو بن هند وحكم في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، أرسل الى بني تغلب يدعوهم لطاعته والغزو معه، فأبوا ذلك، فأرسل عليهم حملة يقودها الغلاّق ابن قيس التميمي[٦]، ولقد كان لتميم مشاركة قوية وكبيرة بجانب ملوك الحيرة في يوم حليمة، حيث روي انه وقع في يد الغساسنة اكثر من مائة أسير من تميم[٧].

ولجأت مملكة الحيرة لتضمن ولاء القبائل العربية لها الى تشكيل كتيبة عرفت باسم الرهائن وتتألف مـــن خمسمائة غلام يأخذهم ملك الحيرة من أحياء العرب رهائناً لديه ليضمن طاعة قبائلهم وعدم إغارتهم على

---

(١) ابو عبيدة : النقائض ، ج٢ ، ص٤٧١ .

(٢) ابو عبيدة : النقائض ، ج٢ ، ص٤٧٢ / ابن قتيبة : المعارف ، ص٣٦١ .

(٣) ابو البقاء : المناقب ، ج٢ ، ص٤٣٢-٤٣٣ / ابن الاثير : الكامل ، ج١ ، ص٥١٢ .

(٤) Dellavida, Tamim, EI[1], Vol.IV. P.643-644 .

(٥) البلاذري: أنساب، ج١، ص٣٢ / المبرد: الكامل، ج١، ص٣٩٣ / ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص١٩٠ / ابو هلال العسكري: الأوائل، ص٦٤ / ابو البقاء: المناقب، ج٢، ص٤٢٣ .

(٦) ابن قتيبة: المعاني الكبير، ج٢، ص١٠١٢ / الأصفهاني: الأغاني، ج٩، ص١٧٣-١٧٥ / البكري: سمط اللآلئ، ج٢، ص٧٤٦ .

(٧) الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٧٢-٢٧٣ / ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٤٣٠ / ويذكر نولدكه ان حليمه اسم مكان لا إسم امرأة هي حليمة بنت الملك الحارث بن جبلة الغساني كما يذكر الاخباريون، ويرى انه هو نفسه موقع الحيار او ذات الحيار. وهو صقع من برية قنسرين يبعد عن حلب يومان . ياقوت: معجم، ج٢، ص٣٢٧ . انظر: ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٢٩٦ / نولدكه: أمراء غسان، ص٢٠-٢١ .

حدود العراق، وكان الرهائن يخدمون لمدة ستة أشهر ثم يستبدلون [١].

وعرف أيضاً كتيبة الصنائع وهم من شواذ الأحياء وخلعائهم الذين يخرجون الى الحيرة ويشاركون ملوكها في حروبهم، وكانوا يقدرون بألف فارس[٢]، أما أبو عبيدة فيذكر انها كتيبة اكثرها من قبيلة بكر بن وائل[٣]، التي قال عنها الأصفهاني ((وكانت بكر قبيلة تقيم أود ملوك الحيرة وتعضدهم))[٤].

ومن أشهر بطون بكر ممن قامت بهذه المهمة بنو قيس وبنو تيم اللات ابني ثعلبه، المعروفون باللهازم[٥].

---

(١) المبرد: الكامل، ج١، ص٣٩٣ (ابو عبيدة) / ابو البقاء: المناقب، ص١٠٦-١٠٧ ·

(٢) الطبري: تاريخ، ج٢، ص٤٢/ الأصفهاني: تاريخ، ص٨٦/ ابو البقاء: المناقب، ج١، ص١٠٥/ ياقوت: معجم، ج٢، ص٣٣١ ·

(٣) ابو عبيدة : النقائض ، ج٢ ، ص٦١٩ / المبرد : الكامل ، ج١ ، ص٣٩٣ ·

(٤) الأصفهاني : تاريخ ، ص٩٠ / ابو البقاء : المناقب ، ج٢ ، ص٤٢٣-٤٢٤ ·

(٥) جواد علي : المفصل ، ج٣ ، ص١٩٩ ·

<u>الفصل الثالث</u>

الفتح العربي الإسلامي للعراق (العربي)

أ- القبائل العربية المشاركة في فتح العراق (العربي) ٠

ب- إنشاء دور الهجرة ٠

- البصرة ٠
- الكوفة ٠
- تطور مراحل البناء في المصرين في صدر الاسلام ٠

ج- تزايد الهجرات العربية الىٰ العراق (العربي) واثر ذلك على تنظيمات القبائل :

- البصرة ٠
- الكوفة ٠

أ – القبائل العربية المشاركة في فتح العراق (العربي) :–

نجـم الفـتح العربي الإسلامي للعراق العربي عن طبيعة العلاقات التي سادت بين بعض القبائل العربية المـتاخمة لأطراف العراق و الدولة الساسانية من جهة، وعلاقتها مع الدولة العربية الإسلامية الناشئة من جهـة أخرى عشية إنطلاق عمليات الفتح. فلقد استمرت بعض القبائل العربية بشن غارات خاطفة على ريـف العراق، خاصة بعدما قويت شوكتها بعد انتصارها الكبير بقيادة قبيلة بكر بن وائل على الفرس في وقعـة ذي قار[١]. وزادت وطأة تلك الغارات عندما تولت بوران بنت كسرى عرش فارس سـنة ٩هـ/ ٦٣٠م، إذ ((شاع في أطراف الأرضين أنه لا ملك لأرض فارس، وإنما يلوذون بباب امرأة))[٢].

وبذلك صعّد بعض قادة هذه القبائل العربية أنشطتهم في الإغارة على ريف العراق مستغلين ضعف الدولة الساسـانية. و كـان أبـرز مـن قاد هذه المجموعات القبلية: المثنى بن حارثة الشيباني[٣]، الذي وصفه ابـن أعثم (ت٣١٤هـ) أنه ((أول من ألف الحروب من العرب والعجم))[٤]. واشترك لجانبه عدد آخر مـن القادة مثل: مذعور بن عدي العجلي[٥]، حرملة بن مريطة الحنظلي[٦]، سلمى بن القين الحنظلي[٧]، سويد بن قطبة الذهلي، وقيل قطبة بن قتادة السدوسي[٨]، وحنظلة بن الربيع الأسيدي[٩].

---

(١) الديـنوري: الأخبار، ص١٠٧/ الطبري: تاريخ، ج٢، ص١٩٣، ٢٠٤-٢١٠/ ابن أعثم: الفتوح، م١، ص٧٤/ أبو البقاء: المناقب، ج٢ ، ص٤٠٣ / ابن الاثير: الكامل ، ج٢ ، ص٣٧٩ .

(٢) الدينوري : الأخبار ، ص١٠٧ / جمال جودة : العرب والأرض ، ص١٤٤ .

(٣) المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان الربعي الشيباني ، كان له صحبة مع الرسول (ص) ، وأبلى بلاءاً حسناً في فتوح العراق ، توفي سنة ١٤هـ . ابن حجر : الاصابة ، ج٥ ، ص٥٦٩ .

(٤) ابن اعثم : الفتوح ، م١ ، ص٧٠ / البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٥٤ .

(٥) مذعـور بن عدي العجلي : كان قد وفد مع المثنى بن حارثة الى الرسول (ص) وصحباه ، وشهد بعض فتوح العراق ، ثم خرج مع خالد بن الوليد الى الشام سنة ١٣هـ ، فشهد اليرموك ، ثم بلغ مصر فشرف بها وعظم شأنه . الطبري: تاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٥ (ابو مخنف) / ابن حجر : الاصابة ، ج٦ ، ص٥١ .

(٦) حـرملة بن مريطة الحنظلي ؛ كانت له صحبة وهجرة مع الرسول (ص) ؛ وشارك عتبة بن غزوان في فتوح البصرة سنة ١٤هـ . ابن حجر : الاصابة ، ج٢ ، ص٤٦ .

(٧) سلمى بن القين بن عمرو بن بكر بن مالك بن حنظلة من زيد مناة بن تميم، كانت له صحبة مع الرسول (ص). ابن سعد: الطبقات: القسم الناقص ، ص٥٥٤ / ابن حجر : الاصابة ، ج٣ ، ص١٣٤ .

(٨) اختلفـت المصادر في تحديد نسبه، فقيل الذهلي بن بكر بن وائل، ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص٣٨/ ابن حجر: الاصابة، ج٣ ، ص٢٢١ . وقيل أنه من سدوس. وقيل أن سدوس بطن من تميم وهم بنو سدوس بن دارم بن مالك بـن حنظلة من زيد مناة بن تميم ، ابن دريد : الاشتقاق : ص٢٣٤ / عمر كحاله : معجم ، ج٢ ، ص٥٠٦ / وقيل سـدوس بطن من بكر بن وائل وهم بنو سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة من بكر بن وائل، ابن دريد: الاشتقاق: ص٣٥١/ السمعاني: الأنساب: ج٣، ص٢٦ / عمر كحاله: معجم، ج٢، ص٥٠٦ . انظر: الواقدي: الردة، ص١٣٠/ ابـن سعد: الطبقات، ج٧، ص٣٨/ خليفة بن خياط: تاريخ، ص١١٧/ الطبري: تاريخ، ج٣، ص٣٤٣ . وقيل أنه من بني عجل. الدينوري: الأخبار، ص١١١ .

(٩) حنظلة بن الربيع الأسيدي المعروف بحنظلة الكاتب، روى عن الرسول (ص) وكتب عنه، وشهد وقعة القادسية ونزل الكوفة ومات في خلافة معاوية بن أبي سفيان. ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص٣٨٨ / ابن حجر: الاصابة، ج٢، ص١١٧ .

و لقــد كــان هــؤلاء القادة يخرجون مع جماعات من أقوامهم يغيرون على ريف العراق، ثم يتراجعون بســرعة خاطفة نحو البادية، فيروى مثلاً أن المثنى وسويد كانا ((يغيران على الدهاقين فيأخذان ما قدرا عليه، فإذا طلبا أمعنا في البر فلا يتبعهما أحد))[١]،

ولقد اتخذ كل من هؤلاء القادة مناطقاً محددة قريبة لمواطن استقرارهم يشنون عليها الغارات: فكان سويد ابن قطبة يغير بناحية الخريبة من االبصرة[٢]، وكذلك على الابلة وما يليها[٣]،

وكــان نشــاط بني شيبان مركزاً في مناطق وسط العراق العربي خاصة منطقة الحيرة[٤]، فلقد روى ابو مخنف (ت١٥٧هــ) أن المثنى وصحبه كانوا يغيرون ((بناحية كسكر مرة وفي أسفل الفرات مرة))[٥]، كما كان لهما غارات في بادية السماوة[٦]، وقيل أن أحدهما كان ينزل خفان[٧] والآخر ينزل بالنمارق[٨]، أمــا بــنو عجل فكانت ساحة غاراتها جنوب العراق، خاصة حول الأبلة، كما كانوا يشاركون بني شيبان غاراتهم وسط العراق بقيادة مذعور بن عدي[٩]،

ويمكنــنا تحديــد المجموعات القبلية التي مثلت البدايات لحركة الفتح بعدما نظمتها الخلافة الاسلامية في المديــنة وإســتمرت في الإمداد العسكري بشرياً ومالياً، ولعل أبرزها قبيلة بكر بن وائل التي شارك من بطونهــا: بنو شيبان المنتشرين في بادية الحيرة ويقودهم المثنى بن حارثة، وبنو عجل الموجودون أسفل العراق حول الابلة يقودهم مذعور بن عدي، الذي يذكر مشاركته مع المثنى في منطقة الحيرة ايضاً،

كما قاد سويد بن قطبة العجلي قومه جنوب العراق،

وذكــر خليفة بن خياط (ت٢٤٠هــ) وابن اعثم (ت٣١٤هــ) إشتراك سدوس بن شيبان من بكر بن وائل

---

(١) الدينوري: الأخبار ، ص١٠٧ ،

(٢) الخريبة: تقع على مسافة ٢٤كم من نهر دجلة العوراء على طرف البر الى الغرب من الأبلة، وقيل سميت بذلك لأن مرزباناً فارسياً ابتنى فيها قبراً وخرب بعده قبيل وصول المسلمين، فلما جاءوا وجدوا بعض الخرائب وقصور قديمة فسموها الخريبة، ياقوت: معجم، ج٢ ، ص٣٦٣ ،

(٣) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة العوراء في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة، وهي أقدم من مدينة البصرة، كان فيها مسلحة للأعاجم عشية الفتح، ياقوت: معجم، ج١، ص٧٧ ، انظر: البلاذري: فتوح، ص٢٤٣ (قالوا)/ الطبري: تاريخ، ج٣، ص٣٤٣ (عمر بن شبه)،

(٤) الــبلاذري: فــتوح ، ص٢٤٣ (قالوا) / الطبري : تاريخ ، ج٣، ص٣٤٤ (ابو مخنف) / البكري: معجم ،ج٢ ،ص٧٧٢ / ابن حبيش: غزوات، ج٢ ، ص٣٨٦ ،

(٥) الطــبري : تــاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٤ (ابو مخنف) ، كسكر : كورة واسعة كانت قصبتها تسمى خسرو سابور ، ولما بنى الحجــاج واسط، اصبحت واسط قصبتها، ومن مشهور نواحيها :المبارك، عبدسي، المذار، ميسان، دستميسان، آجام البريد ،، وتشتهر بزراعة الشعير حتى قيل أن معناها بلد الشعير ، ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٤٦١ ،

(٦) السماوة: هي بادية تقع ما بين الكوفة والشام، ياقوت: معجم، ج٣، ص٢٤٥ ، انظر: الطبري: تاريخ، ج٣، ص٣٤٤ (ابو مخنف)/ نزار الحديثي، العراق عند مجيء الاسلام، بحث في كتاب حضارة العراق، ج٥، ص١٤ ،

(٧) خفان: موضع قرب الكوفة ، قيل هي فوق القادسية وهي من قرى السواد ، ياقوت : معجم ، ج٢، ص٣٧٩ ،

(٨) النمارق: موضع قرب الكوفة من أرض العراق ، ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٣٠٤ ،

(٩) البلاذري: فتوح ، ص٢٤٢ (قالوا) ،

Zarrinkub, The Arab conquest of Iran, The Cambridge History of Iran, Vol.4. P.5

بقـــيادة سويد بن قطبة[١]، إضافة لمشاركة ضبيعة – يحتمل أنها من عجل أو من قيس وكلاهما من قبيلة بكر بن وائل[٢] –. كما أن الروايات التي تنسب سويد بن قطبة الى بني ذهل بن ثعلبة من بني بكر تشعر بإشتراك جماعات منها في هذه الغارات[٣].

كمـــا شاركت قبيلة تميم وبنو عمومتهم من الرباب[٤]، حيث يرد ذكر حرملة بن مريطة وسلمى بن القين وكلاهما من بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، كما ترد مشاركة جماعات من بني أسيد بن عمرو ابن تميم عليهم حنظلة بن الربيع. كما أن الروايات التي تنسب قطبة بن سويد الى سدوس التميمية تشعر بحضور أفراد آخرين منها. ويصعب تقدير القوة العددية لهذه القبائل المشاركة في الغارات اذ لم يرد في المصادر اي ذكر لذلك باستثناء اشارة متأخرة عند ابن حبيش (ت٥٨٤هـــ) ذكر فيها أن المثنى ومذعور قادا أربعة الآف رجل من بكر بن وائل وضبيعة وشنا غارات على فرات بادقلى حتى السيلحين[٥].

وتبدو المبالغة في هذه الاشارة، لأن ما قامت به تلك القبائل لم يتعد أن يكون هجمات خاطفة لم تثمر عن أي نـــتائج حاســـمة علـــى الارض، لذا لا بد أنها كانت اعداداً قليلة سرعان ما اندمجت مع القوات التي ارسلتها الخلافة تباعاً الى العراق، ومما يثبت قلتها أن الفرس حاولوا التصدي لها حتى ((كادوا أن ينحوهم عنهـــــــا))[٦].ورغم قلة أعداد القبائل التي كانت تغير على الفرس إلا أن صدى انتصاراتها وصل الى المدينة المنورة، فسأل الخليفة ابو بكر عن صاحب هذه الانتصارات، فأجابه قيس بن عاصم المنقري ((يا خلـــيفة رسول الله: هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب و لا بقليل العدد والمدد هذا المثنى بن حارثـــة الشـــيباني))[٧]. وتـــدل هذه الرواية على قوة قبيلة بكر عامة وبنو شيبان خاصة وكثرتهم حول العـــراق عشية الفتح. ويبدو أن ابا بكر لم يكن له اي اتصال بالمثنى قبل هذا الوقت بما يتعلق بالعمليات العسكرية في العراق.

يروي ابو مخنف قدوم المثنى على أبي بكر في المدينة وسؤاله أن يؤمره على قومه ((أقاتل مَن يليني من

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١١٧ .

(٢) ضـــبيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل او ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. تنسب لهم محلة في الكوفة وأخرى في البصرة. ابن الكلبي: جمهرة، ص٦٠٠ / الطبري: تاريخ، ج٣، ص٣٤٥ (أبو مخنف)/ ابن حجر: الاصابة، ج٦، ص٥١ / عمر رضا كحاله: معجم: ج٢، ص٦٦٤ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ج٧ ، ص٣٨ / ابن حجر : الاصابة ، ج٣ ، ص٢٢١ .

(٤) اخـــتلف النســـابون في نسب الرباب فقيل أنهم بنو عبد مناة بن أدّ بن طابخه بن الياس بن مضر بن نزار العدنانية ، وتضم: تمـــيم، عـــدي، عوف، ثور. سموا بالرباب لأنهم غمسوا أيديهم في الربّ في حلف على بني ضبة . ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٦٥٩ / وقيل أن الرباب احياء ضبة سموا بذلك لتفرقهم وهم خمس قبائل تجمعوا فصاروا يداً واحدة: ضبة، ثور، عكل، تيم، عـــدي. ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٧١ . وقيل أن الرباب قبيلة سميت بذلك لأن بطونها تحالفت واجتمعت كاجتماع الربابة. ابن دريد: الاشتقاق: ص ١٨٠ .

(٥) ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٣٨٦ .

(٦) الواقدي: الردة ، ص١٢٨ / ابن اعثم : الفتوح ، م١ ، ص٧٤ .

(٧) الواقدي: الردة ، ص ١٢٧ / البلاذري : فتوح ، ص٢٤٢ / ابن اعثم : الفتوح ، م١ ، ص٧٤ .

أهــل فــارس وأكفــيك ناحيتي، ففعل ذلك))[١]. وفي هذا تأكيد على نية المثنى ربط غاراته العسكرية بالخلافة ليضفي عليها الشرعية اللازمة لضم أكبر عدد من أبناء القبائل ممن ينزلون بتخوم العراق والذين اعتنقوا الإسلام قبل مجيء حركة الفتح؛ وذلك لأن المثنى وعدداً من صحبه كانوا قد أسلموا في حياة النبي (ص) وانضم لهم جماعات من أقوامهم، ويدل على ذلك رواية عن قطبة بن قتادة السدوسي الذي كان يغير بناحــية الأبلــة قبيل قدوم خالد بن الوليد الى العراق فقال ((حمل علينا خالد بن الوليد في خيله فقلنا: إنا مســلمون، فتركنا وغزونا معه الأبلة ففتحناها))[٢]. كما هدف ابو بكر من دعمه للمثنى أن يجعل زمام المبادرة في فتح العراق بيد الخلافة الاسلامية، ويبدو أن الخلافة كانت تتطلع الى فتح العراق، فوجدت في غارات المثنى وصحبه فرصة مناسبة للبدء في تحقيق هذا الهدف٠

وجــه الخلــيفة ابو بكر خالداً بن الوليد المخزومي الى جنوب العراق سنة ١٢هـ/٦٣٣م، بعد نجاحه في القضـــاء علـــى المرتديـــن في اليمامة[٣] ٠ولقد اختلفت الروايات في الطريق التي سلكها خالد وقواته الى العراق، ويجمل الواقدي (ت٢٠٧هـ) هذا الاختلاف بقوله ((أختلف في أمر خالد بن الوليد، فقائل يقول: مضـــى مـــن وجهـــه ذلك من اليمامة الى العراق، وقائل يقول: رجع من اليمامة فقدم المدينة ثم سار الى العـــراق من المدينة على طريق الكوفة حتى انتهى الى الحيرة))[٤] إلا أنه من المرجح أن يكون خالد قد قدم الأبلة أولاً؛ لأن خط مساره في غاراته على العراق يتجه دائما صوب الشمال لأن هدفه كان المدائن، وبالتالـــي علـــيه أولاً أن يضمن تأمين خلفية جيشه بضرب المسالح الفارسية المرابطة في جنوب ووسط العراق [٥].

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٣، ص ٣٤٤ (ابو مخنف) / انظر البلاذري: فتوح، ص ٢٤٢ / قدامة بن جعفر: الخراج، ص٣٥٣ / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٣٨٥ / ابن الجوزي : المنتظم ، ج٤ ، ص٩٩ ٠

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١١٧ (عون بن كهمس) ٠

(٣) الطــبري: تــاريخ، ج٣، ص٣٤٧ (سيف)/ ابن الاثير: الكامل، ج٢، ص٢٣٨ / شكري فيصل: المجتمعات الاسلامية، ص٨٨ / حركة الفتح ، ص٦٠ ٠

(٤) الطــبري: تاريخ، ج٣، ص٣٤٣ (الواقدي)/ أنظر ابو يوسف: الخراج، ص ١٤١ / البلاذري: فتوح، ص٢٤٢ (قالوا) ابن الجوزي: المنتظم، ج٤، ص٩٧ (الواقدي) / ياقوت: معجم ، ج١، ص٤٣٢/ ابن الاثير: الكامل، ج٢، ص٢٣٨ لقد ذكر ابــو مخــنف (ت١٥٧هـ) أن خالداً نزل النباج أولاً ثم أنضم له المثنى ثم أقبل الى البصرة ٠ البلاذري: فتوح، ص٢٤٣ (ابو مخــنف)/ امــا الواقــدي (ت٢٠٧هـ) فيرى أن خالداً خرج من اليمامة الى المدينة ثم عبر فيد والثعلبية الى الحيرة ٠ انظر البلاذري: فتوح، ص٢٤٣ (الواقدي) ٠ ولا يمكننا القبول بهاتين الروايتين ، لأن معظم الروايات لا تذكر أي دور للمثنى في العملــيات العســكرية التي شنها خالد بن الوليد في أرض البصرة ولا حول الأبلة ، لأن هذه المناطق كانت ساحة لغارات بني عجــل بشكل خاص ٠ لذا نميل الى روايتي سيف بن عمر (ت١٨٠هـ) وعمر بن شبه (ت٢٦٢هـ) اللتان تذكرا ان خالداً قدم الأبلــة أولاً٠ أنظر الطريق التي سلكها خالد الى العراق: خليفة بن خياط: تاريخ، ص١١٧ / الطبري: تاريخ ، ج٣، ص٣٤٣ (الشعبي) / ابن حبيش: غزوات، ج٢، ص٣٩٠ / طه الهاشمي: خالد بن الوليد في العراق، مجلة المجمع العلمي العراقي، م٣، ١٩٥٥، ج١، ص٦٤-٧٣ / ج٢ ، ص٢٤٢-٢٤٧ ٠

(٥) توجد هذه المسالح في : أليس ، أمغيشيا ، الحيرة ، العذيب ، وعيون الطف ٠

كما يتبين من دراسة أسماء القبائل العربية الخارجة معه أنها سكنت ما بين اليمامة والعراق كأسد وتميم، ممـــا يـــرجح أن خالداً سار من اليمامة مباشرة نحو العراق؛ ولو كان قد عاد الى المدينة بعد خروجه من الـــيمامة لسمعنا عن التحاق قبائل حجازية أخرى الى جانبه اضافة لمن شارك معه في فتح اليمامة إلا أن مثل هذا الأمر لم يذكر.

لدينا اشارة واحدة حول عدد جند خالد وهو ألفي مقاتل ممن حاربوا معه المرتدين في اليمامة، وكانوا من ((القبائل التي حول المدينة من مزينة وجهينة وأسلم وغفار وضمرة وأناس من غوث طيء ونبذ من عبد القيس))[١].

إن مـــثل هـــذه الإشـــارة تبدو مبالغة بعض الشيء في ذكر الاعداد المشاركة، وذلك لأن ابا بكر لما أراد إرســـاله للعراق أمره بالسماح لمن أراد ممن كان معه من أبناء القبائل بالعودة لمنازلهم بعد القضاء على المرتدين في اليمامة؛ لأن سياسة أبي بكر كانت تقوم على التطوع وليس الإلزام في التجنيد. إذ قال لخالد ((وأذنا لمن شاء بالرجوع ولا تستفتحا بمتكاره))[٢]. و روى الشعبي (ت١٠٣هـــ) أنه لما جاء كتاب أبي بكر لخالد بالخروج الى العراق ((قفل أهل المدينة وما حولها وأعروهما))[٣].

كما لا يمكننا القبول بالرواية التي ذكرها ابن اسحاق (ت١٥١هـــ) من أن خالداً خرج بألفين من المدينة و معه من الاتباع مثلهم[٤]، أي وصل العدد لأربعة الآف مقاتل. و مع ذلك يصعب اعطاء رقم دقيق للأعداد التـــي خرجـــت مع خالد من اليمامة، خاصة و أن المصادر تصمت ازاء ذكر الاعداد التي قادها خالد في حرب المرتدين. ثم ترد اشارة أخرى تذكر انضمام ثمانية الآف مقاتل من قبائل ربيعة ومضر الى جيش خالد في طريقه الى العراق، حتى استطاع دخول العراق بعشرة الآف مقاتل[٥].

ومـــثل هذه الإشارة تبدو غير مقبولة، لأن القبائل التي تنزل ما بين اليمامة والعراق هي التي قادت لواء الـــردة ضد الخلافة؛ إذ كان معظم تلك القبائل قد خرجت عن سلطان الخلافة حتى تمكنت جيوش الخلافة في النهاية من اخضاعها لسلطتها، ورغم ذلك لم يسمح الخليفة أبو بكر لمن ارتد سابقاً بالخروج مع خالد، حيـــث أمره أن يحشد من ثبت اسلامه و قاتل أهل الردة من القبائل التي بين اليمامة والعراق مثل: تميم، أســـد، بكـــر بن وائل، والتي في معظمها خرجت عن سلطة الخلافة وإرتدت باستثناء جماعات قليلة منها بقيت محافظة على ولائها للمدينة وهي التي اصطحبها خالد معه.

---

(١) ابن حبيش: غزوات ، ج٢ ، ص٣٨٤ / انظر الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٧ .

(٢) الطبري: تاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٦ (سيف) .

(٣) يقال أعرى القوم صاحبهم أي تركوه في مكانه وذهبوا عنه/ ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص١٢٨ . أنظر: الطبري: تاريخ ، ج٣، ص٣٤٦ (الشعبي) .

(٤) الطبري: تاريخ، ج٣، ص٣٤٧ (سيف)/ ابن الاثير: الكامل، ج٢، ص٢٣٨-٢٣٩/ ابن كثير: البداية، ج٢، ص٣٣٧ .

(٥) أبو يوسف : الخراج ، ص ١٤٢ (ابن اسحاق) .

فلقد رُوي أن ابا بكر كتب لخالد ((أن استنفرا من قاتل أهل الردة، ومن ثبت على الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم، ولا يغزون معكم أحد ارتد حتى أرى رأيي))[١]•

وبذلــك لا يمكــن أن تكــون أعداد من انضم لخالد في طريقه للعراق ممن ثبتوا على اسلامهم وحاربوا المرتدين يصل الى ثمانية الآف مقاتل•

وتكتمل الرواية بذكر ثمانية الآف مقاتل آخرين من قبائل ربيعة ومضر يقودهم المثنى بن حارثة وحرملة ابــن مــريطة وسلمى بن القين ومذعور بن عدي انضموا جميعاً الى خالد• حيث وصل عدد المشاركين جميعاً ثمانية عشر ألف مقاتل[٢]• ولعل في ذلك مبالغة كبيرة، إذ أنه رغم امتناع المصادر عن ذكر القوة العدديــة التــي كانــت مــع المثنى والقادة الآخرين إلا أنه تبين سابقاً أنها لم تكن ذات شأن كبير، وذلك لإعــتمادها على الغارات السريعة التي لم تحقق انتصاراً ملحوظاً ضد الفرس• ويصعب اعطاء أي رقم دقيق حول الاعداد المشاركة مع خالد، إلا أن قدوم مدد من المدينة بقيادة القعقاع بن عمرو التميمي بطلب مــن خــالد عــند وصــوله العراق[٣] يشعر بخروج جماعات من بني تميم مرافقة للقعقاع دون أن تحدد المصادر عددها• وتختلف الروايات حول الاعداد التي خرجت مع خالد الى الشام بأمر من أبي بكر الذي أمره ((بالخروج في شطر الناس و أن يخلف على الشطر الباقي المثنى بن حارثة))[٤]، و لقد قيل أن من خــرج مع خالد الى الشام ما بين ٩٠٠٠-١٠٠٠٠ مقاتل[٥]• وهذا العدد يبدو بعيداً عن الصواب؛ لأنه يصــور عــدد المشــاركين في حملة خالد قرابة الثمانية عشر ألفاً أو العشرين ألف، وهذا ما ناقضناه في البداية•

ويُــروى عــند الحديث عن القوات التي بقيت مع المثنى بن حارثة قبيل وقعة القادسية وجود أربعة الآف مقــاتل ممن بقي من جيش خالد[٦]• و رُوي أن ابا عبيدة بن الجراح أمد المسلمين في ثاني أيام القادسية بســتة الآف من المقاتلين: خمسة الآف من مضر وربيعة، وألف من أفناء الناس[٧]؛ وبما أن أسماء معظم القبائل التي شاركت مع خالد في حملته على العراق من مضر وربيعة، فيبدو أن العدد الذي خرج مع خالد كــان خمســة الآف، وبقي خمسة الآف أخرى مع المثنى الذي ربما فقد ألفا منهم عبر حروبه في الجسر والبويب اللتان سبقتا معركة القادسية فبقي معه أربعة الآف مقاتل• وبذلك لم لا يكون أعداد المشاركين في حملــة خــالد مــايقارب العشرة الآف مقاتل موزعين على من خرج معه من اليمامة ومن انضم له في

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٧ (الشعبي) / ابن كثير : البداية ، ج٦ ، ص٣٣٦ •

(٢) الطــبري: تــاريخ، ج٣، ص٣٤٧ (سيف)/ ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٢٣٨-٢٣٩/ ابن كثير: البداية، ج٦، ص٣٣٧ • Donner, The Arab Tribes, P.76, 96.

(٣) الطــبري: تــاريخ، ج٣، ص ٣٤٦-٣٤٧ (الشــعبي)/ انظر: البلاذري الذي ذكر ان ابا بكر أمد خالداً بجرير بن عبدالله البجلي، ويظهر أنه يشك في ذلك لقوله (والله اعلم) • فتوح البلدان: ص ٢٤٣ •

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤١١ (سيف) / ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص٢٥٦ •

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٤٠-٤٤١ (سيف) / ج٣ ، ص٤٩٤ (سيف) •

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٦ (سيف) •

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٤٣ (سيف) • انظر اليعقوبي : تاريخ ، ج٢ ، ص٣٢ •

الطـــريق من ابناء القبائل الذين بقوا على ولائهم للخلافة أيام حروب الردة، اضافة لمن تجمع له من بني ربيعة ومضر مع الأمراء الأربعة الذين كانوا يقودون الغارات على الفرس قبل وصول خالد اضافة للمدد الذي قدم مع القعقاع بن عمرو؟

يمكنـــنا الـــتعرف علـــى أسماء القبائل المشاركة في حملة خالد من خلال تعبئة الجيش وتتبع أسماء القادة والجند المشاركين معه: إن وجود خالد بن الوليد على رأس الحملة يوحي بحضور قوي لبني مخزوم من قريش، كما خرج اعداد من الأنصار الذين قاتلوا مع خالد في اليمامة، إذ يرد من اسمائهم: أبو النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري الذي توفي في حصار المسلمين لعين التمر[1]، وعمرو بن حزم الأنصاري الذي استخلفه خالد على الحيرة مع المثنى بن حارثة عندما هم بالخروج الى الشام[2].

وشاركت اعداد من بني مزينة التي حافظت على ولائها للمدينة ايام الردة[3]، وشارك أفراد من جهينة[4]، غفار[5]، ضمرة[6]، أُناس من غوث طيء بقيادة عدي بن حاتم[7]، ونبذ من عبد القيس[8].

و رُوي أن تعبئة الجيش كانت كما يلي: مضر وعليها القعقاع بن عمرو التميمي، ربيعة وعليها فرات بن حيان العجلي، قضاعة وعليها الحارث بن مرة، و ضم اليهم أهل اليمن الذي قيل أن عليهم جرير بن عبد الله البجلي[9].

ويـــبدو أن ذكر جرير في حملة خالد ما هو إلا لإبراز دوره ودور قبيلته بجيله في عمليات فتح العراق، وذلك لأن بجيله كانت طوال خلافة أبي بكر مبعثرة بين أحياء العرب، ولم يتم تجميعها إلا في خلافة عمر

---

(١) الدينوري : الأخبار ، ص١٠٨ .

(٢) البلاذري : فتوح ، ص٢٤٥-٢٤٦ .

(٣) يرد مثلاً اسم معقل بن مقرن المزني والحارث بن بلال المزني. الطبري: تاريخ ، ج٣ ، ص٣٥٠ (سيف) ، ص٤١١ .

(٤) جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة القحطانية. السمعاني: الأنساب، ج١، ص ٤٦٨ / عمر كحاله: معجم ، ج١، ص٢١٦ .

(٥) غفـــار بـــن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانه بن خزيمة بن مدركة النزارية العدنانية. السمعان : الأنساب، ج٣، ص٤٠٦ / عمر كحاله : معجم ، ج٣ ، ص٨٩٠ .

(٦) ضـــمرة بـــن بكـــر بـــن عـــبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة النزارية العدنانية. السمعاني، الأنساب، ج٣ ، ص٢٣٧/ عمر كحاله: معجم، ج٢ ، ص٦٦٨ .

(٧) أبو يوسف : الخراج ، ص ١٤٢ (ابن اسحاق) / البلاذري : فتوح ، ص٢٤٧ (الواقدي) . تنسب طيء الى أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان القحطانية . ابن قتيبة : المعارف ، ص ٦٤ / ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٢ ، ص٥٣١ / القلقشندي : صبح الاعشى ، ج١ ، ص٣٧٢ .

(٨) ابـــن حبيش: غزوات ، ج٢ ، ص٣٨٤ . تنسب عبد القيس الى أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان. السمعاني: الانساب ، ج٣ ، ص٣٠٦ / عمر كحاله : معجم ، ج٢ ، ص٧٢٦ .

(٩) أبـــو يوسف: الخراج، ص ١٤٢ (ابن اسحاق) / البلاذري : فتوح ، ص٢٤٧ (الواقدي) / الطبري: تاريخ، ج٣، ص٣٤٧ (الشعبي)، ٣٤٨ (سيف) .

ابـــــن الخطاب بعد هزيمة المسلمين في وقعة الجسر ١٣هـ[١]. مما يشكك في أمكانية مشاركة جرير المـبكرة فـي فـتوح العراق[٢]. و كان على هوازن يزيد بن نبيشه العامري و أبو حبيش بن ذي اللحية العامري[٣].

كما شارك أفراد من بني كنانة من بطون: عدي بن كعب[٤] ومحارب بن فهر[٥]. كما ترد أسماء من بني أسـلم اليمانـية مـثل عويـم بن الكاهل الأسلمي الذي خلفه خالد في عين التمر بعد فتحها[٦]. وانضمت جماعـات مـن قبيلة أسد ممن حافظت على ولائها للخلافة في حروب الردة[٧]، وكذلك جماعات من بني ضبة[٨]، والأزد خاصة بارق[٩]، وقبيلة حمير[١٠]. وكذلك شاركت اعداد من القبائل التي بقيت على ولائها للخلافة مثل: غطفان، خندف، قيس عيلان، وجديلة[١١].

ولقـد التقت كافة هذه القوات الخارجة مع خالد من اليمامة والتي انضمت له على الطريق المؤدي للعراق بقـوات القبائل التي كانت تغير على العراق من بكر بن وائل و منهم: بنو شيبان بقيادة المثنى بن حارثة، بـنو عجـل بقيادة مذعور بن عدي، بنو ذهل بقيادة سويد بن قطبة، اللهازم والدعائم وهم بنو شيبان بن ثعلبة، بنو ذهل، بنو ضبيعة، بنو يشكر من بكر بن وائل يقودهم عتبة بن النهاس[١٢].

---

(١) الطـبري: تـاريخ، ج٣، ص ٤٦٠ (ابـن اسـحاق) / ابن حبيش: غزوات، ج٢، ص٤٦١ / ابن الاثير: الكامل، ج٢، ص٢٨٨ .

(٢) لقـد روى أبـو مخـنف والواقدي قدوم جرير الى العراق مرتين أولهما لما أرسل مدداً لخالد فلقيه على الطريق المؤدي للعـراق، والثانية في خلافة عمر بن الخطاب. البلاذري: فتوح ، ص٢٤٦ (أبو مخنف والواقدي) / الطبري: تاريخ ، ج٣، ص٣٦٥ (سيف) .

(٣) هـوازن بـن منصـور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ابن قتيبة: المعارف، ص٥٠/ الـبلاذري: أنسـاب، ج١، ص٣٠ / عمـر كحالـه: معجم، ج٣، ص١٢٣١ . انظر أبو يوسف: الخراج، ص ١٤٢ (ابن اسحاق) / البلاذري : فتوح ، ص٢٤٧ (الواقدي) .

(٤) عـدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة العدنانية . السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٣٢٦ / عمـر كحالـه : معجم ، ج٢ ، ص٧٦٦ . ويرد اسم سعيد بن النعمان أخي بني عدي بن كعب في وقعة المذار . الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٥٢ .

(٥) يرد اسم ضرار بن الخطاب . الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٦٠ .

(٦) أسـلم بـن افصى بطن من خزاعة القحطانية ، وهناك أسلم بن ربيعة بطن من سعد من حمير القحطانية ، وهناك أسلم بن الحافي بطن من قضاعة القحطانية . عمر كحاله : معجم ، ج١ ، ص٢٦ . انظر الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٧٨ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٣ ،ص٣٦٠ .

(٨) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٨٠ (سيف) .

(٩) بـارق: بطن من خزاعة من بني عمرو مزيقياء من الأزد القحطانية. السمعاني: الأنساب، ج١، ص١٧٦ / عمر كحاله: معجم، ج١، ص٥٧ . انظر الطبري : تاريخ ، ج٣، ص٣٧٩ (سيف) .

(١٠) يرد اسم جرير بن عبد الله الحميري الذي كان أحد الشهود على صلح خالد مع دهاقين السواد . الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٦٩ (سيف) .

(١١) Shoufani, Al-Riddah and The Muslim Conquest, P.125

(١٢) أبـو يوسف : الخراج ، ص١٤٢ (ابن اسحاق) / البلاذري : فتوح ، ص٢٤٧ (الواقدي) / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٧ (الشـــعبي) ، ٣٤٨ (ســيف) / ابـــن حبـــيش : غـــزوات ، ج٢ ، ص٣٨٤ ، ٣٩٢-٣٩٣ / Donner, The Arab Tribes, See Appendix (A). P.P. 229-234.

كمـــا انضـــمت قوات من بني تميم من بطون حنظلة بن مالك، بنو أسيد بن عمرو، بنو سعد بن زيد مناة وبنو عمومتهم من الرباب يقودهم جميعاً سلمى بن القين وحرملة بن مريطة وحنظلة بن الربيع[١].

يـــبدو أن كافة هذه الاعداد المشاركة كانت من المقاتلة، فلم يرد أي خبر حول مشاركة النساء أو الذراري فـــي هذه الحملة؛ ولعل ذلك يعود لأن الحملة كانت بهدف استطلاع مواطن الضعف لدى الفرس ومحاولة إنهاك القوات الفارسية قبل البدء جدياً بعملية الفتح.

تذكـــر معظـــم الـــروايات أن وصول خالد الى العراق كان في ١٢هــ/٦٣٣م[٢]. بدأ حملته بشن غارات ســـريعة على عدد من المسالح الفارسية في جهة الأبلة والفرات، تمكن خلالها من الانتصار على عدد من الجـــيوش الفارسية التي حاولت التصدي له، فهزمها في معارك ذات السلاسل والثني (المذار) والولجة التـــي احتشـــد فـــيها الى جانب الفرس ((عدد من عرب الضاحية والدهاقين فعسكروا الى جنب عسكره بالولجة))[٣] ويظهر هنا الانقسام الحاصل في موقف قبائل بكر بن وائل وفقاً لاختلاف الدين، حيث يُروى أن المسلمين أصابوا جماعة من نصارى بكر فيهم ولد لجابر بن بجير و ولد لعبد الاسود العجلي[٤].

ويقصد بعرب الضاحية تلك القبائل التي بقيت على بداوتها ولم تسكن المراكز الحضرية بل سكنت المظال وبيوت الشعر في الطرف الغربي للفرات وهم قبائل تنوخ[٥]. وتمكن خالد من هزيمة هذه الحشود وكسر شوكة المقاومة جنوب العراق حتى اضطرت صاحبة نهر المرأة لمصالحته[٦].

لا تذكـــر المصادر زمناً دقيقاً لحصول هذه الوقعات سوى رواية سيف بن عمر (ت١٨٠هــ) التي تجعلها كلها تقع في صفر ١٢هــ[٧]. ويبدو صعوبة التسليم بذلك على اعتبار أن التجهز لكل هذه العمليات يحتاج وقـــتاً لكلا الطرفين. لكننا إن إعتمدنا على ما ذكره اليعقوبي (ت٢٨٤هــ) من أن خالداً تمكن من إخماد حـــركة الردة في اليمامة بعد مقتل مسيلمة في ربيع أول ١٢هــ[٨]، ثم تلقى أمراً من الخليفة بالخروج الى

---

(١) أبـــو يوســـف: الخـــراج، ص١٤٢ (ابـــن اســـحاق)/ الـــبلاذري: فتوح، ص٢٤٧ (الواقدي)/ الطبري: تاريخ، ج٣، ص٣٦٩ (سيف) .

(٢) ذكـــر عمر بن شبه أن وصول خالد كان في محرم ١٢هــ . الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٣ / اما اليعقوبي فذكر أن خالداً قتل مسيلمة في اليمامة بعد ربيع أول ١٢ هــ ، مما يعني أن خروجه للعراق كان بعد هذا التاريخ . اليعقوبي : تاريخ ، ج٢، ص١٦ .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٥٣ .(سيف) / ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص٢٤١ . الولجة : تقع في ارض كورة كسكر مما يلي البر على يسار القاصد الى مكة من القادسية . ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٣٨٣ .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٥٤ (الشعبي) .

(٥) الطبري: تاريخ، ج١، ص٦١٢ / أبو البقاء: المناقب، ج١، ص٩٥ / جواد علي: المفصل، ج٣، ص١٦٦ .

(٦) خلـــيفة بـــن خـــياط : تاريخ ، ص١١٨ (الوليد بن هشام) / رباب السوداني ، جبهة البصرة ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة، العراق ١٩٨٩ ، ص٤٦ .

(٧) الطـــبري : تـــاريخ ، ج٣ ، ص٣٥١ (سيف) / ج٣ ، ص٣٥٣-٣٥٤ (سيف) / ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص٢٤١ / ابن كثير: البداية ، ج٦ ، ص٣٣٧، ٣٣٩ / النويري : نهاية الأرب ، ج١٩ ، ص١٠٩ .

(٨) اليعقوبي : تاريخ ، ج٢ ، ص١٦ .

العـــراق، فإنـــه يـــتوقع أن يكون وصوله الى العراق في بداية ربيع ثاني من نفس السنة، وبما أن بعض الروايات تذكر خروجه الى الشام في ربيع أول ١٣هــ أو ربيع ثاني ١٣هــ[١]، فإنه يبدو مقبولاً إن حدّدنا الفترة الزمنية لحملة خالد على العراق من ربيع ثاني ١٢هــ حتى ربيع ثاني ١٣هــ٠

ولقد روى الشعبي (ت١٠٣هــ) أن أهل أُلّيس صالحوا خالداً لثلاث مضين من رجب سنة ١٢هــ[٢]. مما يعني أن المعارك التي شنها خالد في جنوب العراق كانت خلال الفترة الممتدة ما بين منتصف ربيع ثاني وحتى اوائل رجب أي حوالي شهرين ونصف وهي فترة مناسبة لخوض هذه المعارك القصيرة٠

ولقــد واجه خالد مقاومة عربية أخرى في منطقة الحيرة؛ إذ اجتمع بعض نصارى العرب من قبائل عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية غضباً لمقتل بعض ابنائهم في وقعة الولجة، وانضم لهم الفرس لقتال المسلمين[٣]٠ ولعلها تبدو مفارقة واضحة إذ يُروى أنه كان ((أشد الناس على اولئك النصارى مسلمو بني عجل: عتيبة بن النهاس وسعيد بن مرة وفرات بن حيان والمثنى بن لاحق ومذعور بن عدي))[٤]٠ مما يُظهــر إنقســام قبــيلة بكر بن وائل وفقا لاختلاف الدين؛ إذ يقف مسلمو بني عجل في وجه اخوانهم من النصارى٠

تمكّــن المســـلمون من ايقاع الهزيمة بالحشود العربية والفارسية وفتح أُلّيس[٥]، أمغيشيا[٦]، والحيرة التي امتنع أهلها من العرب على المسلمين أول الأمر، حتى أن خالداً تعجّب من مقارعة نصارى عرب العراق لجيشـــه فســـال أهـــل الحيرة ((ويحكم! ما أنتم! أعرب؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل! فقال له عدي – يقصد عدي بن عدي المقتول – بل عرب عاربة وأخرى متعرّبة، فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادّونا وتكــرهوا أمرنا))[٧]٠ كما وجد المسلمون مقاومة عربية أخرى عندما فتحوا الأنبار[٨] وعين التمر[٩]٠ ويصعب تحديد أسباب مقاومة نصارى عرب العراق لجيش خالد، هل هو عامل اختلاف الدين أم هو حبُّ

---

(١) الــبلاذري: فــتوح، ص ٢٥١ / الطــبري: تــاريخ، ج٣، ص٣٩٣، ٤٠٦ ٠ انظر خليفة بن خياط: تاريخ، ص١١٩ (ابن اسحاق) ٠

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١١٨ (الشعبي) ٠

(٣) الطــبري : تــاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٤-٣٤٥ (أبــو مخنف) ، ص٣٥٥ –٣٥٦ (سيف) / ابن الاثير: الكامل ، ج٢، ص٢٤١-٢٤٢ / ابن خلدون : تاريخ ، ج٤ ، ص٨٩١ / جواد علي : المفصل ، ج٢ ، ص٦٤٩ ٠

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٥٥ / ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص٢٤١ / ابن خلدون : تاريخ، ج٤ ، ص٨٩١ ٠

(٥) أليس : تقع في أول أرض العراق من ناحية البادية ٠ ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٢٤٨ ٠

(٦) أمغيشيا: موضع بالعراق، كان فرات بادقلى ينتهي اليها، وتعتبر أليس من مسالحها٠ ياقوت، معجم، ج١، ص٢٥٤ ٠

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٦١ (سيف) ٠

(٨) الــبلاذري: فتوح، ص٢٤٧ (الواقدي)/ الطبري: تاريخ، ج٣، ص٣٧٤-٣٧٥ (سيف) / الحميري: الروض، ص٣٦/ ابن خلدون : تاريخ ، ج٤ ، ص٨٩١-٨٩٤ ٠

(٩) لقي خالد جمعاً من العجم عليهم مهران وجمعا من نصارى عرب النمر بن قاسط وتغلب واياد عليهم عقة بن أبي عقة ٠ أبــو يوســف:الخراج ، ص١٤٥ (ابن اسحاق) / يحيى بن آدم :الخراج ، ص٥١ (الشعبي) / البلاذري : فتوح، ص٢٤٨ (قالوا) ٠ Fuck, Iyad, EI[1]. Vol. IV, P.289 .

التملك والتمتع بخيرات البلاد الخصبة الذي دفعهم للمقاومة خشية دخول القبائل العربية المشاركة في الفتح العربي ريف العراق مما سيؤدي لأن تشاركهم رزقهم و أرضهم التي ينعمون بخيرها.

تمكن خالد بن الوليد من اخضاع القسم الغربي للعراق العربي بعدما تمكن من فتح عدد من المراكز وفضّ المسالح الفارسية على طول الطريق من الأبلة جنوباً الى عين التمر شمالاً(١).

كما غزا الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة الفراتية في النصف الثاني من ذي القعدة ١٢هـ(٢)؛ وبذلك تمكن من تأمين حماية اضافية لقواته من أي حركة مفاجئة. إلا أن التطورات العسكرية على الجبهة الشامية حالت دون إكمال خالد عملية فتح العراق إذ أمره الخليفة أبو بكر بالخروج ((في شطر الناس وأن يخلف على الشطر الباقي المثنى بن حارثة، وقال: لا تأخذن نجداً إلا خلّفت له نجداً؛ فإذا فتح الله عليكم فارددهم الى العراق وأنت معهم ثم أنت على عملك))(٣)، فخرج خالد في ربيع ثاني سنة ١٣هـ/٦٣٤م(٤).

لقد شكلت هذه المعارك التي خاضها خالد بن الوليد في العراق المرحلة الأولى للفتح ، وقد سماها العرب بالأيام.

أدرك المثـنى بن حارثة بعد خروج خالد خطورة الاندفاع بمن بقي معه من القوات العربية نحو القوات الفارسـية البعيدة عن مراكز الامدادات العربية في المدينة، وذلك لقلة الاعداد التي بحوزته ، فخرج نحو المديـنة يطلب مزيداً من القوات . وكان عمر بن الخطاب قد تولى زمام الخلافة في جمادي الثانية سنة ١٣هـ(٥)، فوجه عدداً من المسلمين وعلى رأسهم أبو عبيد بن مسعود الثقفي(٦). وتتناقض الروايات في تحديـد الاعداد المشاركة مع أبي عبيد ، وتعبر معظمها عن الاعداد التي انضمت لجيشه بعد خروجه من المدينة(٧).

جـاء فـي معظم الروايات أن عدد الخارجين مع أبي عبيد من المدينة كان ألف مقاتل(٨) يضمّون مقاتلة المديـنة مـن المهاجريـن والأنصـار وما حولها من قبائل مثل سليم ، ولعل وجود أبو عبيد على رأس الجـيـش يُشـعـر بوجـود أعداد من بني ثقيف والتي يبدو أنها كانت كبيرة لدرجة أن ابا عبيد أوصى

---

(١) أبـو يوسف: الخراج، ص١٤٥ (ابن اسحاق) / يحيى بن آدم : الخراج ، ص٥١ (الشعبي) / البلاذري : فتوح ، ص ٢٤٧ (الواقدي)، ٢٤٨ (قالوا) / الطبري: تاريخ، ج٣، ص٣٧٤-٣٧٥ (سيف)/ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٨٩١-٨٩٤ .

(٢) وقـيل كـان ذلـك فـي رمضـان . انظر البلاذري : فتوح ، ص٢٤٤ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٨٣-٣٨٤ / Fuck, Iyad, EI[1]. Vol. IV. P.289.

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤١١ (سيف) / ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص٢٥٦ .

(٤) البلاذري : فتوح ، ص٢٥١ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٩٣ (سيف) ، ٤٠٦ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤١٤ .

(٦) البخاري: التاريخ الكبير، ج٤، ق١، ص٣٦١/ البلاذري: فتوح، ص٢٥١ (قالوا)/ الطبري: تاريخ، ج٣، ص٤٥٧ .

(٧) ذكر الدينوري (ت٢٨٢هـ) ان ابا عبيد خرج بـ٥٠٠٠ مقاتل . الأخبار ، ص١٠٨ / اما ابن اعثم (ت ٣١٤هـ) فنكر أن أبا عبيد خرج بـ٤٠٠٠ مقاتل . الفتوح ، م١ ، ص١٣٣ .

(٨) الـبخاري: الـتاريخ ، ج٤ ، ق١، ٣٦١ / الـبلاذري : فتوح، ص٢٥١ (قالوا) / الدينوري: الأخبار، ص١٠٨-١٠٩/ ابن اعثم: الفتوح، م١، ص١٣٣ / أبو البقاء: المناقب :ج١ ، ص٢٠٥ / احمد كمال: الطريق الى المدائن، ص٤٠٩-٤١٠ .

بإستخلاف سبعة من بني ثقيف ان اصابه حادث الموت[١]. كما ورد في قائمة شهداء الجسر ستة أفراد من ثقـيف[٢]. كما يبدو أن أعداد الأنصار كان كبيراً إذ ورد اشتراك سعد بن عبيد الأنصاري – حليف بني فزارة – وسليط بن عمرو الأنصاري[٣]، كما وجد ثلاث وثلاثون شهيداً من الأنصار يوم الجسر [٤] . ثم تـزايدت الاعـداد في الطريق إذ كان أبو عبيد ((لا يمر بقوم من العرب إلا رغبّهم في الجهاد والغنيمة فصحبه خلق كثير))[٥]، فلقد كان أبو عبيد قد استنفر احياء العرب ممن ينزلون على الطريق المؤدي الى العـراق، ولا بـد أنهـم ممـن بقوا على ولائهم للخلافة ايام الردة، وذلك لأن الخليفة لم ياذن للمرتدين بالإشـتراك بعـد . فأنضم اعداد من تميم ، اسد ، طيء[٦]، ضبة[٧]، تيم[٨]، عكل[٩]. ولم تذكر المصادر صراحة الاعداد التي التحقت بجيش أبي عبيد، إلا أنه يمكن التخمين أنهم قرابة الألف مقاتل. إن علمنا أن من بقي الى جانب المثنى كان خمسة الآف وهم نصف القوة التي تركها خالد بن الوليد عند خروجه للشام والتـي انضمت ايضا لجيش أبي عبيد لما وصل العراق. مما يعني أنه يمكن أن يصل أعداد المشاركين جميعاً سبعة الآف مقاتل[١٠].

ورغـم المبالغة في العدد إلا أنه أقرب الاعداد لما تذكره الروايات. ذلك أنه إن صدّقنا رواية ابن اسحاق (ت١٥١هـــ) الذي ذكر فيها استشهاد ألف وثمانمائة مقاتل وهروب ألفي مقاتل[١١]. مما يعني بقاء ثلاثة الآف ومائتي مقاتل وهو عدد يقارب ما ذكر من أنه بقي مع المثنى بن حارثة بعد وقعة الجسر ثلاثة الآف مقـاتـــل[١٢]. اشـتبك المسـلمون بقـيادة أبـي عبيد مع الفرس في عدد من المعارك في النمارق[١٣] والسقاطية أسفل كسكر [١٤] .

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٣٥٥ (سيف) .

(٢) Donner, The Arab Tribes, P.114

(٣) الدينوري : الأخبار ، ص ١٠٩ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٤٤ (سيف) .

(٤) Donner, The Arab Tribes, P.114

(٥) البلاذري : فتوح ، ص٢٥١ / الدينوري : الأخبار ، ص١٠٩ / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص٣٥٧ .

(٦) ذكر مشاركة عروة بن زيد الخيل الطائي وابو زبيد الشاعر الطائي وكان نصرانيا قدم الى الحيرة لبعض أموره . انظر البلاذري : فتوح ، ص٢٥١-٢٥٢ (قالوا) / الدينوري : الأخبار ، ص١٠٩/ الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٤٤ .

(٧) ذكر مشاركة الكلج الضبي . الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٥٥ .

(٨) ذكر مشاركة مطر بن فضه التيمي ، وتنسب تيم الى قبيلة الرباب . الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٤٩ / عمر كحاله: معجم ، ج١ ، ص١٣٧ .

(٩) روي مشاركة أكتل بن شماخ العكلي . الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٤٩ .

(١٠) ابن كثير : البداية ، ج٧ ، ص٢٦ .

(١١) خليفة بن خياط : تاريخ ، ص ١٢٥ (ابن اسحاق).

(١٢) وتذكر بعض الروايات ان عدد القتلى كان ٤٠٠٠ مقاتل وهرب ٢٠٠٠ وبقي ٣٠٠٠ مع المثنى . الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٥٨ (سيف) . انظر خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١٢٥ .

(١٣) + (١٤) خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١٢٥ (ابن اسحاق) / البلاذري : فتوح ، ص٣٥٢-٣٥٣ (قالوا) / اليعقوبي : تاريخ ،ج٢ ص٣١ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٥٤ (سيف) / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص٣٥٧ .

وأخيراً في وقعة الجسر (قس الناطف، قرقس) التي انتهت بهزيمة قاسية للمسلمين في آخر شهر رمضان أو أول شهر شوال سنة ١٣هـ/٦٣٤م.

ويظهـر أن من أسباب هزيمة المسلمين قلّة أعدادهم مقارنة بأعداد الفرس، اضافة لتجاوز المسلمين خط الأمـان عـند أمر القائد أبو عبيد بعبور الجسر الذي يربط بين المروحة وقس الناطف[١]، مما أبعده عن البادية فاصبح الفـرس أمامه والفرات خلفه؛ وزاد عظم المصيبة قطع الجسر فلم يتمكن المسلمون من الهـرب بأمـان ويؤكد ذلك قول سليط بن عمرو لأبي عبيد قبيل استشهاده إذ قال: ((يا ابا عبيد قد كنت نهيـتك عن قطع هذا الجسر اليهم واشرت عليك بالانحياز الى بعض النواحي والكتاب الى أمير المؤمنين بالاستمداد فأبيت))[٢].

ورغم الهزيمة التي مني بها المسلمون ، إلا أنها لم تثنِ الخلافة لأن تعيد الكرة من جديد خاصة بعد أن بدأ الفـرس بالتجمّع لاستعادة سيطرتهم غرب الفرات ، كما بدأ اهل السواد يخلعون الطاعة للمسلمين بتشجيع من الفرس[٣]. فحاول الخليفة عمر جاهداً محو ذكرى الهزيمة من نفوس العرب ، فبدأ يندبهم الى الجهاد ((فجعلـوا يتحامونه ويتثاقلون عنه))[٤]، وكان لهذا أثر في تغيير السياسة العسكرية التي انتهجها الخليفة أبـو بكـر وسار عليها عمر في البداية؛ إذ كان يمنع اشتراك المرتدين في الفتوح ، إلا أن الخليفة عمر اضطر الى توسيع دائرة التجنيد بين العرب فرفع الحظر عن مشاركة أهل الردة وذلك للحاجة الماسة لكل جهـد وكل فرد قادر على حمل السلاح من بين القبائل العربية ، لذا أعلن النفير العام في أنحاء الجزيرة العربية[٥].

وبـدأ الخليفة يستخدم صيغة الأمر في مكاتباته لعماله على المناطق كقوله ((لا تدعوا في ربيعة أحداً ولا مضر ولا حلفائهم أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلا اجتلبتموه، فإن جاء طائعاً والا حشرتموه))[٦].

وتورد الروايات احتشاد اعداد من ابناء القبائل العربية في المدينة مثل بجيلة[٧] التي نجح جرير بن عبدالله بجمع شتاتها بدعم من الخليفة عمر[٨]. ولقد اراد مقاتلتها الخروج الى الشام إلا أن عمر اكره جريراً على

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخ، ص١٢٤ (ابن اسحاق)/ البلاذري: فتوح، ص٢٥٣ (قالوا)/ قدامة بن جعفر: الخراج، ص ٣٥٨/ ابـن حبـيش : غـزوات ، ج٢ ، ص٦٧٢ . المروحة : موضع بالسواد تقع على الشاطئ الغربي لنهر الفرات ، يقابلها قس الناطف وهو الموضع الذي جرت فيه المعركة ويقع على الشاطئ الشرقي للفرات . ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص١١٢ .

(٢) البلاذري : فتوح ، ص٢٥٢ (قالوا) / الدينوري : الأخبار ، ص١٠٩ .

(٣) الطـبري: تـاريخ، ج٣، ص٤٧٨ (سيف)/ ابن الجوزي: المنتظم، ج٤، ص١٦١/ ابن خلدون، تاريخ، ج٤ ، ص٩١٦ / ابن دحلان : الفتوحات ، ج١ ، ص٨٤ .

(٤) البلاذري : فتوح ، ص٢٥٣ (أبو مخنف) / قدامة : الخراج ، ص٣٥٨ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٧٨ (سيف) / ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص٢٨٩ .

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٧٨ (سيف) / شكري فيصل : المجتمعات ، ص٩٤ .

(٧) بجـيلة : بطـن عظـيم ينتسبون الى أمهم بجيلة ، وهم بنو أنمار بن أراش بن كهلان القحطانية . ابن دريد : الاشتقاق ، ص٥١٥ / ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٢ ، ص٥٢٢ / عمر كحاله : معجم ، ج١ ، ص٦٣ .

(٨) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٠ (ابن اسحاق) / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٤٦١ / ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص٢٨٨ .

العـــراق و ((عوضه لاكراهه واستصلاحاً له فجعل له ربع خمس ما أفاء الله عليهم في غزاتهم هذه ، له ولمن اجتمع اليه ولمن أخرج له اليه من القبائل))[١] . وعقد له على ألفي مقاتل من بجيلة [٢] .

ويـــبدو أن جـــبهة العراق كانت من أكره الوجوه على المسلمين فكان معظم من احتشد من القبائل يرغب بالخـــروج الى الشام إلا أن الخليفة كان ((يأخذ بخطام بعير الرجل فيصرفه الى العراق ، فيصرفه نحو الشـــام، ويقـــول: يا أمير المؤمنين: لا إكراه في الدين، فيقول: بلى إكراه في الدين عليكم بالعراق فإن بها جهاداً ومغانم))[٣].

ومـــن أبرز القبائل التي قدمت المدينة ايضاً: ضبّة[٤]، خثعم[٥]، كما حضر غزاة من بني كنانة والأزد في سبعمائة مقاتل[٦].

وحضـــرت أعداد من بطون تميم مثل بنو حنظلة، بنو عمرو[٧]، بنو جشم ، سعد بن زيد مناة [٨] ، وقيل أنهم كانوا ألف مقاتل [٩] ، وجاء في رواية أخرى قدوم أربعة الآف مقاتل من الرباب وثلاثة الآف مقاتل من تميم يقودهم الحصين بن معبد بن زرارة التميمي [١٠] . كما انضم قرط بن جماح العبدي في جماعة من عبد القيس[١١].

---

(١) الطـــبري : تـــاريخ ، ج٣، ص٤٦٠-٤٦٢ (سيف) / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٤٦٢ / ابن الاثير: الكامل ، ج٢، ص٢٨٩ . وقيل أنهم وافقوا على الخروج الى العراق بعد أن وعدهم عمر بربع ما غلبوا عليه . البلاذري : فتوح ، ص٢٥٣ (أبو مخنف) / قدامة : الخراج ، ص ٣٥٨ / المسعودي : مروج ، ج٢ ، ص٣٢٧ /
Hinds, The Early History of Islamic schim, P.24 . وقيل بالثلث بعد الخمس .
البلاذري : فتوح ، ص٢٥٤ (الشعبي) / Hinds, The Early History, P.24

(٢) أبـــو يوسف : الخراج ، ص ٣١ (قيس بن أبي حازم) / الدينوري : الأخبار ، ص١١٠ / الطبري: تاريخ ،ج٣ ، ص٤٦٠ (ســيف) / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص٣٦٣ / المسعودي : مروج ، ج٢ ، ص٣٢٧ / الأصفهاني : تاريخ ، ص١٢٤ / الحمـــيري : الروض ، ص١١٦ . وروي أنهم كانوا ٤٠٠٠ مقاتل. انظر : الحميري ، الروض ص١١٦ / ابن كثير: البداية، ج٧، ٢٦ / وقيل أنهم كانوا ٧٠٠ مقاتل . انظر ابن اعثم : الفتوح ، م١ ، ص١٣٨ .

(٣) أبو البقاء : المناقب ، ج١ ، ص٢٠٥ .

(٤) وجّه عمر بن الخطاب عصمة بن عبد الله بن بني الحارث الضبي فيمن تبعه من ضبة ، وقيل أنهم قسموا قسمين على احدهما ابن الهوبر وعلى الثاني المنذر بن حسان . الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٦ (سيف) .

(٥) كان يقود بني خثعم عبد الله بن ذي السهمين . الطبري : تاريخ ، ج٣، ص٤٦٤ (الشعبي) / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٤٦٦ .

(٦) كان غزاة الازد وكنانة بقيادة مخنف بن سليم الازدي يريدون الشام ، إلا أن عمراً رغبهم بالعراق فأمر على كنانة غالب بن عـــبد الله وعلى الازد عرفجة بن هرثمة البارقي . البلاذري : فتوح ، ص٢٥٣ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٣ (عطية ومجالد) .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٤ / ابن دحلان : الفتوحات : ج١ ، ص٨٤ .

(٨) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٤ / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٤٦٦ .

(٩)+(١٠) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٤ / ابن دحلان : الفتوحات ، ج١ ، ص٨٤ .

(١١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٤ (سيف) .

ولعله من اللافت للنظر قدوم مجموعات من القبائل ضمت الى جانب المقاتلة عدداً من النساء والذراري ، وهذه اشارة ترد لأول مرة في فتوح العراق ؛ إذ روي عن قدوم اربعمائة أهل بيت من كندة والسكون فيهم الاشـعث بن قيس ومعاوية بن حديج وشرحبيل بن السمط [(١)] ٠ كما ترد اشارة اخرى عن إرسال الخليفة عمر ألف بيت من القبائل منهم ثلاثمائة بيت من النخع ، يضاف لهم ألف بيت آخر من قبيلة همدان [(٢)] ٠ وهـذه إشارات مهمة لحضور المقاتلة وعيالاتهم في فتوح العراق منذ هذه الفترة التي شهدت إصراراً من قِبَل الخلافة على ضرورة استكمال فتح العراق ، ويبدو أن مرافقة الأُسر للمقاتلة كان أمراً ضرورياً يلبّي الحاجـة لخلـق اطمئنان نفسي للمقاتلة حتى لا يشعروا بأي غربة في المكان الذي سيخرجون اليه ، ولا يشـعرون بقلق تجاه اسرهم الذين سيتركونهم خلفهم ، كما يدعم حضور العيالات الموقف القتالي للجند ، فهـم سيحاربون لأجل الفتح أولاً ولأجل حماية أسرهم الذين سيرافقونهم ثانياً ٠ كما أن حضور العيالات الى جانب المقاتلة تأكيد على رغبة الخلافة والقبائل العربية المشاركة بالفتح في الاقامة والاستقرار ، إذ أن هذه العائلات ستكون نواة المستقرين الأوائل فيما سيعرف لاحقاً بالأمصار التي أنشأها العرب في العراق بعد استقرار فتوحاتهم ٠

ولقـد اتخذت المدينة نقطة تجمع للقبائل العربية البعيدة مواطنها عن العراق ؛ أما تلك القبائل التي تقرب مـنازلها من العراق فأمرت بالتوجه مباشرة ، لذلك خرج عدي بن حاتم في جموع من طيء مباشرة الى العراق [(٣)] ٠ وانضمت لكافة هذه الحشود المجموعات القبلية التي كان يقودها المثنى في العراق [(٤)] ، ومن اللافت للنظر انضمام مجموعات قبلية من نصارى عرب النمر بن قاسط بقيادة أنس بن هلال النمري ممداً للمثـنى ، كما قدم ابن مردى الفهري التغلبي في اناس من نصارى بني تغلب [(٥)] تحدوهم الحمية العربية لقتال العجم ويدل على ذلك قولهم لبعضهم لما رأوا نزول العرب بالعجم ((تعالوا نقاتل مع قومنا))[(٦)]٠ ويصعب تقدير الأعداد المشاركة في هذه الحملة ، لأن المصادر لم تذكر أعداد كافة المشاركين٠ وكان للانتصار الساحق الذي حققه العرب في وقعة البويب قرب منطقة الحيرة في صفر ١٤هـ/٦٣٥م[(٧)] صدىً واسعاً ، إذ زادت غارات القبائل العربية على العراق وتمكّنوا من فضّ عدد من المسالح الفارسية٠

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص ٤٨٥ (سيف) / الحميري : الروض ، ص١١٦ ٠

(٢) الحميري : الروض ، ص ١١٦ ٠ انظر الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٤ (سيف) ٠

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٤ / ابن دحلان : الفتوحات ، ج١ ، ص٨٤ ٠

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٥ / شكري فيصل : المجتمعات ، ص٩٣ ٠

(٥)+(٦) الطـبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٤ / ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص٢٨٩ ٠ ابن خلدون : تاريخ ، ج٤ ، ص٩١٢ / ابن دحلان: الفتوحات ، ج١ ، ص٨٢ ٠

(٧) البويـب : نهـر كـان بالعراق موضع الكوفة ، فمه عند دار الرزق ، يأخذ من الفرات ويصب في الجوف العتيق ، وكان مغيضـاً للفـرات أيام المدود ٠ ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٥١٢ ٠ انظر / خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١٢٩ ٠ البلاذري : فـتوح ، ص٢٥٤ (الشعبي) / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٠ ٠ (الشعبي) ٠ وذكر أبو عمر الشيباني ان يوم مهران كان اول سنة ١٤هـ ٠ البلاذري: فتوح ، ص٢٥٤ /Vaglerii, Al-Kadisiyya, EI[1], Vol. IV, P.385

فذكــر البلاذري (ت٢٧٩هــ) ((ولم يزل المسلمون يشنون الغارات ويتابعونها فيما بين الحيرة وكسكر، وفيما بين كسكر وسورا وبربيسما وصراة جاماسب وما بين الفلّوجتين والنهرين وعين التمر٠٠ وأجلوا العجم عن مناظر كانت بالطف ، وكانوا منخوبين قد وهن سلطانهم وضعف أمرهم، وعبر بعض المسلمين نهــر ســورا فــأتوا كوثـــى، ونهــر الملك وبادوريا وبلغ بعضهم كلواذى وكانوا يعيشون بما ينالون من الغارات))[١]٠

أما فيما يخصُّ منطقة جنوب العراق ، فلقد استمر بنو عجل بقيادة سويد بن قطبة بنشاطهم العسكري ضد الفــرس[٢] ، ولقــد عــزز الخليفة عمر هذه الجبهة بارسال عدد من المقاتلة على رأسهم شريح بن عامر السعدي من قبيلة هوازن وكان ذلك إثر انتصار المسلمين في البويب ١٤هــ[٣]، ولم تذكر المصادر اعداد المشــاركين في هذه الحملة التي من المتوقع أن تكون قليلة، إذ لم تحقق نجاحاً كبيراً وسرعان ما استشهد قائدهــا شــريح اثــناء قــتاله العجم في دارس في الأهواز[٤]، ثم أرسل الخليفة عتبة بن غزوان المازني ســنة ١٤ هــ[٥] لمشاغلة القوات الفارسية جنوب العراق وعدم السماح لها بإمداد الفرس الموجودون في منطقة الحيرة إذ قال عمر لعتبة ((أن الحيرة قد فتحت وقتل عظيم من العجم يعني مهران ، ووطئت خيل المســلمين أرض بابل ، فمصر الى ناحية البصرة وأشغل من هناك من أهل الأهواز وفارس وميسان من امداد اخوانهم على اخوانــك))[٦] ٠

تذكــر عــدد مــن الــروايات ان عتبة خرج من المدينة على رأس ثلاثمائة مقاتل[٧] ، اخذوا بالتزايد في

---

(١) البلاذري : فتوح ، ص٢٥٥ (الشعبي) الدينوري : الاخبار ، ص١١١ / الطبري : تاريخ ،ج٣ ، ص٤٧٠ (سيف)٠

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١١٨ / البلاذري : فتوح ، ص٢٤٣ (أبو مخنف) / الدينوري: الاخبار، ص١١٢ / الطبري: تاريخ، ج٣، ص٥٩٣ (المدائني)/ ابن الاثير: الكامل، ج٢، ص٣٣٤ / الذهبي: تاريخ الاسلام، ج٣، ص١٢٩ (المدائني) ٠
Hinds, "Kufan political Alignments", International Journal of Middle Eastern studies, Cambridge, 1971, Vol.2, P.35

(٣) خلــيفة بــن خــياط : تاريخ ، ص١٢٧ (المدائني)/ الطبري : تاريخ ،ج٣ ، ص٥٩٣ (المدائني) / ياقوت : معجم : ج١، ص٤٣١ (المدائني) / صالح العلي : التنظيمات ، ص٣٧ ٠

(٤) الطبري: تاريخ، ج٣، ص٥٩٣ (المدائني)/ ابن الاثير: الكامل، ج٢، ص٣٣٤/ الذهبي: تاريخ: ج٣، ص١٢٩(المدائني) ٠

(٥) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب المازني من قيس عيلان من مضر ، قديم الاسلام ، هاجر الى الحبشة في الهجرة الثانية ، توفي ١٧هــ ٠ ابن سعد : الطبقات ، ج٣ ، ص٥٣ ٠

(٦) البلاذري : فتوح ، ص٣٣٦ (قالوا) / الدينوري : الاخبار ، ص١١٢ / الطبري : تاريخ ، ج٣، ص٥٩٠-٥٩١ (الشعبي)٠

(٧) ومما يؤكد هذه الرواية ما رواه الأصمعي (ت٢١٧هــ) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال ((لما نزل عتبة الخريبة ولد بها عــبد الرحمــن بــن أبي بكرة وهو اول مولود بالبصرة ، فنحر جزورا شبع منه اهل البصرة وكانوا يومئذ قدر ثلاثمائة)) ٠ ابــن ســعد: الطبقات ،ج٧ ، ص٩٨ / ابن قتيبة : المعارف ، ص٣١٠ / البلاذري : فتوح ، ص٣٣٧ (ابن اسحاق) / ٣٤٢ (الاصــمعي) ابــن رســتة : الاعــلاق ، ص٢٣٢ / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٢٩ (ابن اسحاق) / الطبري : تاريخ :ج٣، ص٥٩٤(الشعبي)/ أبو هلال العسكري : الأوائل ،ص١٩١ (المدائني) / نعمان بن محمد : معدن الجواهر ، ص٢١ ، ٧٥ ٠

طريقــه نحو جنوب العراق إذ ((ضوى اليه قوم من الأعراب وأهل البوادي ، فقدم البصرة في خمسمائة يزيدون قليلاً او ينقصون قليلاً))[١] .

ويذكر نافع بن الحارث بن كلدة ((أننا غزونا الأبلة مع عتبة وكنا قدر ستمائة مقاتل ثم أمدّنا عمر بهرثمة ابن عرفجة))[٢] .

أمــا الواقــدي فذكر تزايد قوات عتبة بعد نزوله الخريبة[٣] . ويوضح البلاذري ذلك بقوله ((وانضم اليه ســويد بــن قطــبه ومــن معه من بكر بن وائل وتميم))[٤] . ورغم صعوبة اعطاء رقم محدد للاعداد المشــاركة مــع عتــبة إلا أن الروايات تجمع على تزايد اعداد هذه القوات فور وصول عتبه الى منطقة البصرة .

ضمّت القوات المشاركة لجانب عتبه عدداً من القبائل مثل : أهل العالية وهم مجموعة من القبائل الحجازية التــي كانت تسكن الحجاز وضمت: قريش، مازن، قيس عيلان، باهلة، سليم، عامر[٥]. كما ذكر عدد من أبناء قبيلة ثقيف ممن رافقوا عتبة في حملته[٦]. ولا يلاحظ أي سند كبير لعتبة من جانب قبيلته مازن مما يعني أن اختياره للقيادة جاء على أساس أنه صحابي جليل. كما لا يوجد ذكر لأفراد من قبيلة بجيلة بكثرة في البصرة أنذاك حتى قيل أنه لم يكن في البصرة أحد من بجيلة سوى شبل بن معبد البجلي[٧].

وترد مشاركات اخرى لأفراد من بلي ، مزينة ، يشكر ، عدي ، الأزد[٨].

نــزل عتــبة بــن غزوان ومن معه الخريبة أولاً ، ويبدو أنه انشغل في البداية ببعض المعارك الثانوية والمناوشــات الصغيرة مع القوات الفارسية ؛ حتى تمكن في النهاية من هزيمة الحامية الفارسية في الأبلة فــي رجــب وقيل في شعبان ١٤هـ[٩]. ثم بدأ يتقدم نحو الحاميات الفارسية الموجودة في المنطقة بعدما

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩١ (الشعبي) / أبو هلال العسكري : الأوائل ، ص١٩١ (المدائني) /ابن الجوزي : المنتظم ، ج٤ ، ص١٨٢ .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٣ (عمر بن شبه) / ياقوت : معجم ،ج١ ، ص٣٤١ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٤٥(الواقدي) .

(٤) البلاذري: فتوح، ص٣٣٦ (قالوا) .

(٥) الطــبري: تــاريخ، ج٣، ص٥٩٥ (الشــعبي) / صــالح العلــي،" خطط البصرة "، مجلة سومر، مجلد (٨)، بغداد ١٩٥٢، ص٢٩٩ .

(٦) مــثل أبــو بكرة نافع بن الحارث بن كلدة ، زياد بن أبي عبيد ، وكان عتبة مصاهراً لهذه القبيلة . الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٧ (المدائني) .

(٧) البلاذري: أنساب، ج ١٢، ص٣٢٠ (المدائني) .

(٨) ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٢٨ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٤ (الشعبي) / صالح العلي : التنظيمات ، ص٣٨. Donner, The Arab Tribes. P.129 .

(٩) خلــيفة بن خياط : تاريخ ، ص١٢٨ / ابن قتيبة : المعارف ، ص٣١٤ / البلاذري : فتوح ، ص٣٤١ (أبو عبيدة) / أنساب الاشــراف، ج١٣، ص٢٩٨ (أبو عبيدة) / الدينوري : الاخبار ، ص١١٢ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٤ /المسعودي: مروج ، ج٢ ، ص٣٣٧ (المدائني) / اليافعي : مرآة الجنان ، ج١ ، ص٦١ / ابن العماد : شذرات الذهب ، ج١، ص٣٩ .

انضــم له قوات من بني العدوية من بني حنظلة من تميم بقيادة سلمى بن القين وحرملة بن مريطة اضافة لإنضمام مقاتلة من بني العمّ القاطنين في الأهواز يقودهم غالب الوائلي وكليب بن وائل الكلبي[١] ، فتمكّنوا مــن فــتح الفـــــرات[٢] ودَستَميسان[٣] كما هاجموا أبزقباذ[٤] وميسان[٥] اللتان انتقضتا بعد ذلك فأعاد المغيرة بن شعبة اخضاعهما في ولايته على البصرة (١٥-١٧هـ)[٦].

في ظل هذه الانتصارات المتتالية للمسلمين في أرجاء العراق العربي ، بدأ الفرس ينتبهون لحالة الضعف المستشـــرية فيهم ، فاجتمعوا على يزدجرد وملّكوه عليهم ؛ فعمل يزدجرد على محاولة استعادة السيطرة علـــى العراق عبر إعداده جيشاً ضخماً اشترك فيه قوات من أرجاء فارس ، كما طلب من دهاقين السواد نقض عهودهم مع المسلمين[٧] .

أحـسَّ المثنى بن حارثة بخطورة الوضع فأضطر لسحب قواته الى عيون الطف حيث نزل ذي قار وهي من عيون بني شيبان ، وأنزل معه المقاتلة في الجلّ[٨] وشِرَاف[٩] الى غُضَيٍّ بناحية البصرة[١٠] .

وكـــان ذلــك بأمر من الخليفة عمر الذي كتب للمثنى ((أن اخرجوا من بين ظهري الاعاجم وتفرقوا في المياه التي تلي الاعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ولا تدعوا في ربيعة أحداً ولا مضر ولا حلفائهم أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلا اجتلبتموه ، فإن جاء طائعا والا حشرتموه ، احملوا العرب على الجد إذ جد العجـــــــــم))[١١]. وبـــدأ الخليفة عمر يُعدُّ العدة لمعركةٍ حاسمةٍ مع الفرس ؛ فقد أُثر عنه قوله ((والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب))[١٢] .

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٤ ،ص٧٤-٧٦ (سيف) .

(٢) الفــرات : هي كورة بهمن اردشير ، تقع بين واسط والبصرة ، منها المذار وميسان ، وتسمى فرات البصرة . ياقوت: معجم ، ج١ ، ص٥١٦ .

(٣) دستمســيان : كــورة جلـيلة بين واسط والبصرة والأهواز ، وهي الى الأهواز أقرب ، وقيل أن قصبتها الابلة فتكون البصـــرة مـــن هذه الكورة . ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٤٥٥ . انظر : البلاذري : فتوح ص٣٣٧-٣٣٨ (ابن اسحاق) / اليعقوبي : تاريخ ، ج٢ ، ص٣٢ .

(٤) ابزقـــباذ: هي من طساسيج المذار بين البصرة وواسط ، فتحها عتبة بن غزوان بعد فتح الابلة . ياقوت : معجم ، ج١، ص٧٣

(٥) مَيْســـان : اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان . ياقوت : معجم ،ج٥ ،ص٢٤٢. انظر البلاذري : فتوح ، ص٣٣٧-٣٣٨ (ابن اسحاق) / اليعقوبي : تاريخ ، ج٢ ، ص٣٢ .

(٦) خليفة بن خياط: تاريخ، ص ١٢٧ (المدائني)/ البلاذري: فتوح، ص٣٣٨-٣٣٩/ الدينوري: الأخبار ، ص١١٣ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٧٨ (سيف) / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٢٩٤ .

(٨) الجل : موضع بالبادية على جادة طريق القادسية الى زبالة . ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص١٥٦ .

(٩) شراف : ماء بمنطقة نجد ، تبعد عن الاحساء ١٦ كم . ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص٣٣١ .

(١٠)غضـــيّ : ذكــر الأصمعي انها جبال البصرة ، ولعلها غضي شجر وهو موضع بين الأهواز ومرج القلعة . ياقوت : معجـــم ، ج٤ ص ٢٠٥-٢٠٧ . انظـــر : الطبري : تاريخ ،ج٣ ، ص٤٧٧-٤٧٨ (سيف) / ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص٢٩٥ .

(١١)الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٧٨ (سيف) .

(١٢)الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٧ (سيف).

وأعلـــن التعبـــئة العامة ((فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي ولا ذا شرف ولا ذا سطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به فرماهم بوجوه الناس وغررهم))[١]٠

حـــتى أنه أراد الخروج بنفسه ليقود الجيش وذلك قبيل انتصار المسلمين في البويب ؛ عندما جمع المقاتلة في صرار في محرم سنة ١٤هـــ[٢]٠ إلا أن الصحابة اشاروا عليه بتوجيه قائد آخر ، فاستقر الرأي على ســـعد بن أبي وقاص[٣] الذي انتخب ألف فارس من قبائل قيس عيلان التي تنتشر في نجد التي كان سعد عاملاً على صدقاتها خاصة على بني هوازن التي تقطن في نجد مما يلي اليمن، وذلك بتكليف من الخليفة، ممـــا يعني أنه يمكن أن يكون هؤلاء هم أنفسهم مقاتلة هوازن إذ كان قائد هذه المجموعة بشر بن عبدالله الهلالي[٤] ، ولربما انضم لهم مقاتلة آخرون من قيس عيلان لم تذكر المصادر أسماء قبائلهم ٠

ورغـــم اختلاف الروايات التاريخية حول اعداد المشاركين في القادسية ، إلا أنه لم ترد أي تفاصيل حول أســـماء القبائل المشاركة واعدادها سوى لدى رواية سيف بن عمر (ت١٨٠هـــ) والتي سنعتمد عليها في الـــتعرف علـــى القـــبائل المشاركة : انضم الى سعد في المدينة ثلاثة الآف ممن قدموا من اليمن والسراة وكانوا يضمون سبعمائة مقاتل من بني بارق وألمع وغامد وهم من أهل السراة عليهم حميضة بن النعمان بـــن حميضة البارقي ٠ ومعهم ألفان وثلاثمائة مقاتل من أهل اليمن ، منهم ستمائة مقاتل من حضرموت والصـــدف ، وألف وثلاثمائة مقاتل من مذحج على ثلاثة رؤساء : عمرو بن معد يكرب على بني منّبه، وأبـــو ســـبرة بـــن ذؤيب على جُعْفَى ومن في حلفها من اخوة جزء وزبيد وأنس الله ، ويزيد بن الحارث الصّدائي على صداء وجنب ومسلية ٠ وكانوا جميعاً في ثلاثمائة مقاتل كلهم من مذحج ٠ ويظهر أن بقية أهـــل اليمـــن كانوا من النخع بن عمرو والذين بلغوا ألف واربعمائة مقاتل ومما يدل على كثرتهم ما قاله الخليفة عمر لهم ((أن الشرف فيكم يا معشر النخع لمتربع ، سيروا مع سعد))[٥] ٠

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٧ / ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص٢٩٥ ٠

(٢) صـــرار : مـــاء علـــى ثلاثـــة اميال من المدينة / ٦ كم على طريق العراق ، وهو محتفر جاهلي ٠ ياقوت : معجم ،ج٣ ، ص٣٩٨ انظر : الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨١ (ابن اسحاق) ٤٨٨ (سيف) / Vaglerii, Al-Kadisiyya, EI[1]. Vol. IV, P.385 ٠

(٣) ســـعد بـــن أبي وقاص: هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، شهد بدراً مع الرسول ٠ص٠)، وفتح القادســـية ، واخـــتط مدينة الكوفة ووليها مرتان احداهما في خلافة عمر والأخرى في خلافة عثمان ، توفي سنة ٥٥هـــ٠ ابن سعد: الطبقات ، ج٦ ، ص٣٧١ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٢ (سيف) / ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج٢ ، ص٤٢٥ (المدائني)٠

(٤) ينسب بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان٠ ابن الكلبي: جمهرة النسب ، ص٣١١ ، ٣٦٧ / عمر كحالة : معجم ، ج٣ ، ص٢٢١/ Donner, The Arab Tribes, P.120 ٠

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٤ (سيف) ٠

وبذلك بلغ مجموع القوات التي احتشدت في المدينة وخرجت مع سعد الى صرار أربعة الآف مقاتل ٠ ويظهـر أن الخليفة أتاهم في معسكرهم بصرار ((فأرادهم جميعاً على العراق فأبوا إلا الشام ، وأبى إلا العـراق ، فسمح نصفهم فأمضاهم نحو العراق ، وأمضى النصف الآخر نحو الشام))[١] ٠

وبذا اصبح مجموع الخارجين مع سعد ألفي مقاتل ٠ ثم تزايد عددهم إثر انضمام اربعمائة مقاتل من كندة وخاصـة بنـي السـكون يقودهم حصين بن نمير السكوني ومعاوية بن حديج[٢] ٠ ويبدو أن أعداد كندة تزايدت فيما بعد حتى أن الشعبي (ت١٠٣هـ) روى أنه شهد القادسية من كندة سبعمائة مقاتل[٣] ٠

ثم أرسل الخليفة مدداً لسعد بعد خروجه يتألف من ألفي مقاتل يماني وألفي مقاتل نجدي من غطفان وسائر قيس[٤] ، وبذلك وصل عدد من قدم مع سعد الى زرود[٥] حوالي ستة الآف واربعمائة مقاتل ٠

وكـان ذلك في أول الشتاء - أواخر شعبان ١٤هـ/ منتصف تشرين أول ٦٣٦م - ففرّق سعد جنده حول مياه بني أسد وتميم ، منتظراً قدوم المزيد من المقاتلة ، كما انتخب اثناء اقامته اربعة الآف مقاتل من بني تميم والرباب (٣٠٠٠ تميمي و١٠٠٠ ربّي) وانتخب أيضاً ثلاثة الآف من أسد وأمرهم بالنزول على حد أرضهم بين الحزن والبسيطة[٦]٠ وبذلك ارتفع عدد المقاتلة مع سعد الى ثلاثة عشر ألفاً واربعمائة مقاتل، في حين كان المثنى بن حارثة في ثمانية الآف مقاتل (منهم ستة الآف مقاتل من بكر بن وائل وألفي مقاتل مـن سائر ربيعة وهؤلاء جميعاً كان منهم اربعة الآف مقاتل ممن انتخب بعد فصول خالد وأربعة الآف ممـن كانوا مع المثنى بعد الجسر) ٠ كما كان مع المثنى أعداد من القبائل العربية التي حاربت معه في وقعـة البويـب ١٤هـ ، منها ألفي مقاتل من بجيلة يقودهم جرير بن عبدالله ، وألفي مقاتل من قضاعة وطـيء ، على قضاعة عمرو بن وبرة وعلى طيء عدي بن حاتم[٧] ٠ وبينما كان المثنى بانتظار سعد ، توفـي بسـبب جـراحة انتقضـت عليه كان قد اصيب بها في الجسر٠ فاستخلف على الناس بشير بن الخصاصية ، وكان سعد ما يزال في زرود[٨]٠

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٤ (سيف) ٠
(٢) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٥ (سيف) / Hinds, The Early History, P.58 ٠
(٣) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٥ (الشعبي) / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٦٠٤ ٠
(٤) الطـبري : تـاريخ ، ج٣ ، ص ٤٨٦ (سـيف) / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٤٩٣ / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣٣٠ ابن دحلان : الفتوحات ، ج١ ، ص٨٥ ٠
(٥) زرود : موضـع بين الثعلبية والخزيمية الذي يبعد عن الثعلبية ٦٤كم ، على طريق الحاج من الكوفة ، ياقوت: معجم: ج٣ ، ص١٣٩ ٠
(٦) الحـزن : قرب فيد من جهة الكوفة ، يسمى حزن يربوع ، وهو من أجلّ مرابع العرب ٠ ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٢٥٤. البسيطة : موضع بين الكوفة وحزن بني يربوع ٠ ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٢٤ / انظر الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٦ (سيف) / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٤٩٣ / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣٣٠ ٠
(٧) الطبري : تاريخ : ج٣ ، ص٤٨٦ (سيف) ٠
(٨) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٦ (سيف) ٠

يـــبدو أن ســـعداً أقام ثلاثة شهور في زرود حتى انحسار الشتاء ، ثم سار الى شراف ونزلها في أول ذي الحجـــة ١٤هـــــ • وأنضم له على الطريق ألف وسبعمائة مقاتل من أهل اليمن عليهم الأشعث بن قيس الكندي ، وربما أن معظمهم كان من كندة • فأصبح المجموع العام للقوات التي نزلت شراف خمس عشر ألفاً ومائة مقاتل •

وصل المعنّى بن حارثة الشيباني – شقيق المثنى ترافقه زوجة المثنى – الى شراف حيث يُروى أن سعداً تزوّجها بعد إنقضاء عدتها ، مما يؤكد أنه كان في شراف في ذي الحجة ١٤هـــ(١).

ثـــم انضـــمت القوات التي كانت مع المثنى الى سعد، فأصبح مجموع من معه سبع وعشرون ألفاً ومائة مقـــاتـــل • تـــم تعبئـــتهم بأمر من الخليفة ((فقدَّر الناس وعبأهم بشراف وأمَّر أمراء الاجناد ، وعرّف العرفاء ، فعرّف على كل عشرة رجلاً •• وأمرَّ على الرايات رجالاً من أهل السابقة وعشَّر الناس، وأمرّ على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل في الاسلام))(٢)• ولم يُسمح بتأمير أي مرتد في الجيش•

انـــتقل المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص الى القادسية في صفر ١٥هـــ/١ نيسان ٦٣٦م ، وجاء اختيار المكـــان موفّقـــا ، فالقادسية باب فارس في الجاهلية(٣) ، فلقد أدرك الخليفة عمر عندما أمر سعداً بالتوجه نحوها أهميتها الطبوغرافية والعسكرية حيث راعى وجود البادية خلف حشد المسلمين لتكون ملجأ لهم إن تعرضوا للهزيمة اذ يصعب على العجم اللّحاق بهم في البادية لجهلهم مسالكها ودروبها(٤) •

وصل الجيش الفارسي بقيادة رستم الى القادسية في رجب ١٥ هـــ / آب ٦٣٦م(٥) ، وكان المسلمون انذاك قد حققوا انتصاراً عظيماً في معركة اليرموك على الجبهة الشامية في رجب ١٥هـــ(٦) • ترد رواية تذكر أن ســـعداً هاجم برس في شوال ١٥هـــ/ تشرين ثاني ٦٣٦م بعد انتصاره في القادسية(٧) ؛ مما يعني أن وقعـــــــة القادسية كانت ما بين شهري رجب وشوال ، وبما أن رواية سيف تذكر أن فتح الشام كان قبل

---

(١)وهو يتوافق مع قدوم سعد زرود في شعبان، ولأن المثنى مات ولم يكن سعد قد غادر زرود بعد• الطبري: تاريخ، ج٣، ص٤٨٨ (سيف).

(٢)الطبري: تاريخ، ج٣، ص٤٨٨ (سيف) / ابن حبيش: غزوات، ج٢، ص٤٩٥ / ابن كثير: البداية، ج٧، ص٣٥ •

(٣)القادســية : تبعد عن الكوفة ٩٠ كم وبينها وبين العذيب ٨كم ، فيها حصلت وقعة القادسية سنة ١٥هـــ• ياقوت: معجم: ج٤ ، ص٢٩١ / انظر : الطبري ، ج٣ ، ص٤٩١ / ابن الجوزي : المنتظم ، ج٤ ، ص١٦٢ •

(٤)الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٩١ / هشام الربعي ، جبهة الكوفة ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، العراق ١٩٨٩، ص٦٠ •

(٥)روي أنـــه كـــان بيـــن خروج رستم من المدائن ومعسكره بساباط وزحفه منها الى أن لقي سعدا أربعة أشهر • انظر الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص ٥٠٩ • / Vaglerii , Al-Kadisiyya. EI[1]. Vol. IV. P.386 •

(٦)كانـــت وقعة اليرموك لخمس مضين من رجب ١٥هـــ • خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١٣٠ (ابن الكلبي) / الطبري : تاريخ، ج٣ ، ص ٥٧١ (ابن اسحاق) •

(٧)الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٦١٩ •

القادسـيــــــة بشـــهر[١] فإن القادسية بذلك كانت في شهر شعبان ١٥هـ / أيلول ٦٣٦م ، يؤكد ذلك ما رُوي أنه كان بين قدوم خالد ونزول سعد القادسية سنتان وشيء[٢]، وما قاله عاصم بن عمرو التميمي لما خطب في الناس يوم القادسية ((أن هذه البلاد قد أحلَّ الله لكم أهلها وأنتم تنالون منها منذ ثلاث سنين))[٣]. اندلعـت المعركة الفاصلة بين المسلمين والفرس في القادسية غرب نهر الفرات ، ولعل ذلك يدل على أن المســلمين استفادوا من خطأ الماضي عندما عبر أبو عبيد الثقفي وقواته نهر الفرات وابتعدوا عن خطوط الامداد والملجأ الذي يمكن الوصول له بسهولة وآمان ان حافظوا على مواقعهم غرب الفرات ولعل هذا ما تفـاداه سـعد وقواته في القادسية إذ استدرج القوات الفارسية لخارج خطوط امدادها مما ساعد في جعل المعركة لصالح المسلمين . خاصة مع وصول مدد للمسلمين قادم من الشام بعد انتصارهم في اليرموك إذ أرسل أبو عبيدة بن الجراح ستة الآف مقاتل (خمسة الآف من مضر وربيعة وألف مقاتل من أفناء الناس من اليمن والحجاز)[٤] ، وقيل أن جيش العراق الذي خرج مع خالد للشام لم يتمكن جميعه من القدوم الى القادســية بســبب الجــراح التي كان يعاني منها بعض المقاتلة ، لذا أضيف لهم باقي العدد من أفراد لم يشاركوا في حملة خالد على العراق ومن هؤلاء : قيس بن هبيرة بن المكشوح المرادي ، الاشتر بن مالك النخعــي[٥] . ويقودهــم جميعاً هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، الذي كان على مقدمته القعقاع بن عمرو التميمـــي ، وعلـــى احـــدى المجنبتين قيس بن هبيرة وعلى المجنبة الأخرى الهزهاز بن عمرو العجلي ، ويشعر وجود هذه الأسماء بمشاركة أعداد أخرى من قبائلهم . وكان أول الواصلين من هذا المدد القعقاع ابــن عمــرو على رأس ألف مقاتل وصلوا في ثاني أيام المعركة وهو يوم أغواث[٦] ، بينما وصل بقية الجــيش فـــي ثالث أيام المعركة – يوم عماس[٧] – إذ أقبلوا مائة مائة حتى إذا انتهوا الى سبعمائة مقاتل ظهر هاشم ومعه قيس بن هبيرة[٨] ، ولعل هذا ما جعل الشعبي يعتقد أن هاشماً جاء من الشام في سبعمائة مقاتل فقط[٩] .

ولقـد روي أن ابا عبيدة أمد المسلمين في القادسية بألف مقاتل آخرين عليهم عياض بن غَنم الفهري[١٠] ،

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٤٢ (سيف) .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص٥٣٢ .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص٥٣٢ .

(٤) الطــبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٤٢-٥٤٣ (سيف) . انظر اليعقوبي : تاريخ ، ج٢ ، ص٣٤ / المسعودي : مروج ، ج٢ ، ص٣٣٠ / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٤٩٧ ، ٥٥٣ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٤٠-٤٤١ (سيف) / الدينوري : الاخبار ، ص١١٥ .

(٦) اليعقوبــي : تــاريخ ، ج٢ ، ص٣٤ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٤٢-٥٤٣ (سيف) / المسعودي: مروج ، ج٢ ، ص٣٣٠ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٤٣ (سيف) .

(٨) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٥١-٥٥٢ (سيف) .

(٩) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٥٢ (الشعبي) / ابن الجوزي : المنتظم ، ج٤ ، ص٣٦ .

(١٠) الدينوري : الأخبار ، ص١١٥ .

إلا أن سيفاً يذكر أن وصول هذه القوات كان بعد القادسية ؛ إذ انضموا لسعد لما كان بدير قرّة[١] . ومما يرجح ذلك عدم ذكر أي خبر عن دور عياض في معركة القادسية . وبذلك ارتفع عدد المشاركين في معركة القادسية الى ثلاث وثلاثين ألفاً ومائة مقاتل ولعل هذا ما قصده سيف لما قال ((فجميع من شهد القادسية بضعة وثلاثون ألفاً وجميع من قُسّم عليه فيء القادسية نحو من ثلاثين ألفاً))[٢] .

وتناقض روايات أخرى هذا العدد دون أن تحدّد الأعداد لكل قبيلة شاركت في القادسية وانما تعطي اعداداً لمجمل المشاركين[٣] . ولعل اختلاف هذه الروايات مردّه كثرة الامدادات التي قدمت الى المسلمين في القادسية قبيل المعركة واثناءها . ويوضّح سيف هذا الاختلاف بين الروايات بقوله ((فمن قال اربعة الآف فلمخرجهم مع سعد من المدينة ، ومن قال ثمانية الآف فلاجتماعهم بزرود ، ومن قال تسعة الآف فللحاق القيسيين ومن قال اثنا عشر ألفاً فلدفوف بني أسد من فروع الحزن بثلاثة الآف))[٤] .

ورغم صعوبة القبول بدقة الأرقام التي أوردها سيف إلا أن روايته كانت الوحيدة التي فصّلت في ذكر أسماء وأعداد القبائل المشاركة ، كما انها تعطينا اشارات صريحة لانتشار القبائل من مضر وربيعة حول بادية الكوفة فضلاً عن أنها تَتَبَّع مسير القوات الاسلامية والإمدادات المتلاحقة التي انضمت لها . ويمكننا اضافة قبائل أخرى شاركت في القادسية الى جانب القبائل التي أوردها سيف من خلال تَتَبع أسماء عدد من القادة والجند الذين وردت إشارات مبعثرة عن أدوارهم في المعركة ، مثل ثقيف التي برز منها المغيرة بن شعبة والشاعر أبو محجن الثقفي[٥] ، أعداد من قبيلة همدان قدمت من الشام بعد الانتصار في اليرموك بقيادة سعد بن نمران الهمداني[٦] ، وأعداد من باهلة مثل سلمان بن ربيعة الباهلي[٧] ، وعبد القيس[٨] .

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٤٣ (سيف) / ابن اعثم : الفتوح ، م١ ، ص١٦٦ .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٧ (سيف) .

(٣) روى محمد بن اسحاق (ت١٥٢هـ) أن عدد المشاركين في القادسية كان ما بين ٦٠٠٠-٧٠٠٠ مقاتل . انظر خليفة ابن خياط : تاريخ ، ص١٣١ (ابن اسحاق) / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٧٦ (ابن اسحاق) / ابن كثير : البداية ، ج٧ ، ص٢٩ . بينما روى أبو وائل (ت٨٣هـ) وكان احد المشاركين في المعركة أن عددهم كان ما بين ٧٠٠٠-٨٠٠٠ مقاتل . أبو يوسف : الخراج ، ص٢٩ (أبو وائل) / خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١٣١ / اليعقوبي : تاريخ ، ج٢ ، ص٣٢ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٩٦ / ابن الطقطقي : الفخري ، ص٨٤ . في حين روى شريك (ت١٧٧هـ) أن عدد المشاركين بلغ ١١٠٠٠ مقاتل . ابن اعثم : الفتوح ، م١ ، ص١٦٥ . اما البلاذري (ت٢٧٩هـ) وقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) فاشارا الى انهم بلغوا ٩٠٠٠ الى ١٠,٠٠٠ مقاتل . البلاذري : فتوح ، ص٢٥٦ (قالوا) / قدامة : الخراج ، ص٣٥٩ .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٧ (سيف) / شكري فيصل : المجتمعات ، ص٩٥ .

(٥) خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١٣٢ (ابن اسحاق) / البلاذري: فتوح، ص٢٥٦ (قالوا) ، ٢٥٧ (الشعبي) / الدينوري: الاخبار ، ص١١٥ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٧٢ .

(٦) الدينوري : الاخبار ، ص١١٥ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٥٣ .

(٧) البلاذري : فتوح ، ص ٢٥٩ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٩٠ (سيف) .

(٨) البلاذري : فتوح ، ص٢٥٩ .

ولا بــدَّ مــن الإشارة لحضور النساء والعيالات الكبير في القادسية ، اذ انضم لسعد لما خرج من المدينة أربعة الآف من المقاتلة والنساء والذراري[(١)] ، كما شاركت قبيلتي بجيلة والنخع بأعداد من نسائها إذ روي أنــه ((لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر امرأة يوم القادسية من بجيلة والنخع ، وكان في النخع سبعمائة امرأة فارغة وفي بجيلة ألف))[(٢)] . وكانت مهمة النساء مداواة الجرحى وحفر القبور لدفن الشهداء[(٣)] . ومما يشعر بأن الأعداد التي شاركت في القادسية كانت بضعةً وثلاثين ألفاً ما نقله ياقوت من أن المسجد الجــامع في الكوفة اختط على أربعين ألف أنسان[(٤)] ، ولعل هذه الرواية تشعر أيضا بالتزايد الحاصل في أعداد من نزل الكوفة بعد اختطاطها ، إذ أن أعداد المشاركين في القادسية انخفض بعد انتهاء المعركة إذ خسر المسلمون ما يقارب ثمانية الآف وخمسمائة شهيد[(٥)] مما يعني بقاء أربع وعشرين ألفاً وستمائة مقاتل مــن أصل الأعداد التي شاركت في القادسية ، ثم انضم لهم ألف مقاتل قدموا من الشام بقيادة عياض بن غــنم ، فاصبح مجموعهم خمسة وعشرون ألفاً وستمائة مقاتل ؛ ولم يكن كافة من شارك من القبائل التي تــنزل بادية الكوفة قد اختط في الكوفة أول انشائها ، كما أن أعداداً من المشاركين مع سعد خرجوا لنجدة أخوانهــم فــي حمص والجزيرة الفراتية سنة ١٧هــ وهي نفس السنة التي اختطت بها الكوفة ، إذ خرج القعقاع بن عمرو ومعه أربعة الآف مقاتل كما خرج أعداد أخرى لم تذكر الروايات اعدادهم[(٦)] ، ولعل في ذلك ما جعل الشعبي يروي أن اعداد من سكن الكوفة عند اختطاطها كان عشرون ألف مقاتل[(٧)] .

ويــتوقع أن يزداد أعداد المقاتلة بعد القادسية ودخول المسلمين المدائن في صفر ١٦هــ/ آذار ٦٣٧م[(٨)] ، ولعــل أخبار معركة جلولاء وفتح تكريت تشعر بهذه الزيادة ؛ إذ ارسل سعد هاشماً بن عتبة من المدائن بأمر من الخليفة على رأس اثني عشر ألف مقاتل وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي[(٩)] .

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٨٤ .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٨١ .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٥٠ (سيف) ، ٥٦٧ .

(٤) ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٤٩١ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٦٤ (سيف) .

(٦) خــرج عدد من المسلمين موزعين مع عدد من الامراء : سهيل بن عدي الى الرقة ، عبد الله بن عبدالله بن عتبان الى نصــيبين ، الولــيد بــن عقــبة الى عرب الجزيرة من تنوخ وربيعة وعياض بن غنم الفهري .الطبري : تاريخ ، ج٤، ص٥٠-٥١ (سيف) .

(٧) البلاذري : فتوح ، ص٢٧٦ (الشعبي) / ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٤٩٢ (الشعبي) .

(٨) المدائــن : كانت مسكن أكاسرة الأسرة الساسانية ، وقيل أن اردشير بن بابك هو أول من بناها ، ثم اضيف لها عدد من المدن كان كل ملك من الأكاسرة إذ ملك يبني واحدة مثل : المدينة العتيقة ، طيسفون ، اسفانبر ، رومية . ياقوت: معجم، ج٥، ص٧٤-٧٥ . انظــر البلاذري: فتوح، ص٢٦٣ (الشعبي) / الطبري: تاريخ، ج٤، ص٨ (سيف)، ٢٠ (الشعبي)// ابن اعثم : الفتوح ، م١ ، ص٢٢٢ .

(٩) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٤ (سيف) / ابن خلدون : تاريخ ، ج٤ ، ص٩٤ .

كما خرج عبدالله بن المعتم في خمسة الآف الى تكريت وعلى مقدمته ربعي بن الأفكل العنزي[١] • ويبدو أن مـــن شـــارك في الحملتين هم أنفسهم بعض من شارك في فتح القادسية • يفصل ابن اعثم في اسماء بعــض الخارجين الى جلولاء ، فذكر أن هاشماً خرج ومعه ثلاثة الآف فارس والى جانبه حجر بن عدي الكــندي في ألفي فارس ، والمنذر بن حسان الضبي في ثلاثة الآف فارس وجرير بن عبد الله البجلي في أربعة الآف فارس[٢] •

ثم أرسل الخليفة عمر مدداً لعتبة مائتي فارس ثم مائتين ثم مائتين ، وجاء من بين أسماء الخارجين طليحة ابـــن خويلد الاسدي وقيس بن المكشوح المرادي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي[٣] • ويشعر وجود مثل هـــذه الاســـماء بمشاركة اعداد من قبائلهم • وتمكن المسلمون من هزيمة الفرس في جلولاء[٤] ، وبذلك انتهـــت الســـيطرة الفارســـية على النصف الشمالي من العراق ، ولقد لحق المسلمون فلول الفرس بقيادة القعقاع بن عمرو ومعه فرسان من الأفناء والحمراء الذين اسلم بعضهم قبل القادسية وآخرين بعدها حتى بلغوا خانقين إذ جاء أمر الخليفة لهم بالتوقف عند هذا الحد[٥].

كمـــا نجـــح المسلمون بقيادة عبدالله بن المعتم بفتح تكريت بعد هزيمة أهل الموصل و هروب الروم دون قـــتال و انضمام جماعات من نصارى عرب تغلب و النمر و اياد للمسلمين بعد اسلامهم[٦]. و كان فتح جلولاء و تكريت سنة ١٧ هـــ[٧].

لم ينفك الفرس من محاولة إعادة سيطرتهم على العراق ، فبدأوا بالتجمع من جديد في نهاوند سنة ٢١هـــ/ ٦٤٢م[٨] ، فقـــرّر الخلـــيفة عمـــر رفع الحظر الذي فرضه على المسلمين بالانسياح نحو الشرق ؛ فكتب لعبدالله بن المعتم – خليفة سعد بن أبي وقاص على الكوفة – باستنفار أهلها ، فكان أسرع المنتدبين من –

---

(١) تكريــت : بلـــدة مشـــهورة بين بغداد والموصل ، وهي الى بغداد اقرب ، تبعد عن بغداد ١٨٠كم ، وتقع غرب نهر دجلة• ياقوت: معجم ، ج٢ ، ص٣٨-٣٩ • انظر : الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص ٢٤ (سيف) •

(٢) ابن اعثم : الفتوح ، م١ ، ص٢١٠ •

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٧ / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٦٥١ •

(٤) ســـميت المعركة بذلك لأن القتلى جللت المجال وما بين يديه وخلفه • البلاذري : فتوح ، ص٢٦٤ / الطبري : تاريخ، ج٤، ص٢٦ / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص٣٦ •

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٨ / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٦٥٣ •

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٣٥-٣٦ (سيف) •

(٧) خلـــيفه بـــن خـــياط : تاريخ ، ص١٣٧ (سيف) وروي انها كانت ١٦هـــ • انظر البلاذري : فتوح ، ص٢٦٥ (قالوا) / اليعقوبـــي: تـــاريخ ، ج٢ ، ص٤٢ / الطـــبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٣٢ (سيف) / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٦٧٣ ، ابن الاثير: الكامل ، ج٢ ، ص٣٦٥ • وقيل انها كانت سنة ١٩هـــ • خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١٣٧ (قتادة) / اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ، ص٤٢ / الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص١٠٢ (الواقدي)/ الحميري : الروض ، ص١٦٧ •

(٨) نهـــاوند : مديـــنة عظيمة في قبلة همذان تبعد عنها ثلاثة ايام ، وهي من مدن الجبال ، تبعد عن همذان ١٤٤كم • ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٣١٣-٣١٤ • انظر خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١٤٧ / البلاذري : فتوح ، ص٣٠٠ (قالوا) / اليعقوبي : تـــاريخ ، ج٢ ، ص٤٨ / الطـــبري : تاريخ ، ج٤ ، ص١١٤ (ابن اسحاق) ، ١٢٦(أبو وائل) / ابن خلدون ، تاريخ ، ج٤ ، ص٩٧٣ •

أهـل الكوفـة الروادف وهي مجموعة القبائل العربية التي لحقت بالعراق بعد القادسية ((ليبلوا في الدين ولـيدركوا حظـاً))[١] ، فخرج ثلثا مقاتلة أهل الكوفة وعليهم حذيفة بن اليمان العبسي، وانضم لهم ثلث مقاتلة أهل البصرة وعليهم أبو موسى الاشعري. وتولّى القيادة العامة للجيش النعمان بن مقرن المزني[٢]. كمـا انضم لهم عدد من قادة الردة السابقين مثل طليحة بن خويلد الاسدي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي وعمرو بن أبي سلمى العنزي ، فكان النعمان يستعين بمشورتهم ولا يوليهم شيئاً [٣] .
وبذلك ضمَّ الجيش العربي المسلمَ الذي قيل أنه بلغ ثلاثين ألف مقاتل[٤] من عدد من القبائل مثل : مزينة ، بجيلة ، النخع ، زبيد ، حمير ، ثقيف ، مذحج ، عبس ، أشعر[٥] . ولقد تمكّن المسلمون من الانتصار في نهاوند سنة ٢١ هـ [٦] .

ب . انشاء دور الهجرة :-

كانـت مديـنة البصرة أول المدن العربية الاسلامية التي انشأها المسلمون ليس في العراق فحسب ، بل خارج الجزيرة العربية ككل ، ثم تبعها إنشاء مدينة الكوفة ، وكان ذلك في أيام الخليفة عمر بن الخطاب . وبذلـك تـبدأ مـرحلة جديدة من مراحل الوجود العربي تمثّل بإتخاذ ما عُرِفَ بالأمصار؛ والتي حرص المسـلمون علـى اتخاذها في البلاد المفتوحة كلها . وكانت الغاية من وجودها أن تكون قواعد عسكرية يسـكنها الفاتحون وعيالاتهم ، ولتكون محطات لاستقبال الفاتحين الجدد ، كما ستمكن المسلمين من تثبيت سيادتهم على هذه البلاد وتسهيل اشرافهم الإداري عليها ، وتضمن استمرار خضوع هؤلاء لسلطة القيادة التي أرادت توجيههم للجهاد والفتح[٧] .

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٤، ص١٢٧. (سيف)/ انظر البلاذري: فتوح، ص٣٠٣/ ابن حبيش: غزوات، ج٢، ص٧١٦ .
(٢) النعمان بن مقرن بن عائذ المزني : اسلم في حياة الرسول (ص) ، سكن البصرة ثم تحول الى الكوفة ، واستشهد بنهاوند سنة ٢١هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص٣٥٧ / ابن حجر: الاصابة ، ج٦ ، ص٣٥٧ .
(٣) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص١٢٧ (سيف) .
(٤) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص١٣٦ (سيف) . انظر البلاذري : فتوح ، ص٣٠٣ / ابن اعثم : الفتوح ،م١ ، ص٢٩٤ / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٦١١ .
(٥) الـبلاذري : فتوح ، ص٣٠٠ (قالوا) / الدينوري : الاخبار ، ص١٢٨ / الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص١١٥ (ابن اسحاق) / ابن اعثم : الفتوح ، م١ ، ص٣٠٤ .
(٦) اختلف المؤرخون في تحديد زمنها ، فقيل انها كانت سنة ١٨هـ . الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص١١٤ (سيف) / ابن الاثير: الكامل ،ج٢ ، ص٤١١ . وقيل انها اول سنة ١٩هـ لسبع سنين من امارة عمر بن الخطاب . البلاذري : فتوح ، ص٣٠٢ / الطـبري : تـاريخ ، ج٤ ، ص١٣٦ (سـيف) / ابـن حبيش : غزوات : ج٢ ، ص٧١٧-٧١٨ . وقيل انها سنة ٢٠هـ . الـبلاذري: فـتوح ، ص٣٠٣ . وقيل انها سنة ٢١ هـ . البلاذري : فتوح ، ص٣٠٣ / اليعقوبي : تاريخ ، ج٢ ، ص٤٨ / الدينوري : الاخبار ، ص ١٢٦ / الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص١١٤ (ابن اسحاق) .
(٧) البلاذري : فتوح ، ص٢٤٧(الواقدي) / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٧٩ (ابن اسحاق) / عبد العزيز الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، ص٤٧ ، ص٧٩ / هاملتون جب : دراسات ، ص ٨ ، ص٩ .

ولهــذا كلــه اطلق عليها الخليفة عمر دار هجرة وجهاد ، ولقد راعى المسلمون في اختيار موقع كل من البصرة والكوفة عدداً من الشروط :

١ ٠ العامل الجغرافي والبيئي :

اتّســمت مواقع دور الهجرة أنها لا يفصل بينها وبين مركز الخلافة الاسلامية في الحجاز فاصلاً طبيعياً يعــيق سهولة إيصال الأوامر والتوجيهات واستمرار طريق الامدادات للمناطق الجديدة ، ولضمان سلامة السيطرة على طريق المواصلات ، كما اشترط أن تكون بعيدة عن التوغل في أرض العجم ٠

وتؤكــد النصــوص التاريخــية على ذلك ، فلقد أمر الخليفة عمر عتبة بن غزوان أن يختار موقعاً يكون مــتاخماً لبلاد فارس على طرف الصحراء ، ولقد اشار عتبة لذلك لما قال ((ان أمير المؤمنين أمرني أن أنــزل أقصــى البر من أرض العرب وأدنى الريف من أرض العجم)) [١] ٠ واشترط الخليفة عمر عدم وجود فاصل طبيعي لما قال ((لا حاجة لي في شيء بيني وبينه دجلة أن تتخذوه مصراً)) [٢] ٠ كما أمر ســعداً أن ((لا تجعــل بيني وبين المسلمين بحراً)) [٣] ٠ ولهذا لم تكن المدائن تصلح لأن تكون مصراً للمسلمين ؛ إذ يفصلها عن الحجاز نهرا دجلة والفرات ، وكان من الضروري التحرز في هذا الشرط لأن المرحلة القائمة كانت تستلزم حضور مدد مستمر الى العراق ٠

كما اشترط أن يوائم مناخ الموقع المقاتلة العرب وذلك لأن العرب لما نزلوا المدائن اجتووها وآذاهم الغبار والذبــاب[٤]٠ حتى أن هشام بن محمد (ت٢٠٤هــ) وعدد من مشايخ الكوفة وصفوا أثر ذلك على العرب بأنه ((قد أترفت بطونها وخفت اعضادها وتغيرت ألوانها)) [٥] ٠

وكــان ســبب ذلــك أن العرب اعتادوا المناخ الجاف السائد في الجزيرة العربية وهذا يتعارض مع مناخ المدائن الحار ذو الرطوبة العالية ٠ ولقد أدرك الخليفة تشابه ظروف المناخ بين حياة العرب والإبل التي تعيش في بادية الجزيرة العربية لأن كليهما تعودا على نفس الظروف فقال ((ان العرب لا تصلح بأرض لا تصلح بها الإبل)) [٦] ٠

---

(١) الطــبري : تــاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٤ (الشــعبي) ٠ انظر البلاذري : فتوح ، ص٣٣٦ (قالوا) / نعمان بن محمد : معدن الجواهر ، ص٢١ ٠

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ج٧ ، ص٥ (الواقدي) / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٠ (قالوا) ٠

(٣) الــبلاذري : فتوح ، ص٢٧٤ (الواقدي) / الطبري: تاريخ ، ج٣ ، ص٥٧٩ (ابن اسحاق) ٠ انظر ايضا ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص٦٨ (يزيد بن أبي حبيب) / المقدسي : البدء ، ج٥ ، ص١٧٥ ٠

(٤) الطــبري : تــاريخ ، ج٤ ، ص٤٢ (سيف) ٠ انظر أبو يوسف : الخراج ، ص٣٠ / البلاذري : فتوح ، ص٢٧٧ (الهيثم ابن عدي) / الدينوري : الاخبار ، ص١١٨ ٠

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٣ (سيف) ٠

(٦) الطــبري: تــاريخ، ج٣، ص٥٧٩ (ابن اسحاق)/ ابن حبيش: غزوات: ج٢، ص٥٩١/ ابن الطقطقي: الفخري، ص٨٦ / نعمان بن محمد : معدن الجواهر ، ص ١٣٢ / Donner, The Arab Tribes, P.140 ٠

ولقد جاء القرار بأن يكون موقع دور الهجرة على حافة البادية وهذا يحقق شرطان : أولهما ابعاد المقاتلة عن أي انصهار مبكر مع أهل البلاد المفتوحة الخاضعين للسلطة العربية وبالتالي سيحافظون على طبيعتهم العسكرية ، وثانيهما أنه سيلبي الحاجة النفسية للعرب بأن يكون مكان نزولهم يشابه تلك المنازل التي خرجوا منها ؛ لذلك اختيرت البصرة والكوفة لتكونا في أقصى أرض العرب وأدنى أرض الريف • هذا ما أكده عتبة وقاله سعد ((اني قد نزلت الكوفة منزلاً بين الحيرة والفرات برياً وبحرياً))(١) •

وروعي في اختيار الموقع قربها من المراعي المنتشرة بالبادية والقريبة من الاراضي الخصبة ، وذلك لاعتماد القبائل على تربية الإبل والمواشي ، لذلك قال الخليفة لسعد ((لا تصلح العرب إلا حيث يصلح البعير والشاة في منابت العشب ، فانظر فلاةً في جنب البحر فارتد للمسلمين بها منزلاً)) (٢) •

وكذلك كانت البصرة التي وصفها عتبة في كتابه للخليفة بأنها ((كثيرة القصبة في طرف البر الى الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء ، فلما قرأ – عمر – الكتاب قال : هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب)) (٣) •

وكان لموقع البصرة والكوفة أهمية استراتيجية تسيطر فيها على مداخل العراق العربي ومخارجه ، فلقد كانت الكوفة بوابة العراق الغربية التي تصله بأرض الجزيرة العربية ، كما كانت البصرة في موقع حصين فالبطائح من الشمال ورأس الخليج من الجنوب ، وطرفها الغربي متصل بالبادية ، مما يسهّل الاتصال السريع بالجزيرة العربية عند أي خطر مفاجئ يهدد المقاتلة • وكان للبصرة أهمية تجارية لكونها تقع في نهاية الطريق البحري الذي يربط بلاد ما بين النهرين بالهند ، لذا سميت قديماً بأرض الهند ؛ ووصفها عتبة بأنها ((مرقى سفن البحر من عُمان والبحرين وفارس والهند والصين)) (٤).

٢ • العامل البشري :

كان موقع المصرين قريباً من منازل القبائل العربية من ربيعة ومضر، والتي كانت تنزل تخوم العراق قبل الفتح ثم انضمت للعمليات العسكرية التي وجهتها الخلافة لفتح العراق، كما لا ينسى دورها في تشجيع الخلافة على الفتح• ولقد مثلت هذه القبائل مثل : تميم ، بكر بن وائل، أسد رادفاً ثانوياً للقبائل الخارجة من الجزيرة لفتح العراق العربي ، وامتازت بكثرة أعدادها وإتساع منازلها القريبة من الأمصار (٥).

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٤، ص٤٣ (سيف) / ابن الجوزي : المنتظم ، ج٤ ، ص٢٢٢ / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣٧٣ •

(٢) الطبري: تاريخ، ج٣، ص٥٧٩ (ابن اسحاق)/ ابن حبيش: غزوات، ج٢ ، ص٥٩٣ / ابن الطقطقي : الفخري ، ص٨٦ / نعمان بن محمد ، معدن الجواهر ، ص١٣٢ • / Donner, The Arab Tribes, P.140

(٣) البلاذري : فتوح ، ص٣٤١ (أبو عبيدة) / أنساب الاشراف ، ج١٣ ، ص٢٩٨ (أبو عبيدة) / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٢٩-٢٣٠ (أبو عبيدة) / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٢ •

(٤) الدينوري : الاخبار ، ص ١١٢ / انظر البلاذري : فتوح ، ص٣٣٧ (قالوا) / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٤ (عمر بن شبه) / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣٣٥ / صالح العلي : التنظيمات ، ص٣٣ •

(٥) الاصطخري : مسالك ، ص٢١ / عبد العزيز الدوري : التكوين التاريخي ، ص٤٨ / جمال جودة : العرب والارض ، ص ١٥٧ / رباب السوداني : جبهة البصرة ، ص٣٣ •

٣ ـ العامل العسكري :

يتمثل برغبة الخلافة في إيجاد معسكرات شبه دائمة للمقاتلة الذين شاركوا في فتح العراق والذين سيساهمون في فتح المشرق حيث ستكون مراكز تجمع الجند ومراكز امداداتهم لدعم هذا الهدف ، كما انها ستحفظ بقاء العرب أمةً لا تعرف مهنة لها سوى الحرب والسياسة ولهذا قال عمر : ((ان العسكر أجدُّ لحربكم وأذكى لكم)) [١] .

البصرة[٢]:

اختلفت الروايات في الفترة التي أُتخذ فيها قرار انشاء (تمصير) مدينة البصرة ؛ فلقد اتفق الشعبي (ت١٠٣هـ) وابو عبيدة (ت٢٠٩هـ) والمدائني (ت٢٢٥هـ) أن ذلك كان سنة ١٤هـ/٦٣٥م[٣] ، وهي نفس السنة التي وجّه فيها الخليفة عمر عتبة بن غزوان الى جنوب العراق إثر هزيمة الفرس في وقعة النخيلة في صفر ١٤هـ وقبل انتصار المسلمين في وقعة القادسية في شعبان ١٥هـ؛ فذكر البلاذري ((وكانت البصرة قد مصرت فيما بين يوم النخيلة ويوم القادسية مصرها عتبة بن غزوان)) [٤] .

بينما ذكر الواقدي (ت٢٠٧هـ) أن انشاء البصرة كان في سنة ١٦هـ/٦٣٧م عندما وجه سعد عتبة من المدائن بعد فتح جلولاء وتكريت بأمر من الخليفة الذي أمر سعداً ((أن إضرب قيروانك بالكوفة ووجّه عتبة بن غزوان الى البصرة))[٥]. أما سيف بن عمر (ت١٨٠هـ) فذكر انها انشئت سنة ١٧هـ/٦٣٨م، فقال : ((واستقر بأهل البصرة اليوم منزلهم بعد ثلاث نزلات كلها ارتحلوا عنها في المحرم سنة سبع عشرة)) [٦].

عند استقراء هذه الروايات يبدو من المتعذّر القبول بأن البصرة أُنشئت لأول مرة سنة ١٦ أو ١٧هـ ، لأن خروج عتبة الى منطقة البصرة كان قبل ذلك التاريخ ، وذلك لأن المهمة الأساسية التي أُرسل لأجلها

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٤، ص٤٣ (سيف) .

(٢) اصل كلمة بصرة عربي أخذ من الطبيعة الجغرافية للأرض التي قامت عليها المدينة ، وتعددت تفاسير معناها فقيل انها الأرض ذات الحصى والحجارة السوداء الصلبة . ابن سعد : الطبقات ، ج٧ ، ص٥ / البلاذري : فتوح ، ص٣٣٦ (أبو مخنف) / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٢٧ (قالوا) / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٠ . Pellat, Al-Basra, EI[1]. Vol.1, P.1085 . وقيل انها تعني الحجارة الرخوة الضاربة الى البياض . خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١٢٨ / البلاذري : فتوح، ص٣٣٦ / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٢٧ (أبو عبيدة) / الزبيدي : تاج العروس ، ج٣ ، ص٤٩ وقيل انها الارض الحمراء الطينية . ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٠ / ابن منظور : لسان العرب ، ج٢ ، ص٩٥ / الزبيدي : تاج ، ج٣ ، ص٤٩ . وتقع البصرة على بعد ٢٤كم من نهر دجلة العوراء الذي يقع للشرق منها .

(٣) خليفة بن خياط : تاريخ ، ص ١٢٩ / ابن قتيبة : المعارف ، ص٣١٤ / البلاذري : فتوح ، ص٣٤١ (أبو عبيدة) / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٠ (المدائني) ، ٥٩١ (الشعبي) .

(٤) البلاذري : فتوح ، ص٢٥٦ (قالوا) .

(٥) ابن سعد : الطبقات ، ج٣ ، ص٥٣ (الواقدي) / البلاذري : فتوح ، ص٣٤٥ (الواقدي) .

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٢ (سيف) .

كانت لمشاغلة الفرس عن إمداد اخوانهم في القادسية مما يعني خروجه قبل القادسية سنة ١٥ هـ ٠ كما أن معظم الروايات تؤكد تولي عتبة البصرة وتنسب له بناءها في سنة ١٤هـ حيث تولى لمدة ٦ أشهر ، ثم خلفه المغيرة بن شعبة ١٥-١٧هـ ثم تولّى أبو موسى الأشعري[١] ٠

لذا يمكن القول أن إنشاء البصرة كان ما بين ١٤-١٥هـ/٦٣٥-٦٣٦م وقبل القادسية ، لأنه من غير الممكن في بداية وصول عتبة أن يبدأ ببناء المدينة وذلك لاضطراب الوضع الأمني للمسلمين أنذاك ٠ كما أن العديد من الروايات تورد أن عتبة لم ينزل البصرة أول قدومه بل نزل عدة مواضع قبل أن يستقر في موضعه النهائي٠

فلقد روى أبو عبيدة أن عتبة نزل أولا الخريبة التي كانت مسالحاً قديمةً للفرس ، ولم تكن آهلة بالسكان عند وصول المسلمين ، ففرّق عتبه أصحابه فيها على سبع دساكر / محلات[٢] ، ثم كتب الى الخليفة يعلمه بما فعل ويقول ((أنه لا بدّ للمسلمين من منزل يشتون به اذا أُشتوا ، ويكنسون فيه اذا انصرفوا من غزوهم)) [٣] ٠

إلا أن الخليفة لم يرق له تفريق المقاتلة فردّ عليه ((أن اجمع أصحابك في موضع واحد))[٤]٠ وبذا كان لا بدّ من البحث عن مكان أفضل يجمع فيه المقاتلة ؛ ويوضح سيف مراحل انتقال عتبة وقواته بعد خروجهم من الخريبة وذلك بأنهم ((نزلوا على الشاطئ بحيال جزيرة العرب ، فأقاموا قليلاً ، ثم أرزوا ثم شكوا ذلك حتى أمر عمر بأن ينزلوا الحجر بعد ثلاثة أوطان ، إذا اجتووا الطين فنزلوا في الرابعة البصرة))٠ ويقول أيضاً ((وأما أهل البصرة فكان مقامهم على شاطئ دجلة ثم أرزوا مرة حتى استقروا وبدؤا فخنسوا فرسخاً و جرّوا معهم نهراً ثم فرسخاً ثم جرّوه ثم فرسخاً ثم جروه ثم أتوا الحجر ثم جرّوه واختطت البصرة)) [٥]٠

وفي هذه الروايات اشارة واضحة الى أن عتبة ومن معه نزلوا بداية للغرب من نهر دجلة البصرة ، إلا أن رخاوة الأرض وكثرة ما فيها من قصب ضايقهم، لذا طلب عتبة اختيار منزل ((هو أنزه من هذا))[٦]٠ فأنتقلوا غرباً ثلاث مرات ، كانوا في كل مرة يجرّون النهر معهم حتى وصلوا موضع البصرة٠ ولا بد أن هذه العملية كانت بعد انتصار المسلمين على حامية الفرس في الأبلّة سنة ١٤هـ حيث قضوا على الخطر الفارسي حول البصرة ٠

---

(١) البلاذري : فتوح ، ص٣٤١ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٧ ٠

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص٥ / البلاذري: فتوح ، ص٣٣٧ (ابن اسحاق) ، انساب ، ج١٣ ، ص٢٩٨ (ابن اسحاق) / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٢٩ / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٣ / ماسينيون : خطط البصرة ، ص٢٦ ٠

(٣)+(٤) البلاذري: فتوح، ص٣٤١ (أبو عبيدة) / انساب ، ج١٣ ، ص ٢٩٨ (أبو عبيدة) / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٢٩ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩١ (الشعبي) / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٢ ٠

(٥) الطبري: تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٠ ، ٥٩٢ (سيف) / انظر ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج١ ، ص٢٤٨ / البلاذري: فتوح، ص٣٣٧ (ابن اسحاق) / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٠ (قالوا) / نعمان بن محمد : معدن الجواهر ، ص٧٥ ٠

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٢ ٠

نزل المسلمون البصرة ، ولم يكن عندهم اهتمام بتحديد المعالم العمرانية فيها باستثناء المسجد الجامع ودار الامــارة لأن الهــدف لم يكن قد تحقق بعد وهو فتح المناطق المجاورة وتأمين الوجود العربي ، كما انهم نظروا للمكان ليكون معسكراً مؤقتاً لإقامتهم ٠

بــدأ نزول المسلمين بالبصرة أولاً في الأخبية والقباب إذ روي انهم ((ضربوا الخيام والقباب والفساطيط ولــم يكن لهم بناء)) [١] مما يدل على أن غالبية المقاتلة من القبائل البدوية التي اعتادت حياة الخيام ، إلا انهم لم يستمروا طويلا على هذا النمط ففكروا باتخاذ منازل لهم من القصب الذي ينتشر بكثرة في منطقة الــبطائح وحــول الأنهار اضافة الى أن استخدامه كان سهلاً فلقد ((كانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو ، فإذا رجعوا أعادوا بناءه))[٢] ٠

اختط عتبة بن غزوان المسجد ودار الامارة وسط رحبة فسيحة أسموها الدهناء ، وبناهما من قصب ((ثم رمــوا مــن حواليه كله بأسهم واختطوا ما وراء منتهاها))[٣] ونزلت بذلك المقاتلة في مساكن من قصب دون إجراء أي تخطيط لمنازل القبائل[٤].

وكــان بــناء المســجد ودار الامارة في مكانين متلازمين وسط الدهناء ، وكان ذلك على غرار ما فعله الرسول (ص) لما أعاد تنظيم المدينة المنورة ، إذ كان بيته الى جانب المسجد الجامع ، وربما يمكن اعادة ذلك الى الكعبة ودار الندوة التي بنيت لجانبها ٠

ويــبدو أن رغــبة الخلافة بإبقاء المقاتلة على أهبة الاستعداد أول الأمر أعاق البدء بتخطيط مساكن دائمة للقبائل ، كما أن قلة الأعداد التي نزلت البصرة ابتداءاً لم تستدع إجراء تخطيط لمساكنهم ٠ اضافة لقرب منازل من انضم لعتبة من قبائل تميم وبكر من بادية البصرة ٠

يظهــر أن تخطــيط منازل القبائل في البصرة بدأ في ولاية أبي موسى الأشعري سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م إذ روى ابن قتيبة عن أبي وائل (ت٨٣هـ) ((اختط الناس البصرة سنة سبع عشرة))[٥]، وأكد سيف بقوله: ((واســتقر بــأهل البصــرة الــيوم مــنزلهم بعد ثلاث نزلات كلها ارتحلوا عنها في المحرم سنة سبع عشرة))[٦].

ويبدو أن معنى الاختطاط هنا هو ايجاد أماكن محددة لسكنى القبائل بما يعرف بالخطة (المحلة) إضافة الى تحديــد شوارع المدينة وسككها ومرافقها العامة ؛ فلقد أمر الخليفة عمر أبا موسى ((ان يصرف الخطط

---

(١) البلاذري : فتوح ، ص٣٣٦ (قالوا) / الدينوري : الاخبار ، ص١١٢ ٠

(٢) الــبلاذري : فــتوح ، ص٣٤٢ (أبو عبيدة) / انساب الاشراف ، ج١٣ ، ص٢٩٨ (أبو عبيدة) / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٣٠ / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٢ ٠

(٣) الحميري : الروض ، ص١٠٧ ٠

(٤) ابــن سعد : الطبقات ، ج٧ ، ص٥ / خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ١٢٩ / البلاذري : فتوح ، ص٣٤١ (أبو عبيدة) / انساب الاشراف ، ج١٣ ، ص٢٩٨ (أبو عبيدة) / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٣٠ (أبو عبيدة) / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣٣٦ / ياقوت : معجم ، ج١، ص٤٣٢ ٠

(٥) ابن قتيبة : عيون ، ج١، ص٢٤٩ (أبو وائل) / اليعقوبي : البلدان ، ص٨٠ ٠

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٢ (سيف) ٠

لمن هناك من العرب ويجعل كل قبيلة في محله وأن يأمر الناس بالبناء وان يبني لهم مسجداً جامعاً))[١] .
يـــبدو أن هذا القرار جاء في الوقت الذي سيطر فيه المسلمون على المدائن ، وفتحت كور دجلة في ولاية المغـــيرة على البصرة (١٥-١٧هـــ) مما أدى لاجتذاب أعداد كبيرة من المهاجرين الجدد والذي أدى الى تزايد اعداد السكان فامتزجت القبائل مع بعضها لعدم وجود خطط مستقلة لكل منها[٢] .
قسّم أبو موسى الأشعري البصرة لخمس خطط رئيسية على المجموعات القبلية الكبرى عرفت بالأخماس وكانت :

١- خُمس بكر بن وائل وضمت بطون : سدوس ، ذهل ، شيبان ، اللهازم ، يشكر ، ضبيعة[٣] ، ونزلت في الجهة الشمالية الغربية من المسجد الجامع ؛ شمال المربد[٤] .
٢- خُمس تميم: وهي من أكبر القبائل العربية عدداً في البصرة ؛ وضمت بطون: زيد مناة، دارم، مازن، بنو سعد، مجاشع، رياح، حنظلة. ونزلت في الجهة الجنوبية الغربية ما بين المسجد والمربد[٥] .
٣- خُمس أهل العالية : وهم مجموعة القبائل التي كانت تسكن الحجاز مثل: قريش، كنانة، مزينة، سليم، بجـــيلة، هـــوازن، خـــثعم، غنـــي، باهلة، عكل، تيّم، ضبّة، غطفان، محارب[٦]، ونزلوا جنوب شرق المسجد[٧].
٤- خُمـــس الأزد : التي شاركت بأعداد قليلة في بداية فتح جنوب العراق ، ورُوي انها استقرت أولاً مع عتـــبة حـــول دســـكرتين في الخريبة ، ثم انتقلوا الى البصرة ونزلوا جنوب غرب المسجد في طرف المدينة[٨].
٥- خُمس عبد القيس : الذين جاءوا في أواخر خلافة عمر بن الخطاب قادمين من البحرين ، فنزلوا شمال شرق المسجد حول نهر معقل[٩] .

---

(١) الديـــنوري:الأخـــبار، ص١١٤ / انظر البلاذري : فتوح ، ص٣٤٢ (أبو عبيدة) / ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ، ص٩٠ .
(٢) البلاذري : فتوح ، ص٣٣٩ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٦ (باسناد عن قتادة) .
(٣) صالح العلي : "خطط البصرة" ، مجلة سومر ، مجلد (٨) ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص٢٩١-٢٩٢ .
(٤) المـــربد : محلة كبيرة تقع في الطرف الغربي من البصرة باتجاه البادية . صالح العلي : "خطط البصرة" ، مجلة سومر، مجلد (٨) ، ص٢٩١ . انظر : الاصطخري : مسالك ، ص٥٧ / ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٢١٢ / ياقوت : معجم ، ج٥، ص٩٨ / المشترك وضعاً ، ص٣٩٣ .
(٥) الحازمـــي: عجالـــة المبتدى، ص٤٦، ٤٨، ٥١، ٥٨، ٦٧، ٧٣، ٨٥، ٩٥، ٩٨/ صالح العلي: " خطط البصرة "، مجلة سومر، م (٨) ، ص٣٨٨-٣٨٩ / خطط البصرة ومنطقتها، ص٩٣ .
(٦) ابـــن الكلبي : جمهرة : ص ٢٨٧ ، ٢٩٢ / المبرد : الكامل ، ج١ ، ص٣٠ / صالح العلي: خطط البصرة ومنطقتها ، ص٩٣ / الخربوطلي : تاريخ العراق ، ص٢٩٠ .
(٧) صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص٨١-٨٧ .
(٨)+(٩) الـــبلاذري : فتوح ، ص٣٥٢ (الواقدي) / صالح العلي : " خطط البصرة "، مجلة سومر ، م (٨) ، ص٣٠٠ / خطط البصرة ومنطقتها ، ص٩٦ .

ولقد وجد نظام الأخماس في هذه الفترة المبكرة والذي يقوم على أسس قبلية أعطي لكل قبيلة وحدة سكنية تُسمّى الخطة تتوزّع فيها القبيلة الواحدة التي أصبحت تشكّل وحدة اجتماعية وسياسية وادارية في الأمصار الجديـدة لتســهيل تنظيم حشد المقاتلة وتوزيع العطاء والأرزاق عليهم وضبط أحوال القبائل في الموطن الجديـد[١].

الكوفة[٢]:

نـزل المقاتلـة العرب المدائن بعيالاتهم في صفر ١٦هـ/٦٣٧م[٣] ، عقب انتصارهم في القادسية ، فقد سـكنوها ((وبـنوا المسـاجد فيها))[٤] إلا أن اقامتهم بها لم تستمر طويلاً، فبعد انتصارهم في جلولاء ١٧هـ، جـاء الأمـر لسـعد بـن أبي وقاص ((أن قف مكانك ولا تتبعهم واتخذ للمسلمين دار هجرة وجهاد))[٥]. فبدأ سعد وصحبه بالبحث عن مكان يصلح أن يكون دار هجرة لهم ، والذي سيكون الكوفة . اختلفـت الـروايات في تأريخ تمصير الكوفة[٦] ، وربما لعب التنافس بين البصريين والكوفيين دوره في ذلك[٧] ، كما أن انشاء كل منهما كان أصلا لغرض عسكري ، لذا التبس الأمر على الرواة .

والمـرجّح أن تكـون تلك الرواية التي اتفق عليها سيف بن عمر (ت١٨٠هـ) والواقدي (٢٠٧هـ) بأن تمصير الكوفة كان سنة ١٧هـ/٦٣٨م هي الأدق . إلا أن سيفاً يجعلها في اوائل العام بينما يذكر الواقدي انها اواخره[٨] .

---

(١) عبد الجبار ناجي : دراسات في تاريخ المدن ، ص٣٨ / رباب السوداني : جبهة البصرة ، ص١١٧ .

(٢) اخـتلف فـي معنى الكوفة ، فقيل انها تعني الرملة المستديرة المتجمعة ، وقيل أن معناها الارض التي فيها حصباء مع الرمل والطين ، ولعل هذا ينطبق على طبوغرافية المكان. ويقال انها من التكوّف اي التجمع . تبعد الكوفة عن الحيرة مسافة ٦كم . انظر البلاذري: فتوح ، ص٢٧٥ (الواقدي) / اليعقوبي : البلدان ، ص٦٩ / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٠٠/ الطبري: تاريخ ، ج٤ ، ص ٤١ (سيف) / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٦٢٣ / ابن منظور : لسان ، ج١٣ ، ص١٣٣ / حسين البراقي : تاريخ الكوفة ، ص١٨٠ / كاظم الجنابي : تخطيط الكوفة ، ص٣٠ .

(٣) الطبري: تاريخ، ج٤، ص٢٠ (الشعبي)/ ابن الاثير: الكامل، ج٢ ، ص٣٥٧ /ابن خلدون : تاريخ ، ج٤ ، ص٩٣٨ .

(٤) البلاذري : فتوح ، ص٢٧٧ (الهيثم بن عدي) / ابن خلدون : تاريخ ، ج٤ ، ص٩٣٩ .

(٥) الطبري: تاريخ، ج٣، ص٥٧٩ (ابن اسحاق). انظر أبو يوسف: الخراج، ص٣٠ (حصين بن عبد الرحمن) / خليفة بن خياط: تاريخ، ص١٣٦ (حصين بن عبد الرحمن)/ البلاذري: فتوح، ص٢٤٧ (الواقدي) / الدينوري : الاخبار ، ص١١٨ .

(٦) ذكـر اليعقوبـي (ت٢٩٢هـ) انها مصرت سنة ١٤هـ/٦٣٤م . اليعقوبي : البلدان ، ص٧١ / ياقوت: معجم ، ج١ ، ص٤٣٢ . في حين ذكر المسعودي (ت٣٤٥هـ) انها مصرت سنة ١٥هـ/٦٣٥م . المسعودي : مروج ، ج٢ ، ص٣٣٧ / ابن الاثير : الكامل، ج٢ ، ص٣٣٨ / ابن كثير : البداية ، ج٧ ، ص٤٩/ السيوطي : تاريخ ، ص١٣١ . في حين جعلها أبو عبـيدة (ت٢٠٩هـ) سـنة ١٨هـ/٦٣٨م . البلاذري: فتوح ، ص٢٧٦ (أبو عبيدة) / اليعقوبي : تاريخ ، ج٢ ، ص٤٠ / الذهبـي، تـاريخ، ج٤، ص١٧٠ . وذكـر ياقوت انها مصرت سنة ١٩هـ دون الاشارة لمصادره. ياقوت: معجم ، ج٤، ص٤٩١ .

(٧) ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٠١-٢١٠ .

(٨) الطـبري: تـاريخ، ج٤/ ص ٤٢ (سـيف) / انظـر ابـن قتيـبة: المعـارف، ص٣١٤-٣١٥ / الـبلاذري: فتوح، ص٢٧٤ (الواقدي).

ومما يرجّح هذه الرواية أن الفتح الاسلامي استقر بعد دخول المسلمين المدائن سنة ١٦هـ وفتح جلولاء سنة ١٧هـ فصار لزاماً عليهم اتخاذ معسكر يوافق الشروط الواجبة لاتخاذ دور الهجرة ومنازل الجهاد ، خاصةً بعدما وجدوا صعوبة في التأقلم مع مناخ المدائن ٠ ويؤكد الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ((وكوّفت الكوفة سنة سبع عشرة))(١) ٠

تذهب معظم الروايات الى أن أول ما أُختط في الكوفة كان المسجد الجامع ودار الامارة كما حصل تماماً في البصرة(٢) ٠ ولقد اختير موقع المسجد ودار الامارة ليكونا في أعلى منطقة من أرض الكوفة ؛ واحيط بهما بخندق لمنع البناء في الأرض التي خصصت لهما(٣) ٠ولقد أُنيطت عملية التخطيط بأشخاص من ذوي المعرفة والخبرة ، ويظهر أن أبا الهياج الاسدي كان يترأسهم بتكليف من الخليفة(٤) ، و يروى أنه أحضر رامٍ شديد النزع ليرمي بسهام عن جوانب المسجد الاربعة ، وسمح لمن شاء بالبناء وراء تلك السهام(٥) ، وترك المسجد في مربعة غلوة من كل جوانبه(٦) ، واختطت دار الامارة بحيال محراب الجامع ضمن الواجهة الجنوبية مع انحراف قليل للشرق(٧) ٠ كما وجد ميدان تطل عليه دار الامارة من الغرب يسمى بالرحبة(٨) ٠

بدأ تنظيم مساكن القبائل بشكل اكثر تعقيداً مما هو في البصرة وذلك لكثرة القبائل التي نزلت الكوفة وتنوعها ٠

روى الشعبي أن سعداً أقام القرعة بين القبائل ، فخرج الجانب الشرقي وهو الأفضل لأنه يشرف على نهر الفرات ويرتفع عن السباخ ، في سهم اليمانية ، أما الجانب الغربي الذي يطل على البادية وهو أقل ارتفاعاً وأكثر جفافاً ، فكان من نصيب القبائل النزارية(٩) ٠ وقيل أن السائب بن الأقرع الثقفي طلب من بُصبُهرى – دهقان الفلوجة – أن يختار له مكاناً ما بين نهر الفرات الى دار الامارة حيث اتخذه خطة لثقيف (١٠) ٠

---

(١) الجاحظ: البلدان ، ص٤٩٨ / البلاذري : فتوح ، ص٢٧٤ (الواقدي) ٠

(٢) البلاذري: فتوح، ص ٢٧٥ (قالوا) / الطبري : تاريخ، ج٤، ص٤٤ (سيف) / المقدسي: البدء والتاريخ، ج٤، ص٨٩.

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٥ / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣٧٣-٣٧٤ / البراقي: تاريخ الكوفة ، ص١٤٢ / هشام جعيط : الكوفة ، ص١٦٦-١٦٧ ٠

(٤) روى سيف ((فاجتمع اهل الرأي للتقدير حتى اذا أقاموا على شيء قسم أبو الهياج عليه))٠ الطبري: تاريخ، ج٤، ص٤٤ ٠ وقيل تولى تخطيط المدينة : السائب بن الاقرع الثقفي الى جانب أبو الهياج عمرو بن جنادة الاسدي ٠ البلاذري : فتوح ، ص٢٧٥ / الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٤ (سيف) / ابن خلدون : تاريخ، ج٤ ، ص٩٦٠ ٠

(٥) البلاذري : فتوح ، ص٢٧٥ (هشام بن محمد ومشايخ الكوفيين) ٠ الطبري : تاريخ ، ج٤، ص٤٤-٤٥ (سيف) ابن حبيش: غزوات ، ج٢ ، ص٦٦٩ ٠

(٦) الغلوة تساوي ٤٠٠ ذراع أي ما يعادل ١٨٤,٨م ٠ انظر هند أبو الشعر ، حركة المختار ، هامش ص ٧٤ ٠

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٥ (سيف) ٠

(٨) ماسينيون : خطط الكوفة ، ص ١٠٦-١٠٩ ٠ كشفت الحفريات الاثرية أن طول الرحبة وعرضها = ١٧٠م وفي زواياها الاربع يوجد اربعة ابراج قطر كل منها ٦م ومحيطه ١٤م مبنية بالطابوق والجص٠ البراقي : تاريخ الكوفة ، ص٩٥ ٠

(٩) البلاذري : فتوح ، ص٢٧٥ – ٢٧٦ (الشعبي) / ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٤٩٢ / ماسينيون : خطط الكوفة ، ص٥٣ ٠

(١٠) ابن قتيبة : عيون ، ج١ ، ٣٦٠ / ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٤٩٢ ٠

وبذا تفرّقت كل قبيلة في خططها وتوزّعت وفقاً لمناهج قُدّر عددها بخمسة عشر شارعاً قسّمت كالتالي : ثلاث مناهج في قبلة الصحن (الجنوب) وأربعة مناهج في الجهة المعاكسة (الشمال) وثلاث مناهج في كل من الشرق والغرب[١] .

ويوضــح سـيف نــزول القبائل على المناهج ؛ إذ اختط في ودعة الصحن – منطقة الشمال الشرقي من المسجد – خمسة مناهج ونزلت عليها : سليم ، ثقيف مما يلي الصحن على طريقين ، همدان على طريق ، بجيلة على طريق ، وتيم اللات على آخرهم وتغلب .

واختطـت فـي قـبلة المسجد اربعة مناهج أنزل فيها : بنو أسد على طريق ، وبينهم وبين النخع وكندة طــريق، وبين كندة والأزد طريق ، وأسد وعامر على طريق . واختط في غربي الصحن ثلاثة مناهج : أنزل فيها بجالة وبجلة على طريق ، وجديلة وأخلاطاً على طريق ، وجهينة وأخلاطا على طريق ثم قال سيف ((فكان هؤلاء الذين يلون الصحن وسائر الناس بين ذلك ومن وراء ذلك))[٢] . مما يعني أن كافة هذه القبائل قد ارتبطت بالساحة المركزية وهي أول القبائل التي استقرت في الكوفة .

يبدو أن هناك تناقضاً بين روايتي الشعبي وسيف حول تنظيم المساكن ، إلا أن الشعبي فيما يبدو نقل واقعاً متأخراً يعود الى النصف الثاني من القرن الأول الهجري إثر تزايد اعداد الروادف من القبائل اليمانية في الكوفة ؛ إذ أن سيف ذكر نزول القبائل : تميم ، مزينة ، محارب وهي من القبائل الشمالية شرق المسجد وكذلـك ثقـيف التي اختطت بين شرقي المسجد ونهر الفرات[٣] . وبذلك فإن رواية الشعبي تتحدث عن تطور توزيع القبائل وتغيره لاحقاً[٤] .

يمكننا ترتيب القطائع السكنية للقبائل كالتالي :

كانــت كندة تجاور النخع والأزد ويفصل بين أسد والنخع طريق ، والقبائل في الجهة الجنوبية من الشرق الى الغرب : الأزد ، كندة ، أسد . أما القبائل في الجهة الشمالية من الشرق الى الغرب : سليم ، ثقيف ، همــدان ، بجيلة ، تيم اللات ، تغلب ، أما القبائل في جهة الشرق فهي من الشمال الى الجنوب : الأنصار ومزيــنة ، تميم ومحارب ، أسد وعامر . والقبائل في جهة الغرب فهي من الشمال الى الجنوب : بجالة وبجلة ، جديلة ، جهينة .

وكانت قبيلة بجيلة من أكبر القبائل عدداً لما نزلت الكوفة إذ روي انها كانت تشكل ربع جيش القادسية[٥].

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٥ (سيف) .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٥ (سيف) / ابن الاثير : الكامل، ج٢ ، ص٣٧٣ / ابن كثير: البداية ، ج٧ ، ص٧١ / ماسينيون : خطط الكوفة ، ص٦٣ -٦٥ .

(٣) الجاحظ: البيان، ج٢، ص ٢٦٤ (الشعبي)/ ابن قتيبة: عيون، ج١، ص٣١١ (الشعبي)/ ياقوت: معجم، ج٤، ص٤٩٢ .

(٤) جمال جودة : العرب والأرض ، ص١٦٩-١٧٠ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٧٦ (ابن اسحاق) .

ويفـترض أن تكـون ثقـيف مـن القبائل الكبيرة العدد على اعتبار انها شغلت فناءاً طويلاً على جانبي شارعين. أما باقي الخطط فكانت على نسق وشارع واحد[١] .

لم تذكر روايتي الشعبي وسيف أي خبر عن استقرار بكر بن وائل في الكوفة عند اختطاطها، ولعل السبب في ذلك هو أن ابناء هذه القبيلة استمروا يعيشون في منازلهم ومراعيهم المنتشرة في بادية الكوفة[٢] .

اتخذ سعد بن أبي وقاص قطائعاً للقبائل التي كانت ترابط في الثغور حتى تعود لتنزل فيها ((وحمى لأهل الثغور والموصل أماكن حتى يوافوا إليها))[٣] ، كما هيأ مكاناً لنزول الروادف من القبائل فيما بعد عُرف بإسـم دور بني البكاء ؛ إذ كان يتم اقطاع من يأتي رادفاً من القبائل مكاناً ينزلون فيه مؤقتاً ثم يأتون أبا الهياج فيقطع لهم حيث أحبّوا[٤] .

لقـد شهدت الكوفة استقرار قبائل عربية متعددة الأصول وأنماط الحياة الاجتماعية ، فسكنها قبائل يمانية متحضرة كمذحج وهمدان نقلت معها حضارة عرب جنوب الجزيرة العربية ، وقبائل انصاف بدو كبجيلة وكندة ، وقبائل موغلة في البداوة كحمير وحضرموت .

كمـا نـزل فيها قبائل شمالية متحضرة كانت تسكن حواضر الحجاز كالطائف ومكة والمدينة المنورة ؛ تمثلـت في قريش ، الأنصار ، ثقيف ، هوازن ، وكانت ذات أعداد قليلة إلا أنه يدخل معها قبائل ضمن علاقات الأحلاف القديمة التي كانت قبل الاسلام أو في حياة النبي (ص) مثل : مزينة ، جهينة ، خزاعة . كما أدخلت لاحقاً قبائل في أعداد أُخرى لغايات التنظيم المالـــي[٥] .

كمـا انضمت الى الكوفة عند تخطيطها بعض القبائل التي كانت تنزل العراق العربي قبل الفتح الاسلامي مثـل : تغلب ، النمر بن قاسط وإياد ، إلا أن اعدادها ابتداءاً كانت قليلة .

تطور مراحل البناء في المصرين في صدر الإسلام :

كنـت الغايـة من انشاء دور الهجرة أن تكون معسكرات لانطلاق الجيوش العربية لفتح الشرق؛ لذا كان مـتوقعاً إلا تلتفـت الخلافـة او المقاتلـة للاهـتمام بالبـناء أول الأمـر . لذلك نزل المقاتلة في الخيام والفسـاطيط[٦]. إذ لـم تكن تلك المرحلة المبكرة تأذن باستقرار كامل في العراق؛ لذا كان يستلزم اتخاذ مـنازل مـن مادة سهلة البناء. ثم ظهر أول بناء فعلي بمادة القصب في المصرين سنة ١٧هـ/٦٣٨م ، فـروى سيف أنه ((لما نزل أهـل الكوفـة الكوفة واستقرت بأهل البصرة الدار ؛ عرف القوم أنفسهم وثاب

---

(١) Donner, The Arab Tribes, P.142

(٢) ذكر اليعقوبي أن بكرا جاءت الكوفة بعد اختطاطها ونزلت الأطراف . البلدان ، ص٧٠ .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٥ (سيف).

(٤) البلاذري : فتوح ، ص٢٧٧ (شيخ من الكوفيين) / الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٦ (سيف).

(٥) ابن سعد : الطبقات ، ج٦ ، ص٤٧٩ / الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٦٠ / الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ، ص٣٢ .

(٦) البلاذري : فتوح ، ص٣٣٦ (قالوا) / الدينوري : الأخبار ، ص١١٢ .

اليهم ما كانوا فقدوا ،ثم أن أهل الكوفة استأذنوا في بنيان القصب واستأذن فيه أهل البصرة))[١] .
ولعـل هذه الرغبة جاءت بعد أن أمر الخليفة عمر بإقطاع القبائل خططاً سكنية ، إلا أن الخليفة ردّ عليهم بقولـه: ((ان العسكر أجدُ لحربكم وأذكى لكم ، وما أُحب أن أُخالفكم؛ وماالقصب ؟ قالوا : العكرش إذا روي قُصّب فصار قصباً ، قال : فشأنكم فابتنى أهل المصرين بالقصب))[٢] . وفي هذا دليل على رغبة الخليفة بان يحافظ العرب على طابعهم كمقاتلة فقط ، وحرصاً على ذلك لم يرغب لهم باتخاذ مساكن ثابتة تشـغلهم بأمور الاستقرار . إلا أنه لم يستطع تجاوز الحاجة النفسية للمقاتلة باللجوء لمنازل يجدون فيها الدعـة والسـكينة عند عودتهم من الغزو ، كما أنه رأى سهولة البناء بالقصب فوافق على ذلك لتعويض المقاتل بيتاً بدلاً من الذي تركه في موطنه .
ولقـد روي أن عتـبة بن غزوان استخدم القصب في بناء المسجد ودار الامارة في ولايته على البصرة ١٤هـ[٣] ، إلا أنه لم يبدأ استعماله بشكل واسع إلا بعد سنة ١٧هـ وهذا ما أراده سيف بن عمر .
بقي البناء في المصرين بالقصب حتى ولاية المغيرة البصرة للمرة الثانية ٢٢-٢٤هـ/٦٤٣-٦٤٥م ؛ إذ شـب حريق كبير في المصرين ، فطلب المقاتلة الإذن من الخليفة عمر لبناء منازل لهم من اللبن ، فأذن الخلـيفة بذلك واشترط ألا ((يزيدنّ أحدكم على ثلاث أبيات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة))[٤] .
ولعل هذه الخطوة جاءت بعد انتصار المسلمين في نهاوند ٢١هـ/٦٤٢م حيث تمكن المسلمون من القضاء الـتام علـى الخطر الفارسي ؛ ويستبعد أن يكون البناء باللبن شمل كافة المنازل ؛ بل لابد أنه كان ضمن الامكانـيات المـتاحة ، ولعل الحريق لم يكن وحده السبب ، بل ربما وجد تفكير لدى بعض القبائل نحو الاستقرار التام خاصة بعد ضمان السيطرة العربية على العراق .
ومـع ذلـك استمرت بعض المنازل تبنى من القصب وأخرى من الخيام والقباب في خلافة علي بن أبي طالـب (٣٥-٤٠هـ)[٥] مما يؤكد عملية التدرج في البناء .

---

(١) الطـبري: تاريخ، ج٤، ص٤٣ (سيف) . انظر: البلاذري ، فتوح ، ص٣٤٢ (أبو عبيدة)/ انساب الاشراف، ج١٣، ص٢٩٨ (أبو عبيدة) / ياقوت : معجم ،ج١ ، ص٤٣٢ / نعمان بن محمد ، معدن الجواهر ، ص١٣٢ .
(٢) الطـبري : تـاريخ ، ج٤ ، ص٤٣ (سيف) / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٦٦٩ (قالوا) / الحميري : الروض ، ص١٠٥ .
(٣) ابـن سـعد : الطبقات ، ج٧ ، ص٥ / خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١٢٩ / البلاذري : فتوح ، ص٣٤١ (أبو عبيدة) / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٣٠ (أبو عبيدة) .
(٤) الطـبري: تاريخ، ج٤، ص٤٣-٤٤(سيف)/ انظر ابن قتيبة : عيون ، ج١ ، ص٣٦١ (المدائني) / البلاذري : فتوح ، ص٣٤٢ / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣٧٣ .
(٥) ابن سعد : الطبقات ، ج٦ ، ص٣٧١ / جمال جودة : العرب والأرض ، ص١٨٠ .

واستمرت أسوار منازل الكوفة تبنى من القصب في العهد الأموي[١] .

يبدو أن الجماعات المتحضرة التي جاءت من اليمن والحجاز مثل : كندة ، مراد ، مزينة ، الخزرج كانت أول من اتجه للبناء باللبن[٢] .

ولقد استقر التخطيط في المصرين في بداية الدولة الأموية ، إذ بنيت معظم المنازل في ولاية زياد بن أبيه (٤٥-٥٣هـــ) بالآجر[٣] ؛ وطرأ على المرافق العامة في المصرين تطور كبير ؛ إذ أدخل زياد بن ابيه في ولايته على الكوفة (٥٠-٥٣هـ) تحسينات على المسجد الجامع الذي بقي محتفظاً بتخطيطه الأولي ، فعمل على توسيعه ليتسع الى ستين ألف مصل[٤] ، واتخذ لأول مرة مقصورة له في المسجد الجامع[٥] .

كمـــا حول دار الامارة من الدهناء الى قبلة المسجد ليحول دون تخطّي الامام لرقاب الناس ((فكان الامام يخرج من الدار في الباب الذي في حائط القبلة)) [٦] . كما فرش أرضية المسجد بالحصى[٧] .

وفي ولاية عبيدالله بن زياد (٥٤-٦٤هـ) أتم تربيع المسجد الجامع في الكوفة ، بعد أن هدم دار نافع بن الحـــارث بن كلدة الثقفي ، وأخذ في بناء الحائط الشمالي الذي يلي المسجد الجامع[٨] مما يعني أنه أجرى توسيعاً إضافياً للمسجد .

و وُجد الى جانب المسجد الجامع مساجداً خاصة كانت بمثابة مساجد للأحياء انتشرت في عدد من الخطط القبلـــية ويعـــود السبب في وجودها كثرة اعداد ساكني الأمصار وبُعْد الخطط القبلية الجديدة عن الساحة المركزية التي تضم المسجد الجامع ؛ فسمحت الخلافة بإنشاء هذه المساجد لتنوب مكان المسجد الجامع في أداء الصلاة عدا أيام الجمع .

ومـــن أمثلـــتها في البصرة : مسجد الحدّان ، الذي يقع في خطة بني الحدّان من الأزد . مسجد الأساورة الواقع في خطة الاساورة الذين نزلوا في خطط تميم[٩] .

---

(١) البلاذري : فتوح ، ص ٢٨٢ (قالوا) / الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٩ (سيف) .

(٢) ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٤٩١ / صالح العلي : " خطط البصرة " ، مجلة سومر ، م(٨) ص ٢٨٧-٢٨٨ / ماسينيون : خطط الكوفة ، ص٤٨-٥٠ .

(٣) ابن الفقيه : البلدان ، ص ٢٣٠ / المقدسي : البدء والتاريخ ، ج٤ ، ص٨٩ .

(٤) البلاذري : فتوح ، ص٢٧٦ (المدائني) .

(٥) البلاذري : فتوح ، ص٢٧٦ (أبو عبيدة) / الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٢٣٦ (الشعبي) .

(٦) البلاذري : فتوح ، ص٣٤٢ / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٣٠ .

(٧) كانت ارضية المسجد مفروشة بالتراب في البداية ، فكان المصلون لما يفرغون من صلاتهم ينفضون أيديهم من التراب ، فخاف زياد أن يتخذها الناس سنة في الصلاة فأمر بالحصى فالقى في صحن المسجد. البلاذري: فتوح، ص٢٧٦ (المدائني)/ ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٤ .

(٨) ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٣١ / ياقوت : معجم ، ج١ ص٤٣٤ .

(٩) البلاذري : فتوح ، ص٣٥٠ (القحذمي) / ٣٦٥ (قالوا) / ماسينيون : خطط البصرة ، ص١١٧ .

ومـن أمثلـتها فـي الكوفة والتي تحدثت عنها الروايات بشكل أكثر تفصيلاً: مسجد سماك في خطة بني أسـد[١]، مسـجد بني بهدلة الواقع جنوب المسجد الجامع في خطة كندة[٢] ٠ ومسجد بني عدي الواقع في خطة مذحج شمال المسجد الجامع[٣] ٠ وكان لبني عبس مسجداً خاصاً سنة ٢١هـ[٤] ، ومسجد لبني عبد القيس وهو المعروف بمسجد السهلة ويقع في الجهة الشمالية الغربية من مسجد الكوفة على بعد ٢كم وبُني فـي خلافـة علي[٥]٠ ولعل معرفة هذه المساجد القبلية تعطينا فكرة عن القبائل التي سكنت الأمصار[٦]٠ ووجد في المصرين سجن ألحق بدار الامارة[٧] ٠

أمـا الأسواق فقد جعلت قريبة من ساحة المسجد ، ولم يبد المسلمون اهتماماً بها وبمواضعها عند بدايات التخطيط بسبب الطبيعة العسكرية للامصار ، لذلك استغل الصحن الخاص بالمسجد لغايات البيع والشراء فكان ((الصحن على حاله زمان عمر كله لا تطمع فيه القبائل ليس فيه إلا المسجد والقصر والأسواق في غير بنيان ولا اعلام)) [٨] ٠ ولعل هذا يفسر قول الخليفة عمر : ((الأسواق على سنّة المساجد من سبق الى مقعد فهو له حتى يقوم فيه الى بيته او يفرغ من بيعه)) [٩] ٠ مما يوضح سذاجة التنظيم أول الأمر ٠ ولعل مجاورة السوق للجامع له خلفيات اسلامية اتبعها الرسول (ص) في المدينة المنورة[١٠] لقد استمرت السوق من غير بنيان حتى ولاية زياد بن ابيه الذي اتخذ السقيف على الحوانيت[١١] ٠

وفـي ولاية خالد بن عبدالله القسري (١٠٥-١٢٠هـ) عقدت الأسواق بالحجارة ((وجعل لكل بياعة داراً وطاقاً وجعل غلالها للجند)) [١٢] ٠

وفي ولاية عدي بن أرطأة على البصرة أمر بهدم الدكاكين في ثورة يزيد بن المهلب سنة ١٠٢هـ[١٣] مما

---

(١) ينسـب مسـجد سماك: لسماك بن مخرمة الأسدي ٠ البلاذري : فتوح ، ص٢٨٢ (هشام بن محمد) / الطبري: تاريخ، ج٤، ص٤٩ (سيف) ٠

(٢) ينسـب المسـجد لبنـي بهدلـة بـن المـثل بـن معاويـة بـن كـندة ٠ البلاذري : فتوح ، ص٢٨٤ (هشام بن محمد)/ ماسينيون : خطط الكوفة ، ص١١٥ ٠

(٣) ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٣٤ / ماسينيون : خطط الكوفة ، ص١١٥ ٠

(٤) البلاذري : فتوح ، ص ٢٧٧ ٠

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٤٩ (أبو مخنف) / ماسينيون : خطط الكوفة ، ص١١٧ ٠

(٦) انظـر مزيدا من الامثلة لدى : البلاذري: فتوح، ص ٢٨٢-٢٨٤ (هشام بن محمد)/ ابن الفقيه: البلدان، ص ٢١٠-٢١١ / ماسينيون: خطط الكوفة ، ص١١٤-١١٧ ٠

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٣٤٩ ٠

(٨) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص ٤٥ (سيف) ٠

(٩) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٦ (سيف) / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣٧٤ ٠

(١٠) هشام جعيط : الكوفة ، ص ١٦٨ ٠

(١١) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص ٢٢٢ (عمر بن شبه) / أبو هلال العسكري : الأوائل ، ص ٢٠٤ ٠

(١٢) البلاذري : فتوح ، ص ٢٨٤ / ابن الاثير : الكامل ، ج٤ ، ص٤١ ٠

(١٣) مجهول : العيون والحدائق ، ج٣ ، ص٥٥ ٠

يشعر بوجود بناء في سوق البصرة آنذاك. وبذا تمايزت الأسواق عن بعضها ، فوجد سوق البراذين قرب سوق الحدادين[١] ، و وجد سوق الغنم شرق الكناسة على تخوم مذحج[٢] ، وكان الزياتون قرب دار الامارة في الكوفة[٣] ، والقصارين عند دار الوليد بن عقبة التي تجاور المسجد الجامع في الكوفة[٤] . وظهر في البصرة سوق الدباغين في المربد سنة ٣٦هـ وسوق الابل[٥] .

ومن المعالم المهمة في الكوفة الكناسة التي تقع في الجانب الغربي من المدينة[٦] ، وتذكر لأول مرة في ولاية الوليد بن عقبة على الكوفة (٢٥-٣٠هـ) ، وكانت في البداية مكاناً تُرمى فيه الأنقاض قرب خطة بني أسد ، لذا سميت بكناسة بني أسد ، ولقد امتدت اليها منازل عبس وتميم لاحقاً[٧] . ثم صارت سوقاً كبيراً للعرب يباع فيها المواشي والرقيق[٨] .

ولقد قامت بدور الساحة العامة للمدينة في العصر الأموي إذ عُرضت فيها جثة زيد بن علي الذي خرج ثائراً على الأمويين في الكوفة سنة ١٢٢هـ[٩] . وكان يماثلها في البصرة المربد الذي يقع في الطرف الغربي باتجاه البادية[١٠] .

بدأ يظهر في العراق في منتصف القرن الأول الهجري الجبانات والصحاري ، وهي مساحة واسعة خالية تتوسط خطط القبائل ؛ وقد يستعمل قسم منها لدفن الموتى أو لحشد المقاتلة للجهاد[١١].

وجاء مصطلح الجبانة مع القبائل اليمانية إذ كانت من المؤثرات اليمانية القديمة فلقد ذكر وجودها في المدينة العربية القديمة صنعاء[١٢] . ويرادفه مصطلح الصحراء لدى القبائل الشمالية وكلاهما يعني مساحة واسعة مخصصة للاستعمالات العامة[١٣] .

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص١٠٦ (أبو مخنف) .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٣٧٩ (أبو مخنف) .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص١٠٨ (أبو مخنف) .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٥٣٢ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٦٤ (سيف)/ ج٧، ص ١٨٧ (أبو مخنف)/ ابن أبي الحديد : شرح نهج ، ج٢ ، ص٥٠٠/ ابن الاثير : الكامل ، ج٣ ، ص١٠٦ / البراقي : تاريخ الكوفة ، ص١٤٦ / هشام جعيط : الكوفة ، ص٢٩١ .

(٦) الكناسة من الكَنْس وهو كسح ما على وجه الارض من القمام ، والكناسة هي ملقى ذلك . وهي محله بالكوفة على الطريق الذي يربط الحيرة بمكة . ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٤٨١ / ماسينيون: خطط الكوفة ، ص١١٠ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٧٣ (سيف) / الاصبهاني : حلية الأولياء ، ج٤ ، ص١٣٣ .

(٨) أبو عبيدة : الخيل ، ص٥-٨ / الجاحظ : رسائل ، ج٢ ، ص٣٣٣ / المقدسي : احسن التقاسيم : ص١١٧ .

(٩) الطبري : تاريخ ، ج٧ ، ص١٨٧ (أبو مخنف) / البراقي : تاريخ الكوفة ، ص١٤٦ / هشام جعيط : الكوفة ، ص٢٩١ .

(١٠) الاصطخري : مسالك ، ص٥٧ / ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٢١٢ / ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٩٧/ المشترك وضعاً ص٣٩٣ .

(١١) البلاذري: أنساب، ج٦، ص٣٩٨ (قالوا)/ الطبري: تاريخ، ج٤، ص٤٦٦ (سيف)/ ج٥، ص٢٦١-٢٦٢ (أبو مخنف) .

(١٢) هشام جعيط : الكوفة ، ص٣٠٨ .

(١٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص٧٢ / هشام جعيط : الكوفة ، ص٣٠٩-٣١٠ .

وأحـــياناً كانت الجبانة تسمى باسم قبيلة ما أو أحد رجالاتها[1]ومن مثلة الجبانات في الكوفة والتي تخصُ القبائل اليمانية: جبانة كندة التي روي أن الأشعث بن قيس اختطها ثم اختطت قبيلة كندة حولها[2] .
وكأنهـــا المركـــز الذي تجتمع حوله دور القبيلة . جبانة السبيع التي تقع شمال الكوفة ؛ وتعد من أوسع الجـــبانات ولقد ذكرت في الحديث عن ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي[3] ، وهناك جبانة الصائديين في الجنوب الشرقي من المدينة[4] وجبانة مراد الواقعة في جهة الجنوب في خطة مذحج ؛ وتتبع قبيلة مراد إلا أن مذحجاً تستعملها ايضاً[5] .
ومن الجبانات التي تخصُ القبائل الشمالية في الكوفة ، جبانة أثير التي يسميها أبو مخنف صحراء أثير ؛ وتقـــع فـــي خطة بني أسد في ناحية الجنوب الغربي باتجاه الكناسة[6] . وجبانة سالم في خطة عامر بن صعصعة[7] وجبانة سلول في قيس وصحراء شبث في تميم[8] .
أما الجبانات في البصرة فأشهرها : جبانة بني يشكر ، مقبرة بني مازن ، مقبرة بني حصن ، مقبرة بني شيبان[9] .
ولم يكن لبعض القبائل جبانات في خططها مثل : ضبّه ، تميم ، ربيعة لذا كانوا يستعملون مناطقاً أخرى للدفن ، فلقد كان خبّاب بن الأرّت أول من دفن بالظّهر وهو الحد الذي كان للكوفة مع البادية[10] .
وكـــان للجـــبانة دوراً عســـكرياً إذ أمر الخليفة علي الناس بالخروج بأسلحتهم بعد صفين لمحاربة خطر الخـــوارج ، وأمرهم بالتجمع في جبانة مراد لأنها أكثر اتساعاً من المسجد الجامع[11] .
ارتبط المسجد الجامع ودار الامارة في المصرين بمناهج وسكك حُدّدت مقاييسها منذ اختطاط المصرين ، فأمر الخليفة عمر أن تكون مقاييسها واسعة لتسهيل الحركة وتسهيل حشد المقاتلة وخروجهم للحرب ؛ فلقد كـــان عرض المناهج الكبيرة أربعين ذراعاً وما يليها ثلاثون وما بين ذلك عشرون ذراعاً ، وبلغ عرض

---

(١) اليعقوبي : البلدان ، ص ٧١ .
(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٧١ .
(٣) تنســب جبانة السبيع الى ولد السبيع بن صعب الهمداني . البلاذري : فتوح ، ص٢٨٠ (هشام بن محمد) / الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٤٥ (هشام بن محمد) .
(٤) اخـــتلف لمـــن تعود فقيل : انها تعود لهمدان وقيل لبني اسد حيث قيل انهم من عشيرة الصوداويين الذين اقام قسم منهم لجانب عامر في الفترة الاولى من انشاء المدينة. البلاذري: أنساب، ج٦، ص٤٣٩ (قالوا) / هشام جعيط: الكوفة، ص٣٠٠ .
(٥) البلاذري: أنساب، ج٦، ص٤٣٩ (قالوا)/ اليعقوبي: البلدان، ص٧١ / الطبري: تاريخ، ج٦، ص٤٥ (هشام بن محمد).
(٦) تنســب لأثـــير وهـــو رجل من اسد . البلاذري : فتوح ، ص٢٨٠ (هشام بن محمد)/ اليعقوبي : البلدان ، ص٧١ / الطبري: تاريخ ، ج٦ ، ص٢١ (أبو مخنف) .
(٧) البلاذري : فتوح ، ص٢٨٣ (هشام بن محمد) / اليعقوبي : البلدان ، ص٧١ .
(٨) البلاذري : فتوح ، ص٢٨٣ (هشام بن محمد) .
(٩) اليعقوبي : البلدان ، ص٧٠-٧١ / الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٥٨١ .
(١٠) ابن سعد : الطبقات ، ج٣ ، ص٨٩ / هشام جعيط : الكوفة ، ص٣٠٥ .
(١١) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٩١ / هشام جعيط : الكوفة ، ص٣٠٧ .

الأزقة سبعة أذرع أما في القطائع فلقد بلغ عرض المناهج ستين ذراعاً [١].

ووجدت شوارع فرعية أصغر تتصل بالشوارع الرئيسية فروى سيف ((وبنوا مناهج دونها تحاذي هذه ثم تلاقيها وأُخر تتبعها وهي دونها في الذرع والمحال من ورائها وفيما بينها ، وجعل هذه الطرقات من وراء الصحن)) [٢] .

وعُرف الكثير من السكك بأسماء القبائل أو أحد أشرافها، ففي الكوفة تذكر سكة البريد التي تربط المسجد الجامع ودار الامارة بالسبخة الواقعة شمال شرق الكوفة. ولقد وجد عليها في العصر الأموي دور ارحب وشاكر من همدان[٣]. ووجدت في الكوفة ايضاً سكة شبث بن ربعي الرياحي التميمي[٤]، وسكة بني جذيمة بن مالك[٥] وسكة الثوريين في خطط همدان[٦]. ومن الأسماء المستعجمة ترد سكة لحام جرير أو جرير اللحام[٧] وسكة حجامة عنترة أو عنترة الحجام[٨]. ومن السكك الموجودة في البصرة: سكة المسجد[٩]، سكة المربد[١٠]، سكة البخارية التي أسكن حولها عبيد الله بن زياد أربعة الآف من البخارية[١١]. كما ظهر في الكوفة مفارق الطرق المصلبة المسماة جهار سوج وتعني الجهات الأربع مثل: جهار سوج بجيلة، وجهار سوج خنيس[١٢] .

كما عرفت أمصار العراق الحمامات لأول مرة في أيام زياد بن أبيه ، إذ كان يبنى خارج حدود المصر مثل : حمام أعين[١٣] وحمام عمر بن سعد خارج مدينة الكوفة[١٤] . ومن حمامات البصرة : حمام عبد الله بن عثمان بن أبي العاص ، وحمام منجاب بن راشد الضبني[١٥] .

كان نتيجة هذا التطور والتنظيم في المرافق العامة للأمصار في العراق أن أدى الى توسع عمراني، عادة

---

(١) الطبري : تاريخ ،ج٤ ، ص٤٤ (سيف) / الماوردي : الأحكام ، ص١٦٠ / ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣٧٣ / وتبلغ الذراع العمرية : ٨١٥ر٧٢سم، ، هنتس : المكاييل ، ص٧٩ .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٥ (سيف) .

(٣) ابن الفقيه : البلدان ، ص٢١٨ / الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٢٦٩ (هشام بن محمد) .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٢٩ / البراقي : تاريخ الكوفة ، ص١٤١ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص١٠٦ .

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٢٦ ، ٢٩ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٦٢ .

(٨) البلاذري : فتوح ، ص٢٨١ (أبو مسعود الكوفي) .

(٩) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٦٥ .

(١٠) البلاذري : أنساب ، ج٦ ، ص٢٣ (أبو عبيدة) .

(١١) ابن الفقيه : البلدان ، ص ٢٣٤ .

(١٢) البلاذري : فتوح ، ص٢٨١ (قالوا) / اليعقوبي : البلدان ، ص٧٠ / الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص١٠٦ .

(١٣) ينسب لأعين مولى سعد بن أبي وقاص . البلاذري : فتوح ، ص٢٨٠ (هشام بن محمد) .

(١٤) يرد ان الحجاج بن يوسف استخدمه معسكرا بعد حركة ابن الاشعث ، الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٦١ .

(١٥) ابن الفقيه : البلدان ، ص ٢٣٢ (هشام بن محمد) .

ما يأخذ نحو الشرق حيث المياه والأرض الخصبة ، ولعل هذا ما يشعر به قول إياس بن معاوية – قاضي البصرة ١٢٥هـ – ((شرقي كل بلد أكثر من غربيه))[١] ٠
وبذلك اتسعت مساحة البصرة في ولاية خالد القسري (١٠٥-١٢٠هـ) لتصبح فرسخين في فرسخين[٢].
كما روي أن الأذان في الكوفة كان يسمع في عهده من بيوت الحيرة[٣] ٠

ج – تزايد الهجرات العربية الى العراق (العربي) وأثر ذلك على تنظيمات القبائل :

كانت الهجرة الى المدينة المنورة أول الأمر فرضاً علىٰ كل من يعتنق الإسلام في عهد الرسول (ص) حتى فتح مكة ٨هـ/٦٢٩م ، ثم توقفت الهجرة بعدها لقول الرسول (ص) ((لا هجرة بعد الفتح وإنما جهاد ونيـة))[٤].
وبعد تأسيس دور الهجرة في البلاد المفتوحة ، اتخذت الهجرة مفهوماً يعني المشاركة في الجهاد والفتوح العربية الاسلامية التي توجهها الدولة وتشرف عليها ، والانتقال الى مراكز الفتوح الجديدة ٠
ولقد عملت الدولة العربية على تشجيع استقرار القبائل في الأمصار الجديدة التي انشأتها في البلاد المفتوحة لتضمن سيطرتها على تلك البلاد ، ونشر الدين الاسلامي ، وتوسيع أركان الدولة لتشمل مناطقاً أخرى[٥] ، لذا ربطت بين الهجرة والعطاء ، فقال عمر بن الخطاب ((فمن أسرع الى الهجرة أسرع به العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومنَّ رجل إلا مناخ راحلته)) [٦] ، وارتبط العطاء بانشاء الديوان سنة ٢٠هـ[٧] والذي لعب دوراً مهماً في الحفاظ على الوجود العربي في الأمصار الجديدة ، وبقاء العرب امة عسكرية موجهة نحو استمرار الفتوح ونشر الاسلام يعبر عن ذلك

---

(١) البلاذري : أنساب ، ج١١ ، ص٣٤٢ (قالوا) ٠
(٢) ذكر اليعقوبي أن البصرة اختطت بمساحة مستطيلة بلغت فرسخين في فرسخ أي ١٢كم ×٦كم ٠ البلدان ، ص٨٠ / انظر ابن قتيبة : المعارف ، ص٣١٤ / عيون الاخبار ، ج١ ، ص٢٤٨ / ابن الفقيه: البلدان، ص٢٣٣/ ابن عبد ربه: العقد ،ج٥، ص٢٠٥ / الحميري : الروض ، ص١٠٧٠
(٣) البلاذري: أنساب، ج٩ ، ص٣٤٢ (قالوا) / الطبري: تاريخ، ج٧، ص١٨٣ / مجهول: تاريخ الخلفاء ، ص٤١١ ٠
(٤) الشيباني : شرح كتاب السير ، ج١ ، ص٩٤ / أبو عبيد : الأموال ، ص٣٠٦ ٠
(٥) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص ٦١٥ (سيف) / Al-Naboodah, Eastern Arabia in the Sixth and Seventh Centuries. A.D.Ph.D. Thesis, University of Exeter, 1988, 236 / Donner, The Early Islamic Conquest. P.297
(٦) أبو عبيد : الأموال ، ص ٣١٢ (عبد الله بن صالح) ٠ انظر الشيباني : شرح كتاب السير ، ج١ ، ص٩٤ / ابن عبد ربه : العقد ، ج٣ ، ص١١٦ ٠
(٧) ابن سعد : الطبقات ، ج٦ ، ص٤١٠ (أبو وائل) / انظر معنى الديوان لدى : الصولي : أدب الكتاب ، ص١٨٧ / الجوهري : الصحاح ، ج٥ ، ص٢١١٥ / ابن سيده : المخصص ، ج١٣ ، ص٨ / البطليوسي : الاقتضاب ، ص٩٩-١٠٠ / الجواليقي : المعرب من الكلام ، ص١٥٤ / الشهاب الخفاجي ، شفاء الغليل ، ص١١٩ / الزبيدي : تاج العروس ، ج٩ ، ص٢٤٠ / Duri, Diwan, EI^2, Vol.2. P.323

قول عمر ((الفيء لأهـــــل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم، ألا فبهم سكنت المدائن والقرى وعليهم جرى الصلح وإليهم أُدّي الجزاء وبهم سدّت الفروج ودوّخ العدو)) [١] .

وبذلــك فقد لعبت المغريات المادية دوراً هاماً في إجتذاب القبائل نحو المشاركة بالفتح وبالتالي الاستقرار فـــي الأمصـــار؛ فـيذكر البلاذري أنه لما استدعى الخليفة أبو بكر عدداً من القبائل لتوجيهها نحو الفتح ((سارع الناس من بين محتسب وطامع وأتوا المدينة)) [٢] .

البصرة :

قدم عتبة بن غزوان البصرة سنة ١٤هـ/٦٣٥م ، ومعه عدد من مقاتلة قبائل : ثقيف، سليم، مازن ، بلي، يشكر، عدي ، كما رافقهم ست نسوة [٣]. وفي هذا اشارة الى أن الغاية من خروج هذا الجمع القليل كان للقـتال وليس للاستقرار ، إذ قدّر عدد من خرج معه بثلاثمائة مقاتل ؛ ازدادوا في الطريق ليصبح عددهم خمســمائة مقــاتل . ثــم ازدادوا إثر انضمام سويد بن قطبة وقواته لهم[٤] . وعلى إثر توسّع العمليات العسكرية في ولاية عتبة أمدّه الخليفة بالمائة والخمسين ونحو ذلك من المقاتلة[٥] . وكان للمغريات المادية التي أفاض بها فتح كور دجلة على مقاتلة البصرة أن رغب فيها العديد من الأعراب الذين يسكنون بادية البصرة ؛ خاصة أعاريب تميم[٦] .

ويوضّح ذلك أبو المليح الهذلي حين ذكر أن عمر سأل أحد المبعوثين من قبل عتبة بعد فتح الأبلة عن حال الناس فقال : ((إنّ المسلمين في البصرة يهيلون بها الذهب والفضة هيلاً ؛ فرغب الناس في الخروج حتى كثروا بها وقوي أمرهم)) [٧] .

وكـــان من نتائج ذلك أن اصبح عدد من جاء مع عتبة من الأنصار قليلاً وذلك في نهاية ولاية المغيرة بن شعبة على البصرة ١٧هـــ ، ويشعر بذلك ما قاله أبو موسى الأشعري للخليفة حين أراد التوجه للبصـــرة ١٧هـــــ فقـــال : ((يا أمير المؤمنين : فوجه معي نفراً من الأنصار، فإن مَثَل الأنصار في الناس كمَثَل الملح في الطعام)) [٨] .

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٦١٥ (سيف) / عبد العزيز الدوري : النظم الاسلامية ، ص١٨٧-١٨٨ .

(٢) البلاذري : فتوح ، ص ١٢٨ (قالوا) .

(٣) ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٨٨ / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣١ .

(٤) ابـن سعد : الطبقات ، ج٧ ، ص٥ (الواقدي) / البلاذري : فتوح ، ص٣٣٦ (قالوا) / ابن الفقيه : البلدان، ص٢٢٩ / الطبري: تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٤ (الشعبي) / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣١ .

(٥) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص٦ (الواقدي)/ البلاذري: فتوح ، ص٣٣٧ (قالوا) / صـالح العلي : التنظيمات، ص٢٦ .

(٦) ابـن سـعد : الطـبقات ، ج٧ ، ص٦ (الواقدي) / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٢٩ / الدينوري : الاخبار ، ص١١٣ / الطبري: تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٥ .

(٧) الدينوري : الاخبار ، ص١١٣ / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩٥ / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣٣٦ .

(٨) الدينوري : الاخبار ، ص١١٤ .

وفي ولاية أبي موسى على البصرة ، تزايد أعداد سكانها بسبب التطورات العسكرية السريعة التي شهدتها المـنطقة إذ تمكـن مقاتلة البصرة من فتح الأهواز سنة ٢٠هـ وشارك فيها عشرة الآف مقاتل من أهل البصـرة[١] .

ثـم شارك في الحملة الموجّهة لفتح أصبهان سنة ٢٣هـ سبعة عشر ألف مقاتل[٢] . ويصعب تبيان مدى دقة هذه الأرقام ، إلا انها تدل على التزايد الواضح في أعداد المقاتلة ، ولعل هذا ما يفسر قيام أبي موسى بتوسيع مسجد البصرة[٣] .

ولعـل ما يفسر تزايد اعداد أهل البصرة بعد فتح الأهواز هو استقرار اعداد من العجم من أساورة وزط وسيابجة[٤].

كانـت قبيلة تميم تليها قبيلة بكر بن وائل من أكثر القبائل عدداً في البصرة حتى نهاية خلافة عمر (١٣-٢٣هـ) فذكر المدائني أن من أسلم من الاساورة بعد فتح الأهواز ٢٠هـ دخلوا البصرة ونزلوا في بني تمـيم وتركوا بكراً بن وائل ((ولم يكن يومئذ الازد في البصرة ولا عبد شمس))[٥] . ومن المتوقع أن نلاحـظ كـثرة تمـيم لقرب منازلها الأولى من بادية البصرة، كما أن العديد من ابنائها الذين شاركوا في الغارات على العراق عشية الفتح انضموا لقوات عتبة لما نزل البصرة سنة ١٤هـ[٦] .

وذكـر الحازمي (ت٥٨٤هـ) عدداً كبيراً من بطون تميم التي نزلت كلها أو عامتها البصرة دون غيرها مـن الأمصـار مـثل : حنظلة بن مالك وهم الذين حالفهم الزط والسيابجة ، بنو سعد وهم الذين حالفهم الأساورة[٧] ، مجاشع ، دارم ، مازن ، بنو رياح[٨] .

ومـن البطون الأخرى التي وصلت الى البصرة من تميم بنو عمرو الذين ترد اشارة عن سكناهم البصرة لأول مرة في اخبار وقعة الجمل ٣٦هـ[٩] . وأشار ابن دريد (ت٣٢١هـ) لقدوم عشيرة عبد الله بن دارم الى البصرة مع قبيلة عبد القيس قادمين من هجر في اواخر خلافة عمر بن الخطاب[١٠] .

---

(١) ابن اعثم : الفتوح ، م:١ ، ص٢٦٧ / رباب السوداني : جبهة البصرة ، ص١٢٢ .

(٢) ابن اعثم : الفتوح ، م١ ، ص٣١٤ .

(٣) البلاذري : فتوح ، ص٣٤٢ (أبو عبيدة) .

(٤) بلـغ عـدد الأسـاورة ٢٥٠٠ ، امـا السيابجة ٤٠٠ مقاتل . البلاذري : فتوح ، ص٢٧٩ (أبو مسعود الكوفي) ٣٦٧ (المدائني) / صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص٤٨ .

(٥) الـبلاذري: فتوح ، ص٣٦٧ . يبدو أن عبد شمس التي ترد في النص هي عبد القيس ، وربما كتبت كذلك لتحريف عند النساخ.

(٦) البلاذري : فتوح ، ص٣٣٦ (قالوا) / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص٣٦٥ / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٢ / زياد أبو سنينة : بنو تميم في الجاهلية وصدر الاسلام ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، الجامعة الاردنية ، ١٩٩٠ .

(٧) البلاذري : فتوح ، ص٣٦٧ (المدائني) .

(٨) الحازمي : عجالة المبتدئ ، ص٤٦ ، ٤٨، ٥١ ، ٥٨، ٦٧، ٧٣، ٨٥ ، ٩٥ ، ٩٨ .

(٩) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٦٦ .

(١٠) ابن دريد : الاشتقاق ، ص٢٣٤ .

وكان مجيء هذه البطون قد ساهم في تعزيز وجود تميم وقوتها في البصرة٠ كما انضم لبني تميم جماعات مـــن غير العرب كالأساورة والسيابجة اضافة لبني العّم الذين قدموا البصرة في خلافة عمر بعدما اسلموا سـنة ٢٠هـ، وحالفوا تميماً وعُرفوا بذلك لأن الناس قالت لهم ((انتم وإن لم تكونوا من العرب أخواتنا وأهلنا وأنتم الأنصار والأخوان وبنو العم ، فلقّبوا بذلك وصاروا في جملة العـــرب))[١] ٠

ولقــد بلغت القبائل المضرية الأكثرية في البصرة خاصة في تميم أكثر من قبائل ربيعة كبكر وعبد القيس أو اليمانــية كالأزد ؛ مما اضطر الخليفة عمر لإرسال جماعة من تنوخ ليحفظ التوازن القبلي في البصرة ممـــا أغضب تميماً[٢] ٠ وبلغ من قوة تميم أن قدر عدد مقاتلتها في خلافة علي (٣٥-٤٠هـ) ما يقارب عشرة الآف مقاتل[٣] ٠ ولعل ما يبرز قوتها في أواخر خلافة علي أن معاوية بن أبي سفيان أرسل مبعوثه عبد الله بن الحضرمي الى تميم لاستمالتها ضد علي[٤] ٠

كانت قبيلة بكر بن وائل من القبائل التي نزلت البصرة بأعداد كبيرة ، ويشعر بذلك أن ابا موسى الاشعري لما أراد التوجه لفتح أصبهان دعا برجل من بني بكر يدعى همام بن متمم وولاه البصرة[٥] ٠

ومـــن أشـــهر بطون بكر في البصرة : شيبان ، عجل ، رقاش ، سدوس ، ضبيعة ، يشكر ، عنزة ، تيم الـــلات بن ثعلبة ، تيّم بن شيبان ، ذهل بن شيبان[٦] ٠ وترد عشيرة بنو عائش بن مالك بن تيم بن ثعلبة لأول مرة في البصرة في الحديث عن وقعة صفين ٣٧هـ[٧] ٠ وذكر ماسينيون أن خطة بكر سكنتها اربع قبائل متحالفة في أربع قطاعات هي : قيس بن ثعلبة وبنو عنزة / تيم اللات وبنو عجل / ذهل بن شيبان وبني يشكر / ذهل بن ثعلبة وبني ضبيعة[٨] ٠

نزل أهل العالية البصرة وهم مجموعة قبائل قدمت من الحجاز وشكّلت معاً خمساً من أخماسها ، وكان من رجالاتهـــا العديـــد ممن تسلموا مناصباً عليا في الدولة ، ومن أشهر هذه القبائل : قريش ، سليم ، سهم ، مزيـــنة ، ناجـــية ، ضبّة ، ثقيف ، خزاعة ، نمير ، هذيل ، عقيل ، نهد ، بجيلة ، باهلة ، غني ، عكل ، هوازن ، غطفان ، محارب ، خثعم[٩] ٠

---

(١) الأصفهاني : الأغاني ، ج٣ ، ص٧٣ ٠

(٢) الطـــبري : تـــاريخ ، ج٥ ، ص٥١٦ (أبو عبيدة) / علي الخربوطلي : تاريخ العراق ، ص٢٩٠ / محمد الزبيدي : المجتمع العراقي ، بحث في كتاب حضارة العراق ، ج٥ ، ص٢٩ / شارل بلات ، الجاحظ في البصرة ، ص٥٤ ٠

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٩٧ (سيف) ٠

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص١١٠ (عمر بن شبه) / الثعالبي : تاريخ ، ص٥١٨ ٠

(٥) ابن اعثم : الفتوح : م١ ، ص٣١٠ ٠

(٦) محمد الزبيدي : المجتمع العراقي ، بحث في كتاب حضارة العراق ، ج٥ ، ص٣١ ٠

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٣٦ ٠

(٨) ماسينيون : خطط البصرة ، ص٢٢ ٠

(٩) ابـــن الكلبـــي : جمهرة ، ص٢٩٢ / جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ،ج١ ، ص١٦٩ / ماسينيون : خطط البصرة ، ص١٦-١٧ / بلات : الجاحظ ، ص٥٣ / ناجي حسن : القبائل العربية ، ص٩٩ ٠

ومــن القبائل التي التحقت بالبصرة أواخر خلافة عمر قبيلة عبد القيس التي شاركت في فتوح فارس؛ إذ التحقت بمقاتلة البحرين عن طريق الخليج وشاركت في وقعتي توج الأولى ١٧هــ، وتوج الآخرة ٢٣هــ. وخــرج قســم منهم إثر ذلك الى البصرة فنزلوا فيها[١]. إلا أن أعدادهم فيما يبدو كانت قليلة بدليل عدم وجود دور كبير لهم في الفتوح التالية في الشرق كقبيلتي تميم وبكر[٢] . إلا أن أعدادهم إزدادت في خلافة عــثمان خاصة في ولاية عبدالله بن عامر بعد أن ضُمّت البحرين والمناطق الشرقية من الجزيرة العربية لولاية البصرة ادارياً [٣] مما شجع العديد من قبائل البحرين خاصة عبد القيس للتوجه صوب البصرة .
أما قبيلة الأزد التي يتوقع أن تكون قد نزلت البصرة بعد فتح كرمان وفارس في خلافة عثمان وخاصة في ولاية عبدالله بن عامر على البصرة (٢٩-٣٥هــ) بعدما ضمت مواطنهم في شرق الجزيرة العربية إدارياً للبصرة[٤] .

ويتعذر القبول برواية أبي عبيدة من أن نزول الأزد البصرة لأول مرة كان في نهاية خلافة معاوية بن أبي سفيان[٥] . ولعله اراد الاشارة لحصول هجرة واسعة لهم أنذاك ، ومما يؤكد حضورهم قبل هذا الزمن أن زياداً بن ابيه التجأ الى الأزد لما هاجمه مبعوث معاوية بن الحضرمي في البصرة أواخر خلافة علي[٦]. كما كان لهم حضور في وقعة الجمل ٣٦هــ؛ إذ شارك بنو عدي في حراسة السيدة عائشة يوم الجمل[٧]. وممــا يشــعر بكــثرتهم أنه روي مقتل ٢٧٠٠ رجل من الأزد ممن حارب الى جانب السيدة عائشة يوم الجمـــــــل[٨]. وبعد وقعة الجمل نزل اناس من الازد في دور لبني عجل الذين تحولوا الى الكوفة[٩] مما يشعر بتزايد رادفتهم.
ومــن أهــم العشائر الأزدية التي نزلت البصرة: بنو عتيك نزلوا مع أبي صفرة ظالم بن سرّق بن صبح العتكي قادمين من دبا في خلافة عمر بن الخطاب[١٠] ولقد شرف أولاد أبي صفرة في البصرة فيما بعد.

---

(١) الطــبري: تــاريخ، ج٤، ص٨٢ / توج : مدينة بفارس معروفة بشدة حرها لأنها في غور من الأرض تبعد عن شيراز ١٩٢كــم. ياقوت: معجم ، ج٢ ، ص٥٦ . انظر خليفة بن خياط: تاريخ ، ص١٤٩ / البلاذري : فتوح ، ص٣٧٩ . ويذكر غــير أبــو مخنف أن توج كانت ١٩هــ / الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص١٧٤ (سيف) / Naboodah, Eastern Arabia, P.240 .

(٢) جمال جودة : العرب والأرض ، ص١٦٢ / W.Caskel, Abd Al Kays, EI^2. Vol II, P.47

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٦٦ . / صالح العلي : التنظيمات ، ص٤٢ / جمال جودة : العرب والأرض ، ص١٦٢ .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٦٦ / صالح العلي : التنظيمات ، ص٤٢ .

(٥) أبو عبيدة : النقائض ، ج٣ ن ص٨٥٢ / الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥١٦ (أبو عبيدة) .

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص١١٠ (عمر بن شبه) .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٥٠٣ .

(٨) اليعقوبـــي : تاريخ ، ج٢ ، ص٨٠ . وقيل قتل منهم ٤٠٠٠ مقاتل . ابن اعثم : الفتوح ،م١ ، ص٤٩٥ / المسعودي : التنبيه ، ص٢٥٦ .

(٩) البلاذري : انساب ،ج٥ ، ص٢٢٤ (المدائني) .

(١٠) ماسينيون : خطط البصرة ، ص١٩-٢٠ .

الكوفة :

نزلــت القبائل العربية التي شاركت في وقعة القادسية وفق نظام الأعشار الذي نظّمت به في شراف قبيل معركة القادسية ؛ إذ كان لكل عشرة من المقاتلة عريف ، والعرافة وحدة مالية ، كان العريف فيها مسؤولاً عــن توزيــع العطــاء على مائة ألف مقاتل ، وكان الهدف من وجودها تسهيل اضافة وحدات جديدة من القبائل الرادفة[١]. كما كان العريف موظفا يعتمد عليه امير المصر بعد رؤساء القبائل لتثبيت سلطانه وفي إدارة المصر . فكان من واجباته ايضاً تبليغ أوامر الأمير لأفراد عرافته ومساعدة الامير في تعبئة الجيش وضــبط الــنظام[٢]. وعلــى كــل عشرة عرفاء أمير، ثم صاحب الراية الخاصة بالقبيلة[٣]. وكان نظام الأعشــار يقــوم على أساس تجميع القبائل في عشر وحدات، كل وحدة تضم عدداً متساوياً من المقاتلة[٤] ســميت بالأعشــار . ولــم يتبع سعد الدقة في النسب في تقسيمه للقبائل، فلقد أدخل مع كنانة مثلاً جديلة، وأدخل غطفان وهي من قيس عيلان ومحارب بن فهر وأسد بن خزيمة وهم من مضر مع تغلب وضبيعة وهما من ربيعة وكان يهدف من ذلك أن يرجح الاعداد ويساويها بين الأعشار[٥] .

استمرت الهجرة القبلية الى الكوفة اثر توسّع فتوحاتها وكثرة مغانمها ، فقدمت قبائل : اياد ، عبد القيس ، والحمــراء[٦]، عكّ ، وكان وصولها في أواخر خلافة عمر بن الخطاب ، ومما يدل على ذلك أن عطاءها كان في خلافة عمر ثلاثمائة درهم[٧] .

ومــن القبائل التي نزلت الكوفة بعد تمصيرها وقبل تنظيمها أسباعاً: جذام، خزاعة، أشعر وأنمار، خثعم، بنو غسان بن شبام من قضاعة[٨] .

وكان لتزايد أعداد القبائل وتنوعها في الكوفة أن تجمّع فيها اعداد كبيرة من بيوتات العرب وأشرافهم حتى أن سفيان بن عيينه ذكر أن بيوتات العرب كلها في الكوفة وليست في البصرة[٩].

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٩ (سيف) / المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٩٣ / صالح العلي : التنظيمات ، ص٤٨ .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٩ / مجهول : تاريخ الخلفاء ، ص١٦٥ / صالح العلي : امتداد العرب ، ص٢٧ .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٩ (سيف) / المقريزي : خطط ، ج١ ، ص٩٣ .

(٤) هشام جعيط : الكوفة ، ص٢٣١ .

(٥) محمد الزبيدي : " المجتمع العراقي " ، بحث في كتاب حضارة العراق ، ج٥ ، ص٣٢ .

(٦) الحمــراء : هــم اســاورة الفرس من العجم وكانوا قد شهدوا وقعة القادسية مع رستم ، وبعضهم أسلم قبل بداية الحرب وبعضهم بعدها ، ثم شهدوا فتح المدائن وجلولاء . البلاذري : فتوح ، ص٢٧٩ (المدائني) . وذكر ابن منظور أن الحمراء (هــم العجم لبياضهم ولأن الشقرة اغلب الألوان عليهم ، وكانت العرب تقول للعجم الذين يكون غالبا على ألوانهم مثل الروم والفرس ومن صاقبهم انهم الحمراء) . لسان العرب ، ج٤ ، ص٢١٨ . انظر ايضا : المبرد : الكامل ، ج١ ، ص١٢٥ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٩١ (المدائني) .

(٨) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٨ (سيف) ، ١٢١ . (سيف) ، ٥٠٠ (عمر بن شبه) / ثابت الرواي : تاريخ العراق، ص١٤٠ .

(٩) ابن سعد : الطبقات ، ج٦ ، ص٣٧١ .

إن استمرار الهجرة جعل بعض المجموعات القبلية تزيد عن الأخرى في اعدادها ، لذا لجأت الخلافة الى اعـــادة توزيع القبائل ضمن نظام عسكري جديد يقوم على الاسباع لحفظ التوازن القبلي في الكوفة وايجاد توزيـــع عددي متكافئ بين قبائلها. فروى سيف ((ورجح الأعشار بعضهم بعضاً رجحاناً كثيراً ، فكتب ســعد الى عمر بتعديلهم ، فكتب اليه أن عدلهم، فأرسل الى قوم من نسّاب العرب وذوي رأيهم وعقلائهم فعدلوهـم عــن الاعشار فجعلوهم أسباعاً))[١]. ولقد كان عدد من الأفراد والجماعات قد انضموا للجيش بدافع مغريات العطاء ، ولأن نظام الأعشار لم يراعِ نسب القبائل ، فلقد تكلّفت الدولة مبالغاً طائلة ، فكان مــن الضــروري إعادة تنظيم توزيع القبائل عن طريق النسّاب، وبذلك فإن الاسباع هي مجموعات قبلية وجــدت لضــرورات عســكرية ومالــية ، تتمــثل عند حشد المقاتلة للنفير والجهاد وعند توزيع الغنائم والأعطيات عن طريق رؤوس الاسباع[٢]. ورتّب سعد الاسباع كالتالي[٣] :

السُــبع الأول : كــنانة وحلفاؤهــا من الأحابيش وغيرهم ، وجديلة ، بنو عمرو بن قيس عيلان وهؤلاء يعرفون بأهل العالية .

السُبع الثاني : تميم وسائر الرباب وهوازن ومعهم بنو أعصر (غني ، باهلة) وهؤلاء قبائل مضرية .

السُبع الثالث : قضاعة ومنهم يومئذ : غسان بن شبام وبجيلة وخثعم وكندة وحضرموت والأزد وهم قبائل يمانية .

السُبع الرابع : أسد ، غطفان ، محارب ، النمر ، ضبيعة ، تغلب ومعظمهم من ربيعة النزارية.

السُبع الخامس : مذحج ، حمير ، همدان وحلفاؤهم ، طيء وهؤلاء قبائل يمانية .

السبع السادس : إياد، عك، عبد القيس وأهل هجر والحمراء .

ولــم يذكــر سيف بن عمر السُبع السابع ، الذي اجتهد كل من ماسينيون والبراقي بأنه لقبيلة طيء ؛ على إعتــبار أن ســيفاً ذكــر أن عدي بن حاتم الذي كان على قبيلة طيء يجمعهم الدعوة مع مذحج وتختلف الرايتان[٤].

إلا أنه يبدو أن الواقع غير ذلك ، فإذا كان لكل سبع راية ، فقد كان لمذحج عدة رايات في صفين مع انها ضمن سبع واحد[٥] . كما أن طيئا تذكر ضمن السبع الخامس .

ويوضّح أبو مخنف بأن ((عدي بن حاتم كان على طيء مفرداً دون صاحب سبع مذحج والأشعريين))[٦].

---

(١) الطبري: تاريخ، ج ٤، ص٤٨ (سيف)/ ابن حبيش: غزوات، ج٢، ص٦٧١/ البراقي: تاريخ الكوفة، ص١٣٧-١٣٨/ ناجي حسن : القبائل العربية ، ص٧٧ .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٨ (سيف) / ماسينيون : خطط الكوفة ، ص٤٠ / صالح العلي : التنظيمات ، ص٤٠ .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٨ (سيف) / ثابت الراوي : العراق ، ص١٣٩ .

(٤) نصر بن مزاحم : صفين ، ص ١٣٢ / البراقي : تاريخ ، ص١٤١ / ماسينيون : خطط الكوفة ، ص٤٨ .

(٥) نصر بن مزاحم : صفين ، ص٣٢٧ (عمر بن سعد) / الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٢٠ (أبو مخنف) .

(٦) البلاذري : أنساب ، ج٣ ، ص٣٢ (أبو مخنف) انظر : نصر بن مزاحم : صفين ، ص١٣٢ (عمر بن سعد) .

ويرى أن السبع السابع هو لقبيلة بكر بن وائل وتغلب وسائر ربيعة غير عبد القيس [١] • ومما يؤكد ذلك أن بكــراً لم تنزل الكوفة عند بداية اختطاطها لقرب منازلها ومراعيها من الكوفة وارتباطها بهما في تلك الفترة ، وربما انها اتجهت نحو الاستقرار بشكل كبير في خلافة عثمان وعلي وهذا ما يشعر به اليعقوبي الذي ذكر أن بكراً جاءت بعد اختطاط الكوفة ونزلت الأطراف [٢] •

يلاحــظ على نظام الأسباع أيام سعد وجود أربعة أسباع من القبائل الشمالية (١،٢،٤،٦) يضاف لها سبع قبــيلة بكر • ويوجد سبعان من القبائل اليمانية (٣،٥) ولعل في ذلك ما يناقض رواية الشعبي الذي ذكر غلــبة القــبائل اليمانية في الكوفة عند اختطاطها ؛ إذ ذكر أن عدد مقاتلتها بلغ اثني عشر ألفاً من اليمانية وثمانية الآف من الشمالية ولعله قصد واقعاً متأخراً [٣]•

استمرت الهجرة الى الكوفة في خلافة عثمان، إذ قدم بنو هذيل الذين ذكروا لأول مرة في الكوفة سنـــــة ٣٠هــ[٤]• ولا تبيّن الروايات مكان اختطاطهم • كما يرد ذكر لبني حداء وهم من مراد[٥]، وبنو أرحب وهم من همدان[٦]• كما قدم في خلافة علي بنو حرمز بن سلول من الأزد، وبنو عدي من طيء[٧]• وبنو محدوج[٨]، وبنو ضباب[٩]، وبنو الحارث بن عدي[١٠]، والفائشيين[١١]، والناعطيين[١٢]، وبنو عبيد[١٣]،

---

(١) الـبلاذري : انســاب ، ج٣ ، ص٣٢ / الدينوري : الاخبار ، ص١٩٧ / احسان النص : العصبية القبلية ، ص٢٢٢ / جمال جودة : العرب والارض ، ص١٧١ / زياد أبو سنينة : بنو تميم ، ص١٦٦ •

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص٧٠ •

(٣) البلاذري : فتوح ، ص ٢٧٦ (الشعبي) / ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٤٩١ (الشعبي) •

(٤) هذيــل بن مدركة بن الياس بن مضر العدنانية ، كانت ديارهم بالسروات وتفرقوا بعد الاسلام • السمعاني : الأنساب ، ج٤، ص٥٠٢ / عمر كحالة : معجم ، ج٣ ، ص١٢١٣-١٢١٤ • انظر الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٧٣ (سيف) •

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٣٣٥ •

(٦) الطبري تاريخ ، ج٤ ، ص٣٤٥ •

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٩ / عمر كحاله : معجم ، ج١ ، ص٢٦٥ •

(٨) محدوج : فخذ كان بالكوفة ، وقتل رجال منه في وقعة الجمل سنة ٣٦هــ • انظر الطبري : تاريخ، ج٤ ، ص٥٢٢ •

(٩) ضــباب : بطــن مــن بني عامر بن صعصعة ، وهو معاوية بن كلاب بن ربيعة بن عامر ، سمي بولده • السمعاني: الأنساب، ج٣ ، ص٢٢٩-٢٣٠ / عمر رضا كحاله : معجم ، ج٢ ، ص٦٦٠ • انظر الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٢٨ •

(١٠) الحــارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب القحطانية • عمر كحاله : معجم ، ج١ ، ص٢٣٠ • انظر الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٣٠ •

(١١) الفائشــيين : بطــن من همدان من مالك بن زيد بن كهلان القحطانية • السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص٤٣٢ • انظر الطبري: تاريخ ، ج٥ ، ص٦٢ •

(١٢) الناعطييــن : بطن من همدان من مالك بن زيد بن كهلان القحطانية • ابن دريد : الاشتقاق ، ص٢٥١ / عمر كحاله : معجم ، ج٣ ، ص١١٦٨ / انظر الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٦٢ •

(١٣) عبـيد : بطــن مــن تميم العدنانية • ابن دريد : الاشتقاق ، ص١٥١ • وقيل فخذ من ربيعة بن كلاب بن عامر بن صعصــعة مــن قيس عيلان العدنانية • النويري : نهاية الارب ، ج٢ ، ص٣٣٩ / عمر كحاله ، معجم ، ج٣ ، ص٧٤٢ • انظر الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٦٢ •

والثوريين من همدان[١] . ولا تذكر المصادر زمن وصولهم بدقة ولا أماكن اختطاطهم . ونتيجة لذلك تغيّر توزيع القبائل في الاسباع في خلافة علي ، ويبيّن أبو مخنف الأسباع الجديدة في حديثه عن وقعتي الجمل وصفين :-

السبع الأول : قيس عيلان ، وعبد القيس .

السبع الثاني: تميم ، ضبّة ، الرباب ، قريش ، أسد ، كنانة ، مزينة .

السبع الثالث: بجيلة ، خثعم ، الأزد ، الأنصار .

السبع الرابع : كندة ، حضرموت ، قضاعة ، مهرة .

السبع الخامس : مذحج ، الأشعريين ، طيء .

السبع السادس : همدان وحمير .

السبع السابع : بكر بن وائل ، تغلب وسائر ربيعة غير عبد القيس[٢] .

ونلحظ على الاسباع في خلافة علي وجود تغير في القبائل اليمانية التي رجحت كفة ميزانها على القبائل الشمالية .

إذ نجد أربعة أسباع يمانية (٣،٤،٥،٦) وثلاثة أسباع شمالية (١،٢،٧) وهذا ناجم عن تزايد الروادف اليمانية وتقلص أعداد القبائل الشمالية التي هاجرت الى البصرة ، حيث كانت معظم قبائلها شمالية حتى نزول الأزد فيها في ولاية عبد الله بن عامر (٢٩-٣٥هـ) [٣] .

إذا قارنا بين الأسباع في ولاية سعد والاسباع في خلافة علي يتبين اختلاف توزيع القبائل ، فلقد كانت مذحج وحمير وهمدان سبعاً واحداً أما الآن فهي سبعان ويعود ذلك لكثرة رادفتها ويشعر بذلك ما ذكره ابن أعثم أن عدد من خرج مع علي الى صفين من مقاتلة مذحج بلغ عشرة الآف مقاتل[٤] . ورغم المبالغة في الرقم إلا انها تدل على تزايد أعداد القبيلة . ويؤكد كثرة مذحج وجود عدة رايات لها في صفين[٥] ، كما خاطب الاشتر مقاتلتها بقوله : ((انتم أحد أهل مصركم وأعدّ حي في قومكم)) [٦] .

ونلحظ تزايد روادف قضاعة ومهرة والانصار وكندة حتى كانت كل واحدة تشكل قبيلة ضمن سبع معين في خلافة علي ، بينما لم يرد لبعضها ذكر في اسباع سعد .

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٦٢ .

(٢) البلاذري : أنساب ، ج٣ ، ص٣٢-٣٣ (أبو مخنف) / الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٥٠٠ (أبو مخنف) . انظر نصر بن مزاحم : صفين ، ص١٣٢ (عمر بن سعد) إلا أنه لم يذكر السبع السابع / الدينوري : الاخبار ، ص١٩٧ / ماسينيون : خطط الكوفة ، ص٤٩-٥٠ .

(٣) جمال جودة : العرب والأرض ، ص١٧٣ .

(٤) ابن اعثم : الفتوح ، م٢ ، ص١٧٣ .

(٥) نصر بن مزاحم : صفين ، ص٣٢٧ (عمر بن سعد) / الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٢٠ (أبو مخنف) .

(٦) مجهول : تاريخ الخلفاء ، ص٨٥ .

أمــا همدان فروى عمر بن سعد انها بلغت يوم صفين ٣٧هــ أربعة الآف مقاتل[١]. وفي ذلك دلالة على تزايد اعدادها. وقيل أن همدان نزلت كلها الكوفة ، لم يخرج أحد منهم الى البصرة [٢].

وهــذا يعنــي أن الاسباع أيام سعد ضمت قبائل من ربيعة وقيس عيلان أو قيس عيلان ومضر أو ربيعة واليمانية، أما الاسباع في خلافة علي ، فكان كل سبع يضم مجموعة واحدة مثل: مضراً أو قيس عيلان أو ربيعة أو اليمن[٣]. مما يدل على تزايد روادف القبائل التي امتازت عن غيرها في سبع مميز .

وممــا يــدل على كثرة وقوة القبائل اليمانية في الكوفة في اواخر خلافة عثمان اصرارها على تولية أبي موســى الاشــعري ولايــة الكوفة بعد طرد واليها سعيد بن العاص ، إذ كانت أشعر ضمن أكبر الاسباع وأكثرها عدداً وهي مذحج ، همدان، حمير[٤].

كمــا كان اصرارها على اختياره ممثلاً عن علي وعملياً عن أهل الكوفة في التحكيم الذي عقد بعد وقعة صــفين . ويؤكد الأشعث بن قيس الكندي هذه النظرة إذ قال ((لا والله لا يحكم فينا مضريان حتى تقوم الساعة ، ولكن اجعله رجلاً من أهل اليمن إذ جعلوا رجلاً من مضر)) [٥].

كــان مجيء القبائل العربية الى الكوفة ضمن ما عرف باسم الروادف والتي كانت على مراحل: أولى ، ثانية، ثالثة ، رابعة ؛ في خلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان بن عفان (١٧-٣٥هــ) .

ويصــعب تحديــد كيفــية قدوم الهجرات العربية الى العراق أو معرفة أسماء كافة القبائل المشاركة بتلك الهجرات إلا أنه يمكن القول أن القبائل التي شاركت بفتوح العراق ثم نزلت الكوفة هي التي حددت وجهة القبائل المشاركة في الهجرة بعد ذلك .

لذا فإن قبائلاً مثل: مذحج ، همدان ، تميم ، بجيلة ، كندة التي كانت أعدادها كبيرة في العراق تدل على أن رادفتها كانت تتجه نحو العراق اكثر من البلاد المفتوحة الأخرى .

عــرف المحاربون الأوائل ممن نزلوا الكوفة بإسم النازلة ، أما الروادف الذين جاءوا بعد اختطاط المدينة سمّوا بالنابتة[٦].

ذكر هشام بن محمد (ت٢٠٤هــ) مجيء جماعات للكوفة بعد الرادفة الرابعة هم أهل هجر الذين قدموا من البحرين ، وأهل العباد الذين اختلف فيهم فقيل انهم نصارى العرب الذين سكنوا الحيرة قبل الاسلام ، وقيل انهم فرع من خزاعة الأزدية قدموا من الحجاز[٧] .

---

(١) نصر بن مزاحم ، صفين : ص٥١٧ (عمر بن سعد) .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ، ص٦٤ / اليعقوبي : البلدان ، ص٧٠ / السمعاني : الأنساب ج٤ ، ص٥١٠ .

(٣) جمال جودة : العرب والأرض ، ص١٧٢ .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٣٣٢ (سيف) / ابن الاثير : الكامل ، ج٣ ، ص٤٠ .

(٥) نصر بن مزاحم: صفين، ص٥٧٣/ الطبري: تاريخ، ج٥، ص٥١ (أبو مخنف)/ المقدسي: البدء والتاريخ، ج٥، ص٢٢٠ .

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٧٩ (سيف) / ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص٥ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٢ ، ص٤٣ (هشام بن محمد) / عمر كحاله : معجم القبائل ، ج٢ ، ٧١٩ .

ومـــن القبائل التي تزايدت اعدادها في الكوفة أواخر عصر الراشدين قبيلة كندة[1] ، ويشعر بذلك ما ذكره حجــر بـــن عدي – قائد السبع الرابع في صفين – لعلي بن أبي طالب يشجعه على مواصلة قتال معاوية بقوله ((ولنا أعوان ذو صلاح وعشيرة ذات عدد)) [2] .

كمـــا ازدادت قبيلة ربيعة في اواخر خلافة علي، إذ بايعه سبعة الآف مقاتل منها على الموت[3]. ويروي الشعبي لما ذكر خطب رؤساء القبائل في صفين ((فأما من ربيعة وهي الجبهة العظمى)) [4]. ولعل في وجود عبد القيس وهي من ربيعة مع قيس عيلان ضمن السبع الأول في خلافة علي ؛ مع أنه يوجد سبع مخصّص لقبائل ربيعة ما يدل على كثرتها[5] .

وكانـــت كـــثرة رادفة مذحج وهمدان وربيعة في أواخر خلافة عثمان قد أخلّت بالأسباع ؛ فأصبح عطاء الســبع الواحد لا يكفي أهله ورادفته ؛ لذا كتب سعيد بن العاص والي الكوفة ٣٠هـــ – الى الخليفة عثمان ((أن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدمة ، والغالب على تلك البلاد روادف ردفت وأعراب لحقت ، حتى ما ينظر الى ذي شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نابتتها، فكتــب الــيه عــثمان أما بعد ، ففضل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها بســببهم تــبعاً لهــم ، إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء واحفظ لكل منزلته وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق))[6].

وكانت معاملة الدولة هذه للروادف التي في معظمها من اليمانية أن أشعلت شرارة المواجهة بين هذه الفئة والوالـــي ســـعيد بن العاص ، فلقد كان اغلب المعارضين لعثمان من تلك القبائل التي كثرت رادفتها مثل مالك بن قيس الأرحبي من همدان ، والاسود بن يزيد وعلقمة بن قيس ، ومالك بن الاشتر ؛ وهؤلاء من النخع من مذحج[7] . ولعل في كثرة همدان ومذحج في أواخر عصر الراشدين ونزول همدان شمال شرق الكوفـــة ومذحج في جنوب شرق الكوفة ما جعل الشعبي يذكر أن اليمانية اختطت منازلها شرقي المسجد الجامع[8] .

---

(١) كـــندة بـــن عفـــير وأسمه ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان القحطانية، سمي كندة لأنه كند أباه أي كفر نعمته. السمعاني: الأنساب، ج٤، ص١٧٢/ عمر كحاله: معجم، ج٣، ص٩٩٨ .

(٢) نصر بن مزاحم ، صفين ، ص١١٦ .

(٣) نصر بن مزاحم : صفين ، ص٣٤٥ / ابن أبي الحديد : شرح نهج ، ج١ ، ص٥٠١ .

(٤) نصر بن مزاحم ، صفين ، ص٥٥٤ .

(٥) جمال جودة : العرب والارض ، ص١٧٥ .

(٦) الطبري: تاريخ، ج٤، ص٢٧٩ (سيف)/ ابن الاثير: الكامل، ج٣، ص٥/ النويري: نهاية الأرب، ج١٩، ص٤٣٧-٤٣٨ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٣٢٣ (الشعبي) / ج ٤ ، ص٣٣١ (سيف) / الاصفهاني : الاغاني ، ج٣ ، ص٢٩ / هاني اسعد : العطاء في صدر الاسلام ، رسالة ماجستير ، الجامعة الاردنية ، عمان ١٩٨٥ ، ص١٩٨ .

(٨) الـــبلاذري : فـــتوح ، ص٢٧٦ (الشعبي) / ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٤٩٢ (الشعبي) / كاظم الجنابي : تخطيط مدينة الكوفة ، ص ٧٧ .

أما رادفة مضر وقيس عيلان فلم تكن كبيرة كاليمانية أو ربيعة ، فلقد بقيت ضمن سبعين منذ أيام سعد ، كما أن قسماً من بني أسد الذين وصفهم نصر بن مزاحم انهم ((حي الكوفة بعد همدان))(١) ، تحولوا في خلافة علي الى الرقة لأنهم كانوا عثمانية(٢) .

ومن الهجرات الجماعية نحو الكوفة ، مجيء بطن عتر من ولد معاذ بن الحارث من قبيلة هوازن(٣) ، إلا أن المصـــادر لا تحدد زمن وصولهم . كما روي عن هجرات فردية للكوفة ، فروى أبو مخنف مثلاً أن ابن عمير من بني عليم هاجر وحده للكوفة وكانت داره قرب همدان(٤) . وذكر عن أبي عثمان النهدي أنه لم يسكن أحد من بني بهدلة الكوفة غيره ، ولما قتل الحسين بن علي سنة ٦١هـ ارتحل الى البصرة(٥) . وكان شريح القاضي بن الحارث بن قيس الرائشي الكندي الوحيد الذي نزل الكوفة من بني رائش ، وسائر قومه في هجر وحضرموت(٦) .

نـــتج عن تزايد أعداد الروادف أن ضاقت الخطط القبلية عن استيعاب الأعداد الجديدة خاصة في النصف الثانـــي مـــن القرن الأول الهجري ، لذا أقام بعض الروادف على أطراف المدينة لاستحالة امكانية توسيع الخطــط المحصـــورة بين السكك والأزقة ، فروى سيف أنه لما ((ردفتهم الروادف البداء والثناء وكثروا عليهم ، ضيّق الناس المحال ، فمن كانت رادفته كثيرة شَخَصَ اليهم وترك محلته ، ومن كانت رادفته قليلة انـــزلوهم مـــنازل من شَخَصَ الى رادفته لقلته إذا كانوا جيرانهم والا وسعوا على روادفهم ، ضيّقوا على أنفســـهم))(٧) . ويوضـــح اليعقوبـــي أن روادفاً من تميم وبكر وأسد قدموا الى الكوفة ونزلوا أطرافها ((وتغيّرت الخطط))(٨) .ونظراً لكثرة رادفة تميم فانها تحولت الى طرف الكوفة الى الشمال الغربي من الكناسة ، فبدا أن تجمعها في النصف الثاني من القرن الأول الهجري كان حول الكناسة(٩) كما سنرى في الفصل القادم .

ولقدْ أبقت بعض القبائل البدوية التي انتشرت منازلها ومراعيها حول بادية الكوفة قبل الفتح على صلاتهـــا بالـُـبادية ، لــذا ســكنت أطراف المدينة، ووجدت بعض الأسر التي توزعت سكناها بين البادية والمصر مثل: -

---

(١) نصر بن مزاحم : صفين ، ص٣٥١ . تنسب أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار العدنانية . ولقد سكنت الكوفة منذ سنة ١٩هـ . السمعاني : الأنساب ، ج١ ، ص٩٧ / عمر كحاله : معجم ، ج١ ، ص٢١ .

(٢) نصر بن مزاحم: صفين، ص١٦/ البلاذري، انساب، ج٣، ص٨٠ (قالوا)/ ابن أبي الحديد: شرح نهج، ج١، ص٢٨٨ .

(٣) ابن الكلبي : جمهرة ، ص٣٨٤ .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٤٢٩ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ، ج٧ ، ص٤٩ .

(٦) ابن سعد : الطبقات ، ج٦ ، ص٤٢٨ / وكيع : أخبار القضاة : ج٢ ، ص١٩٨ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٥ (سيف) .

(٨) اليعقوبي : البلدان ، ص٧٠ .

(٩) ابن قتيبة: عيون، ج١، ص٢٢٠ / البلاذري: أنساب، ج١٢، ص١٤١ / الطبري: تاريخ، ج٥، ص٥٠٧ (أبو عبيـــدة).

امرأة شبث بن ربعي التي كانت متبدية بماء لبني عجل قرب الكوفة[١] ، كما كان لفدكي بن أعبد من بني سعد عقب بالبصرة والبادية[٢].

أمـــا فـــيما يـــتعلق بـــتزايد أعداد مقاتلة الكوفة، فلقد روى الشعبي أن الكوفة اختطت على عشرين ألف مقاتل[٣].

ثم ازدادت الأعداد بسبب قدوم روادف جديدة. إذ ذكر الشعبي في أخبار معركة نهاوند أن عدد من شارك فـــيها كـــان ثلاثون ألفاً[٤]، وبما أن مقاتلة البصرة التي شاركت بنسبة الثلث أي عشرة الآف مقاتل ، فإن اعداد مقاتلة الكوفة كان عشرين ألفاً، ولعل في هذا الرقم مبالغة لأنه قد ذكر أن ثلثي مقاتلة الكوفة فقط هم الذيـــن اشـــتركوا فـــي المعـــركة[٥]؛ ومع ذلك فالرواية تشعر بتزايد اعداد مقاتلة الكوفة بعد تمصيرها. وتزايدت اعداد المقاتلة في ولاية الوليد بن عقبة (٢٥-٣٠هـ) ليصل الى أربعين ألف مقاتل[٦]. ويبدو أن هـــذا الرقم بقي ثابتاً حتى نهاية عصر الراشدين وذلك لثبات وارد المدينة بسبب توقف فتوحاتها بعد مقتل الخليفة عثمان سنة ٣٥هـ. إذ كان الناقص يُعوّض دون زيادة في الأعداد.

رُوي أن عـــدد مقاتلـــة الكوفة بلغ في خلافة علي أربعين ألفاً يضاف لهم سبعة عشر ألفاً من الأبناء ممن أدرك القـــتال وثمانـــية الآف مـــن الموالـــي والعبـــيد، مما يعني أن أهل الكوفة كانوا خمساً وستين ألف شخص[٧]. إلا أن مثل هذه الرواية ذكرها أبو مخنف اثناء حديثه عن حركة شبيب بن يزيد الخارجي سنة ٧٧هـ[٨].

واختلفـــت الروايات التي تتحدث عن وقعة صفين في أعداد أهل العراق[٩]، إلا أنه يمكن أن نرجّح رواية الشـــعبي التي تذكر أن عددهم خمسين ألف مقاتل[١٠]، وذلك لأن عدد مقاتلة البصرة في صفين لم يتجاوز ثلاثـــة الآف وخمســـمائة مقاتل، وبالتالي تكون رواية الشعبي أقرب للواقع الذي كانت عليه مقاتلة الكوفة أنذاك .

---

(١) البلاذري : أنساب ، ج١٢ ، ص١٥٦ (ابو اليقظان) .

(٢) ابن دريد : الاشتقاق ، ص٢٥٠ .

(٣) البلاذري : فتوح ، ص٢٧٦ (الشعبي) / ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٤٩١ .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص١٣٦ (الشعبي) .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص١٢٤ / جمال جودة : العرب والأرض ، ص ١٧٦ .

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٤٦ (ابو مخنف) .

(٧) الطـــبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٧٩-٨٠ / مجهول : تاريخ الخلفاء ، ص١٢٢ / مجهول : لامامة والسياسة ، ص١٥١ / ابن الاثير : الكامل ، ج٣ ، ص٢١٧ / النويري : نهاية الأرب ، ج٢٠ ، ص١٧٢ .

(٨) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٢٦٢ (ابو مخنف) .

(٩) روى الشـــعبي (ت١٠٣هـــ) أن مقاتلة أهل العراق كانوا خمسين الف مقاتل. خليفة بن خياط: تاريخ، ص١٩٣/ البلاذري: أنساب، ج٣، ص٩٨ . بينما روى المدائني (ت٢٢٥هـ) أنهم كانوا ما بين ٩٠,٠٠٠-١٠٠,٠٠٠ مقاتل. خليفة بن خياط: تاريخ، ص١٩٣ (المدائني) انظر: نصر بن مزاحم، صفين، ص١٧٥ (عمر بن سعد)/ البلاذري: أنساب، ج٣، ص٩٨/ ابن اعثم: الفتوح، م١، ص٥٦٤ . أمـــا الدينوري (ت٢٨٢هـ) فاشار الى أنهم كانوا ٨٠,٠٠٠ . الأخبار الطوال، ص١٥٦ . اما نصر بن مزاحم (٢١٢هـــ) فأشـــار الـــى أنهـــم ١٥٠,٠٠٠ . صـــفين، ص١٧٤ . وذكـــر في رواية اخرى أنهم ٧٠,٠٠٠ . صفين، ١٥٣/ ابن الوردي: تاريخ، ج٢، ص١٥٠ . اما المسعودي فأشار الى أنهم ١٢٠,٠٠٠ مقاتل . مروج ، ج٢ ، ص٤١٣ .

(١٠) خليفه بن خياط : تاريخ ، ص١٩٣ / البلاذري : أنساب ، ج٣ ، ص٩٨ .

القبائل العربية في العراق (العربي) حتى نهاية العصر الأموي

أ. تزايد الهجرات القبلية للأمصار بعد قيام الدولة الاموية ·

ب. تطور التنظيمات القبلية و توزيع القبائل خلال العصــر الأموي ·

ج. ظهور مدن جديدة ·

أ – تزايد الهجرات القبلية للأمصار بعد قيام الدولة الأموية:-

لقد شهد العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٢م) زيادةً كبيرةً في هجرات القبائل العربية نحو الأمصار في العراق العربي، ففي البصرة التي شكّلت قاعدة الانطلاق للجيوش العربية نحو الشرق، وفدت اليها جماعات جديدة من أبناء القبائل العربية التي نزل بعض أبنائها عند اختطاطها الأمر الذي أدى لمزيد من النمو السكاني.

كان مجال هجرة القبائل العربية نحو الأمصار قد فُتح على مصراعيه منذ بدايات الاستقرار في مصري العراق. فلقد دعت الخلافة في عهد الخلفاء الراشدين الى ترك الأعرابية والتي تعني البقاء في البادية وعدم الخروج الى الأمصار والمشاركة في الجهاد، الى الانضمام الى الأمصار والمشاركة في الفتوح[(١)].

ولقد أكد عمر بن الخطاب على العلاقة بين الهجرة والعطاء قائلاً: ((ومن أسرع الى الهجرة أسرع به العطاء، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء، ولا يلومنَّ رجل الا مناخ راحلته)) [(٢)].

وكان ربط العطاء بالهجرة اضافة لخيرات البلاد المفتوحة وما صاحب عملية الفتح من مزايا اقتصادية دافعاً للكثيرين من الأعراب الى الخروج للأمصار. إلا أنه في ظل الدولة الاموية تناقصت أهمية الديوان من الناحية الاقتصادية ، فلم يعد مقدار العطاء مغرياً، اضافة الى أن مسألة التسجيل بالديوان لم تعد كما كانت من قبل إذ سعت الدولة الى تحديد أعداد المقاتلة والذراري الذين يفرض لهم في الديوان، كما استخدمت الدولة منح العطاء او قطعه أداةً لمقاومة الاضطرابات ضدها.

كما أن تحديد أعداد المقاتلة المسجلين في الديوان كان يخضع لاعتبارين، أولهما: الامكانات الاقتصادية للدولة، وثانيهما: حاجة الدولة للمقاتلة، مما أدى الى عدم إمكانية تسجيل الجميع في الديوان أمام تزايد أعداد السكان وبقاء المورد ثابتاً خاصة في الكوفة[(٣)]. ولذلك لم تعد الهجرة تعني الالتحاق بالديوان، وصارت الأعرابية تعني عدم اللحاق بالأمصار سواء التحق القادم بالديوان أم لمْ يلتحق[(٤)]، ولقد أوجد ضعف الارتباط بين الهجرة وبين التسجيل في الديوان بعض الشكوى من قبل الأعراب في ظل الدولة الأموية، حتى جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) وأعلن استعداده لتسجيل الأعراب المهاجرين الى الأمصار في الديوان ان شاركوا بالفتوح فقال: ((وأما الهجرة فإنا نفتحها لمن هاجر من أعرابي فباع ماشيته وانتقل من دار أعرابيته الى دار الهجرة والى قتــــال عدوّنا فمن فعل ذلك فله أُسوة المهاجرين فيما أفاءه الله عليهــم)) [(٥)]، مما أدى لإقبال كبير من قبل الأعراب للهجرة الى الأمصار.

---

(١) الشيباني ، شرح كتاب السير ، ج١ ، ص٢٠ / جمال جودة ، العرب والأرض ، ص٢٢٩ .

(٢) أبو عبيد، الأموال، ص٣١٢ (عبد الله بن صالح) / البيهقي: السنن الكبرى، ج٦، ص٣٤٩ (سعيد بن يزيد)/ عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص٨٠ .

(٣) جمال جودة : العرب والأرض، ص٢٠٩ .

(٤) الشيباني ، شرح كتاب السير ، ج١ ، ص٩٥ .

(٥) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٩٥ .

ترد أول اشارة في المصادر التاريخية عن أعداد سكان البصرة في اوائل العصر الأموي في خلافة معاوية ابن أبي سفيان (٤١-٦١هـ/٦٦١-٦٨١م) وتحديداً في ولاية عامله على البصرة زياد بن أبيه (٤٥-٥٣ هـ/٦٦٥-٦٧٢م) [(١)]، وتختلف الروايات في الأعداد التي كانت عليها أعداد المقاتلة والذرية إلا أنها جميعا تظهر الارتفاع الكبير الذي شهدته البصرة في أعداد سكانها.

فلقد روى المدائني (ت٢٢٥هـ) ((كانت المقاتلة بالبصرة حين قدوم زياد أربعين ألفاً فبلغ بهم ثمانين ألفاً. وكانت الذرية ثمانين ألفاً فبلغ بهم عشرين ومائة، ويقال أن ابنه فعل ذلك))[(٢)] في حين ذكر صاحب الامامة والسياسة أن عدد مقاتلة البصرة في أواخر خلافة علي بلغ ستين ألفاً[(٣)]. ومما يشعر بذلك ما رواه الشعبي (ت ١٠٣هـ) أن عدد مقاتلة العراق بلغ في ولاية زياد بن أبيه مائة ألف مقاتل، منهم أربعون الف مقاتل في الكوفة[(٤)]. ومما يؤكد أن أهل العراق بلغوا مائة ألف مقاتل في أوائل العصر الأموي ما قاله معاوية بن أبي سفيان وقد حضرته الوفاة يوصي ولده يزيد من بعده بقوله ((وانظر الى أهل العراق فإن سألوك عزل عامل في كل يوم فأعزله عنهم، فإن عزل عامل في كل يوم أهون عليك من سلٍّ مائة ألف سيف ثم لا تدري علامَ انت عليه منهم)) [(٥)]. ومما يدل على اتساع البصرة وكثرة سكانها أنذاك ما قاله زياد من أن ((أهل الكوفة اكثر طعاماً وأهل البصرة أكثرهم داراً)) [(٦)].

من المتعذر قبول رواية صاحب الامامة والسياسة وذلك لأن فتوح البصرة توقفت منذ أواخر خلافةِ عثمان وبالتالي لا يمكن أن تصل عدد مقاتلتها لهذا العدد الكبير في خلافة علي بن أبي طالب.

ويمكننا أن نرجح أن زياد بن أبيه تولى البصرة وعدد مقاتلتها ٤٠ر٠٠٠ فبلغ بهم ٨٠ر٠٠٠ مقاتل ويؤكد ذلك ما نقله الجاحظ (ت٢٥٥هـ) عن حديث عبيد الله بن زياد[(٧)] بعد وفاة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٤هـ/٦٨٣م لأهل البصرة ((والله لقد وليكمْ أبي وما مقاتلتكم الا أربعون ألفاً فبلغ بهم ثمانين الفاً وما ذريتكم الا ثمانون الفاً وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف)) [(٨)].

---

(١) زياد بن أبيه: هو زياد بن أبي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس، وامه سميّه جارية الحارث بن كلده الثقفي، ولي البصرة لمعاوية حين ادّعاه ثم ضم اليه الكوفة، وتوفي في الكوفة في خلافة معاوية بن ابي سفيان سنة ٥٣هـ. ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص٥٠ .

(٢) البلاذري: أنساب، ج٥، ص٢٢٩ (المدائني) . انظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص١٣٠/ البلاذري: فتوح، ص٣٤٥/ ابن الفقيه: البلدان، ص٢٠٣ / ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص٧ / ياقوت: معجم، ج١، ص٤٣٤ .

(٣) مجهول: الامامة والسياسة، ص١٥٠-١٥١ .

(٤) الطبري: تاريخ ، ج٥ ، ص٧٩ (الشعبي) / مجهول : تاريخ الخلفاء ، ص١٢٢ .

(٥) الجاحظ: البيان، ج٢، ص١٣١ / الطبري، ج٥، ص٣٢٣ (عوانه بن الحكم)/ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص١٣٥/ ابن الطقطقي: الفخري، ص١١٥ .

(٦) ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٠٣ .

(٧) عبيدالله بن زياد بن ابيه، ولد في البصرة، ولاه معاوية بن أبي سفيان خراسان سنة ٥٣هـ ثم ولاه العراق سنة ٥٥هـ، توفي سنة ٦٧هـ . ابن قتيبة : المعارف ، ص١٩٥ / خير الدين الزركلي ، الاعلام ، ج٤ ، ص١٩٣ .

(٨) الجاحظ : البيان ، ج٢ ، ص١٣٠ .

و يبدو أن هذه الأعداد بقيت ثابتة بعد ولاية زياد بن أبيه وحتى في أثناء ولاية إبنه عبيد الله على العراق (٥٥-٦٤هـ/٦٧٤-٦٨٣م) وربما هذا ما يفسّر تردد المدائني في روايته السابقة التي ذكر فيها ازدياد أعداد أهل البصرة ولم يثبت في أي ولاية كانت هذه الأعداد، هل في ولاية زياد أم في ولاية ابنه عبيدالله.
ولقد ورد في بعض المصادر عدد من الاشارات التي تذكر اعداد أهل البصرة في ولاية عبيدالله بن زياد، فلقد روى وهب بن جرير البصري (ت٢٠٦هـ) روايةً عن شهرك ذكر فيها أن عدد مقاتلة البصرة قبل تولّي عبيدالله ولايتها أربعون ألفا وعدد الذراري سبعون الفاً، فبلغ عبيدالله بأعداد المقاتلة ثمانين ألفاً وفي أعداد الذراري مائة وعشرين الفاً[١]. اما عمر بن شبّه (ت٢٦٢هـ) فيروي باسناده عن شهرك أن عدد مقاتلة البصرة قبل تولي عبيدالله كان سبعون الفاً، بلغ بهم ثمانين ألفاً[٢]. ويبدو أن مثل هذا الاختلاف في الأعداد المروية عن شهرك نتجت عن خطأ لدى النسّاخ أو لدى أحد الرواة الذين نقلوا عنه، فمن غير المعقول أن يذكر شهرك اعداداً متباينة لهذه الدرجة لنفس الحدث.
وذكر عمر بن شبّه أن ديوان العيالات سُجّل فيه تسعون الفاً وأصبح في أيام عبيدالله مائة وأربعين الفاً[٣].
أما أبو عبيده (ت٢٠٩هـ) فذكر أن عبيدالله بن زياد رفع أعداد المقاتلة في البصرة من أربعين ألفاً الى ثمانين ألفاً، وزاد عدد الذراري من سبعين ألفاً الى مائة وأربعين ألفاً[٤]. بينما جاء لدى ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) أن عدد المقاتلة ارتفع من سبعين الفاً الى مائة الف مقاتل[٥].
يبدو من هذه الروايات اتفاق معظمها على أن الزيادة الحاصلة في اعداد مقاتلة وذراري البصرة إنما حصلت في عهد ولاية عبيدالله بن زياد.
كما أورد الوليد بن هشام القحذمي نقلاً عن جده قحذم الذي عاش حتى بعد خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٨هـ وكان عاملاً للوالي يوسف بن عمر الثقفي (١٢٠-١٢٦هـ) على ديوان الجند أن عدد المقاتلة بلغ زمن زياد ثمانين الفاً وبلغ عدد الذراري مائة وعشرين الفاً[٦]. وهو بذلك يتفق تماماً مع رواية الجاحظ السابقة. ويمكننا التوفيق بين هذه الروايات بالقول: أن أعداد المقاتلة والذراري في عهد ولاية زياد بن أبيه استمر ثابتاً في عهد ولاية ابنه عبيد الله. ولا بدّ من الإشارة الى أن هذه الأعداد كانت تشمل المسجلين فقط في الديوان، وإن أضفنا الأعداد التي لم تسجّل وبالتالي لم تذكر في الروايات، فإن عدد أهل البصرة سيكون

---

(١) البلاذري: انساب، ج٦، ص٢٩ (وهب بن جرير) / هاني اسعد: العطاء في صدر الاسلام، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، ١٩٨٥، ص١٠٣ .
(٢) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥٠٤ (عمر بن شبه) / ابن الاثير : الكامل ، ج٣ ، ص٤٦٨ .
(٣) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥٠٤ (عمر بن شبه) / ابن الاثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٤٦٨ .
(٤) أبو عبيده : النقائض ، ج٣ ، ص٨٤٥ .
(٥) ابن الاثير : الكامل ، ج٣ ، ص٤٦٨ .
(٦) البلاذري: فتوح، ص٣٤٤-٣٤٥(الوليد بن هشام) / ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص٧ (العتبي) / ياقوت: معجم، ج١، ص٤٣٤ (الوليد بن هشام) .

أكثر بكثير من أعداد المسجّلين حتى ذكر بعض الباحثين أن عددهم يصل الى قرابة النصف مليون شخص(١) بشكل عام.

ويفترض تزايد أعداد أهل البصرة رغم صعوبة تقدير هذا التزايد لافتقارنا الى المعلومات حول هذا الموضــوع، خاصة في أواخر الدولة الاموية، إلا أنه توجد اشارة بأن طاعوناً جارفاً أصاب البصرة في خلافة الوليد بن عبد الملك وتحديداً في سنة ٨٧هـ/٧٠٦م أدى لوفاة ثلاثمائة ألف انسان خلال ثلاثة أيام(٢).

ورغم المبالغة الواضحة في الأعداد إلا أنها تدل على ضخامة عدد أهل البصرة في هذه الفترة.

كما يرد تفصيل لأعداد القبائل العربية التي سكنت خراسان(٣) في أواخر القرن الأول الهجري والتي في معظمها جاءت من البصرة، لأن خراسان من فتوح أهل البصرة، تعكس بذلك التزايد في أعداد أبناء القبائل الذين يسكنون البصرة اصلاً وخرج منهم جماعات الى خراسان بأعداد كثيرة مما يدل على كثرة قبائلهم أساساً في البصرة.

فلقد رُوي في سنة ٩٦هـ/٧١٥م عن وجود عشرة الآف مقاتل من قبيلة تميم في خراسان وتسعة الآف مقاتل من أهل العالية وسبعة الآف من قبيلة بكر بن وائل وأربعة الآف من قبيلة عبد القيس وعشرة الآف من قبيلة الأزد(٤) سكن هؤلاء جميعاً خراسان، ولعل كثرة أعداد كل قبيلة من هؤلاء تعكس الكثرة العددية لنفس القبائل التي بقيت في البصرة ولم تهاجر الى خراسان.

لقد طرأ في العصر الأموي تزايد في أعداد أبناء القبائل العربية التي سكنت البصرة منذ بداية إنشائها إما بقدوم أعداد جديدة من روادف العشائر والقبائل المقيمة منذ البداية، أو بمجيء روادف من عشائر وقبائل جديدة لم تكن قد سكنت البصرة من قبل.

كانت قبيلة تميم من أكبر القبائل العربية في البصرة وأكثرها عدداً في العصر الأموي(٥)، فلقد روى أبو عبيدة (ت٢٠٩هـ) أن مقاتلتها بلغت في أواخر خلافة يزيد بن معاوية (٤١-٦١هـ) عشرين ألف مقاتل(٦).

---

(١) ثابت الراوي : العراق في العصر الاموي ، ص٣٥ / صالح العلي : امتداد العرب ، ص٢٦ .

(٢) القضاعي : عيون المعارف ، ص١٦٩ / مجهول : العيون والحدائق ، ج٣ ، ص٩ . وأورد ابن كثير أن ذلك كان في سنة ٦٥هـ وقيل سنة ٦٩هـ أي في خلافة عبد الملك بن مروان . البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٢٤٨ .

(٣) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند، وتشمل عدداً من المدن مثل نيسابور ، هراة، مرو التي كانت قصبة لخراسان ، بلخ ، طالقان ، نسا ، ابيورد وغيرها. انظر: ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص٣٥٠-٣٥١ .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٥١٢ / ابن اعثم : الفتوح ، م٤ ، ص١٩٩ / ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص٢٩٥-٢٩٦ / ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ، ج١، ص٣١٠ / النويري : نهاية الأرب ج٢١ ، ص٣٤٠ / ماسينيون: خطط البصرة، ص١٦ .

(٥) المبرد : الكامل ، ج١ ، ص١٢٥ / ابن أبي الحديد : شرح نهج ، ج٣ ، ٤٢٩ .

Al-Naboodah, Eastern Arabia in the Sixth and Seventh centuries, P.244 .

(٦) البلاذري : أنساب ، ج٦ ، ص٢٤ (أبو عبيدة) .

وتُعتبر قبيلة تميم من أوائل القبائل التي سكنت البصرة بعد إنشائها، ويرد في العديد من المصادر إشارات لذكر عدد من بطونها وعشائرها التي نزلت في البصرة لكنها لا تحدد مكان نزولها وخططها تحديداً دقيقاً. و من بين عشائر تميم التي سكنت البصرة: بنو العنبر(١)، بنو غدانة(٢)، بنو مجاشع(٣)، بنو عمرو بن تميم(٤)، بنو مازن(٥)، كما وجدت لضبّة وهي من أبناء عمومة تميم خطة في البصرة(٦).

يبدو أن خطط عشائر تميم كانت تمتد في البصرة من طرف الجبانة في جنوب المربد عبر سكة المربد لتصل الى نواحي المسجد الجامع حيث رحبة بني تميم، ولعل ما يشير الى ذلك الروايات التي تتحدث عن اضطراب أحوال البصرة بعد وفاة يزيد بن معاوية ودخول رئيس قبيلة الأزد مسعود العتكي عبر خطط تميم إذ روي أنه ((دخل سكة بني العدوية من قبل الجبان .. فأقبل حتى اذا كان عند مسجد بني قيس في سكة المربد)) (٧).

وبما أن الأساورة والسيابجة يدخلون في عداد تميم للولاء الذي يربط بينهم، وقد نزلوا في خطة لهم تمتد عبر نهر الفيض ونهر الأساورة الذي يأخذ من عند دار فيل – مولى زياد بن أبيه – لذا ربما امتدت خطط تميم الى هناك ايضاً(٨).

ولعل ما يؤكد كثرة أعداد تميم في العصر الأموي، أن عدد مقاتلتها في خراسان في أواخر القرن الأول الهجري بلغ عشرة الآف، ولقد قال في ذلك الحضين بن المنذر الذهلي للقبائل في خراسان ((قد عرفتم أن بني تميم أعدُّ أهل خراسان رجلاً عربياً)) (٩). وبما أن خراسان من فتوح البصرة، فإن كثرة تميم في خراسان يعني كثرتها ايضاً في البصرة.

أما بالنسبة لقبيلة الأزد فيبدو أن روادفها قدمت البصرة في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦١هـ) و أوائل خلافة ولده يزيد (٦١-٦٤هـ)، فلقد روى أبو عبيدة (ت٢٠٩هـ) ((أن مضر كانت تكثر ربيعة بالبصرة، وكانت جماعة الأزد آخر من نزل البصرة ..أقامت جماعة الأزد ولم يتحولوا ثم لحقوا بعد ذلك بالبصرة في آخر خلافة معاوية وأول خلافة يزيد)) (١٠).

---

(١) ابن سعد : الطبقات ، ج٧ ، ص١٥١ .

(٢) ابن دريد : الاشتقاق ، ص٢٣٠ .

(٣) البلاذري : أنساب ، ج٧ ، ص٢٨٧ (قالوا) / الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٩٨ .

(٤) البلاذري : أنساب ، ج٦ ، ص٢٥ .

(٥) خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١٨٢ (المدائني) .

(٦) البلاذري : أنساب ، ج٥ ، ص٢٣٤ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥١٨ (أبو عبيدة) / صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص٨٩ .

(٨) صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص٨٩ .

(٩) أبو عبيدة: النقائض، ج٢، ص٥٢٩ / الطبري: تاريخ، ج٦، ص٥١١ / ابن اعثم: الفتوح، م٤، ص١٩٧ / ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٩٥ / ابن خلدون: تاريخ ، ج٥ ، ص١٤٩-١٥٠ .

(١٠) أبو عبيدة : النقائض ، ج٣ ، ص٨٥٢ / الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥١٧ (أبو عبيدة) .

ويبدو أن الموجة الأزدية الجديدة كانت من أزد عُمان الذين قدموا من جنوب شرق شبه الجزيرة العربية بقيادة مسعود بن عمرو العتكي سنة ٦٠هـ[١]. بينما كان أزد السراة أسبق في الهجرة منهم، إذ ذُكروا في أخبار فتوح البصرة في خلافة عثمان بن عفان، و في أحداث الجمل وصفين في خلافة علي بن أبي طالب[٢].

ولعل ما قام به الخليفة معاوية بن أبي سفيان من ضمّ عُمان والبحرين الى البصرة إدارياً سنة ٤٥هـ قد ساهم بتعزيز وجود قبائل تلك المناطق في البصرة ومنها قبيلة الأزد[٣].

وقد أورد الحازمي (ت٥٨٤هـ) أسماء عدد من عشائر الأزد التي نزل عامتها البصرة دون غيرها من الأمصار ومن هؤلاء: العتيك الذين نزلوا البصرة قبل قيام الدولة الاموية، وقد برز عدد من رجالاتها من خلال خدماتهم الجليلة التي قدّموها للدولة الأموية وكان من أبرزهم آل المهلب بن أبي صُفرة[٤]. ولقد تزعّمت هذه العشيرة الأزد في البصرة وبلغت أوج مجدها في ظل الدولة الأموية.

كما ورد في العصر الاموي ذكر عشائر بني راسب وبني علي بن سَوْد وهما من الأزد ذكرتا لأول مرة عند الحديث عن حركة قريب وزحّاف الخارجيان سنة ٥٣هـ[٥]. ويتضح من رواية مجيء ابراهيم ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الى البصرة الذي خرج على أبي جعفر المنصور سنة ١٤٤هـ أن بني راسب كانوا ينزلون قرب خطط أهل العالية وخاصةً بنو عقيل[٦]. وتذكر في البصرة ايضاً عشيرة المعاول الذين وجد لهم مسجد خاص بهم في البصرة[٧].

ونجد ذكراً لعشيرة الجهاضم الأزدية لأول مرة عندما هرب عبيدالله بن زياد من دار الامارة بعد اضطراب أحوال البصرة إثر وفاة الخليفة يزيد بن معاوية ٦٤هـ، فاختبأ في دار حارث بن قيس بن صهبان وهو من الجهاضم بن جذيمة بن مالك بن فهم[٨]. ولا تبيّن لنا الروايات أي إشارة حول موقع نزول هذه العشائر التي يبدو أنها كانت متقاربة في مساكنها. كما وجد امتداد لمساكن الأزد في الجهة الجنوبية الغربية من البصرة وخاصةً حول المربد[٩].

---

(١) فلهاوزن : تاريخ الدولة ، ص٢١٨ / شارل بلات : الجاحظ ، ص٥٤ .

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ، ص١٨٦ (وهب بن جرير) / البلاذري: أنساب، ج٦، ص٢٥ / الدينوري: الأخبار، ص١٣٨ / الطبري: تاريخ، ج٥، ص١١٠ (عمر بن شبه) / اليزيدي: الامالي، ص٩١ / ابن دريد: الاشتقاق، ص٥١١ / صالح العلي: التنظيمات، ص٤٢ / Al-Naboodah, Eastern Arabia, P.247 .

(٣) الطبري: تاريخ، ج٥، ص٢١٧ (عمر بن شبه) / البكري: معجم، ج١، ص٨١ / صالح العلي: التنظيمات، ص٤٠٢ / خطط البصرة ومنطقتها، ص٤٧ .

(٤) المهلب بن أبي صفرة العتكي: واسم أبي صفرة ظالم بن سراق، أدرك المهلب عمر بن الخطاب ولم يروِ عنه شيئاً، وولي خراسان ومات في مرو الروذ سنة ٨٣هـ. ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص٦٦ / خليفة بن خياط: تاريخ، ص٢٠٥-٢٠٦ .

(٥) خليفة بن خياط : تاريخ ، ص٢٢٠ (وهب بن جرير) / الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٢٣٨ (عمر بن شبه) .

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٧ ، ص٥٢١ / صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص١٠٠ .

(٧) خليفة بن خياط : تاريخ ، ص٢٢٠ (وهب بن جرير) .

(٨) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص١٠ (أبو عبيدة) .

(٩) ابن أعثم : الفتوح ، م:٤ ، ص٩٧ / احمد زكي : الحياة الأدبية في البصرة ، ص٧٧ .

ولعل ما يدل على تزايد أعداد الأزد في العصر الأموي أن المهلب بن أبي صفرة لما أراد الخروج لحرب الخوارج في ولاية بشر بن مروان على البصرة ٧٢هـ، خرج معه عشرة الآف من مقاتلة الأزد وحدها ومواليهم ، وانضمّ لهم ثمانية الآفٍ من أخلاط القبائل العربية الأُخرى[١]. ومن أخماس البصرة: أهل العالية وهم مجموعة من عشائر الحجاز نزلت البصرة منذ بدايات اختطاطها حيث سكنوا في أطراف المسجد الجامع في الجهة الجنوبية الشرقية منه[٢].

ومن أبرز عشائر أهل العالية: بنو سليم الذين نزلوا منذ بدايات انشاء المدينة، ويظهر أنهم مدّوا خطتهم في ولاية زياد بن أبيه الى المسجد الجامع، فلقد ذكر ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) أن الحجاج بن عتيك السلمي ولي حائط المسجد مما يلي بني سليم في ولاية زياد بن أبيه[٣]، وذكر وكيع صاحب كتاب أخبار القضاة (ت٣٠٦هـ) أن لسليم رحبة قرب المسجد كان الحسن البصري يعقد فيها مجلس القضاء[٤].

ويبدو أن خطة سليم امتدت نحو خطط بكر بن وائل، إذ ذكر خليفة بن خياط أن مجاشع بن مسعود السلمي دُفن في داره في بني سليم في حضرة بني سدوس[٥]. مما يُشعر بتقارب خطة سليم لخطة سدوس من بكر ابن وائل.

ومن أهل العالية يُذكر بنو عقيل التي كانت خطتهم بين منازل بني راسب والطفاوة، فلقد روي أن ابراهيم ابن عبدالله بن الحسن لما ثار على الخليفة المنصور كان ((نازلاً في بني راسب .. فخرج من داره في جماعة من أصحابه .. فمرّوا على جُفرة بني عقيل حتى خرجوا على الطفاوة ... حتى دخلوا دار أبي مروان في مقبرة بني يشكر))[٦]. ويظهر أن بني عقيل جاوروا سدوساً ايضاً، فلقد ذكر أبو الفرج الاصفهاني (ت٣٥٦هـ) أن منزل بشار بن برد كان مجاوراً لبني عقيل وسدوس وهما في الأطراف الشمالية الشرقية من المسجد الجامع[٧] . أما باهلة فنزلت قرب مقبرة بني سهم[٨]، في حين كانت مزينة بجانب خطة هَدّاد الأزديـــة[٩].

و تذكر في أخبار هروب عبيدالله بن زياد من البصرة سنة ٦٤هـ أنه عند محاولته الخروج الى منازل الأزد مرّ بمنازل ناجية و طاحية و هما من أهل العالية؛ حتى وصل لمنازل العتيك من الأزد، و لما كانت خطـــط الأزد في الجـــهة الجنوبية الشـــرقية من المســـجد، فإن منازل بنو ناجية وبنو طاحية تقع

---

(١) ابن اعثم : الفتوح : م٣ ، ص٤٢٢ / المرعشي : غرر السير ، ص٢٦ .

(٢) صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص٨٢ .

(٣) ابن حجر : الاصابة ، ج٢ ، ص٢٩ (عمر بن شبه) .

(٤) وكيع : اخبار القضاة : ج٢ ، ص١٤ .

(٥) خليفة بن خياط : الطبقات ، ص٤٩ .

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٧ ، ص٦٢٨ / صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص٨٣ .

(٧) الأصفهاني : الأغاني ، ج٣ ، ص٥٣ .

(٨) ابن سعد : الطبقات ، ج٧ ، ص١٤١ .

(٩) هداد بن زيد مناة بن الحجر بن عمران بن عمرو مزيقياء بن مران بن ماء السماء الأزدية القحطانية. انظر ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج٢، ص٤٧٠ / عمر رضا كحاله: معجم القبائل، ج٣، ص١٢١٠ /
Werner Caskel, Gamharat An-Nasab, Band 1, P.206

جنوب منازل الأزد[١].

أما بنو عدي بن كعب فيذكر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) أن زياداً بن ابيه بنى مسجدا لهم في البصرة كان أقرب المساجد القبلية للمسجد الجامع[٢]، مما يشعر بأن منازلهم كانت قريبة من المسجد الجامع. وروي عن وجود محلة لبني ناجية بن سامة بن لؤي في البصرة[٣]. ومن كنانة ترد عشائر بنو فراس[٤] والدئل[٥].

ومن القبائل العربية التي نزلت البصرة منذ تأسيسها كانت قبيلة بكر بن وائل التي كان نزولها في البداية بأعداد كبيرة كما هو الحال مع قبيلة تميم وذلك لقرب منازلهما ومراعيهما من المنطقة[٦].

وروى أبو عبيدة عن حلف عقد بين عشائر بكر بن وائل في عهد ولاية زياد بن أبيه ضمَّ ثماني عشائر هي: اللهازم وهم: قيس بن ثعلبة، عنزة، تيّم اللات، عجل والبطون وهم: ذهل بن شيبان، يشكر، ذهل بن ثعلبة، ضبيعة، ثم أُضيفت لهم حنيفة[٧].

وجاء في بعض المصادر ذكر لعدد من عشائر بكر بن وائل في البصرة مثل: ذهل، رقاش، زمّان، سدوس، شيبان[٨]. ومن العشائر التي جاء ذكرها في العصر الأموي: بنو جَحْدر وهم من بني شيبان إذ ذكر الطبري ((كان منزل مالك بن مسمع الجَحدري في الباطنة عند باب عبدالله الإصبهاني في خُطّ بني جَحدر الذي عند مسجد الجامع)) [٩].

ومن القبائل العربية التي نزلت البصرة عبد القيس في أواخر عصر الخلفاء الراشدين، وتندر المعلومات حول عشائرها ومنازلها مما يشعر بقلة أعدادها. ويظهر أنهم نزلوا قرب نهر معقل؛ فلقد ذكر البلاذري أن المنذر بن الجارود العبدي اقترح على الخليفة معاوية بحفر نهر لأهل البصرة سمي بنهر معقل[١٠]، كما أن المثنى بن مخرّبة العبدي لما خرج ثائراً سنة ٦٦هـ مع الشيعة حاصر دار الرزق[١١]، مما يعني أن خطط عبد القيس امتدت في الأطراف الشمالية الشرقية من البصرة عند نهر معقل ودار الرزق[١٢].

---

(١) البلاذري: أنساب، ج٦ ، ص٣١-٣٢ (وهب بن جرير) / الطبري: تاريخ، ج٥، ص٥١٠-٥١١ (عمر بن شبه) / صالح العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص٨٣ .

(٢) البلاذري : أنساب ، ج٥ ، ص٢٣٩ (قالوا) .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٥٠ .

(٤) ابن قتيبة : المعارف ، ص٤٠ .

(٥) ابن قتيبة : المعارف ، ص٤٠ .

(٦) ولعل هذا ما قصده أبو عبيده لما ذكر أن مضراً كانت تزيد عن ربيعة ابتداءاً . أبو عبيدة: النقائض، ج٣، ص٨٥٢ / الطبري: تاريخ، ج٥، ص٥١٦ (أبو عبيدة) / جمال جودة : العرب والارض ، ص١٦٠ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥١٥ (أبو عبيدة) .

(٨) الحازمي: عجالة المبتدى ، ص ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٩ .

(٩) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥١٤ (أبو عبيدة) .

(١٠)البلاذري : فتوح ، ص٣٥٢ (المدائني والقحذمي) / ياقوت / معجم ، ج٥ ، ص٣٢٤ .

(١١)الطبري تاريخ ، ج٦ ، ص٦٧ .

(١٢)صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص٩٦ .

ولقد ورد لدى الطبري اشارة في أحداث سنة ٦٤هـ عن وجود جماعات من قبيلة طيء سكنت البصرة[١].

ولقد ذكر محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) عدداً من الأشخاص من قبيلة طيء اشتهروا برواية الحديث الشريف وكانوا يسكنون البصرة في العهد الأموي[٢]. إلا أن استقرار طيء في البصرة كان محدوداً، ولا تساعدنا حجم معلوماتنا الضئيلة في توضيح حجم هذا الاستقرار وكيفيته.

يذكر ابن أعثم (ت ٣١٤هـ) اشارة لاستقرار جماعات من قبائل كندة ومذحج في البصرة دون تحديد أماكن نزولها او حتى زمن وصولها[٣].

وهكذا يبدو وجود اشارات مبعثرة لعدد من العشائر التي سكنت البصرة في ثنايا الأخبار التي تتحدث عن حركات المعارضة السياسية والعسكرية التي كانت تجتاح البصرة في العهد الأموي دون إبراز مواضعها وحجم استقرارها. إلا أنه يبدو من بعض الأخبار أن تزايد الهجرات لبعض القبائل قد أدى لوجود أكثر من خطة لبعض العشائر مثل: سليم، بنو عقيل من أهل العالية، تميم، الأزد ... ويوضّح ابن سعد أحد الأمثلة عندما ذكر أن بني زياد بن شمس وهم من ولد عمرو بن نصر بن الأزد كان لهم أربع خطط في البصرة، منها خطة تحاذي بنانة وهي من أهل العالية في الباطنة، وخطة ثانية تحاذي بني غُبر من ربيعة، وخطة ثالثة تحاذي هَدّاد من الأزد وخطة رابعة في الخريبة[٤].

ويظهر لنا بالنظر الى خارطة توزيع القبائل العربية في البصرة في العهد الأموي أن معظم القبائل العربية تركّزت منازلها باتجاه البادية وذلك لكونها منطقة متصلة بعيدة عن الموانع الطبيعية التي تعرقل الامتداد البشري، كما أن البصرة خلت من وجود سور يحيط بها حتى سنة ١٥٣هـ عندما بنى أبو جعفر المنصور سوراً للمدينة[٥].

أما مدينة الكوفة فقد شهدت تزايداً في أعداد روادف القبائل العربية القادمة إليها في العصر الأموي مما ساهم في تكوينها كمدينة كاملة، ولعل ما شهده العراق العربي من تزايد أعداد سكانه في العهد الأموي قد مهّد لأن يكون العراق مقراً للخلافة العربية الاسلامية في العهد العباسي[٦].

ترد أولى الاشارات حول تزايد أعداد أهل الكوفة في العصر الأموي منذ ولاية زياد بن أبيه على الكوفة (٥٠-٥٣هـ) إذ بلغ عدد مقاتلة الكوفة ستين ألف مقاتل، وبلغ عدد الذرية ثمانين ألفاً[٧].

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥١٦ (أبو عبيدة) .

(٢) البخاري : التاريخ الكبير ، ق١ ، ج١ ، ص١٩٧ / ق٢ ،ج١ ، ص٢١٦-٢١٧ / ج٣ ، ص٥٢٦ .

(٣) ابن اعثم : الفتوح ، م٣ ، ص٣١٧-٣١٨ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، ج٧ ، ص١٢٤ / صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص٥٢ .

(٥) صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص٥٧-٥٨ .

(٦) هشام جعيط : الكوفة ، ص٢٨١ .

(٧) البلاذري: أنساب، ج٥، ص٢٢٨ (المدائني) / فتوح البلدان، ص٣٤٥ . / ابن الفقيه: البلدان، ص٢٠٣ / ابن عبد ربه: العقد الفريد: ج٤، ص٧ / ياقوت: معجم، ج١، ص٤٣٤ / ثابت الراوي: العراق في العصر الأموي، ص١٤١ / هشام جعيط: الكوفة، ص٢٨٠ .

ولعل ما يثبت هذه الأعداد ما ذكره ياقوت عندما ذكر أن زياداً بن أبيه زاد في مسجد الكوفة ليتّسع لعشرين الفاً آخرين[١]، مع العلم أن عدد مقاتلة الكوفة في أواخر عصر الراشدين بلغ أربعين الفاً[٢].
وبذلك بلغ عدد سكان الكوفة في ولاية زياد بن أبيه مائةً وأربعين ألف نسمة، وهؤلاء ممن كانوا مسجّلين في الديوان فقط، فإن أضفنا لهم أعداد الموالي والعبيد من الرجال والنساء والذرية، والأفراد غير المسجّلين في الديوان، فإن العدد سيكون أعلى بكثير[٣].
إن قارنّا هذه الأعداد بما يماثلها في البصرة ضمن نفس الفترة الزمنية فإنه يتبين لنا أن الاعداد في البصرة كانت أكبر، وربما يعود سبب ذلك لاتساع فتوح البصرة مما جعلها تستقطب أعداداً أكثر من مدينة الكوفة التي توقفت فتوحاتها أنذاك وبالتالي تناقص عدد المهاجرين اليها.
يبدو أن الاعداد التي ذكرت سابقاً قد شملت أيضاً الأعداد التي نقلها زياد الى خراسان سنة ٥١هـ/٦٧١م والتي جاء في بعض الروايات أنها كانت خمسين ألفاً من كلا المصرين[٤]. ولعل هذا قد ساهم في خفض أعداد المقاتلة في كلا المصرين، فلقد روي أن عدد المقاتلة المسجّلين في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥-٩٥هـ) بلغ أربعين ألف مقاتل فقط[٥].
ثم تحجم المصادر عن ذكر أي إشارة لأعداد أهل الكوفة بعد ولاية زياد إلا أنه يبدو أن النمو السكاني فيها كان مستقرا الى حدٍ ما في أواخر القرن الأول الهجري خاصةً بعد بناء مدينة واسط التي انتقل اليها جماعات من أهل المصرين، اضافةً لاتجاه عدد من أفراد القبائل العربية الذين شاركوا بفتح المشرق الى الاستقرار في حواضره خارج العراق العربي[٦].
روى أبو مخنف (ت١٥٧هـ) أن الشيعة في الكوفة أرسلت الى زيد بن علي سنة ١٢٢هـ يقولون له ((أين تذهب عنّا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة يضربون دونك بأسيافهم))[٧]، يبدو أن مثل هذه الرواية جاءت مبالغة في ذكر أعداد أهل الكوفة، كما أن هذا الرقم يتردد في مناسبات كثيرة منذ خلافة عمر بن الخطاب عندما عزل عمار بن ياسر عن ولاية الكوفة ٢٢هـ[٨].
والحقيقة أنه لم يصل حجم عدد مقاتلة الكوفة لمثل هذا العدد طوال العصر الأموي، ومما يعزّز ضعف هذه

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٩١ .
(٢) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٧٩-٨٠ / مجهول : تاريخ الخلفاء ، ص١٢٢ .
(٣) صالح العلي : امتداد العرب ، ص٢٥ .
(٤) البلاذري: فتوح، ص٤٠٠ / الطبري: تاريخ، ج٥، ص٢٨٦ (عمر بن شبه) / ابن الاثير: الكامل، ج٤، ص٢٩٥-٢٩٦/ صالح العلي: امتداد العرب، ص٥٠ .
(٥) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٢٦٢ (أبو مخنف) / ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٩ ، ص١٩ .
(٦) هشام جعيط : الكوفة ، ص٢٨١ .
(٧) الطبري: تاريخ، ج٧، ص١٦٦ (أبو مخنف) / ابن اعثم: الفتوح، م:٢، ص٣١٥ / ابن الجوزي: المنتظم، ج٤، ص٢٠٩/ ابن الطقطقي : الفخري، ص١٣١ .
(٨) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص١٦٥ (سيف) .

الرواية وعدم دقتها ما ذكره أبو عبيدة (ت٢٠٩هـ) من أن الشيعة أرسلت لزيد بن علي تقول ((نحن أربعون الفاً، ان رجعت الكوفة لم يتخلّف عنك أحد)) [١].

أما المرعشي (ت٤٢١هـ) فذكر أنهم كانوا خمسين الفاً[٢]. ومما يعزز أن أعداد المقاتلة المسجلين في ديوان الكوفة لم يكن كبيراً في نهاية العصر الأموي ما ذُكر عند الحديث عن محاصرة الخوارج لعبداالله بن عمر بن عبد العزيز في واسط، إذ كان عدد مقاتلة الكوفة ثمانية الآف فقط[٣].

لقد بقيت قبائل مذحج[٤] وهمدان[٥] من أكبر القبائل العربية في الكوفة وأكثرها عدداً في العهد الأموي. ويشير لذلك ماقاله محمد بن الاشعث لعبيدالله بن زياد لما ذكر له كرهه لعداوة مذحج وذلك لأنهم ((أعزُّ أهل المصـــر، وعدد أهل اليمن)) [٦].

كما عبّر الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) عندما قدمت القبائل الكوفية لمبايعته بعد قضائه على مصعب بن الزبير سنة ٧٢هـ عن قوة وعظم همدان ومذحج إذ قال: ((ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئاً)) [٧].

ولقد استمرت لمذحج وهمدان تلك القوة والكثرة العددية، تلاها قبائل: تميم، بكر بن وائل حتى أواخر عهد الدولة الأموية ويشعر بذلك ما قاله الشيعة لزيد بن علي عندما همَّ بالخروج في الكوفة سنة ١٢٢هـ ((وليس قبلك من أهل الشام إلا عُدَّة قليلة؛ لو أن قبيلة من قبائلنا نحو مذحج أو همدان أو تميم أو بكر نصبت لهم لكفتكهم بإذن الله)) [٨].

ولا ترد أي اشارة في المصادر حول أعداد هذه القبائل إلا أنه يتضح أن هجراتها الى الكوفة كانت متواصلة، فلقد توزّعت مساكن بطون همدان في أطراف الكوفة[٩]، بينما نزلت مذحج في الجهة الجنوبية الشرقية من الكوفة[١٠].

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٧، ص١٦٧-١٦٨ (أبو عبيدة) / ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٢٠٩ / ابن الاثير: الكامل، ج٤، ص٤٤٦ .

(٢) المرعشي : غرر السير ، ص١٩٤ .

(٣) البلاذري : أنساب ، ج٩ ، ص ٢٦١ (قالوا) .

(٤) مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان القحطانية ، لها العديد من الافخاد مثل: النخع ، بنو الحارث ابن كعب، مراد، السمعاني : الأنساب ، ج٤ ، ص٢٦٠ / عمر رضا كحاله : معجم ، ج٣ ، ص١٠٦٢ .

(٥) همدان بن مالك بن زيد من كهلان القحطانية . السمعاني: الأنساب، ج٤، ص٥١٠ / عمر كحاله: معجم، ج٣، ص١٢٢٥ .

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٣٧٨ (أبو مخنف) .

(٧) البلاذري : أنساب ، ج٧ ، ص١٠٩ (المدائني) / الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص١٦٢ (المدائني) / ابن الاثير: الكامل، ج٤، ص١٠٨-١٠٩ .

(٨) الطبري : تاريخ ، ج٧ ، ص١٦٦ (هشام بن محمد) .

(٩) اليعقوبي : البلدان ، ص٧٠-٧١ .

(١٠)الطبري: تاريخ ، ج٤، ص٤٥ / الكشي : رجال الكشي ، ص٧٧ .

ومن أبرز عشائر همدان التي قدمت الكوفة في العصر الأموي: أرحب وشاكر اللتان نزلتا حول سكة البريـد[١] كما يرد وجود عدد من العشائر الهمدانية لم تبيّن المصادر أماكن نزولها في الكوفة مثل: الناعطيين[٢]، الفائشيين، الوادعيين[٣]، يام[٤]، بنو عبد[٥]، بنو السبيع بن سبع بن صعب الذين كان لهم جبّانة في خطة همدان[٦]، الصائديين[٧].

وعادة ما كانت الروادف تنزل في أطراف المدينة إذا لم تجد متسعاً لها في خطة قبيلتها، فلقد نزلت روادف من قبيلة مزينة في دور منفردة خارج الكوفة رغم أن خطة قبيلة مزينة تقع مع تميم وعامر ومحارب والأنصار منذ خلافة الراشدين[٨]، ويبدو أن منازل مزينة امتدت قريبة لمنازل قبيلة سليم يشعر بذلك ما جاء في تفاصيل حركة شبيب الخارجي سنة ٧٦هـ[٩].

ونزل لجانب مزينة في العصر الأموي جماعات من أحمس الهمدانية، وبارق الأزدية اللتان ربما وصلت روادفهما متأخرة؛ إذ اتخذوا بيوتاً لهم في الأطراف الغربية القريبة من البادية، ولقد ذُكرت منازلهم جميعاً لأول مرة عند الحديث عن حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي ٦٦هـ إذ روي أن ((بيوتهم شاذة منفردة من بيوت أهل الكوفة))[١٠]. مما يعني أن نزول هذه الجماعات في الكوفة كان متأخراً، فلم تجد لها متّسعاً مع اقربائها ممن سكنوا الكوفة منذ البداية. كما أن القبائل المضرية مدّت خططها نحو الكناسة؛ إذ روي أن عبساً التي كانت تسكن قرب المسجد الجامع عند تخطيط المدينة مدت خططها لتصل لناحية الكناسة[١١]. وكذلك فعلت تميم التي تقارب مواطنها ومراعيها الأولى هذه المنطقة[١٢]. ومن بين عشائر تميم التي تذكر في العهد الأموي: بنو شيطان الذين كانت لهم محلة وينسب لهم صحراء شبث[١٣]، وبنو العنبر[١٤].

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٢٢ (أبو مخنف) .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٥٦ (أبو مخنف) / ابن الاثير : الكامل ، ج٣ ، ص١٩٩ .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٥١ (أبو مخنف) .

(٤) ابن اعثم : الفتوح ، م٣ ، ص٣٠٦ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٥٨ (أبو مخنف) .

(٦) البلاذري: فتوح، ص٢٨٠ (هشام بن محمد) / الطبري: تاريخ، ج٦، ص٤٥ (أبو مخنف) / ابن اعثم: الفتوح، م٣، ص٣٠٦ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص١٨ .

(٨) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٢٨ (أبو مخنف) / ابن الاثير : الكامل ، ج٤ ، ص٣٥ .

(٩) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٢٣٩ .

(١٠) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٢٨ (أبو مخنف) / ابن الاثير : الكامل ، ج٤ ، ص٣٥ .

(١١) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص١٢٦ . انظر اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٠-٧١ .

(١٢) الطبري: تاريخ، ج٦، ص٤٥، ٤٧ (أبو مخنف) / ابن دريد: الاشتقاق، ص٢٢٤ / البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص٨٨ / ج٤، ص١١٣٦ / هند أبو الشعر: حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة، ص٤٧ .

(١٣) البلاذري : فتوح ، ص٢٨٣ .

(١٤) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٢٦٢ (أبو مخنف) .

و وجدت بعض القبائل التي اكتفت بخطط محدّدة ولم تنتشر بطونها في خطط قبائل أخرى، مثال ذلك: ثقيف وربما يشعر ذلك بقلة روادفها. ووجد لقبيلة بجيلة منازل في خطط الحمراء[١]، ووجدت منازل منفردة لربيعة ما بين السبخة وسوق التمّارين[٢].

ويبدو أن القبائل العربية التي نزلت الكوفة منذ بدايات إنشائها قد حدّدت لها منازلها وملكياتها بينما لم تجد روادف تلك القبائل، أو القبائل التي وصلت متأخرة أي مجال لأن تنزل بجانب خطط القبائل الأولى، فاضطرت للنزول على أطراف المدينة، ولذلك وجدت منطقتان: الباطنة والظاهرة، ويُستدلُ على ذلك من رواية الشعبي لما سار من الثوية – جنوب الكوفة- باتجاه مركز المدينة فقال: ((فانصرفت ذات يوم، فلما كنت في جهينة الظاهرة))[٣]، بينما كانت خطط جهينة الباطنة في الجهة الجنوبية من المسجد الجامع[٤].

ويروي أبو مخنف في معرض حديثه عن حجر بن عدي سنة ٥١هـ أن منازل كندة لا تبعد عن قبلة المسجـد[٥]. أي في الجهة الجنوبية الغربية، ولعل هذا يناقض ما ذكره اليعقوبي (ت٢٨٤هـ) لما قال بأن كندة تقع ما بين جهينة و أود أقرباء النخع و أن الازد نزلوا ما بين بجيلة وكندة ((و أقطع عمر طيئاً و بجيلة و كندة قطائع تجاور قطيعة جهينة ثم جاء قوم من الأزد فوجدوا فرجة فيما بين بجيلة و كندة فنزلوا بها))[٦].

وتورد بعض الروايات ذكراً لعدد من العشائر التي نزلت الكوفة في العهد الأموي دون تحديدٍ زمن وصولها بدقة او أماكن نزولها مثل: بنو جبلة من كندة[٧]، بنو هند[٨]، بنو حرب[٩]. ومن قبيلة بكر بن وائل ترد منازل لبني ذهل[١٠] وبني ضبيعة[١١] وتيم الله بن ثعلبة[١٢] وعنز بن وائل بن قاسط[١٣].

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص١٩ (أبو مخنف) .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٤٥ (هشام بن محمد) .

(٣) ابن قتيبة : عيون الاخبار ، ج٢ ، ص٤٦١ / الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥٧٩ (أبو مخنف) .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٢٨ (أبو مخنف) .

(٥) البلاذري: أنساب، ج٥، ص٢٥٩ (أبو مخنف) / الطبري: تاريخ، ج٦، ص٢٥٨-٢٥٩ (أبو مخنف) / هشام جعيط: الكوفة، ص١٢٩ .

(٦) اليعقوبي : البلدان ، ص٧١ / هشام جعيط : الكوفة ، ص١٢٩ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٢٦١ (أبو مخنف) .

(٨) يورد الطبري في اخبار سنة ٥١هـ اسمان لعشيرة بني هند أولهما لبني هند من كندة والثاني لبني هند من بني شيبان. الطبري: تاريخ، ج٥، ص٢٨٠ (أبو مخنف) ٢٥٨ (أبو مخنف) .

(٩) بنو حرب : اختلف في نسبهم فقيل أنهم بنو حرب بن الحارث من الأزد، وقيل أنهم بنو حرب بن يشكر بن بكر بن وائل وقيل أنهم بنو حرب بن الحارث بن سعد الهمدانية وقيل بنو حرب بطن من بني هلال بن عامر بن صعصعة، وقيل أنهم بطن من كهلان القحطانية. القلقشندي: نهاية الأرب ، ص٢٣٢ / عمر رضا كحاله : معجم ، ج١ ، ص٢٦١ . انظر الطبري: تاريخ، ج٥، ص٢٦٢ (أبو مخنف) .

(١٠) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٢٦٢ (أبو مخنف) .

(١١) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٢٣٧ (وهب بن جرير) .

(١٢) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٢٦٩ .

(١٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٨٣ (هشام بن محمد) .

كما يرد ذكر لبني كثير من الأزد ضمن الحديث عن حركة التوابين سنة ٦٥هـ[١]، وبنو دهمان من جهينــــة[٢]. كما وجد لبني جذيمة بن مالك بن أسد بن خزيمة مسجداً خاصاً في الكوفة وسكة ذكرت سنة ٦٧هـ[٣].

وكذلك وجدت مساجد لبني بداء وبني بهدلة[٤] وبني المقاصف بن ذكوان بن قيس عيلان[٥].

وذكرت عشيرة بني سلول ضمن الحديث عن حركة الأشراف وتمردهم على المختار بن أبي عبيد، وذكر الطبري (ت ٣١٠هـ) في معرض حديثه عن حركة المختار بن أبي عبيد عدداً من العشائر كان المختار قد مرَّ بها عندما وصل الكوفة قادماً من مكة مثل: بنو حجر، بنو بدّاء، بنو هند، ويظهر أنها كانت متقاربة فيما بينها وتقع ما بين مسجد جهينة الباطنة وجبانة كندة[٦].

كما وجد لبني قرار بن ثعلبة[٧] وبني عَدْوان[٨] وبني غُبَر منازل في أواخر ايام الدولة الأموية[٩].

ويلاحظ في أواخر النصف الثاني من القرن الأول الهجري نزول العديد من روادف القبائل العربية في أطراف المدينة ضمن أخصاص من القصب[١٠] لأنها لم تجد لها مستقراً مع أبناء جلدتها وأقاربها في الباطنـــــة.

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥٨٣ (أبو مخنف) .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص١٨٠ .

(٣) البلاذري: فتوح ، ص٢٨٣ (هشام بن محمد) / الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص١٠٦ (أبو مخنف) .

(٤) بنو بداء : اختلف في نسبهم ، فقيل بنو بداء بن الحارث وهم بطون كندة القحطانية ، وقيل بدأء بن سعد العشيرة من قبيلة جعفى القحطانية. القلقشندي: نهاية الأرب، ص١٧٤/ عمر كحاله: معجم القبائل، ج١، ص٦٧ .
بنو بهدلة بن المثل بن معاوية من كندة . البلاذري : فتوح ، ص٢٨٤ (هشام بن محمد) .

(٥) ينسب بنو المقاصف بن ذكوان بن زبيخة بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان. البلاذري: فتوح، ص٢٨٤ .

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥٧٨-٥٧٩ (أبو مخنف) .

(٧) بنو قرار بن ثعلبة بن مالك بن حرب بن طريف بن النمر بن يقدم بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار. البلاذري: فتوح، ص٢٨٠ (هشام بن محمد) / عمر كحاله: معجم القبائل، ج٣، ص٩٤٢ .

(٨) بنو عدوان بن عمرو وهم بطن من قيس بن عيلان من العدنانية . خليفة بن خياط: الطبقات، ص١٦٠ . ابن حزم: جمهرة أنساب، ص٢٣٢-٢٣٣ / عمر رضا كحاله: معجم القبائل، ج٢، ص٧٦٢ . ولقد ذكروا لأول مرة في مبايعة قبائل الكوفة للخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٧١هـ . الطبري: تاريخ، ج٦، ص١٦٣ (المدائني) .

(٩) بنو غبر بن غنم: بطن من ربيعة وهم بنو غبر بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر العدنانية . المبرد: نسب عدنان، ص٦٧ / عمر رضا كحاله: معجم، ج٣، ص٨٧٨ .

(١٠) اليعقوبي: البلدان، ص٧٠ / الطبري: تاريخ، ج٦، ص٥٧٦ (أبو عبيدة) / الأزدي : تاريخ الموصل، ص٧ / مجهول: تاريخ الخلفاء ، ص٣٩٦ .

ب – تطور التنظيمات القبلية وتوزيع القبائل خلال العصر الأموي:–

استمر تنظيم القبائل العربية في البصرة وفقاً لتنظيم الأخماس طوال العصر الأموي، وتذكر آخر اشارة حول ذلك في أيام حركة يزيد بن المهلب سنة ١٠٢هـ[١]، والأخماس هي:

١– خمس بكر بن وائل ٢– خمس تميم ٣– خمس اهل العالية

٤– خمس الأزد ٥– خمس عبد القيس[٢]

ورغم استمرار نظام الأخماس، فإن الامويين حاولوا إعادة ترتيب العشائر وفق نظام يحدُّ من العصبية القبلية خاصةً وأنه يوجد تنوع واضح في الميول السياسية لدى القبائل؛ إذ تميل تميم نحو الأمويين ويتبين ذلك منذ نزول عبدالله بن الحضرمي – مبعوث معاوية الى البصرة في أواخر خلافة علي بن أبي طالب – إذ لجأ الى بني تميم، في حين التجأ زياد بن أبيه – خليفة عبد الله بن عباس والي البصرة – الى الأزد التي استمرت تؤيد زياداً بعد توليه العراق[٣].

ونتيجة لهذا التنوع في الميول السياسية حاول زياد بن أبيه لما تولى البصرة سنة ٤٥هـ التخفيف من حدة العصبية بين القبائل من خلال دمج القبائل المناوئة للامويين بعشائر أخرى موالية في محاولة لاضعاف تلك القبائل المناوئة.

لم يراعِ زياد بن أبيه النسب في التقسيمات القبلية، فأدخل عشائراً لا تمتُّ بأي صلة مع بعضها وترِد بعض الإشارات حول ادخال عدد من العشائر ضمن خمس أهل العالية مثل: بنانة، ناجيّة، سامة وهي عشائر جاءت من عُمان[٤]، ويبدو أن ضم هذه العشائر ضمن خمس أهل العالية كان بهدف ايجاد تكافؤ عددي بين القبائل[٥]، خاصة وأن بعض القبائل شهدت تزايداً كبيراً في أعدادها بسبب تواصل قدوم روادفها ففاقت أعدادها أعداد مثيلاتها من القبائل فكان لا بد من إعادة التوازن العددي بين القبائل عن طريق ضم بعض العشائر الصغيرة للقبائل القليلة العدد.

أما فيما يتعلق بالكوفة فلقد أحدث زياد بن أبيه تنظيماً اجتماعياً جديداً منذ سنة ٥٠هـ/٦٧٠م أدى لتقسيم الكوفة وفقاً لنظام الأرباع بدلاً من نظام الأسباع الذي كان متبعاً طوال عصر الخلفاء الراشدين و أوائل العهد الأموي.

---

(١) البلاذري: أنساب، ج٥، ص٢٢٨ (المدائني) / الطبري: تاريخ، ج٥، ص٦١٨ (أبو مخنف) / ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص٧ / مجهول: العيون والحدائق، ج٣، ص٥٣ / احمد زكي: الحياة الأدبية، ص٣٠ / صالح العلي: التنظيمات، ص٥٣.

(٢) نصر بن مزاحم: صفين، ص١١٧ / البلاذري: أنساب، ج٧، ص٤٥٤–٤٥٥ / الطبري: تاريخ، ج٥، ص٦١٨ (أبو مخنف).

(٣) الطبري: تاريخ، ج٥، ص١١٠–١١٢ (المدائني) / شارل بلات: الجاحظ في البصرة، ص٢٦٢–٢٦٣.

(٤) ابن حبيب: المحبر، ص١٦٨–١٦٩ / الطبري: تاريخ، ج٥، ص١١٣.

(٥) صالح العلي: التنظيمات، ص٥٥ / خطط البصرة ومنطقتها، ص٥١.

وكانت الأرباع في الكوفة طوال العهد الأموي كالتالي[١]:

١- ربع أهل المدينة ٢- ربع مذحج وأسد

٣- ربع كندة وربيعة ٤- ربع تميم وهمدان

ويبدو أن هذا التنظيم وجد لتسهيل عمليات التعبئة العسكرية وإخراج الحملات التي يُراد توجيهها نحو المشـــرق[٢].

وعند إلقاء نظرة على نظام الأرباع الذي استحدثه زياد، فإنه يتبين لنا أنه جمع بين القبائل الشمالية والقبائل الجنوبية ضمن الربع الواحد، وضمَّ العشائر الصغيرة الى القبائل الكبيرة[٣] التي تتصل بها في النسب، وكان كل ربع يضم مجموعتين قبليتين ماعدا الربع الأول الذي ضم أهل المدينة فقط، ويمكن تعليل ذلك الى أن هذا الربع يضم عدداً من القبائل الموالية للأمويين إذ برز منهم عدد من العمال والقادة والأمراء، لذا لم تكن ثمة حاجة تدعو لتطويع هؤلاء للدولة.

أما في الربع الثاني، فلقد مزج زياد بين مذحج اليمانية وأسد النزارية، أما في الربع الثالث فمزج بين كندة اليمانية وقبائل ربيعة النزارية، في حين كان الربع الرابع يتألف من تميم المضرية ومذحج اليمانية. يبدو أن زياداً ابتعد عن روابط الحلف والنسب عند استحداثه لنظام الأرباع؛ ولعله كان يتقصد ذلك بهدف أن تبقى سلطته هي الأقوى في المصر، اضافة للحاجة للتقليل من حدة العصبية القبلية.

ويمكننا القول أن ما فعله زياد من جمع القبائل المتباينة في نسبها هو محاولة لتهيئة هذه القبائل للولوج في إطار الحياة المدنيّة بعيداً عن حياة البادية وما كانت تمتاز به من سمات العصبية القبلية. ولعل ذلك كان له دور كبير في إضعاف العصبية القبلية وإبراز عصبية المصر.

كان على رأس كل ربع رئيس من القبائل التي يسمّى بها الربع وكان يعيّنه الخليفة أو أمير المصر، واحياناً يعين رئيس كلُ ربع من قبيلة أخرى غير قبائل ذلك الربع[٤].

---

(١) البلاذري: أنساب، ج٥، ص٢٦٣ (المدائني) / الدينوري: الأخبار، ص٢١٩-٢٢٠ / الطبري: تاريخ، ج٥، ص٢٦٨ (الشعبي) / ابن عبد ربه: العقد، ج٤، ص٦ / مجهول : تاريخ الخلفاء، ص١٥٦ / ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص٣٣٣ / ابن خلدون: تاريخ، ج٥، ص٢٦ / محمد الزبيدي: "المجتمع العراقي في صدر الاسلام"، بحث في كتاب حضارة العراق ، ج٥، ص٣٧ .

(٢) ماسينيون : خطط الكوفة ، ص٦١-٦٢ .

(٣) مثال ذلك: ألحق زياد حمير بهمدان، وألحق الاشعريين وطيء بمذحج، وألحق قضاعة ومهرة وحضرموت بكندة . احسان النص: العصبية القبلية، ص٢٢٦ / رمزية الخيرو : ادارة العراق ، ص١٧٤ .

(٤) مثال ذلك: كان عمر بن حريث على ربع أهل المدينة، وخالد بن عرفطة العذري حليف بني زهرة على ربع تميم وهمدان، وقيس بن الوليد بن عبد القيس بن المغيرة المخزومي على ربع ربيعة وكندة، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري على ربع مذحج وأسد. البلاذري: أنساب، ج٥، ص٢٦٣ (المدائني) / الطبري: تاريخ، ج٥، ص٢٦٨ (الشعبي) / بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية، ج١، ص١٤٧ .

ورغم ما يتمتّع به رؤساء الأرباع من سلطات واسعة بحكم موقعهم الشخصي ومكانتهم الاجتماعية إلا أنهم كانوا يخضعون لسلطة أمير المصر[١].

لقد كان رؤساء القبائل في البصرة والكوفة مسؤولين مسؤولية كاملة عن أفراد قبيلتهم أمام الأمير ويشعر بذلك ما قاله المغيرة بن شعبه لما جمع رؤساء الناس بعدما علم بأن جماعة ستخرج عليه سنة ٤٣هـ فقال لهم: ((فليكفني كل إمرئ من الرؤساء قومه، والا فوالذي لا اله غيره، لأتحولنَّ عما كنتم تعرفون الى ما تنكرون وعما تحبّون الى ما تكرهون .. فخرجت الرؤساء الى عشائرهم فناشدوهم الله والإسلام إلا دلّوهم على من يرون أنه يريد أن يهيج فتنةً أو يفارق جماعة))[٢].

كما حرص زياد بن أبيه على تحميل رؤساء القبائل مسؤولية أفرادها الخارجين عن السلطة فيروى مثلاً أن زياداً لما عجز عن القبض على حجر بن عدي سنة ٥١هـ نادى رئيس قبيلته وهو محمد بن الأشعث الكندي وقال له: ((إما والله لتأتيني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعتها ولا داراً إلا هدمتها ثم لا تسلم مني حتى اقطعك إرباً إرباً))[٣]. ولعل هذا يشابه ما جاء في خطبته البتراء التي القاها في البصرة بعد توليه اياها سنة ٤٥هـ إذ قال ((اقسم بالله لآخذنَّ الولي بالولي والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر)) [٤].

كان تزايد هجرات القبائل العربية نحو العراق العربي في العصر الأموي وما أدى ذلك من إحداث بعض المضايقات خاصة على الصعيد الاقتصادي أن اضطرت الدولة الأموية لانتهاج سياسة جديدة تمثلت في نقل عدد من مقاتلة العراق مع عيالاتهم لخارج المصرين وذلك لتخفيف آثار ضغط الروادف الجديدة التي قدمت الى العراق مع بدء قيام الدولة الأموية، وبالتالي التخفيف من الأعباء المالية التي ترتبت على بيت المال نتيجة لذلك، كما هدفت الدولة من نقل بعض الجماعات القبلية لخارج العراق الحدّ من العصبية القبلية او على الأقل التخفيف من حدّتها. كما أرادت التخلّص من العناصر المشاغبة والمناوئة للحكم الأموي في العراق، اضافة لامتصاص نقمة الروادف الجديدة الذين لم تسجّل اسماؤهم في الديوان وبالتالي لم يكن لهم نصيب في العطاء. فكان نقل تلك الجماعات قد دفع بالدولة لتعويض الناقص في أعداد المقاتلة بفتح الباب أمام الروادف الجديدة لأن تسجّل في الديوان بعد محو الأسماء المهجرة، كما كان في نقل جماعات من القبائل العربية لحواضر و قرى المشرق أن ساهم في ترسيخ الحكم العربي الاسلامي في المناطق المفتوحة[٥].

وأبرز الأمثلة على هذه السياسة ما قام به الوالي زياد بن أبيه سنة ٥١هـ عندما نقل خمسين ألف مقاتل

---

(١) صالح العلي : التنظيمات ، ص١٢٠ .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص١٨٥ (أبو مخنف) .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٢٦٣ (أبو مخنف) .

(٤) البلاذري : أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٢١٦ .

(٥) شارل بلات: الجاحظ في البصرة، ص٢٧ / صالح العلي: التنظيمات، ص٤٩ / إحسان النص: العصبية القبلية، ص٢٢٤، ٢٤٠ .

مع عيالاتهم من البصرة والكوفة الى خراسان[١]. وجاء لدى الطبري أن عدد المنقولين كان ٢٥٠٠٠ من البصرة و ٢٥٠٠٠ من الكوفة[٢]، في حين لم يحدّد البلاذري أعدادهم بدقة[٣].

ويشكك الأستاذ الدكتور صالح العلي في وجود نصف المنقولين من البصرة والنصف الاخر من الكوفة، معتمداً على رواية متأخرة تعود لسنة ٩٦هـ تذكر أن أهل الكوفة كانوا وحدة مستقلة في خراسان لا تزيد عن سدس أهل البصرة، إذ كان مجموع مقاتلة قبائل البصرة أربعين ألفاً بينما لم يتجاوز مقاتلة الكوفة السبعة الآف مقاتل[٤].

والحقيقة أن المصادر لا تذكر لنا أسماء القبائل التي نقلها زياد الى خراسان، رغم اشارة وردت لدى البلاذري تفيد بوجود شخصين من بني أسلم من المنقولين[٥] مما يوحي بوجود جماعات من هذه القبيلة بينهم. كما لا تذكر المصادر أي حالة لرجوع جماعات من أهل الكوفة الى مصرهم بعد وفاة زياد. وبما أن خراسان تعتبر من فتوح أهل البصرة فمن الطبيعي أن يكون أكثر العرب فيها من البصرة وذلك بسبب توالي هجراتهم اليها طوعاً لغايات الجهاد، وبما أن المصادر لا تذكر عودة بعض أهل الكوفة لمصرهم بعد وفاة زياد، ولا نعلم كيف نقص العدد من خمسة وعشرين ألفاً الى سبعة الآف ؟! لذا لا يمكننا القبول بالتصنيف الذي أورده الطبري.

كما قام زياد بن أبيه بنقل عدد من قبيلة الأزد الى مصر، ولقد نزل هؤلاء في الفسطاط بموضع يسمى الظاهر، وسماهم المصريون العراقيين لقدومهم من العراق[٦]. ولعل في هذه الخطوة تناقضاً في العلاقة المتميزة التي ربطت زياداً بالأزد منذ أواخر خلافة علي عندما لجأ إليهم وحموه من عبدالله بن الحضرمي الذي جاء مبعوثاً من قبل معاوية الى البصرة[٧]. كما أن هذه العلاقة الجيدة استمرت مع أبنه عبيدالله الذي لجأ للأزد بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية[٨] ٦٤هـ.

و نميل الى رأي الاستاذ الدكتور صالح العلي الذي يرى أن الذين نقلهم زياد كانوا من العناصر غير

---

(١) البلاذري: فتوح، ص٤٠٠/ الطبري: تاريخ، ج٥، ص٢٢٦ / قدامة بن جعفر: الخراج، ص٤٠٥/ أبو هلال العسكري: الاوائل، ص٢٢٩/ ابن الأثير: الكامل ، ج٣، ص٣٣٨ / النويري : نهاية الأرب، ج٢٠، ص٣٢٩ / فلهاوزن: تاريخ الدولة، ص١٢٠، ٣٩٤ .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٢٢٦ / ابن الاثير : الكامل ، ج٣ ، ص٣٣٨ . إحسان النص : العصبية، ص٢٢٤ / صالح العلي: امتداد العرب، ص٥٠ .

(٣) البلاذري : فتوح ، ص٤٠٠ / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص٤٠٥ .

(٤) الطبري: تاريخ ، ج٦ ، ص٥١٢ / ابن اعثم : الفتوح ، م٤ ، ص١٩٩ / ابن الاثير : الكامل ، ج٤، ص٢٩٥-٢٩٦ / ابن أبي الحديد: شرح نهج، ج١، ص٣١٠ / النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٣٤٠ / ابن خلدون: تاريخ، ج٥، ص١٥١ / صالح العلي: امتداد العرب ، ص٥٢ .

(٥) والرجلان هما : بُريدة بن الحصيب الأسلمي وأبو برزة الأسلمي . انظر البلاذري : فتوح ، ص٤٠٠ .

(٦) ياقوت: معجم، ج٤، ص٥٧ / عبد الله البري: القبائل العربية في مصر، ص١٢٢ / صالح العلي: التنظيمات، ص٤٤ .

(٧) خليفة بن خياط: تاريخ، ص١٩٦-١٩٧ / الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص١١٠ (عمر بن شبه) .

(٨) خليفة بن خياط: تاريخ، ص٢٥٨-٢٥٩ / الطبري: تاريخ، ج٥، ص٥١٠ / بلاذري: الجاحظ ، ص٢٦٣ .

المرغوب فيها وذلك لكونهم من المناوئين للدولة إذ كانوا من المشاركين في ثورات الخوارج[١] .
وترد اشارة في خلافة عبد الملك بن مروان أن أخاه محمد بن مروان لما ولي الموصل[٢] (٦٥-٨٦هـ) نقل اليها جماعات من أزد وربيعة البصرة[٣]. ولا ترد أي اشارة حول أعداد المنقولين أو حتى الغاية التي نقلوا لأجلها خارج أمصارهم.
كما ذُكر أن خالداً بن عبدالله القسري(١٠٥-١٢٠هـ) نفى جماعات من العرب وعيالاتهم من السواد بعد مقتل أحد عماله من الدهاقين فقال في ذلك ابن نوفل:

أيُقتلُ عاملٌ بدرابجردٍ[٤] فتنفونَ العبادَ من السوادِ
لعلك ان ترى عما قليلٍ عيالك يُسلبون بكل وادِ[٥]

ولم تُشـــر الرواية الى اسماء هذه الجماعات ولا المكان الذي نفوا اليه.
ولم تقتصر سياسة الدولة في نقل بعض العرب بل تعدى ذلك الى نقل جماعات غير عربية كالفرس، إذ رُوي عن أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان نقل جماعة من الأساورة ممن انضموا الى المسلمين قبيل القادسية وبعدها، وكانوا حوالي ٤٠٠٠ من جند شاهنشاه حالفوا زهرة بن حوية السعدي من تميم وعرفوا بحمراء الديلم[٦]، نقلهم معاوية الى أنطاكية[٧] سنة ٤٢هـ/٦٦٢م[٨].
ويبدو أن ما دفع معاوية لذلك هو أن أهل أنطاكية من الجراجمة كانوا يثورون على المسلمين بين الحين والآخر ويستعينون بالروم ضدهم، فأراد معاوية القضاء على مثل هذه المؤامرات بالاستعانة بالأساورة مستغلا العداء القديم بين الروم والفرس.
كما نقل الوليد بن عبد الملك قوماً من الزط الى أنطاكية وناحيتها[٩]، ولعل ذلك كان لذات السبب.
من جهة اخرى وجدت هجرات اختيارية تقوم بها بعض الجماعات القبلية من داخل الأمصار في العراق لقرى ومدن اخرى في داخل العراق او لخارجه لأسباب مختلفة: منها ما هو سياسي كاختلاف الميول والأهواء السياسية بين هذه الجماعات والدولة مما يؤدي لانعدام الاتفاق بينهما وبالتالي تضطر هذه الجماعات لتـــرك المصر، مثل هجرة جماعة سعد بن حذيفة بن اليمان من الكوفة الى المدائن أيام

---

(١) صالح العلي : التنظيمات ، ص٤٤ .
(٢) الموصل: مدينة قديمة على طرف نهر دجلة، مشهورة بصحة هوائها وعذوبة مائها، تبعد عن بغداد ٤٤٤كم. سميت بذلك لأنها وصلت بين العراق والجزيرة الفراتية أو لأنها وصلت بين دجلة والفرات. ياقوت: معجم، ج٥، ص٢٢٣-٢٢٤ .
(٣) اليعقوبي : تاريخ ، ج٢ ، ص١٩١ .
(٤) درابجرد : قرية بفارس وهي من قرى كورة اصطخر . ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٤١٩ .
(٥) البلاذري : أنساب ، ج٩ ، ص٨٩ (المدائني) / صالح العلي : امتداد العرب ، ص٤٩ .
(٦) البلاذري : فتوح ، ص٢٧٩ (أبو مسعود الكوفي) / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥١٢ (سيف) .
(٧) أنطاكية: قصبة العواصم من الثغور الشامية، موصوفة بالحسن وطيب الهواء، تبعد عن حلب يوم وليلة . انظر ياقوت: معجم، ج١، ص٢٦٦-٢٦٩ .
(٨) البلاذري : فتوح ، ص٣٦٩ (قالوا) / احسان النص : العصبية ، ص٢١٩ .
(٩) البلاذري : فتوح ، ص٣٦٩ (قالوا) .

الخليفة معاوية بسبب ميولهم العلوية[١]. كما هاجرت جماعات من بني غاضرة من الهون بن خزيمة بن مدركة العدنانية ذات الميول العلوية من الكوفة في نفس الفترة خشية البطش بها لميولها واستقرت في قرية غاضرة كربلاء[٢].

وهاجر عدد من الأشاعرة هرباً من بطش الحجاج بن يوسف الى مدينة قُمْ في المشرق[٣]. وتوجد أيضاً هجرات لعدد من الأفراد والجماعات لخارج الأمصار ناتجة عن أسباب اقتصادية بسبب قلة مقدار العطاء الذي لم يكن كافياً لتغطية نفقات الحياة، مما أدى لايجاد ملكيات واسعة لأبناء القبائل في ريف العراق وهذا ما ساعد على تثبيت استقرار العرب في العراق العربي، ومثال ذلك هجرة أفراد من بني البكّاء من الكوفة الى زرارة شرق نهر الفرات[٤] والتي ازدهرت وعَمرت بهم في أواخر خلافة معاوية بن أبي سفيان[٥] وهاجر سماك بن يزيد من بني السبيع الهمداني مع أهله الى قرية جوبر سنة ٦٨هـ/٦٨٧م[٦].

ووجدت هجرات لأسباب عسكرية تمثلت في محاولة تثبيت الحكم العربي الاسلامي في البلاد المفتوحة كانتقال عدد من أهل الكوفة لم تحدّد الروايات أعدادهم أو أسماء قبائلهم الى قزوين لتعميرها[٧].

جـ - ظهور مدن جديدة :-

شهد العراق العربي في العصر الأموي بناء مدن جديدة، كانت في معظمها لغايات سياسية تتعلق بنظرة الدولة والتي يمثّلها الأمير - الوالي- للمصرين: البصرة والكوفة.

و من أبرز هذه المدن واسط التي بنيت في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي[٨] إثر قضائه على حركة

---

(١) البلاذري: أنساب، ج٦، ص٣٦٦ (أبو مخنف) ٠/ الطبري: تاريخ، ج٥، ص٥٥٧ (أبو مخنف)/ مجهول: تاريخ الخلفاء، ص٢١٧ .

(٢) كربلاء: وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي في طرف البرية عند الكوفة . ياقوت: معجم، ج٤، ص١٨٣ . انظر الدينوري: الأخبار، ص٢٣٩ / مجهول : تاريخ الخلفاء ، ص١٨٢ .

(٣) قم: مدينة اسلامية مستحدثة لا أثر للاعاجم في بنائها، وأول من مصّرها طلحة بن الأحوص الاشعري، فيها آبار ليس في الأرض مثلها عذوبة . وتقع اليوم في جمهورية ايران . ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٧ . انظر ابن سعد: الطبقات، ج٧ ، ص١٨٢ .

(٤) ابن الفقيه : البلدان ، ص٢١٧ / ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص١٣٥ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٣١١ (أبو مخنف) / ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص١٣٥ .

(٦) قرية جوبر: هي قرية من سواد بغداد. ياقوت: معجم، ج٢، ص١٧٧ . انظر: نصر بن مزاحم، صفين، ص١٦٣ / الطبري: تاريخ، ج٦، ص١٢٣-١٢٤ (أبو مخنف) .

(٧) قزوين: مدينة مشهورة تبعد عن مدينة الري ١٦٢كم، كان فيها حصن للاساورة الفرس، ولقد مصّرت في ولاية سعيد بن العاص في خلافة عثمان بن عفان . ياقوت: معجم، ج٤، ص٣٤٢-٣٤٤ . انظر البلاذري: فتوح، ص٣٢٠ (قالوا) .

(٨) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، تولى الحجاز ثلاث سنين ثم ولاه عبد الملك العراق سنة ٧٥هـ واستمر واليا على العراق حتى سنة ٩٥هـ، وتوفي في واسط . البلاذري: أنساب، ج١٣، ص٣٥٣ / الذهبي: سير أعلام، ج٤، ص٣٤٣ .

ابن الأشعث في وقعة دير الجماجم سنة ٨٤هـ/٧٠٥م [١].

لقد تعددت الروايات في الأسباب التي دعت الحجاج لبناء واسط ، فذكر ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) أن الحجاج ((لما فرغ من حروبه استوطن الكوفة، فآنس منهم الملال والبغض له، فقال لرجل ممن يثق بعقله: أمضِ وابتغ لي موضعاً في كرش من الأرض أبني فيه مدينة وليكن على نهرٍ جارٍ))[٢].

وتذكر رواية أخرى أن الجند الشامي الذين استعان بهم الحجاج لمجابهة حركة ابن الاشعث وحركات الخوارج المناوئة لحكمه قد أحدثوا مضايقات لأهل العراق لم يستطع الحجاج أن يمنعها، فأراد أن يجنّب أهل الكوفة مزيداً من المضايقات فقال: ((لا ينزلنَّ أحد على أحد، واخرجوا فعسكروا، وبعث رواداً يرتادون له منزلاً، وأمعن حتى نزل أطراف كسكر .. فاختطَّ الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد في ذلك الموضع)) [٣].

ويمكننا التوفيق بين هاتين الروايتين بالقول أن الحجاج بعدما اكتشف نوايا وميول أهل الكوفة ضده ومحاولتهم الاطاحة به، خشي على نفسه فقرَّر أن يجعل لنفسه مقراً دائماً يشعر فيه بالأمان بعيداً عن الباغضين له من أهل العراق، كما أراد أن يمنع اختلاط الجند الشامي الذي أحضره للعراق حامياً لسلطانه مع أهل العراق لمنع حصول أي مشاكل اجتماعية تهدد الأمن والنظام في العراق.

ولعل اختيار الحجاج الموفق لموقع واسط يكشف عن رغبته في إحكام السيطرة والإشراف على المصرين من موقع يتوسطهما ويشعر بذلك ما جاء على لسان الحجاج عندما قال: ((اتخذ مدينة بين المصرين، أكون بالقرب منهما، أخاف أن يحدث في إحدى المصرين حدث وأنا في المصر الآخر))[٤].

تقع واسط على نهر دجلة للشمال من كورة كسكر في موقع متوسط بين مصري العراق، و كانت قبل بناء

---

(١) تنسب هذه الحركة لعبد الرحمن بن محمد بن الاشعثُ بن قيس الكندي، ولاه الحجاج بن يوسف سجستان وضم له جيشاً كبيراً ليغزو به بلاد رتبيل، إلا أن ابن الاشعث كان يبغض الحجاج فاختلف معه، فعاد بجيشه الى العراق معلنا خلع الحجاج والخليفة عبد الملك، إلا أن الحجاج هزمه في دير الجماجم . البلاذري: انساب، ج٧، ص٣٠٣-٣٤٣ . انظر: البلاذري، فتوح، ص٢٨٨ (الحسن بن صالح) / ابن الفقيه: البلدان، ص٢٦٣ / بحشل: تاريخ واسط، ص٤٣ . الباكوي: تلخيص الاثار، ص٧٩ / ولقد تعددت الروايات حول سنة بناء واسط، فقيل أنه ابتدأ البناء بها سنة ٧٥هـ، وانتهى البناء سنة ٧٨هـ. بحشل: تاريخ واسط، ص٤٣ / ابن الجوزي: المنتظم، ج٦ ، ص١٩٩-٢٠٠ . وقيل ابتدأ البناء بها سنة ٨٣هـ وأكتمل سنة ٨٦هـ. ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٦٤ / ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٣٤٩ / ثابت الراوي ، العراق في العصر الأموي، ص ١٤٢ . وقيل ابتدأ البناء فيها سنة ٨٤هـ. وانتهى سنة٨٦هـ، وهي السنة التي مات فيها الخليفة عبد الملك. ابن الفقيه: البلدان، ص٢٦٠-٢٦٢ / ياقوت: معجم، ج٤، ص٣٤٨، وهو التاريخ المرجح حيث بدأ البناء في المدينة بعد القضاء على حركة ابن الاشعث سنة ٨٤هـ.

(٢) ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٣٤٨ / انظر : ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٦٣ .

(٣) الطبري: تاريخ، ج٦، ص٣٨٣-٣٨٤ / ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص٢٤٩ / ابن الاثير : الكامل، ج٤، ص٢٢٢ / ابن خلدون: تاريخ، ج٥، ص١١٨-١١٩ / فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص٢٠٣ .

(٤) بحشل : تاريخ واسط ، ص٤٣ .

المدينة قريةً قديمةً تُسمى واسط القصب حيث يكثر فيها نبات القصب[١]. واستمرت التسمية ملاصقة للمدينة التي بناها الحجاج في موضع هذه القرية، كما أنها عرفت بواسط لموقعها المتوسط بين مصري العراق إذ أنها ((من البصرة والكوفة والمدائن والأهواز ببعد واحد))[٢]، ويدل على ذلك أن الحجاج أرسل رجلاً من حرسه وأمره بالبحث عن موضع له في أرض منخفضة قريبة للنهر فقال له ((امضِ فابتغِ لي موضعاً في كرش من الأرض أبني فيه مدينة وليكن ذلك على نهر جار، فأقبل حتى صار الى قرية فوق واسط بيسير يقال لها واسط القصب، فبات واستطاب ليلها واستعذب أنهارها واستمرأ طعامها وشرابها، فقال: كم بين هذا الموضع والكوفة؟ فقيل: أربعون فرسخاً، فقال: كم منها الى المدائن؟ قال: أربعون، قال: فكم الى الأهواز، قال: أربعون، فقال: هذا موضع متوسط))[٣].

ولقد تميّزت مدينة واسط بأنها ((مدينة يحيط بحدّها الغربي البادية بعد مزارع يسيرة وهي خصبة كثيرة الشجر والنخل والزرع، وأصحُ هواءاً من البصرة وليس لها بطائح ولها أرض واسعة ونواح فسيحة))[٤].

وكان نهر دجلة يشقُ مدينة واسط لجانبين: شرقي وغربي؛ يربط بينهما جسر من المراكب[٥]. وكان موضع واسط قريباً من مراكز تجمّع النبط ، لذا كان من المتوقع أن يجتذب بناء المدينة العديد منهم للاستقرار فيهـــا[٦]. إلا أن الحجاج عمل على تحديد ساكني المدينة ومنع النبط من السكن فيها وحتى المبيت فيها، فلقد ذكر أنه ((لما فرغ الحجاج من بناء واسط أمر بإخراج كل نبطي بها، وقال: لا يدخلون مدينتي فإنهم مفسدة، فلما مات دخلوها عن قريب))[٧].

لقد حدّد الحجاج الجماعات التي يسمح لها بالعيش في واسط لتكون مركز الادارة الجديد، فقصر سُكناها على الجند الشامي الذين قدموا اليه واستعان بهم للقضاء على حركة ابن الأشعث، ولقد أنشئت مدينة واسط أساساً لتكون مركزاً لإقامتهم. إلا أن المصادر تحجم عن ذكر أي اشارة حول أسماء القبائل التي ينتمي لها هؤلاء الجند او أعدادهم ممن نزلوا واسط.

كما انتخب الحجاج جماعات من أهل البصرة والكوفة ممن يدينون له بالولاء والطاعة وأسكنهم واسطاً. و لا تذكر المصادر أي اشارة صريحة لأسماء القبائل العربية التي سكنت واسطاً منذ انشائها وحتى نهاية

---

(١) البلاذري: فتوح، ص٢٨٨ (الحسن بن صالح) / أنساب الأشراف، ج١٣، ص٣٧٧ (قالوا) / ابن الفقيه: البلدان، ص٢٦٣ / ياقوت: معجم، ج٥، ص٣٥٣ .

(٢) البلاذري : أنساب ، ج١٣ ، ص ٣٧٢-٣٧٣ .

(٣) ابن الفقيه: البلدان، ص ٢٦٣ . وقيل تبعد واسط عن هذه المناطق خمسين فرسخا. انظر اليعقوبي: البلدان، ص٧٩ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٢١٤ .

(٥) اليعقوبي : البلدان ، ص٧٩ .

(٦) البلاذري : فتوح ، ص٢٨٨ (الحسن بن صالح) / جمال جودة : العرب والأرض ، ص٢٥٧ .

(٧) ياقوت: معجم، ج٥، ص٣٥٠ . انظر ابن الفقيه، البلدان، ص ٢٦٦ / بحشل: تاريخ واسط، ص٤٦ (أبو سفيان الحميري) / محمد الزبيدي " المجتمع العراقي في صدر الاسلام "، بحث في كتاب حضارة العراق، بغداد ١٩٨٥، ج٥، ص٣٥ .

الدولة الأموية، ولا تذكر أعدادها ايضاً، إلا أنه يمكننا تبيّن أسماء بعض هذه القبائل من خلال تتبّع الأسماءالتي ترجم لها بحشل (ت٢٩٢هـ) في كتابه " تاريخ واسط "، ممن سكنوا المدينة خلال الفترة الممتدة من نهاية القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ومن المنتظر أن يكون بعض أبناء قبائلهم قد سكنوا واسط في تلك الفترة.

ومن بين هذه القبائل التي ينتسب لها بعض رواة الحديث الذين ذكرهم بحشل ك قبيلة حمير[١]، فلقد ذكر بحشل أن أول مولود في واسط كان عمرو بن جابر بن الأزهر الحميري[٢]، ويرد أيضاً وجود لقبائل: أشجع[٣]، ثقيف[٤]، الأزد ، وخاصة بنو عتيك وهم أصهار الحجاج؛ فلقد روي أن الحجاج لما تزوّج هنداً بنت المهلب العتكي نقلها وأخوتها ومواليها الى واسط، فأنزلهم الجانب الشرقي في الموضع المعروف بالمهالبة[٥].

وسكنت عدد من بطون قبيلة بكر بن وائل واسطاً مثل: بنو يشكر[٦]، بنو شيبان[٧]، بنو تيّم الله بن ثعلبـــــة[٨] .

---

(١) حمير: بطن عظيم من القحطانية، ينسبون لحمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ابن دريد: الاشتقاق، ص٣٦٢/ عمر رضا كحاله: معجم ، ج١ ، ص٣٠٥-٣٠٦ .

(٢) بحشل: تاريخ واسط، ص٤٦ / ومن أمثلة المحدثين من قبيلة حمير: أبو سفيان سعيد بن يحيى بن مهدي الحميري (١١٢-٢٠٢هـ) . ابن سعد: الطبقات، ج٧ ، ص١٥٥ / بحشل : تاريخ ، ص٧٢ .

(٣) أشجع: قبيلة من غطفان من قيس بن عيلان من العدنانية ، وهم بنو أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ابن مضر بن نزار. القلقشندي: نهاية الأرب، ص٤٠ / عمر كحاله: معجم، ج١، ص٢٩ . وبرز من هذه القبيلة: نعيم بن أبي هند (ت١١٠هـ) وخلف بن خليفة (ت١٨١هـ) . ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٥٥-٥١١ / خليفة بن خياط: الطبقات، ص١٢٩، ١٥٦، ١٧٠ / ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج٥ ، ص٦٢٢ .

(٤) ثقيف: بطن متسع من هوازن من العدنانية، ينسبون لوالدهم الملقب بثقيف وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، ومن امثلة محدثيها من واسط: منصور بن زاذان مولى ثقيف الذي توفي ١٢٨ هـ وقيل ١٣١هـ، ومنهم مستلم بن سعيد الثقفي. ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٥٤ / خليفة بن خياط: الطبقات، ص ٢١٧، ٣٢٥ / بحشل: تاريخ، ص٩٠ / الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٤٢ .

(٥) بحشل: تاريخ ، ص١٢٦ . ومن امثلة محدثيهم في واسط : شعبة بن الحجاج بن الورد مولى الازد (٨٢-١٦٠هـ). ابن سعد: الطبقات، ج٧ ، ص١٤٢-١٤٣ / خليفة بن خياط: الطبقات ، ص٢٢٢ / بحشل : تاريخ ، ص٩١ ، ١٢١ .

(٦) ومن أمثلة محدثيها في واسط جعفر بن اياس وهو ابن وحشية اليشكري، بصري الاصل، توفي سنة ١٢٤هـ. خليفة بن خياط: الطبقات، ص٣٢٥/ ابن حجر: تهذيب، ج١، ص٤٣٢ .

(٧) ومن الأمثلة على محدثيها العوّام بن حوشب بن يزيد الشيباني ، توفي ١٤٨هـ ، ومحمد بن الحسن مولى لبنى شيبان كان أبوه في جند الشا ، فقدم واسط وولد محمد بها سنة ١٣٢هـ وتوفي في الري ١٨٩هـ. ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص ١٥٤، ١٦٤ / خليفة بن خياط: الطبقات ، ص٣٢٦ ، ٣٢٨ .

(٨) ومنهم علي بن عاصم بن صهيب الواسطي التيمي (١٠٥-٢٠١هـ) . ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٥٥ / خليفة: الطبقات، ص٣٢٦ / الذهبي: تذكرة، ج١، ص٣١٦-٣١٧ .

كما سكنت واسطاً قبائل حجازية مثل: سليم(١)، مزينة(٢)، كنانة خاصة من قريش(٣)، باهلة(٤). وسكنت أيضاً قبائل فزارة(٥)، هذيل(٦)، عبدالقيس(٧)، خزاعة(٨)، كندة(٩)، أسد بن خزيمة(١٠)، أسد بن ربيعة(١١)، النخع(١٢)، لخم(١٣)، تميم(١٤)، ضبّة(١٥)، جهينة(١٦).

يتبيّن لنا أن خليطاً من القبائل العربية التي سكنت الشام والبصرة والكوفة منذ عصر الخلفاء الراشدين وأوائل عهد الدولة الاموية قد أُسكنت واسطاً، وهي تنتمي لأصول متعددة فمنها المضرية واليمانية، وقبائل

---

(١) سليم: بطن من قيس عيلان، ينسبون الى منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن عدنان. السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٤٥، ومن امثلة محدثيها في واسط: هشيم بن بشير بن أبي خارم، نزيل بغداد (١٠٤- ١٨٣هـ) و يزيد بن هارون مولى سليم (١١٨-٢٠٦هـ). ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٥٥، ١٦٠ / خليفة: الطبقات، ص٣٢٦ . بحشل: تاريخ، ص٥٤ / ابن حجر: تحرير تقريب التهذيب، ج٤، ص٤٢-٤٣، ص١٢٢ .

(٢) مزينة: بطن من مضر وهم بنو عثمان وأوس وبني عمرو بن أد بن طابخة، ومزينة أُمهم عرفوا بها، نزلوا الكوفة سنة ١٧هـ. القلقشندي: نهاية الأرب، ص٤٢٠ . ومن أمثلة محدثيها خالد بن عبدالله بن عبد الرحمن مولاهم، توفي ما بين ١٧٩-١٨٢هـ. ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٥٥ / خليفة: الطبقات، ص٣٢٦ .

(٣) من امثلة محدثيها عبد الرحمن بن عبد الملك القرشي توفي ١٨١هـ. ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص٥٤٦ .

(٤) باهلة: بطن من قيس عيلان وهم بنو سعد مناة بن مالك بن أعصر. السمعاني، الأنساب، ج١، ص١٩١ . ومن امثلة محدثيها أبو رحمة مصعب بن زاذان (ت١٨٠هـ). بحشل، تاريخ، ص٥٥ .

(٥) فزارة بن ذبيان: بطن عظيم من غطفان من العدنانية، وهم بنو فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر . السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٤٥٤ / عمر كحاله: معجم، ج٣، ص٩١٨ . ومن امثلة محدثيها أبو بلج يحيى بن سليم الفزاري الكوفي ثم الواسطي . ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٥٤ / خليفة: الطبقات، ص٣٢٥ .

(٦) ومن امثلة محدثيها محمد بن موسى بن أبي نعيم (ت١٢٣هـ) ابن حجر: تحرير تقريب، ج٣، ص٣٢٤ .

(٧) ومن امثلة محدثيها أبو العلاء هلال بن خباب مولى زيد بن صوحان العبدي (ت١٤٤هـ). بحشل، تاريخ، ص٨٨ .

(٨) كان ينزل فيها شعبة بن الحجاج مولى يزيد بن المهلب العتكي (ت١٦٠هـ). بحشل: تاريخ، ص١٢٠-١٢١ .

(٩) ومنها حسين بن حسن الكندي الذي ولاه خالد القسري قضاء واسط. بحشل: تاريخ، ص١٣٦-١٣٧ .

(١٠) منها اسماعيل بن سالم الاسدي والقاسم بن أبي أيوب الأسدي الأصهباني الأصل. ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٥٤، ١٥٨/ بحشل: تاريخ واسط، ص٨٦/ ابن حجر: تحرير تقريب، ج٤، ص١٨٥ .

(١١) أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. القلقشندي: نهاية، ص٣٨ . وبرز من محدثيها من قبيلة عنزة بن أسد، سيار ابن دينار أبو الحكم (ت١٢٢هـ). خليفة بن خياط: الطبقات، ص١٦١ / بحشل: تاريخ، ص٩٤ .

(١٢) النخع بن عمرو، واسم النخع جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب القحطانية. القلقشندي: نهاية، ص٧٦ . ومن أمثلة محدثيها جعفر بن الحارث بن جميع النخعي. ابن حجر: تهذيب، ج١، ص٤٣٥ .

(١٣) من أمثلة محدثيها في واسط: عروة بن رويم اللخمي وهو دمشقي توفي ١٣٥هـ. خليفة بن خياط: الطبقات، ص٣١٢/ ابن حجر: تحرير تقريب، ج٣، ص٨ .

(١٤) ومن محدثيها في واسط: أيوب بن أبي مسكين التميمي الذي كان مفتي لأهل واسط وتوفي سنة ١٤٠هـ . خليفة بن خياط ، الطبقات ، ص ٣٢٦ / بحشل : تاريخ ، ص٩١ .

(١٥) ومن محدثيها في واسط مسحاج بن موسى الضبي. بحشل: تاريخ، ص٤٧/ ابن حجر: تهذيب، ج٥، ص٣٩٥ .

(١٦) ومن محدثيها أصبغ بن زيد بن علي الجهني، مولى جهينة (ت١٥٩هـ)، ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٥٥/ خليفة بن خياط: الطبقات، ص٣٢٦ .

(١٧) بحشل : تاريخ واسط ، ص٤٦ .

مـــــن ربيعة، تم انتقاء جماعات منها ممن يثق الحجاج في ولائهم له فأسكنهم واسط .
ولم تشر الروايات الى بدايات نزول هذه القبائل التي افترضنا أنها نزلت واسطاً، فلا ندري إن كانت كلها قد نزلت المدينة في أيام الحجاج أم أن بعضها نزل المدينة بعد وفاته، أو حتى بعد نهاية الدولة الاموية.
ولم يسمح الحجاج لغير هؤلاء العرب بالعيش في واسط، كما أنه لم يسمح للنبط بالمبيت فيها فقيل ((أنه كان لا يدع أحداً من أهل السواد يسكن واسطاً، فلم يزل على ذلك حتى زال ملك بني اميه، فسكن فيها أهل السواد.. وكان الحجاج لا يدع أحداً من أهل السواد يبيت بواسط إذ كان الليل اخرجوا عن واسط ثم يعودون بالغداة في حوائجهم)) [١].
لقد أصبحت مدينة واسط بعد وفاة الحجاج تضم اخلاطاً من الناس من العرب والعجم [٢].
انشئت مدينة واسط ضمن مخطط ثابت منذ البداية على عكس ما حصل في البصرة والكوفة اللتان شهدتا اضافات عديدة وتغيرات ملموسة في مجال التخطيط والبناء طيلة فترة صدر الإسلام، ولعل هذا ما قصده ابن رسته (ت٢٨٩هـ) عندما قال أن ((أول مدينة بنيت في الاسلام واسط؛ بناها الحجاج بن يوسف)) [٣].
ولقد أسكن الحجاج واسطاً جماعات من أهل الكوفة والبصرة اضافة للجند الشامي، فذكر بحشل: ((أن الحجاج نقل جماعات من وجوه الكوفة وأمرهم أن يصلّوا عن يمين المقصورة ونقل من وجوه أهل البصرة وأمرهم أن يصلّوا عن يسار المقصورة، وأمر من كان معه من أهل الشام أن يصلّوا بحياله مما يلي المقصورة)) [٤].
كما نقل الحجاج قوماً من أهل بُخارى أحضرهم من البصرة فأقطعهم مساكناً في واسط [٥].
من جهة أخرى بنى الحجاج مدينة ثانية في العراق العربي سميت بمدينة النيل [٦]، وذلك بعدما حفر نهراً سماه النيل وأحيا ما عليه من أراض [٧].
ويذكر البلاذري أن مدينة النيل عمرت بمن سكنها من العرب وأُناس آخرين لم يسمهم في أواخر الدولة الاموية [٨]. والمعلومات حول هذه المدينة وساكنيها ضئيلةٌ جداً، وبذلك لا نستطيع أن نوضّح إن كانت النيل مدينة حقيقية ام لا، إلا أنه من الظاهر ونظراً لندرة المعلومات حولها فإنها كانت مدينة ثانوية أقل أهمية من واسط التي أُتخذت مركزاً لحكم العراق في ولاية الحجاج (٧٥-٩٥هـ).

---

(١) بحشل : تاريخ واسط ، ص٤٦ .
(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص٧٩ .
(٣) ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص١٦٩.
(٤) بحشل : تاريخ ، ص٤٤ ، ١٢٥ / ابن الجوزي : المنتظم ، ج٦ ، ص٢٠٠ .
(٥) البلاذري : فتوح ، ص٣٦٩ (قالوا) .
(٦) النيل: بلدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد، يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر. ياقوت: معجم، ج٥، ص٣٣٤ .
(٧) البلاذري : فتوح ، ص٢٨٨ / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢٦٢ / ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٣٤٨ .
(٨) البلاذري : أنساب ، ج٨ ، ص٢٢٤ / الطبري : تاريخ ، ج٧ ، ص٣٠٥ (أبو عبيدة) .

ومن المدن التي استحدثت في العصر الأموي قصر ابن هبيرة، والتي تنسب لوالي الكوفة يزيد بن عمر بن هبيرة بن معيّة الفزاري الغطفاني (١٢٩-١٣٢هـ)، الذي أراد بناء مدينة على نهر الفرات قرب الكوفة، إلا أنه لم يستكمل مخططه، بعد أن أمره الخليفة مروان بن محمد باجتناب مجاورة أهل الكوفة.

ويبدو أن بعض الولاة في العصر الأموي ونتيجة لتوالي الثورات والحركات المناوئة لهم في العراق وشعورهم بقوة البغض الذي يكنّه أهل العراق لبني امية وولاتهم، أحسوا بأن مقامهم في البصرة او الكوفة لم يعد آمناً لهم فحاولوا الخروج منهما.

ولقد كان موضع قصر ابن هبيرة قبل بناء القصر معموراً ببعض العرب دون أن يتخذ الموضع إسماً خاصاً، فلم يُعرف بالإسم إلا بعد بناء قصر ابن هبيرة فعُرفَ الموضع بهذا الاسم ويوحي بذلك ما رُوي بأن يحيى بن زيد بن علي ((أتى قرية قصر ابن هبيرة ولم يكن القصر يومئذ، فنزل على رجل من أهل الكوفة يقال له سالم))[١] وكان ذلك سنة ١٢٣ هـ.

والحقيقة أن قصر ابن هبيرة يمثل ضاحية او قرية كما تذكر الرواية السابقة تم اختيار موضعها لتكون قرب جسر سورا على نهر الصراة الذي يخرج من نهر الفرات شمال مدينة الكوفة، وتبعد هذه القرية عن نهر الفرات مسافة ميلين[٢]. ولا تورد المصادر أي اشارات حول تنظيم المدينة او ساكنيها، ويظهر أن بناءها لم يستكمل تماماً في أواخر العصر الأموي، وعندما نزلها الخليفة العباسي أبو العباس السفاح في أول خلافته أكمل تسقيف مقاصير فيها وزاد في بناء القصر، وسماها الهاشمية، ومع ذلك لم يَنسَ الناس اسمها الأول، واستمروا يطلقون عليها قصر ابن هبيرة. ولعل هذا ما دعى أبو العباس لتركها[٣].

امتاز العصر الأموي اضافة لظهور مدن جديدة بنمو وازدهار مدن أخرى كانت قائمة في العراق قبل ذلك العهد، ولعل أبرزها مدينة المدائن[٤]، التي نزلها العرب لأول مرة بعد فتح القادسية مباشرة إذ تمكنوا من فتحها في صفر ١٦هـ، واستمر العرب المسلمون يقيمون فيها بقيادة سعد بن أبي وقاص عاماً كاملاً حتى تحولوا الى الكوفة سنة ١٧هـ[٥].

و رغم تحول معظم القبائل العربية المشاركة في فتح القادسـية الى الكوفة سنة ١٧هـ، إلا أن بعضاً منها

---

(١) البلاذري : أنساب الاشراف ، ج٣ ، ص٤٥٣ .

(٢) البلاذري: فتوح، ص ٢٨٥ (أبو مسعود الكوفي) / اليعقوبي: البلدان، ص٦٨ / الدينوري: الاخبار، ص٣٢٢ / الطبري: تاريخ، ج٧، ص٥٤٧ / ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢١٨ / الاربلي: خلاصة الذهب، ص٧٢ .

(٣) ياقوت: معجم، ج٤، ص٣٦٥ / حسين البراقي : تاريخ الكوفة ، ص١٧٨ .

(٤) المدائن: مجموعة من المدن بناها عدد من ملوك فارس وعددها سبعة منها: المدينة العتيقة، طيسفون، اسفانبر، رومية، فتحت في صفر ١٦هـ على يد سعد بن أبي وقاص واتخذها المسلمون منزلاً لهم حتى اختطاط الكوفة سنة ١٧هـ. ياقوت: معجم، ج٥، ص٧٥ .

(٥) الجاحظ: البلدان، ص٤٩٨ / البلاذري: فتوح، ص٢٧٤ (الواقدي) / الطبري: تاريخ، ج٤، ص٢٠ (الشعبي) / ابن حبيش: غزوات: تاريخ، ج٢، ص٦٣٢ / ابن الاثير: الكامل، ج٢، ص٣٥٧ / ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٩٣٨ .

بقيت في المدائن، فلقد روى سيف بن عمر (ت١٨٠هـ) أن سعداً بن أبي وقاص كتب الى الخليفة عمر ابن الخطاب ((وخيّرت المسلمين بالمدائن فمن أعجبه المقام فيها تركته فيها كالمسلحة، فبقي أقوام من الأفناء وأكثرهم بنو عبس))[١].

و رُوي أن حذيفة بن اليمان[٢] قد تولّى المدائن في خلافة عمر بن الخطاب، وبقي عقبة في المدائن بعد وفاتـه[٣].

ولقد اتخذ المسلمون منازلهم في المدائن من الدور التي أخلاها أهلها لما هربوا بعد هزيمة الفرس في القادسيـة[٤]، ويبدو أن ذلك استمر في العصر الأموي، إذ روى أبو مخنف (ت١٥٧هـ) أن أهل المدائن لما خرج شبيب الخارجي سنة ٧٦هـ تحصنوا وتحرّزوا منه في بيوتهم ((وهي أبنية المدائن الأولى))[٥]. مما يوحي وكأن العرب لم يسعوا الى إيجاد مبانٍ جديدةٍ بأيديهم وإنما اعتمدوا على البيوت الأولى التي بناها وسكنها الفرس قبل فتح العراق. ولقد اتخذ المسلمون من إيوان كسرى مسجداً لهم أول الأمر[٦]، ويُروى أن المسجد شهد توسّعاً على يد حذيفة بن اليمان[٧]، مما يشعر بتزايد اعداد العرب المسلمين في المدائن في أواخر عصر الخلفاء الراشدين.

وكان أهل المدائن يرتبطون بالكوفة خاصةً من الناحية المالية إذ كانوا يأتون للكوفة في موعد صرف العطاء والأرزاق فيأخذون أعطياتهم ويرجعون الى المدائن[٨].

ولقد أُختلف في أعداد مقاتلة المدائن في أواخر خلافة علي (٣٥-٤٠هـ) فقيل أنهم كانوا ٨٠٠ مقاتل[٩]، وقيل أنهم ١٢٠٠ مقاتل[١٠]. ويبدو أن أعداد أهل المدائن تزايدت في العصر الأموي، إذ يُروى عن هجرة جماعة سعد بن حذيفة بن اليمان وهم من الشيعة من الكوفة الى المدائن[١١].

وترد اشارة وحيدة حول أعداد المقاتلة فيها في العصر الأموي إذ يذكر الطبري في حوادث سنة ٧٦هـ

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٤، ص٣٤ (سيف) .

(٢) حذيفة بن اليمان: هو ابن حسيل بن جابر بن ربيعة وهو اليماني العبسي، من كبار الصحابة شهد مع الرسول (ص) غزوة أحد وما بعدها من الغزوات. استعمله الخليفة عمر بن الخطاب على المدائن فلم يزل بها حتى وفاته سنة ٣٦هـ . ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٣٤٦، ج٧، ص١٥٦-١٥٧ / ابن حجر : الاصابة ، ج٢ ، ص٣٩ .

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٥٧ .

(٤) الطبري: تاريخ ، ج٤ ، ص٢٠ (الشعبي) / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣٥٧ .

(٥) الطبري: تاريخ ، ج٦ ، ص٢٢٩ (أبو مخنف) .

(٦) الطبري: تاريخ ، ج٤ ، ص ٢٠ (الشعبي) / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣٥٧ .

(٧) البلاذري: فتوح ، ص٢٨٨ (الحسن بن صالح) / ابن الفقيه : البلدان ، ص ٢٦٣ .

(٨) الطبري: تاريخ ، ج٥ ، ص٥٥٧ (أبو مخنف) .

(٩) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ، ج١ ، ص١٤٥ .

(١٠) نصر بن مزاحم: صفين ، ص ١٦٠ .

(١١) البلاذري: أنساب، ج٦، ص٣٦٦ (أبو مخنف)/ الطبري: تاريخ، ج٥، ص٥٥٧ (أبو مخنف)/ مجهول: تاريخ الخلفاء، ص٢١٧ .

رواية عن أبي مخنف مفادها أن سورة بن أبجر التميمي– أحد قادة الحجاج بن يوسف – وجّه عدي بن عميرة الشيباني الى المدائن وكان بها ألف فارس، فانتخب منهم خمسمائة لقتال شبيب الشيباني الخارجي[١].

ولم يكتف العرب بإعمار المدائن بل سكنوا ما حولها مثل: ساباط وبهرسير ويشعر بذلك ما رواه عبد الرحمن السلمي إذ قال: ((انطلقت الى الجمعة مع أبي بالمدائن وبيننا وبينها فرسخ، وحذيفة بن اليمان على المدائــن))[٢]. كما ترد اشارة سنة ٧٦هــ تشعر بعمران المدائن من كافة جوانبها عندما قال رجل من العرب لمطرّف بن المغيرة بن شعبة لما أراد الخروج على الحجاج فقال له: ((فالنجاء النجاء من مكانك هــذا، فإن أهل المدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب٠٠ يتحدثون بما بينك وبين شبيب))[٣].

ويبدو أن المدائن وصلت لدرجة عالية من النمو والازدهار في أواخر العصر الأموي، لدرجة أنها كانت تُذكر في مصاف المدن الكبيرة، إذ روى أبو مخنف أنه لما أراد زيد بن علي الخروج وكان ((في ديوانه خمسة عشر ألفاً ويقال اثنا عشر ألفاً من أهل الكوفة خاصة سوى أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان والجزيرة))[٤].

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٦، ص٢٢٨ (أبو مخنف) / انظر البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٢٠ ٠

(٢) الأصبهاني: حلية الأولياء، ج١، ص٢٨١ ٠

(٣) الطبري: تاريخ، ج٦، ص٢٨٩ (أبو مخنف) ٠

(٤) البلاذري: أنساب، ج٣، ص٤٣٣ (قالوا)/ الاصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص١٣٥/ الحسيني، غاية الاختصار، ص١٣٩ ٠

الفصل الخامس :

أثر الاستقرار العربي في العراق (العربي) في صدر الإسلام

أ. اختلاط القبائل العربية بأهل السواد (العراق العربي) ·

ب. القبائل العربية والارض ·

- انتشار العرب في العراق العربي ·

أ – اختلاط القبائل العربية بأهل السواد (العراق العربي):–

كان العراق العربي عشيّة الفتح العربي الاسلامي يضم خليطاً من الأجناس كالنبط والفرس والعرب، وانضم لهم وافدون جدد من أبناء القبائل العربية المشاركة بالفتح.

لقد بدأ اختلاط القبائل العربية المشاركة بالفتح بأهل البلاد المفتوحة في العراق منذ فترة مبكرة بدأت مع بدايات حركة الفتح، ونتج عن ذلك أن قسّم العرب أهل البلاد المفتوحة لقسمين: الموالي وأهل الذمة، فلقد أطلق العرب الفاتحون على كل من أسلم من غير العرب اسم الموالي(١). والموالي إما أن يكونوا موالي عتاقة وهم الذين كانوا اصلاً أسرى حرب، اعتنقوا الاسلام فحُرّروا من عبوديتهم فأصبحوا موالي لأسيادهم العرب ويرتبطون معهم بعلاقة تشبه التبعيّة الاجتماعية، وكان هؤلاء قلة(٢). وإما أن يكونوا موالي الاسلام وهؤلاء هم الأكثر انتشاراً وهم من الأحرار الذين لم يتعرضوا للاسترقاق جاءوا الى الأمصار بمحض إرادتهم واستقروا فيها، ولما كانت القبيلة تمثّل اللبنة الأساسية في المجتمع العربي الذي تترسخ فيه دعائم النسب، اضطر هؤلاء للدخول في حلف مع أحد الأشخاص او الجماعات العربية الا أنه حلف غير متكافئ في المكانة الاجتماعية غير أنه لا يخلو من المزايا الهامة، إذ كان الموالي يحملون اسم قبيلة سيدهم مرفقة بكلمة مولى اشارة الى أن رابطتهم بالقبيلة هي رابطة اجتماعية وليست رابطة دم (نسب). وكانت صلة الولاء تحقق منافعاً متبادلة إذ تفرض التعاون والتناصر ودفع الديات والمشاركة في الحروب مقابل توفير الحماية للمولى الذي يساهم في تعزيز مكانة حليفه العربي.

ومن أمثلة الموالي في العراق: الأساورة وهم مجموعة من الفرس كان يطلق عليهم جند الشاهنشاه ، كانوا قد شهدوا وقعة القادسية الى جانب الجيش الفارسي بقيادة رستم ويقدّر عددهم بأربعة الآف مقاتل. إذ عقد بعضهم صلحاً مع سعد بن أبي وقاص قبيل القادسية وبعدها، ثم أسلموا وحالفوا زهرة بن حويّة السعدي من تميم ونزلوا مع المسلمين الكوفة(٣)، وسمّوا بحمراء الديلم نسبةً لقائدهم ديلم(٤). وكان هؤلاء يشكّلون أكبر موجة من الفرس وصلت الكوفـــــة.

واستقر في البصرة الى جانب أبناء القبائل العربية عدد من الأعاجم الذين ارتبطوا ببعض القبائل ضمن نظام الولاء؛ ومنهم الاساورة الفرس(٥) الذين كانوا بقيادة سياه الاسواري وهم الذين يئسوا من جدوى

---

(١) صالح العلي : التنظيمات ، ص ٧٧ / عبد العزيز الدوري : التكوين التاريخي ، ص٥٢ .

(٢) فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية ، ص٢٢٤ / صالح العلي : التنظيمات ، ص٥٠ / عبد العزيز الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص٤٠ .

(٣) البلاذري: فتوح، ص٣٦٦ (جماعة من أهل العلم)، ص٣٦٨ (عوانة) / الطبري: تاريخ، ج٣، ص٥١٢(سيف) / السرخسي: المبسوط، ج٨، ص٨١٥ / ابن حبيش: غزوات، ج٢، ص٨٩ / ياقوت: معجم، ج٥، ص٣١٧ .

(٤) البلاذري: فتوح، ص٢٧٩/ حسين البراقي: تاريخ الكوفة، ص٩٢، ١١٨ . وقيل أن حمراء الديلم هم اساورة أسلموا بعد فتح قزوين. البلاذري: فتوح ، ص٢٧٩ (أبو مسعود الكوفي) .

(٥) الأساورة: كلمة فارسية مفردها اسوار وتعني الفارس وهو لقب كان يعطى للشجعان في ايران القديمة. ابراهيم الدسوقي شتا، المعجم الفارسي الكبير، ج١، ص١٠٧ .

مقاومة القوات العربية التي يقودها أبو موسى الأشعري[١] في الأهــواز[٢]، فأرسل سياه لأبي موسى بالصلح وفقاً لشروط اشترطوها إذ قال سياه ((إنا قد أجبنا الدخول معكم في دينكم على أن نقاتل عدوكم من العجم وعلى أنه إن وقع بينكم اختلاف لم نقاتل بعضكم مع بعض وعلى أنه إن قاتلنا العرب منعتمونا منهم وأعنتمونا عليهم، وعلى أن ننزل بحيث شئنا من البلدان ونكون فيمن شئنا منكم وعلى أن نلحق بشرف العطاء ويعقد لنا بذلك الأمير الذي بعثكم))[٣]. فأُجيبوا لطلبهم، فخرجوا الى البصرة واستقروا فيها وارتبطوا مع بني سعد من تميم برابطة الولاء[٤].

ويبدو أن قبيلة تميم كانت أحظى القبائل بالموالي في البصرة لأنها كانت أعزّ قبائل البصرة وأقواها، فلقد حالفها أيضاً بالاضافة الى الأساورة جماعات من الزط والسيابجة، ويظهر أنهم يرجعون في اصولهم الى السند، كان الفرس قد سبوهم واسكنوهم سواحل خليج البصرة ثم استخدموهم في قواتهم، ولما علموا بالامتيازات التي نالها الأساورة بعد اسلامهم وانضمامهم للقوات العربية، أعلنوا اسلامهم وانضموا للقوات العربية ونزلوا البصرة بعد أن حالفوا بني حنظلة من تميم البصرة[٥]. ولعل ذلك زاد من أعداد بني تميم وبالتالي زادت قوتها ونفوذها في البصرة. إضافةً للموالي الفرس وجد موالي من النبط[٦]. ويرجع النبط في أصولهم الى الجزيرة العربية، إلا أنهم خرجوا منها منذ أزمان بعيدة وشكّلوا غالبية أهل العراق قبل الفتح الاسلامي، وكانوا يعيشون في القرى باعتبارهم فلاحين يحيون حياة البؤس والشقاء في ظل الدولة الساسانية[٧].

لم يبدِ معظم النبط مقاومة للعرب المسلمين الفاتحين خاصةً وأنهم أرادوا الخلاص من سوء أوضاعهم، ويعبّر الرّفيل وهو أحد الدهاقين عن هذه النظرة عندما قال للخليفة عمر بن الخطاب ((يا أمير المؤمنين إنّا كنا قد ظهر علينا أهل فارس فأضرّوا بنا وأساءوا الينا.. فلما جاء الله بكم أعجبنا مجيئكم وفرحنا فلم نصدّكم عن شيء ولم نقاتلكم))[٨]. ولقد أحسن الخليفة عمر بن الخطاب معاملة النبط فلم يتعرّض لهم

---

(١) أبو موسى الأشعري: واسمه عبد الله بن قيس بن سليم من الأشعر وهو نبت بن أدد بن زيد من قحطان، قدم مكة فحالف سعيد بن العاص بن أميه وأسلم بمكة وهاجر للحبشة، تولى البصرة سنة ١٧هـ وتولى فتح العديد من المناطق في المشرق مثل: الأهواز، الدينور، ماسبذان وغيرها من المناطق، توفي سنة ٥٢هـ. ابن سعد: الطبقات، ج٤، ص٣٧١-٣٧٧ .

(٢) الأهواز: اسم عربي لأرض خوزستان وهي سبع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم ويجمعهن الأهواز وهي كثيرة الحمى من أهم كورها: سوق الأهواز، رامهرمز، ايذج، عسكر مكرم. ياقوت: معجم، ج١، ص٢٨٤-٢٨٦ .

(٣) البلاذري: فتوح، ص٣٦٦ (جماعة من أهل العلم) / الطبري: تاريخ، ج٤، ص٨٩-٩٠ (المدائني) / ابن حبيش: غزوات، ج٢، ص٨٩ / ياقوت: معجم، ج٥ ، ص ٣١٧ .

(٤) البلاذري: فتوح، ص٣٦٧ (المدائني) .

(٥) ذكر عوانة بن الحكم (ت١٤٧هـ) أن الزط اصلهم من السند أتى بهم الحجاج بن يوسف الثقفي مع عيالاتهم فأسكنهم أسفل كسكر فغلبوا على البطيحة، أما المدائني (ت٢٢٥هـ) فيرى أنهم جماعات كانت تعيش في الطفوف تنتقل وراء الكلأ . البلاذري: فتوح، ص ٣٦٨ (عوانه). انظر: ٣٦٦-٣٦٧ (المدائني) / ثابت الراوي: العراق في العصر الاموي، ص١٣٦ .

(٦) انظر الفصل الأول من الرسالة ، ص٢٨-٢٩ .

(٧) الطبري: تاريخ، ج١، ص٣٧٩، ج٣، ص٥٢٢ (أبو عثمان النهدي)/ البيروني: الآثار، ص٢١٨/ هشام جعيط: الكوفة، ص٦١ .

(٨) أبو عبيد: الأموال، ص٢٢٣ / ابن زنجوية: الأموال، ج١، ص٣٥٧/ فان فلوتن: السيادة العربية ، ص١٩ .

بالسبي بل ((رفع الرق عنهم حين وضع عليهم الخراج في رقابهم وجعلهم أكرة الأرض))[١].
لقد نشأ اختلاط العرب الفاتحين بأهل العراق نتيجة لدخول أعداد منهم الى الأمصار العربية، حيث سمح لهم بالاختطاط مع العرب في البصرة والكوفة ضمن خطط القبائل التي يوالونها، كما ساعد في الاختلاط ايضاً خروج بعض العرب للعيش في ملكياتهم في الأراضي الزراعية المنتشرة في الريف مما أدى لاختلاطهم بأهل القرى خاصة من النبط ولذلك قال اليعقوبي في القرن الثالث الهجري ((والمسافات من بغداد الى الكوفة في عمارات وقرى عظام متصلة عامرة فيها اخلاط من العجم والعرب))[٢]. ولقد أثّر ذلك كله في نشوء علاقات متباينة بين العرب والموالي تزخر بعض المصادر في الحديث عنها.
لقد اختلفت نظرة العرب الى الموالي باختلاف مهنهم، إذ نظر العرب لعدد من المهن اليدوية كالفلاحة والحياكة وأعمال النسيج نظرة دونية يشوبها الكثير من الازدراء والاحتقار لكل من يمارسها. لذلك قال الجاحظ عن العرب البدو أنهم لم ((يكونوا تجّاراً ولا صنّاعاً ولا أطباء ولا حسّاباً ولا أصحاب مهنة))[٣].
وبسبب ذلك نفر العرب من ممارسة هذه الأعمال التي تركت للموالي والعبيد[٤]، لذلك سيطر الموالي على الأسواق في الأمصار يشعر بذلك ما قاله الأحنف بن قيس[٥] لمعاوية بن أبي سفيان الذي قيل أنه أراد قتل عدد من الموالي لخشيته كثرتهم في الأمصار! فقال الأحنف ((أفتجعل العرب يقيمون اسواقهم قصّابين وقصّارين وحجّامين))[٦].
ولم يترك بعض أبناء القبائل العربية خاصة عرب المدن ممارستهم للتجارة في صدر الاسلام إلا أن إنشغالهم في الفتح وادارة البلاد المفتوحة كان عائقاً دون توسّع نشاطهم، لذا استعانوا بالموالي في شؤون التجارة، وبذلك ساهم تركّز العديد من الموالي في أسواق الأمصار في تسهيل اختلاط العرب بهم.
اما الفقهاء والكتاب والتجار من الموالي فلقد حظوا باحترام كبير ومنزلة اجتماعية رفيعة، إذ استطاع العديد من الموالي اتقان اللغة العربية مما أهّلهم للاشتغال في علوم الدين وعلوم اللغة العربية فبرز منهم الفقهاء والعلماء الذين اعتبروا سادة علماء التابعين كالحسن البصري[٧]، محمد بن سيرين[٨]، سعيد بن جبير[٩]،

---

(١) البلاذري: فتوح، ص٣٨٠ (المدائني)/ اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٢٤٢/ أبو هلال العسكري، الأوائل، ص١١٥ .
(٢) اليعقوبي: البلدان ، ص٦٨-٦٩ / جمال جودة : العرب والارض ، ص٢٦٤ .
(٣) الجاحظ: رسائل ، ج١ ، ص٦٩ .
(٤) ابن عساكر: تهذيب ، ج٧ ، ص١٥ / ترتون : أهل الذمة في الاسلام ، ص٩٧ .
(٥) الاحنف بن قيس: وأسمه الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن حفص من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، توفي في الكوفة في ولاية مصعب بن الزبير . ابن سعد: الطبقات ، ج٧ ، ص٤٦-٤٨ .
(٦) ابن عساكر: تهذيب، ج٧ ، ص١٥ .
(٧) الحسن البصري: هو الحسن بن يسار ، من سبي ميسان ، وقع الى المدينة فاشترته الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك فأعتقته، وكان من أشهر قضاة البصرة ، توفي سنة ١١٠هـ . ابن سعد: الطبقات ، ج٧ ، ص٧٩-٩٢ .
(٨) محمد بن سيرين: مولى أنس بن مالك، وكان ثقة مأمونا عالياً رفيعاً فقهياً، أصله من سبي عين التمر، وكانت وفاته سنة ١١٠هـ. ابن سعد: الطبقات ، ج٧ ، ص٩٩-١٠٨ .
(٩) سعيد بن جبير: مولى لبني والبة بن الحارث من بني اسد بن خزيمة ، كان فيمن خرج من القراء على الحجاج بن يوسف وشهد دير الجماجم، وبعد هزيمة ابن الاشعث هرب سعيد الى مكة ثم قبض عليه وقتله الحجاج ٩٤هـ. ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص٤٨٥-٤٩٢ .

مسلم بـــــن يســـار[١]، يحيى بن وثّاب الأسدي[٢] والحكم بن عتيبة الكوفي[٣]، وسواهم كثير .
لقد استعان العرب بالعديد من الموالي وخاصة الموالي الفرس في ادارة العراق وخاصة في الشؤون المالية ذلك أنه لما جاء العرب المسلمون الى العراق لم يكن بامكانهم أن يغيروا الاوضاع القائمة بسرعة لذا فرضت عليهم الظروف الاستعانة بالموظفين ذوي الخبرة والمهارة من أهل العراق لادارة البلاد[٤]، فلقد احتفظ الدهاقين بوظائفهم بعد أن اعتنقوا الاسلام، فاستمرت الدولة العربية تعتمد عليهم في أمور الجباية لمعرفتهم بالأرض وأهلها، وكان عبيدالله بن زياد بن أبيه يبرّر كثرة استعانته بالموالي من الدهاقين في جباية الخراج بقوله أنهم ((أبصر بالجباية وأوفى بالأمانة وأهون في المطالبة))[٥].
ولقد اعتمد الخلفاء الراشدون والامويون على الموالي، ولقد سمحوا لهم بتقلّد عدد من الوظائف الهامة. فلقد استعان العرب بالسيابجة والزط في حراسة بيت المال في البصرة في خلافة علي بن أبي طالب[٦].
وفي عهد الامويين استعان الخلفاء والولاة بعدد كبير من الموالي لشغل وظائف في الدواوين، فلقد ولّى معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن درّاج على خراج العراق[٧]، واستكتب الحجاج بن يوسف زادان فرّوخ ابن بيري الفارسي الذي كان كاتباً عند زياد بن أبيه[٨].
وعيّن الحجاج صالحاً بن عبد الرحمن[٩] على ديوان الخراج بعدما عهد اليه بنقله الى العربية[١٠]. وولى عمر بن عبد العزيز أبا الزناد –عبد الله بن ذكوان– مولى رملة زوجة عثمان بن عفان الكتابة لعامله على الكوفة عبد الحميد بن عبدالرحمن سنة ٩٩هـــ[١١].
واستعمل يزيد بن المهلب صالحاً بن عبد الرحمن على خراج العراق ايام سليمان بن عبدالملك[١٢].

---

(١) مسلم بن يسار: مولى طلحة بن عبيد الله التيمي من قريش، كان ثقة عابداً فاضلاً، شارك في حركة ابن الاشعث ضد الحجاج، وتوفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ أو ١٠١هـــ. ابن سعد: الطبقات، ج٧ ، ص٩٦-٩٨ .
(٢) يحيى بن وثاب: الامام القدوة المقرئ، الفقيه، شيخ القراء ، الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي ، اسم أبيه وثاب بزدويه بن ماهويه ، سباه مجاشع بن مسعود السلمي من قاشان اذ افتتحها، وكان وثاب من أبناء اشرافها ثم وقع في سهم ابن عباس فسماه وثاباً، أقام يحيى في الكوفة، وكان أقرأ أهل زمانه ، توفي سنة ١٠٣هـــ. الذهبي: سير أعلام ، ج٤ ، ص ٣٧٩-٣٨١ .
(٣) الحكم بن عتيبة الكوفي : الامام الكبير عالم أهل الكوفة ، أبو محمد الكندي ، مولاهم الكوفي ، كان صاحب عبادة وفضل وفقهياً ثبتاً ، توفي ١١٥هـــ. الذهبي: سير أعلام، ج٥ ، ص٢٠٨-٢١٣ .
(٤) فالح حسين: " مشاركة العناصر غير العربية في الجيش والادارة الاموية "، بحث في كتاب دراسات تاريخية مهداة الى الدكتور عبد العزيز الدوري، ١٩٩٥، ص ٢٣٣ .
(٥) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥٢٣ (عمر بن شبه) .
(٦) البلاذري : فتوح ، ص ٣٦٩ / الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٦٨ (سيف) .
(٧) البلاذري: فتوح، ص ٢٩١ (جماعة من أهل العلم)/ الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٣٣، ٤٠/ قدامة بن جعفر: الخراج، ص١٦٩ .
(٨) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥٢٢ (عمر بن شبه) .
(٩) صالح بن عبد الرحمن السجستاني : مولى بني مرة من تميم ، كان أبوه من سبي سجستان ، وكان كاتبا مع زادان فروخ لدى الحجاج ابن يوسف. البلاذري : فتوح ، ص٢٩٨ (المدائني) / انساب ، ج٨ ، ص١١٣ / أبو هلال العسكري: الأوائل، ص ١٧٥ .
(١٠) البلاذري: فتوح ، ص٢٩٨ (المدائني) / الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص٣٨ .
(١١) ابن قتيبة : المعارف ، ص٢٦٣ .
(١٢) البلاذري : أنساب ، ج٨ ، ص١١٣-١١٤ ، ٢٨٨ (المدائني) / الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص٣٨ .

وكان خالد بن عبدالله القسري – عامل هشام بن عبدالملك على العراق ١٠٥-١٢٠هـ – يكثر من الاستعانة بالموالي حتى قال المدائني (ت٢٢٥هـ) أن ((عامة عمال خالد الدهاقين))[١]. ولقد استعان بعض العرب بالنبط للاشراف على ممتلكاتهم من الاراضي، فيروى أن والد حماد عجرد الكوفي أصله نبطي؛ وكان وكيلاً لهند بنت أسماء بن خارجة على قراها في السواد حتى أن أحدهم عيَّر حماداً بوالده لأنه نبطي فقال:

وأشدد يديك بحماد أبي عمر فإنه نبطـــي من زنـــابير[٢]

ولقد وجد لبعض الموالي حظوة اجتماعية بين الناس مثل الحسن البصري الذي نظر له العرب بالإجلال والتقدير وذلك لمكانته العلمية الرفيعة حتى أن ابن خلكان ذكر أنه لما توفي الحسن البصري ((فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به فلم تقم صلاة العصر بالجامع ولا أعلم أنها تركت منذ كان الاسلام إلا يومئذ لأنهم تبعوا كلهم الجنازة حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر)) [٣].

كما كان فيروز حصين الذي وصف بأنه كان ((رجلاً جيد البيت في العجم، كريم المَحْتَد، مشهور الآباء، فلما أسلم والى حصيناً وهو حصين بن عبد الله العنبري))[٤]، غنياً ويدل على ذلك ما حصل في حركة ابن الاشعث، إذ خصص الحجاج جائزة مقدارها عشرة الآف درهم لمن يأتيه برأس فيروز، فلما سمع فيروز بذلك صاح في الناس ((من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا فيروز حصين وقد عرفتم مالي ووفائي، من أتى برأس الحجاج فله مائة الف، فقال الحجاج: والله لقد تركني أكثر التلفّت وإني لبين خاصتي))[٥].

ومما يؤكد الحظوة الاجتماعية التي نالها فيروز أن جاراً له أراد بيع داره فقال ((أبيعها بعشرة الآف درهم، خمسة الآف ثمنها وخمسة الآف لجوار فيروز، فبلغ فيروز ذلك فقال: أمسك عليك دارك وأعطاه عشرة الآف درهم))[٦]. وكذلك كان أبو دكين مولى قبيلة مراد الذي يبدو أنه كان غنياً حتى قيل أنه كان يقدم مساعدات مالية لأفراد من مراد[٧].

بدأت روابط المصاهرة بين أبناء القبائل العربية المشاركة بالفتح وأهل العراق إبان حركة الفتح الاسلامي، إذ تزوج عدد من الفاتحين الذين شاركوا في القادسية ١٥هـ نساءاً من أهل الكتاب في العراق، وذلك لقلة اعداد النساء المسلمات المشاركات في الفتح[٨].

الا أنه وبعد استقرار الفتح واختطاط الأمصار يقال أن الخليفة عمر بن الخطاب خشي من تزايد أعداد النساء العربيات المسلمات غير المتزوجات في الأمصار إذا استمر المقاتلة في الزواج من نساء أهل الكتاب

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ، ج٩ ، ص ٨٩ (المدائني) .

(٢) الاصفهاني : الأغاني ، ج١٣ ، ص٧٠ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢٢٨ .

(٤) المبرد : الكامل ، ج٢ ، ص٢٨٤ .

(٥) المبرد: الكامل، ج٢، ص٢٨٥ / الطبري: تاريخ، ج٦، ص٣٧٩ (أبو عبيدة)/ أبو هلال العسكري: الأوائل، ص٢٣١-٢٣٢ / النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٥٣ .

(٦) البلاذري: فتوح، ص ٣٤٧ (القحذمي)/ فالح حسين، " مشاركة العناصر غير العربية في الجيش والادارة الامويـــة "، ص ٢٣٢ .

(٧) ابن حبيب : المحبر ، ص٣٤٢ .

(٨) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٨٨ (سيف) / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٦١٠ .

حتى أنـــه كتب الى المسلمين بطلاق نسائهم من أهل الكتاب؛ وهذا يعني شدة الإقبال على الزواج من بنات أهل السواد مما يزيد في الروابط بين أبناء القبائل العربية ومختلف فئات أهل السواد.

كما وصف نساء العجم بأنهنّ خطر على العربيات عندما قال ((في نساء الأعاجم خلابة، فإن اقبلتم عليهنّ غلبنكم على نسائكم))[١].

ووجد من المقاتلة من اتخذ من سبي الفرس أمهات أولاد لهم، فيروى أن محقن بن ثعلبة وهب عمرو بن مالك جارية من سبي جلولاء اتخذها ام ولد[٢]. ومن سبي جلولاء أيضاً أم الشعبي التي وقعت لرجل من بني عبس ثم مات عنها فخلّف عليها شراحيل فولدت له عامر الذي نشأ في بني عبس[٣].

كما تزوج بعض أبناء الخلفاء الراشدين من نساء فارسيات، فلقد كانت أم سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي فارسية وكذلك أم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وأم علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٤].

ووجد في بعض الأحيان زواج المولى من أمراة عربية، فمثلا يروى أن حمران بن أبان[٥] تزوج امرأة من بني سعد من تميم، كما تزوج أولاده من نساء عربيات، وكذلك تزوج محمد بن سيرين من امرأة عربية وتزوج ابن عون من امرأة عربية من سدوس[٦].

كما زوّج ابراهيم بن النعمان بن بشير الأنصاري ابنته من مولى هو يحيى بن أبي حفصه[٧].

ويبدو أن روابط المصاهرة بين العرب والموالي اصبحت اكثر انتشاراً في أواخر القرن الأول الهجري ومطلع القرن الثاني الهجري ؛ مما دفع بوالي الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن أن يكتب الى الخليفة عمر ابن عبد العزيز بقوله: ((أني وجدت الموالي يتزوجون الى العرب والعرب الى الموالي)) فرد عليه الخليفة ((أني نظرت فيما ذكرت فلم أجد أحداً من العرب يتزوج الى الموالي الا الطمع الطبع، ولم أجد أحداً من الموالي يتزوج الى العرب الا الأشر البطر، ولا أحرم حلالاً ولا أحل حراماً، والسلام))[٨].

لقد ساهم زواج العرب من نساء غير عربيات في إدخال التقاليد والثقافات غير العربيةُ للمجتمع العربي كما أنه وثق الصلات الاجتماعية بين العديد من العرب وأهل البلاد المفتوحة يشعـــــر بذلك ما قاله الأحنف بن

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٣، ص٥٨٨ (سيف)/ ابن حبيش: غزوات، ج٢، ص ٩٠٦ / صالح العلي: امتداد العرب، ص٢٢ .

(٢) الدينوري : الأخبار ، ص١٢٢ / الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٨ .

(٣) البلاذري : فتوح ، ص٢٦٣ (الشعبي) / الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٨ (سيف) .

(٤) المبرد : الكامل ، ج١ ، ص٤٢٣ -٤٢٤ .

(٥) حمران بن أبان: مولى عثمان بن عفان، روى عن عثمان وتحول الى البصرة فنزلها وأدعى ولده أنهم من النمر بن قاسط بن ربيعة، وكان كثير الحديث. ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص١٣٩ .

(٦) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج٤ ، ص٣٥٩ / وكيع : أخبار القضاة ، ج٢ ، ص٢٨-٢٩ .

(٧) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج٤ ، ص٣٠٦-٣٠٧ / المبرد : الكامل ، ج١ ، ص٣٨٤ .

(٨) البلاذري : أنساب ، ج٨ ، ص١٨٨ (قالوا) .

قيـــس لمعاوية بن أبي سفيان الذي قيل أنه أراد قتل عدد من الموالي فقال الأحنف ((أرى أن نفسي لا تطيب، يُقتل أخي لأمي وخالي ومولاي! وقد شاركناهم وشاركونا في النســب))[١]. ولقد وجد من العرب من افتخر بأمهاتهم غير العربيات ويدل على ذلك ما أنشده بلال بن جرير الذي كانت أمه جارية من الرّي:

يا رُبَّ خالٍ لي أغرّ أبلجا　　　من آل كسرى يغتدي متوّجا

ليس كخالٍ لك يدعى عَشَنَّجا[٢]

ولقد نتج عن كثرة هذه الزيجات جيل جديد من الهجناء اجتمعت فيهم العادات والتقاليد العربية وغير العربية وكثروا في الأمصار حتى جاء على لسان الرياشي الشاعر[٣]:

إن أولاد السراري　　　كثروا يا ربِّ فينـــا

ربِّ أدخلني بلاداً　　　لا أرى فيها هجينا

فقد حمل هؤلاء خليطاً من صفات العرب والعجم، ويعبّر عن ذلك سوار بن عبد الله العنبري – قاضي البصرة في خلافة أبي جعفر المنصور ((إنّا معشر العرب قدمنا من هذه البادية وفي ألواننا سواد وفي أبداننا نحفٌ وقلة، فنظرنا الى هذه الأعاجم فإذا هي أمدُ منا أجساماً وأشدُ منا بياضاً وأظهر منا حالاً فرغبنا فيهم فاتخذنا منهم السندية والهندية والخراسانية والبربرية، فولدن فينا، فَمَدَدْنَ من أجسامنا وبيضنَّ من ألواننا وحسنَّ من وجوهنـــا))[٤]. كما كان اختلاط الدم العربي مع الدم الأعجمي قد أدى لبروز خصائص جديدة في أهل الأمصار من العرب لم تكن فيهم عند بدايات استقرارهم في العراق يتّضح ذلك من قول دينار الفارسي لأهل الكوفة في أيام خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ قال ((يا معشر أهل الكوفة، أنتم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فعمرتم بذلك زمان عمر وعثمان، ثم تغيرتم وفَشَت فيكم خصال أربع: بخلٌ و خبٌّ و غدرٌ و ضيق، ولم يكن فيكم واحدة منهنَّ، فرمقتكم، فإذا ذلك في مولّديكم فعلمت من أين أتيتم ، فإذا الخبُّ من قِبَل النبط ، و البخل من قِبَل فارس ، و الغدر من قِبَل خراسان و الضيق من قبل الأهواز))[٥].

وكان معظم الموالي في العراق من النبط يشعر بذلك ما قاله الحجاج بن يوسف بعد أحداث حركة ابن الاشعث إذ ذكر المبرد: ((ونظر الحجاج فإذا جلّ من خرج مع عبد الرحمن – بن الأشعث – من الفقهاء وغيرهم من الموالي فأحبَّ أن يزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب ويخلطهم بأهل القرى والأنباط فقال: إنما الموالي علوج وإنما أتي بهم من القرى، فقراهم أولى بهم فأمر بتسييرهم من الأمصار واقرار العرب بها))[٦].

رغم أن المصادر لم تشر صراحة لذلك، ولعل السبب هو أن النبط وثيقي الصلة بالعرب في الأصول

---

(١) ابن عبد ربه : العقد ، ج٢ ، ص٥٤٣ / صالح العلي : التنظيمات ، ص٩٢ .

(٢) العشنج: المتقبض الوجه السيء المنظر من الرجال. ابن منظور: لسان، ج١٠، ص١٦٢ . انظر: المبرد: الكامل، ج١، ص٤٢٥ .

(٣) المبرد : الكامل ، ج١ ، ص٤٢٨ .

(٤) وكيع : أخبار القضاة ، ج٢ ، ص٦٣ .

(٥) الطبري: تاريخ ، ج٤ ، ص١٣٦ (سيف) / ابن الاثير : الكامل ، ج٢ ، ص٤٢١ .

(٦) المبرد: الكامل، ج١ ، ص٤٠٤ / ابن عبد ربه : العقد ، ج٢، ص٥٤٥ / المرعشي: غرر السير، ص ٩١ .

والثقافـــة لذلك كان يطلق عليهم علوج وليس عجم(١).

ورغم هذه العلاقات الوثيقة التي ارتبط بها العرب مع الموالي إلا أنه ظهرت بعض النزعات السلبية لدى بعض العرب الذين وصفهم المبرد بأنهم جفاة العرب لما قال: ((و لم يكن الاكرام للموالي في جفاة العرب))(٢)، أو كما وصفهم ابن عبد ربه: ((أصحاب العصبية من العـــــرب))(٣).

وترد بعض الأخبار القليلة المبعثرة في بعض كتب الأدب تسجّل حالات فردية لعلاقات سلبية بين العرب والموالي، إلا أنه لا يمكننا أن نوجد منها قاعدة عامة. كما أن هذه الأخبار لا تخص عامة العرب بل تتصل بالبيئات القبلية التي أوجدت نظرة استعلائية لدى بعض العرب نتيجة لاحساسهم بالقوة والتفوق نظراً لأنهم تمكّنوا من فتح هذه المساحات الشاسعة، كما كان لاعتزازهم بأصولهم وأنسابهم دافع كبير لمثل هذه النظرة، فكانوا يعتدّون بعروبيتهم ويرون الموالي ليسوا كفئاً لهم.

ولما كان العرب شديدي الحرص على أنسابهم كان بعضهم ينكر الإصهار الى الموالي، فلم يكن بعضهم يسمح بتزويج ابنته أو اخته من مولى ومن يوافق على ذلك فإنه يعيّر به كما حصل مع ابراهيم بن النعمان ابن بشير الأنصاري الذي زوّج ابنته ليحيى بن أبي حفصة فعيّره الناس بذلك لأن يحيى مولى، فقال ابراهيم(٤):

فما تركتْ عشرونَ ألفاً لقائـــــلِ مقـــالاً فـــلا تحفـــلْ مقالة لائمِ

فإن أكُ قد زوّجتُ مولىً فقد مضت به سنّةٌ قبلـــي وحـــبُّ الدراهمِ

ورغم بعض حالات المصاهرة مع الموالي الا أن مفاهيم النسب بقيت مؤثرة في فترة صدر الاسلام إذ وجد تمييز بين العربي الصريح وغيره ممن تكون أمه غير عربية يشعر بذلك ما ذكره ابن الكلبي (ت٢٠٤هـــ) من أن شداداً بن المنذر بن الحارث بن وعلة الشيباني كانت امه نبطية، وكان هو فيمن شهد على حجر بن عدي عند زياد فلمّا مرَّ اسمه كان مكتوباً شداد بن بزيعة وهو اسم امه فسأل زياد ((ما لهذا أب ينسب إليه؟ قيل: هو أخو حضين، وهو ابن المنذر، قال اطرحوه ولم يقبل شهادته))(٥).

ولقد برزت النظرة الاستعلائية لدى أشراف العرب في الكوفة عندما ثاروا على المختار بن أبي عبيد الثقفي سنة ٦٦هـــ لأنه أحسن معاملة الموالي حتى أنه سوّى بينهم وبين أشراف العرب فقالوا عن المختار ((لقد تأمر علينا هذا الرجل بغير رضا منا، ولقد أدنى موالينا، فحملهم على الدواب وأعطاهم وأطعمهم فيئنا، ولقد عصتنا عبيدنا فحرب بذلك أيتامنا وأراملنا))(٦). ويبدو أن أشراف الكوفة نظروا الى الموالي على أنهم منافسين لهم.

وكان العرف الاجتماعي في الكوفة يرفض تقليد الموالي لمناصب تجعلهم أصحاب السلطان على العرب

---

(١) عبد العزيز الدوري : التكوين التاريخي ، ص٦٢ .

(٢) المبرد : الكامل ، ج٢ ، ص٣٣٨ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد ، ج٢ ، ص٥٤٢ .

(٤) ابن قتيبة : عيون ، ج٤ ، ص ٣٠٦ – ٣٠٧ / المبرد : الكامل ، ج١ ، ص٣٨٤ .

(٥) ابن الكلبي : نسب معد واليمن الكبير ، ج١ ، ص٥٣ .

(٦) الطبري: تاريخ، ج٦، ص٤٣ (أبو مخنف)/ ابن اعثم: الفتوح، م٣، ص٢٨٧ / فلهاوزن: الخوارج والشيعة، ص١٥٥ .

ويـــدل على ذلك أن الحجاج بن يوسف أراد تولية سعيد بن جبير القضاء، فضجَّ عليه أهل الكوفة وقالوا ((لا يصلح القضاء الا لعربي))[(١)].

وكان بعض العرب من ذوي النظرة القبلية الضيقة يرون في الموالي خدماً للعرب يشعر بذلك ما حصل بين عامر بن عبد القيس وحمران بن أبان الذي دعا على عامر إلا أن عامراً دعا له، فلما سئل عامر كيف يدعو لحمران مع أنه دعا عليه أجاب ((نعم، يكسحون طرقنا ويخرزون خفافنا ويحوكون ثيابنا))[(٢)].

ورغم ارتباط المولى بالعربي داخل القبيلة الواحدة إلا أن التمييز بين الصريح من العرب والمولى كان واضحاً، فذكر عن سعيد بن جبير أنه قـــال: ((قال لي ابن عباس: ممن أنت؟ قلت: من بني أسد، قال: من عربهم أو من مواليهـــم؟ قلت: لا بل من مواليهم. قال: فقل: أنا ممن أنعم الله عليه من بني أسد))[(٣)].

ورغم مثل هذه الأخبار وغيرها التي تصوّر العلاقة القائمة بين بعض العرب والموالي الا أنها تمثل جوانب شاذة في علاقات العرب مع أهل العراق كما أن ورودها في بعض كتب الأدب دون تكرارها في كتب التاريخ جاء لغرابتها لا لكونها قاعدة عامة[(٤)].

وجد الى جانب الموالي أهل الذمة وهم الذين شملهم الاسلام من النصارى واليهود بعهده وأمانه وطُبّق عليهم أحكام أهل الذمة التي فرضها الاسلام وأهمها الجزية والتي أقرها الرسول (ص) على مجوس البحرين وعامل المسلمون الفرس في العراق على هذا الأساس[(٥)].

ولقد فرضت الجزية على أهل الذمة مقابل تعهّد المسلمين لهم بالمحافظة على أرواحهم وأموالهم ومنحهم الحرية في ممارسة عقائدهم واعفائهم من الخدمة العسكرية، ولقد نُظّمت هذه الأمور ضمن عقود الصلح التي وقّعها العرب الفاتحون معهم[(٦)].

لقد تزايد أعداد اليهود في العراق العربي إثر هجرة جماعات من يهود نجران من الجزيرة العربية، والذين نزلوا في ضاحية الكوفة في مكان سمّي بالنجرانية[(٧)]. كما خرج لاحقاً أعداد من يهود الحيرة واستقروا في أنحاء الكوفة وزاولوا أعمال الصيرفة والتجارة ونسج الحرير وصناعة الزجاج[(٨)].

---

(١) المبرد: الكامل، ج١، ص٤٠٤ / الطبري : تاريخ، ج٦، ص٤٨٩ (وهب بن جرير)/ ابن عبد ربه: العقد، ج٢، ص٥٤٥ / فالح حسين: مشاركة العناصر غير العربية في الجيش والادارة الاموية، ص٢٣١ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٢ ، ص٥٤٣ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ج٦ ، ص٤٨٥ .

(٤) فالح حسين: " مشاركة العناصر غير العربية في الجيش والادارة الاموية "، بحث في كتاب دراسات مهداة الى عبد العزيز الدوري، ١٩٩٥، ص٢٣١ .

(٥) قال تعالى :((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون)) ، سورة التوبة ، آية ٢٩ .

(٦) أبو يوسف : الخراج ، ص ١٢٣ / البلاذري : فتوح ، ص٢٤٤ (قالوا) / الطبري: تاريخ ، ج٣، ص٣٦٤ ، ٣٦٧ (سيف)/ دانييل دينيت: الجزية والاسلام، ص٥٤ .

(٧) ابن سعد : الطبقات ، ج٣ ، ص ١٥٠ / الطبري:تاريخ ، ج٦ ، ص٢٤٤ / احمد سوسة : العرب واليهود ، ص٦٣٢ .

(٨) يوسف غنيمة : نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، ص١٠٣/ ترتون : أهل الذمة ، ص٢٠٥ / احمد سوسة : العرب واليهود، ص٦٢٩ .

وكان لتراجع مكانة الحيرة أن جعلت أعداداً من النصارى يأتون الأمصار خاصة الكوفة، إذ استقر فيها عدد من نصارى العرب من النمر بن قاسط واياد وتغلب ممن شاركوا مع المسلمين في معركة البويب سنة ١٤هـ ونزلوا معهم المدائن سنة ١٦هـ ثم ما لبثوا أن انتقلوا مع المسلمين الى الكوفة واستقروا فيها سنة ١٧هـ[١].

وكان نصارى العراق على مذهبين: يعاقبة ونساطرة[٦]، وكان لكل طائفة أسقف يقيم في مدينة الكوفة ويسكنان دار الروميين[٢].

ولا نكاد نجد أي اشارة صريحة في المصادر لطبيعة العلاقات التي كانت بين القبائل العربية وأهل الذمة في العراق، ولكن من المؤكد أن العرب استعانوا بأهل الذمة في ادارة شؤون البلاد المفتوحة إذ وجد من أهل الذمة موظفون من ذوي الخبرة والكفاءة التي لزمت الدولة العربية في بداية حكمها للعراق فكان لزاماً على الدولة الاستعانة بهم، ويدل على ذلك قول الخليفة عمر بن عبد العزيز ((أن المسلمين كانوا فيما مضى إذا قدموا بلدةً فيها أهل الشرك يستعينون بهم لعلمهم بالجباية والكتابة والتدبير))[٤].

ولعل كثرة اشغال أهل الذمة للوظائف في الدولة العربية قد أوجدت معارضةً لدى المسلمين كان صداها في الرواية التي تنسب الى عمر بن عبد العزيز الذي كتب الى عماله قائلاً: ((فلا أعلم كاتباً ولا عاملاً في شيء من عملك على غير دين الاسلام الا عزلته واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً، فإن مَحْقَ أعمالهم مَحقُ أديانهم، فإن أولى بهم أنزالهم منزلتهم التي أنزلها الله بها من الذّل والصَغَار)) [٥].

ان هذه الرواية تمثّل حالة التذمر والمعارضة لدى المسلمين الذين شهدوا كثرة تولّي أهل الذمة للوظائف، ذلك أنه لم يُستبعد أهل الذمة من وظائف الدولة بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز ويدل على ذلك أن الخليفة هشام بن عبد الملك أرسل برسالة لواليه علىٰ العراق خالد بن عبدالله القسري[٦] يأخذ عليه استعانته ((بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجِبْوة خراجهم وتسلطهم عليهم))[٧]، وينقل المستشرق

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٤٠ (سيف) / الاصطخري : أقاليم ، ص٤٧ / حسين التلاوي ، الكوفة حتى نهاية العصر الاموي، رسالة دكتوراة ، جامعة دمشق ، د٠ت ، ص٩٨ ٠

(٢) ينسب مذهب اليعاقبة الى يعقوب البردعاني – البرداني – الذي توفي ٥٧٨م ويقوم على اساس أن للمسيح طبيعتان اتحدتا في طبيعة واحدة إلهية٠ اما المذهب النسطوري فينسب الى نسطوريوس راهب انطاكيا الذي نصب سنة ٤٢٨م بطريركيا على القسطنطينية، ويرى أن للمسيح طبيعتين احداهما الهي والأخرى انساني غير ملازمين بالضرورة٠ جورج قنواتي، المسيحية والحضارة، ص ٣١ –٣٢، ٧٨–٧٩ ٠ انظر ايضا لمبارد: الجغرافية التاريخية ، ص٥٦–٥٧ ٠

(٣) ماسينيون : خطط الكوفة ، ص٢٥ ٠

(٤) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص١٦٠

(٥) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٦٠ / ترتون : أهل الذمة ، ص٢٣ ٠

(٦) خالد بن عبد الله القسري الدمشقي أمير العراقين لهشام بن عبد الملك، وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك ثم لسليمان، كان جواداً عالي المقام تولى العراق ١٠٥ هـ لهشام وعزل ١٢٠هـ، وكانت وفاته ١٢٦هـ٠ الذهبي سير اعلام، ج٥، ص٤٢٥–٤٣٢.

(٧) المبرد: الكامل ، ج٢ ، ص٤١٦–٤١٧ ٠

ترتون عن مؤلف سرياني مجهول يذكر أن النصارى كانوا حتى أواخر القرن الأول الهجري ((يشغلون مناصب الكتابة والولاية وحكم الاقاليم نيابةً عن العرب))(١).

لقد نتج عن اختلاط القبائل العربية بأهل العراق أن انتشر الاسلام واللغة العربية انتشاراً مذهلاً، فما أن أشرفت شمس الدولة الاموية على المغيب حتى دخل عدد كبير من أهالي العراق من غير العرب في الاسلام، واصبحوا يتكلمون اللغة العربية ويتسمّون بأسماء عربية، وبالتالي نضج مفهوم العروبة المرادف لمفهوم الاسلام يشعر بذلك قول دهاقين بخارى لأشرس بن عبدالله السلمي سنة ١١٠هـ ((ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً؟)) وكتب هانئ بن هانئ - صاحب الخراج بسمرقند -((أن الناس أسلموا وبنوا المساجد))(٢).

لقد كان انتشار الدين الاسلامي عاملاً هاماً ساعد على انتشار اللغة العربية التي كانت مألوفة لأهل العراق قبل الاسلام عندما كانت بعض القبائل العربية التي تتكلم اللغة العربية تضغط باستمرار على تخوم العراق المحاذية لبلاد العرب، كما نجح بعضها في الاستقرار في مراكز حضرية على الطرف الغربي لنهر الفرات، اضافة لاستمرار الصلات التجارية بين العرب وأهل العراق كما أن قيام مملكة المناذرة اللخميين من العرب يعدّ تمكيناً لمظاهر الحياة العربية في أطراف العراق.

ولما كانت اللغة العربية تمثّل لغة أولاً وثقافة ثانياً فإنها تجاوزت بذلك النظرة القبلية التي تحصر العروبة ضمن أنساب محددة، فلقد كان دخول الاسلام يعني ضرورة تعلم اللغة العربية، لأن الاسلام والعربية وجهان لعملة واحدة، وهذا ما أفسح مجالاً لغير العرب ممن يعتنقون الاسلام للمشاركة في الثقافة العربية، وبذلك تعزّز شعور عميق لدى الموالي أن دخول الاسلام يعني الانتماء للعروبة ويشعر بذلك ما أجاب به مولى لهشام بن عبدالملك لما سأله أبو جعفر المنصور عن هويته فقال: ((ان كانت العربية لساناً فقد نطقنا بها وان كانت ديناً فقد دخلنا فيــه))(٣).

ولم يكن نشر العرب للغتهم اجبارياً، فذكر ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) ((فلما هجر الدينُ اللغات الاعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الاسلامية عرباً، هُجرت كلها في جميع ممالكها، لأن الناس تبع للسلطان وعلى دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة العرب. وهجر الامم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأمصار و الممالك، و صار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم و مدنهم))(٤).

ولقد ساعد على انتشار العربية وتأثر أهل العراق بالمؤثرات العربية الاسلامية مجموعة من العوامل أبرزها:

الاسواق التي انتشرت في الأمصار والتي كانت تمثل اسواقاً رئيسية للقرى العربية المجاورة للمصر،

---

(١) ترتون : أهل الذمة، ص١٧ / فالح حسين: " استعمال العربية في الدواوين المالية قبل عبد الملك بن مروان وبعده "، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة السابعة، العددان ٢١، ٢٢، آذار / حزيران ١٩٨٦، ص١١٧-١١٨ .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٧ ، ص٥٥ .

(٣) البلاذري : أنساب ، ج٤ ، ص١٩٥ (المدائني) .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ، ج٢ ، ص٦٧٥ .

إذ كانت العربية هي اللغة الرئيسية في التعامل، ولما كان الفلاحون يأتون لبيع منتجاتهم وشراء حاجياتهم فإنهم كانوا عُرضة للمؤثرات العربية.

وكان انتشار العديد من أبناء القبائل العربية في أنحاء ريف العراق عبر امتلاكهم للأراضي الزراعية قد أدى لتعريض من يعمل بهذه الاراضي من عناصر غير عربية لمؤثرات عربية نتجت عن اختلاط العرب بهم(١).

وساعد على انتشار العربية في ريف العراق الصلة الوثيقة بين اللغة العربية واللغة الآرامية (السريانية) التي كان يتكلم بها النبط الذين يعودون في أصولهم للجزيرة العربية، وذلك أن العربية والآرامية تعودان لأصل واحد(٢).

وكان نزوح العديد من الفلاحين من قراهم الى الامصار هرباً من ظروف مهنتهم القاسية ورغبة في ايجاد مكاسباً أفضل تحققها حياة المدن، مما أدى لاختلاطهم بالعرب في الأمصار وبالتالي فرض عليهم تعلم اللغة العربية، كما ساعد نظام الولاء في تعريب أهل العراق إذ أنه ساعد على اندماج غير العرب مع أبناء القبائل العربية دون دخولهم في النسب العربي، إلا أن الولاء ساهم في توسيع مفهوم العروبة الذي تجاوز الإطار القبلي(٣).

ولقد برز العديد من الموالي في علوم الدين والعربية، ترافق ذلك مع تأثرهم بالبيئة العربية لذلك كان يقال لمن يُحسن العربية من غير العرب: متعرّب أو مستعرب(٤).

وكان الاهتمام باللغة العربية في الادارة قد ساهم باندفاع العديد من الكتّاب الأعاجم لتعلّم اللغة العربية ليتمكّنوا من الاحتفاظ بوظائفهم. والحقيقة أن استعمال اللغة العربية في الادارة بدأ قبل ما يسمى عادةً بعملية التعريب، ذلك لأن العرب المسلمون حرصوا منذ بداية حكمهم للعراق على الاستعانة بالموظفين القدماء من ذوي الخبرة وهم بالأساس ليسوا عرباً وأكثرهم من الفرس مما لزم الابقاء على اللغة التي كان الموظفون يتعاملون بها وهي اللغة الفارسية التي كانت تمثل لغة الدولة والادارة في العراق قبل الفتح الاسلامي، إلا أن هذا لم يعنِ أن الدولة العربية قد أديرت من قبل موظفين أجانب وبلغة أجنبية، بل أوجد العرب أيضا دواوين عربية صرفة بموظفيها ولغتها مثل ديوان الجند(٥).

ويؤكد الجهشياري على ذلك بقوله ((ولم يزل بالكوفة وبالبصرة ديوانان أحدهما بالعربية لإحصاء الناس واعطياتهم وهذا الذي كان عمر قد رسمه والآخر لوجوه الأموال بالفارسية .. فجرى الأمر على ذلك الى أيام عبد الملك))(٦).

---

(١) ثابت الراوي: العراق في العصر الأموي ، ص١٤٢ / جمال جودة : العرب والأرض ، ص٢٦٤ .

(٢) عبد العزيز الدوري، الاسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب ، بحث في كتاب القومية العربية والاسلام ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١ ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص٧٦ .

(٣) عبد العزيز الدوري: التكوين التاريخي ، ص٥٣ .

(٤) الاصفهاني: الأغاني، ج١٣، ص٥٦/ عبد العزيز الدوري: الاسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب، ص٦٧ .

(٥) فالح حسين: " استعمال العربية في الدواوين المالية " ، ص١١٨-١٢١ .

(٦) الجهشياري: الوزراء والكتاب ، ص٣٨ .

والحقيقة أنه كانت لسياسة تعريب دواوين الخراج واصدار عملة عربية منذ خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٤-٧٠٥م) في الشام والعراق دور هام في نشر اللغة العربية التي اصبحت اللغة الرسمية الوحيدة في الادارة والثقافة فضلاً عن أنها لغة الدين والسياسة، ولعل أهمية التعريب تتوضح بجلاء فيما بذله الفرس من محاولات لاعاقتها ويشعر بذلك ما قاله زادان فروخ لما علم بمقدرة صالح بن عبد الرحمن على نقل ديوان الخراج الى العربية فقال زادان للكتّاب الفرس ((التمسوا مكسباً غير هذا))[١].
كما بذل مردانشاه بن زادان أموالا طائلة لصالح بن عبد الرحمن على أن يظهر العجز في نقل الديوان الى العربية لكنه أبى، فما كان من مردانشاه الا قال لصالح معبراً عن موقفه المعارض للتعريب ((قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية)) [٢] .
ولقد أشرف الحجاج بن يوسف على تحويل ديوان خراج السواد من الفارسية الى العربية وقلّد ذلك صالح ابن عبد الرحمن، ويرجح أن اتمام ذلك كان سنة ٨٢هـ، إذ جاء بعد تعريب دواوين مركز الخلافة في دمشق سنة ٨١هـ[٣].
ولقد كان استعمال اللغة العربية قد أدى لاحساس الكتاب الأعاجم بأنه آن الأوان للاستغناء عنهم وعن لغاتهم ولذلك كان لزاماً على من يريد منهم البقاء في وظيفته أن يتقن العربية مما أدى لانتشار العربية انتشاراً هائلاً.
وبذلك كان انتشار العربية في العراق انتشاراً قوياً وسريعاً، الا أنه ينتظر أن تكون عربية أهل الريف ضعيفة واللحن فيها واضح جلي[٤]، ولعل ذلك ما أدى لاحقاً لإفساد اللغة العربية نتيجة لتسرب اللحن في كلام العامة والخاصة. ويتضح ذلك من شعر زياد الأعجم وهو زياد بن سليمان وقيل ابن سليم الأعجم، مولى لقبيلة عبد القيس، وكان من شعراء الدولة الاموية إلا أنه كان في لسانه عجمة وتوفي سنة ٩٩هـ، إذ قال في مديحه للمهلب بن أبي صفرة[٥]:

فتى زاده السلتان في الحمد رغبة   إذا غير السلتان كل خليـــــل

يريد بالسلتان: السلطان.
كانت القبائل العربية التي استقرت في العراق العربي قبل الفتح وبعده تختلف في أنماط الحياة الاجتماعية، فبعضها شديد البداوة تعيش في الخيام والمظال على تخوم العراق مثل: تنوخ، بني دارم من تميم، طيء، وبعضها شبه مستقر كأسد بن خزيمة وبكر بن وائل، وبعضها مستقر وأكثر تحضّراً مثل القبائل الحجازية

---

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص٣٨ .
(٢) البلاذري : فتوح ، ص٢٩٨ (المدائني) .
(٣) مما يرجح هذا التاريخ أن الحجاج كلف صالح بن عبدالرحمن بنقل الدواوين الى العربية بعد مقتل زادان فروخ في ايام حركة ابن الاشعث التي قضي عليها أنذاك. البلاذري: فتوح، ص٢٩٨ (المدائني)/ فالح حسين " استعمال العربية في الدواوين المالية "، ص١٢٤ . بينما ذكر الجهشياري ان تعريب الدواوين في العراق تم سنة ٧٨هـ. الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٣٨ . في حين أن المقريزي يجعلها سنة ٨٠هـ. الخطط، ج١، ص٩٨ .
(٤) جواد علي : المفصل ، ج٩ ، ص٢١٤-٢١٥ .
(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٢ ، ص١٠٦ .

كقريش وثقيف ومزينة، وعدد من القبائل اليمانية مثل: حمير، مذحج، همدان، كندة، مراد.
كان اختلاط المجموعات القبلية المختلفة في أنماط حياتها الاجتماعية جنباً الى جنب ضمن رقعة جغرافية واحدة كانت تسمى بالأمصار قد أدى لبدء نوع جديد من العلاقات الاجتماعية بين هذه القبائل، إذ بدأ الإحساس بالانتماء للمدينة (المصر) الذي أوجد رابطة بين سكانها ومختلف فعالياتها؛ مما أدى لتحوّل الإحساس بالعصبية تجاه القبيلة الى عصبية تجاه المصر الذي يعيشون فيه.
ورغم وجود بعض القبائل العربية التي وقفت موقفاً معارضاً لقدوم المسلمين الى العراق، حتى أن بعضها قاتل لجانب الفرس ضد المسلمين، إلا أن مثل هذه المعارضة لم تدم طويلاً؛ وتوقفت عندما تمكن المسلمون من فتح الحيرة والقرى المجاورة لها، ثم بدأت تتحوّل الى جانبهم حميّة، إذ سمعنا عن انضمام جماعات من نصارى تغلب والنمر بن قاسط الى المثنى بن حارثة الشيباني قبيل وقعة البويب سنة ١٤هـ[١].
كان للنساء اللواتي خرجن مع المقاتلة للمشاركة في فتح العراق ومن ثم الاستقرار في الأمصار دوراً كبيراً في مزج القبائل العربية ضمن علاقات القربى والنسب، فقد اصطحبت بعض القبائل المشاركة في الفتح عدداً من نسائها الى جبهات القتال وأبرز الأمثلة على ذلك قبيلتي: بجيلة والنخع اللتان شاركتا في القادسية ١٥هـ، وكان معهما اعداد كبيرة من النساء غير المتزوجات، واللواتي تزوجّن فيما بعد بأفراد من مختلف القبائل المشاركة حتى كانتا أكثر القبائل العربية مصاهرة إبان حركة الفتح الاسلامي للعراق وبعدها[٢].
ونتج عن ذلك ارتباط العديد من القبائل العربية بوشائج النسب والقربى، إذ كانت المصاهرات بين القبائل المختلفة تجعل الفرد يرتبط بعلاقات وثيقة مع القبيلة التي يصاهرها لا تقل قوة عن علاقاتهم مع قبائلهم التي ينتمون لها.
ومن العوامل الهامة التي أدت لاندماج القبائل العزبية مع بعضها في العراق استقرار هذه القبائل في الأمصار وامتزاجها ضمن علاقات المدينة الواحدة، مما أدى لإضعاف العصبية القبلية وتوهين سلطات زعماء القبائل حتى انحصرت السلطة بيد الجهاز الحكومي للدولة.
لقد امتزجت القبائل الشمالية والجنوبية التي استقرت جنباً الى جنب داخل المصر الواحد، فكانت تخرج مع بعضها للقتال والفتح، وتقتسم الموارد فيما بينها، ولقد امتازت حياة الاستقرار العربي الجديدة في العراق بوجود علاقات اجتماعية تتمثل بالمصاهرات وعلاقات النسب، واقتصادية فرضتها الظروف الجديدة، مما أدى لظهور إحساس جديد لدى القبائل المستقرة جعلهم يرتبطون بالمكان وبذلك خفت العصبية القبلية، وحلَّ مكانها نوع جديد من العصبية عُرف بعصبية المصر؛ إذ أصبحت القبيلة تنتسب للمصر الذي تعيش فيه، ويوضّح ذلك قول الأحنف بن قيس بعد الاضطرابات التي حصلت في البصرة بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ، فقال: ((يا معشر الأزد وربيعة، أنتم أخواننا في الدين وشركاؤنا في الصّهر واشقاؤنا في النسب وجيراننا في الدار ويدنا على العدو والله لأزد البصرة أحبُّ الينا من تميم الكوفة، ولأزد الكوفة

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٤ (سيف) / صالح العلي : امتداد العرب ، ص٢٠-٢١ .
(٢) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٨١ (سيف) .

أحبُّ الينا من تميم الشام))[١].

وبهذا يظهر غياب اسماء القبائل العربية عن الذكر تدريجياً لتحلَّ محلها أسماء الأمصار، فأصبحت الروايات تشير لأهل البصرة وأهل الكوفة وأهل واسط دون تحديد أسماء قبائل معينـــة[٢].

ولقد تغلغلت العصبية للمصر في النفوس حتى أن الأشتر النخعي[٣]، لما جاءته الكتب من قبل مصعب بن الزبير[٤] يدعوه للدخول في طاعته بعد مقتل المختار بن أبي عبيد سنة ٦٧هـ على أن له الشام وما غلبت عليه من أرض المغرب كما وصله كتب من الخليفة عبد الملك بن مروان يدعوه لطاعته على أن له العراق، فمال الأشتر نحو عبد الملك وقال: ((ذاك لو لم أكن أصبت عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهل الشام؛ تبعت عبد الملك مع أني لا أحب أن اختار على أهل مصري مصراً ولا على عشيرتي عشيرة ، فكتب الى مصعب))[٥].

وكانت عصبية المصر في بعض الأحيان دافعاً لمنع وقوع حرب بين القبائل في المصر الواحد، ومن أمثلة ذلك لما أراد عبد الله بن عباس الخروج من البصرة في خلافة علي سنة ٤٠هـ ومعه مال فيء البصرة، فلحقه أخواله من بني هلال بن عامر، ثم لحقه أخماس البصرة .

فخشي القيسيون على ابن عباس وقالوا ((والله لا يَصِلون اليه ومنّا عينٌ تطرف)). فتدخل رئيس الأزد أنذاك وهو صبرة بن شيمان فخاطب قومه ((يا قوم ان قيساً اخواننا وجيراننا في الدار وأعواننا على العدو)) [٦] فأنصرف الأزد وبكر ومعظم بني تميم.

وكان ظهور عصبية المصر ناشئاً عن اعتزاز القبائل بالمصر الذي تعيش فيه، وادعاءات القبائل بأحقيتها وحدها في فيء مصرها مما أدى لقيام مصالح مشتركة بين قبائل المصر الواحد. لذا يمكننا القول أن عصبية المصر تقوم على أساس المصالح السياسية والمادية والجوار التي تربط بين قبائل المصر الواحد، وأنها عصبيـــة ذات جوهر سياسي واجتماعي تقوم على حرص القبائل في المصر على مصلحتها المشتركة[٧].

---

(١) الجاحظ: البيان، ج٢، ص١٣٥/ البلاذري: أنساب، ج٦، ص٢٨/ الطبري: تاريخ، ج٥، ص٥٢٦/ ابن اعثم: الفتوح، م٣، ص١٩٢/ ابن عبد ربه: العقد، ج٣، ص١٧٢ / ابن الاثير : الكامل ، ج٣ ، ص٤٧٥ .

(٢) الطبري: تاريخ، ج٤، ص٨٤ (سيف)/ ٣٦٩ / ابن اعثم: الفتوح، م٢، ص٣٠٥ / ابن الاثير: الكامل، ج٣، ص٣٠-٣١/ محمد الزبيدي، " المجتمع العراقي في صدر الاسلام "، بحث في كتاب حضارة العراق ، بغداد، ١٩٨٥، ج٥، ص٣٦ .

(٣) الاشتر النخعي ، واسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة النخعي من مذحج، كان من اصحاب علي بن أبي طالب وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها، ولاه علي مصر فمات في طريقه اليها. ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص٤٦٧ .

(٤) مصعب بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، حارب المختار وقتله ، تولى البصرة والكوفة لأخيه عبدالله بن الزبير، قصده عبد الملك ابن مروان فوقع بينهما معركة كبيرة ، قتل مصعب على اثرها بدير الجاثليق سنة ٧٢هـ. الذهبي: سير أعلام، ج٤، ص١٤٠-١٤٥ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص١١١ .

(٦) البلاذري: أنساب الاشراف، ج٢، ص٣٩٨ (قالوا) / الطبري: تاريخ، ج٥، ص١٤٢ (أبو عبيده) / ابن الاثير: الكامل، ج٣، ص٢٥٣ / ابن خلدون :تاريخ ، ج٤ ، ص١١٣٠-١١٣١ .

(٧) عبد العزيز الدوري: التكوين التاريخي، ص٤٢، ٥٠ .

وفي كثير من الأحيان كانت عصبية المصر تتحول لمواضيع شيقة تطرح في مجالس المناظرات والمفاخـــرات[١].

وتعدت العصبية للمصر الى عصبية للعراق عامة، ومن أمثلة ذلك أن بعض أهل العراق قاتلوا مع مصعب ابن الزبير ضد الخليفة عبد الملك بن مروان، لا حباً في آل الزبير، وإنما خشية من استيلاء أهل الشام على خيرات أهل العراق، وفي ذلك قال قيس بن الهيثم لأهل العراق ((ويحكم، لا تُدخلوا أهل الشام عليكم، فوالله لئن تطعّموا بعيشكم ليضيّقنّ عليكم منازلكم))[٢].

لم تكن صورة العلاقات بين المجموعات القبلية التي تعيش داخل المصر الواحد مثالية، بل وجدت في بعض الأحيان نظرات عدائية مترسّخة منذ أزمان بعيدة وتظهر بصورة منافسات قبلية بين الحين والآخر. فلقد كانت علاقات الأزد (اليمانية) وتميم (المضرية) مضطربة في بعض الأحيان، حتى قيل أن رجلاً من الأزد طاف بالبيت ((وجعل يدعو لأبيه فقيل له: ألا تدعو لأمك ؟ فقال: انها تميمية))[٣].

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قول الشاعر الطرماح[٤]:

ولو حانَ وِردُ تميمٍ ثم قيل لهم حوضُ الرسول عليه الأزد لم تَرِدِ

وكانت تظهر في بعض الأحيان تحالفات قبلية ضد بعضها كما حصل مثلاً في البصرة عندما حالفت الأزد اليمانية قبائل ربيعة، ولقد كانت أحلافهما قديمة العهد ترجع لما قبل الاسلام[٥]، إلا أن الحلف تجدّد في البصرة بعد قدوم أفواج جديدة من المهاجرين الأزديين في أواخر خلافة معاوية، وكان هذا الحلف موجه ضد تميم المضرية التي مالت نحو القيسيين من أهل العالية وهم من مضر أيضاً. ويبدو أن العداء بين مضر وربيعة قديم العهد زادت حدّته في الاسلام حتى قال الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ((إن ربيعة لم تزل غضاباً على الله مذ بعث الله نبيّه في مضـــر))[٦].

وكان لذلك أثره في نشوب حروب صغيرة بين هذه القبائل، فمثلاً نازع رجل من ولد عبدالله بن عامر بن كريز القرشي سنة ٦٤هـ مالكاً بن مسمع الجحدري – رئيس ربيعة – فلطم رجل من بكر القرشي، فقامت مضر تساند القرشي ووقفت ربيعة لجانب مالك وساندت ضبّة وتميم مضراً فحصل اقتتال في المصر[٧].

---

(١) انظر امثلة ذلك لدى: الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، ص١٥٥-١٦٠ / ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج١، ص٢٤٩/ ابن الفقيه: البلدان، ص٢٠٣-٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٤٨-٢٥٥ ، ٢٥٩ / الحميري : الروض ، ص١٠٦ / جواد علي : المفصل، ج٩، ص٢١٦-٢٢٠ .

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص٩٩ (المدائني) .

(٣) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج٣ ، ص١١٦ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤ ، ص٢٤٥ / ناجي حسن : القبائل العربية في المشرق ، ص١١٤ .

(٥) كانت ربيعة قد حالفت كندة قبل الاسلام ، ثم حالف بنو ذهل بن ثعلبة من بكر بني ثعل بن طيء اليمانية ، ثم طلب مالك بن مسمع الجحدري من بكر تجديد الحلف مع الأزد في البصرة سنة ٦٤هـ. الطبري : تاريخ ،ج٥ ، ص٥١٦ .

(٦) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج٢ ، ص٢٣٧ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥١٥ .

ومن صور هذه التحالفات ايضا وقوف قبائل بكر والأزد لجانب قبيلة عبد القيس من ربيعة، لما حاول عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي (ببّه) والذي بايعته مضر والياً على البصرة بعد وفاة يزيد بن معاوية وهروب عبيدالله بن زياد سنة ٦٤هـ، فحاول ببّه القضاء على داعية المختار بن أبي عبيد وهو المثنى بن مخربة العبدي من عبد القيس، فانضمت لعبد القيس قبائل ربيعة والأزد اليمانية وتمّ الاتفاق على خروج المثنى وصحبه من البصرة بأمان(١).

ولقد وجدت سابقة لهذا التنافس في أواخر خلافة علي بن أبي طالب عندما قدم مبعوث معاوية عبد الله بن الحضرمي الى البصرة سنة ٣٨هـ فنزل في بني تميم بينما اختارت ربيعة والأزد مساندة زياد بن أبيه الذي استخلفه والي البصرة لعلي عبد الله بن العباس(٢).

ان الملاحظ على مثل هذه الأمثلة وغيرها للصراعات القبلية، أنها وجدت في أكثرها في البصرة وليس في الكوفة؛ ولعل هذا مردّه أن معظم قبائل البصرة شمالية بدوية بقيت محتفظة بقيمها وتقاليدها القبلية التي كانت تظهر بين الحين والآخر بينما كانت قبائل الكوفة خليطاً من القبائل والتي غلب عليها اليمانية لاحقاً والمعروفة بتحضرها.

وأخيراً نشأ عن اختلاط القبائل العربية بأهل العراق تأثرهم بعادات وتقاليد أهل البلاد، وخاصةً الحضارة الفارسية التي انعكست على مختلف مجالات الحياة كاللباس والطعام والشراب، كما أن العديد من القبائل البدوية تخلّصت من الكثير من التقاليد القبلية، فعمل بعضهم في الصناعات والحرف التي كان العرب ينظرون لها من قبل نظرة دونية(٣). ولقد تغيّرت نظرة بعض العرب نتيجةً لبحثهم عن مورد رزق ثابت خاصة بعد تزايد أعداد العرب غير المسجّلين في الديوان والذين ليس لهم عطاء خاصةً بعد تراجع حركة الفتوح الاسلامية، فأدى ذلك بالعديد منهم للانخراط في أعمال التجارة والزراعة والصناعة(٤).

ومن أبرز من اشتهر من العرب بالعمل في الصناعة بنو أسد بن خزيمة حتى قيل لهم القيون(٥)، ومن أبرز من ترد الاشارات عنه من بني أسد سماك بن مخرمة الأسدي الذي كان يعمل في صناعة الحديد في الكوفة، وكان بعضهم يعيّره بالهالك والقين أي الحداد، ومثال ذلك ما قاله الأخطل عن سماك(٦):

قد كنت احسبه قيناً وأخبره   فاليوم طير من أثوابه الشرر

وكذلك تنسب السيوف السريجية لسريج من بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة(٧).

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٦٦-٦٨ / ناجي حسن : القبائل العربية ، ص١٢٢-١٢٣ .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص١١١ .

(٣) الجاحظ : رسائل ، ج١ ، ص٦٩ /ترتون : اهل الذمة : ص ٩٧ / صالح العلي : التنظيمات ، ص٦٥ .

(٤) البلاذري : أنساب ، ج٧ ، ص٢٨٠ (المدائني) / المبرد : الكامل ، ج٢ ، ص٢٩٥ .

(٥) البلاذري : فتوح ، ص٢٨٣ (هشام بن محمد) / ابن رشيق : العمدة ، ج٢ ، ص٢٣٢ .

(٦) البلاذري : فتوح ، ص ٢٨٣ (هشام بن محمد) .

(٧) ابن رشيق : العمدة : ج١ ، ص٣٨٧ .

وعمل بعض العرب في النسيج فمثلاً كان شجرة بن سليمان الكوفي يعمل في صناعة النسيج، وبعد أن أصبح له مال كاف ترك مهنته وانضم لديوان المقاتلة، وروي أن أحدهم سأله أن يقرضه مالاً فرفض شجرة فقال الرجل يهجوه[١]:

لقد كنت خياطاً فأصبحت فارساً ‏ ‏ ‏ تُعدّ اذا عدّ الفوارس من مضر

ومع ذلك بقي بعض العرب خاصة عرب الشمال متمسكين بتقاليدهم القبلية البدوية، حتى أنهم عابوا على عرب الجنوب العمل في المهن والحرف، فقال أحدهم يعيّر عرب الجنوب بأنهم قوم ((بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد)) [٢].

و وجد من القبائل من عمل في الزراعة مثل قبيلة تغلب التي وصفت بأنها من أصحاب الحروث و المواشي[٣].

ب -القبائل العربية والأرض :

نشأت نتيجة لعمليات الفتح العربي الإسلامي في العراق مسألة التصرف بالأراضي المفتوحة، فلقد وجد فريقان مختلفان في وجهة النظر، ويستند كل فريق منهما على مصدري التشريع: القرآن الكريم والسنة الشريفة، فلقد طالبت القبائل العربية المشاركة في عمليات الفتح العربي بقسمة الأراضي المفتوحة في الشام والعراق ومصر بين المقاتلة باعتبارها غنيمة أخذت عنوة[٤]، فلقد أرسل سعد بن أبي وقاص كتاباً الى الخليفة عمر بن الخطاب يذكر فيه ((إن الناس سألوا أن يقسم بينهم غنائمهم وما أفاء الله عليهم))[٥].

ولقد استند المقاتلة في ذلك على ما جاء في آية الغنائم لقوله تعالى: ((واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير))[٦].

كما استند المقاتلة على اجراءات الرسول (ص) في أرض خيبر التي فتحها عليه السلام سنة ٧هـ؛ وقسّمها بين الفاتحين، إلا أنه ترك أهلها يعملون في الأرض لقلة الأيدي العاملة من المسلمين مقابل نصف الثمر[٧].

إلا أن الدولة ممثلة بالخليفة عمر بن الخطاب رفضت مطالب المقاتلة وعدداً من الصحابة الذين نادوا بقسمة

---

(١) الاصفهاني : الأغاني ، ج٥ ، ص١٥١ .

(٢) الجاحظ : رسائل ، ج٢، ص٢٧٣ .

(٣) ابن زنجوية : الأموال : ج١ ، ص١٣١ / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٢٢٤ .

(٤) أبو عبيد : الأموال ، ص١٣٤ (هشيم بن بشير) / ابن زنجوية : الأموال ، ج١ ، ص١٩١ / البلاذري : فتوح ، ص٢٦٨ (خلف بن هشام البزار)/ ، ٣٧٦ (الزهري) / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص٣٦٦ / الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٣٧ .

(٥) أبو يوسف : الخراج ، ص٢٥ (علماء أهل المدينة) .

(٦) سورة الأنفال ، آية ٤١ .

(٧) أبو عبيد: الأموال، ص ١٣٣ (زيد بن أسلم)/ ابن زنجويه: الأموال، ج١، ص١٨٨ (الزهري)/ قدامة بن جعفر: الخراج، ص٢٠٦ -٢٠٧ / البيهقي: السنن الكبرى، ج٩، ص١٣٩ / السرخسي: المبسوط،ج٢٣، ص ٢-٣، ٥ / فالح حسين: الدولة العربية والأرض المفتوحة خلال الفترة الراشدة ، مجلة دراسات (العلوم الإنسانية)، م: ٢٢ (أ) ، ع: ٤، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٥، ص١٨٠٨ .

الأراضي المفتوحة[1]، وكان عمر يقول: ((فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض بعلوجها وقد اقتسمت وورثت عن الآباء وحيزت، ما هذا برأي))[2].

ولعل عمر لم ينفرد بهذا الرأي بل شاركه في ذلك عدد من الصحابة من رؤوس المهاجرين والأنصار[3].

ومع ذلك ترد أشارة تشعر باستعداد عمر لقسمة الاراضي المفتوحة في البداية، ويدل على ذلك ما حصل عند قدومه الجابية[4] سنة ١٧هـ، إذ أراد قسمة الأرضين إلا أن معاذاً بن جبل[5] قال له ((والله إذن ليكونن ما تكره، إنك إن قسمتها صار الريع العظيم في أيدي القوم ثم يبيدون فيصير ذلك الى الرجل الواحد أو المرأة، ثم يأتي بعدهم قوم يسدون من الأرض مسداً وهم لا يجدون شيئاً فأنظر أمراً يسع أولهم وآخرهم))[6].

ولعل ورود مثل هذه الاشارة تدل على أن عمر لم ينفرد باتخاذ قرار عدم قسمة الأراضي المفتوحة وهي التي يقصد بها لاحقاً أرض الذمة (الخراج)، بل شاركه في ذلك العديد من الصحابة مما يبرر قرار عمر ويضفي عليه مزيداً من الشرعية.

ووجدت العديد من المبررات العقلانية التي استند لها الخليفة عمر منها:-

١- استمرار تأمين شحن الثغور بالجيوش الاسلامية، وتأمين صرف الأعطيات والأرزاق للمقاتلة المشاركين في حركة الفتوح ومن سيأتي لاحقاً للمشاركة فيها، فقال عمر: ((أرأيتم هذه الثغور، لا بد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة ومصر لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وأدرار العطاء عليهم، فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلوج))[7].

٢- تأمين مورد مالي ثابت لبيت مال المسلمين ينفق منه في تطوير مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية

---

(١) كان من أبرز الصحابة الذين طالبوا بالقسمة: بلال بن رباح، الزبير بن العوام، عبد الرحمن بن عوف. أبو يوسف: الخراج، ص٢٤ / أبو عبيد: الأموال، ص ١٣٥ (الماجشون) / ابن زنجوية : الأموال، ج١، ص١٩١ / ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢، ص١٩٧ .

(٢) أبو يوسف : الخراج ، ص٢٤ (علماء أهل المدينة) .

(٣) كان من أبرز الصحابة الذين رفضوا القسمة: معاذ بن جبل ، علي بن أبي طالب ، عثمان بن عفان ، طلحة بن عبيد الله، وعشرة من أفراد من رؤوس الأنصار (خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج) ممن استشارهم عمر. أبو يوسف : الخراج ، ص٢٥ (علماء أهل المدينة) / أبو عبيد : الأموال ، ص١٣٧ (هشام بن عمار الدمشقي) / ابن زنجوية : الأموال ، ج١ ، ص١٩٥ / اليعقوبي : تاريخ ، ج٢، ص٤٤ / صالح العلي : الخراج ، ص ٥٥ .

(٤) الجابية : قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفّر في شمال حوران ، فيها ألقى عمر بن الخطاب خطبته المشهورة . ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٩١ .

(٥) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب الخزرجي ، شهد المشاهد كلها مع الرسول (ص) شارك في فتح الشام ، وتوفي في طاعون عمواس بالشام في ناحية الأردن سنة ١٨هـ . ابن سعد : الطبقات ، ج٧ ، ص١٨٥-١٨٦ .

(٦) أبو عبيد : الأموال ، ص ١٣٧ (هشام بن عمار الدمشقي) / ابن زنجويه : الأموال ، ج١ ، ص١٩٥ .

(٧) أبو يوسف : الخراج ، ص٢٥ (علماء أهل المدينة) . انظر مالك بن أنس : المدونة ، ج٢ ، ص٢٧ / أبو عبيد : الأموال ، ص١٣٤ (هشيم بن بشير) / عبد العزيز الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، ص١٢ ، ١٥-١٦ .

والعسكرية، وقال عمر في ذلك: ((لولا آخر الناس ما فتحت قرية الا قسّمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر))[١]. وقال ايضاً: ((فما لمن جاء بعدكم من المسلمين))[٢].

٣- خشية الخلافة من أن قسمة الأرض ستعيق استمرار حركة الفتوح كما أنها ستقضي على النزعة الجهادية لدى العرب وستحولهم من مقاتلة مجاهدين الى فلاحين وزرّاع، إذ قال عمر: ((انكم إن اتكلتم على الأرض تركتم الجهاد))[٣].

٤- رأى عمر أن معظم المشاركين في الفتح من القبائل البدوية الطابع والتي تنظر الى العمل الزراعي نظرة نفور[٤] فإن وقعت الأرض بيد هؤلاء فإنهم لا يعرفون كيفية معاملتها وفلاحتها مما يؤدي لخراب الأرض.

٥- خشية حصول المنازعات والمشاكل بين القبائل العربية؛ إذ أن قسمة الأرض ستجعل فئة من المسلمين تستأثر بالأراضي الخصبة، بينما ينال الآخرون أراض أقل خصوبة مما سيؤدي لاختلاف مقدار انتاج كل أرض وبالتالي تحصل المنازعات التي ستقضي على وحدة العرب وتماسكهم، ولقد عبر عمر عن ذلك بقولـه: ((لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لقسمت هذا السواد بينكم))[٥]. وقال أيضاً: ((وأخاف إن قسمته أن تتفاسدوا بينكم في المياه))[٦].

وكان لذلك كله أن رفض عمر بن الخطاب قسمة الأراضي المفتوحة وقرر بقوله: ((وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئاً للمسلمين المقاتلة والذرية ولمن يأتي من بعدهم))[٧]. لذلك أصبحت الأراضي المفتوحة فيئاً موقوفاً لعامة المسلمين تكون ملكيتها نظرياً للمسلمين كافة مع بقائها بيد أصحابها فعلياً[٨].

واستند عمر في رأيه ذلك على آيات سورة الحشر لقوله تعالى: ((للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من

---

(١) أبو عبيد : الأموال ، ص ١٣٤ (أسلم بن زيد) / ابن زنجويه : الأموال ، ج١ ، ص١٩١ / الخطيب البغدادي: تاريخ ، ج١ ، ص٣٧ (اسلم بن زيد) / السرخسي : المبسوط ، ج١٠ ، ص٤٠ / ابن الجوزي : مناقب عمر ، ص٩٢ / عبد العزيز الدوري : التنظيمات المالية لعمر بن الخطاب ، الضرائب ، أ- السواد . ب- الجزيرة ، ندوة النظم الاسلامية ، ٢ج ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، أبو ظبي ، ١٨-٢٠ صفر ١٤٠٥هـ / ١١-١٣ نوفمبر ١٩٨٤م .

(٢) البلاذري : فتوح ، ص٢٦٨ (خلف بن هشام) ، ٣٧٦ (الزهري) / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص٣٦٦ / الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١ ، ص٣٧ / عواد الأعظمي : الزراعة ، بحث في كتاب حضارة العراق، بغداد ١٩٨٥ ، ج٥ ، ص٢٣٥-٢٣٦ .

(٣) ابن زنجويه : الأموال، ج١، ص٢١١ / عبد العزيز الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص ٥٥ .

(٤) الجاحظ : رسائل، ج١، ص٦٩ / ترتون : أهل الذمة ، ص٩٧ / فالح حسين : " الدولة العربية الاسلامية والأرض المفتوحة خلال الفترة الراشدة " ، مجلة دراسات (العلوم الانسانية) ، م٢٢ ، (أ)، ع(٤) ، الجامعة الاردنية ١٩٩٥ ، ص١٨١٢-١٨١٣ .

(٥) يحيى بن آدم : الخراج ، ص٤٨ / محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الأراضي ، ص٨٩ .

(٦) البلاذري : فتوح، ص٢٦٨ (خلف بن هشام البزار) ، ٣٧٦ (الزهري) / ابن الجوزي : مناقب عمر ، ص٩٢ .

(٧) أبو يوسف: الخراج، ص٢٥ / أبو عبيد: الأموال ، ص ١٣٥ (هشيم بن بشير) / البلاذري ، فتوح، ص٢٦٨ (خلف بن هشام)/ الصولي : أدب الكتاب ، ص١٩٧ / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٤ .

(٨) أبو يوسف : الخراج ، ص٢٤/ الماوردي : الأحكام ، ص١٥٥-١٥٦ / فالح حسين : " الدولة العربية الاسلامية والأرض المفتوحة "، ص١٨٠٩ / Donner, The Early Islamic Conquests, P.240-241 .

ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً٠٠٠ والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ٠٠٠والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم))[(١)]. إذ رأى عمر أن هذه الآيات الكريمة استوعبت عامة المسلمين ولم تخص فئة محددة٠

ولقد تمكن الخليفة عمر من إنهاء هذه المشكلة ما بين سنة ١٦-١٧هـ بعدما تمكن المسلمون من فتح المدائن وجلولاء[(٢)]، يشعر بذلك المراسلات التي جرت ما بين الخليفة وسعد بن أبي وقاص، ويبدو أن انهاءها كان سنة ١٧هـ، إذ أن البلاذري يذكر مشكلة التقسيم ومراسلات عمر وسعد بعد حديثه عن وقعة جلولاء ١٧هـ[(٣)]، كما أنها ترافقت مع زيارة عمر للجابية سنة ١٧هـ[(٤)].

لذلك أرسل عمر كتاباً الى سعد يذكر فيه قراره النهائي بشأن الارض المفتوحة: ((أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم، فإذا أتاك كتابي هذا فانظر ما أجلب الناس عليك به الى العسكر من كراع ومال فاقسمه بين من حضر من المسلمين واترك الأرضين والأنهار لعمالها ليكون ذلك في اعطيات المسلمين، فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء))[(٥)]. ويبدو أن القبائل لم ترضَ بسهولة عن هذا القرار فقالوا لعمر: ((أتقفُ ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا، ولأبناء القوم ولأبناء أبنائهم ولم يحضروا))[(٦)]. إلا أن هذه الأصوات خفت تدريجياً فيما بعد٠

استقر الفتح العربي في العراق اثر انتصار المسلمين في معركة نهاوند سنة ٢١ هـ، فبدأ الاتجاه نحو تنظيم الارض، فأرسل الخليفة عمر بن الخطاب حذيفة بن اليمان على ما وراء دجلة - ما وراء دجلة من جوخى وما سقت - وأرسل عثمان بن حنيف[(٧)] على ما دون دجلة - سقي الفرات: غرب دجلة[(٨)]- وذلك

---

(١) سورة الحشر ، الآياتُ ٨-١٠ ٠

(٢) عبد العزيز الدوري ؛ " في التنظيم الاقتصادي في صدر الاسلام " / مجلة العلوم الاجتماعية ، عدد خاص بمناسبة دخول القرن الهجري الخامس عشر ، جامعة الكويت ، صيف ١٩٨١ ، ص٧٧ ٠

(٣) البلاذري: فتوح، ص٢٦٥(يزيد بن أبي حبيب) / الطبري: تاريخ، ج٣، ص٥٨٤، ٥٨٦ (سيف)، ج٤، ص٥، ٣٠(سيف)٠

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٦٣-٦٥ (الشعبي) ٠

(٥) أبو يوسف: الخراج، ص٢٤ (يزيد بن أبي حبيب) / الشيباني: شرح كتاب السير، ج٣، ص١٠٤٠ / يحيى بن آدم: الخراج، ص٢٦ (يزيد بن أبي حبيب) / أبو عبيد : الأموال ، ص١٣٦ / البلاذري : فتوح ، ص٢٦٥ / البيهقي، السنن ، ج٩ ، ص١٣٤-١٣٥ / ابن عساكر : تهذيب ، ج١ ، ص١٨١ ٠

(٦) أبو يوسف : الخراج، ص٢٥ (علماء أهل المدينة) ٠

(٧) عثمان بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة الانصاري الأوسي، شهد بدراً، أرسله عمر بن الخطاب على مساحة الأرض في العراق، استعمله علي على البصرة قبل ان يقدم عليها ، فغلبه عليها طلحة والزبير، مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان٠ابن حجر: الاصابة، ج٤، ص٣٧٢ ٠

(٨) أبو يوسف : الخراج ، ص٢٦ / ابن زنجويه : الأموال ، ج١، ص٢١٢ / ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص٢٧٥ / القلقشندي: مآثر الإنافة، ج٣، ص٣٣٨ ٠

لمسح أرض العراق ما بين سنة ٢٠-٢١هـ[٢]. وتم مسح السواد من ((لدن تخوم الموصل ماداً مع الماء الى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرقي دجلة؛ هذا طوله، وأما عرضه فحده منقطع الجبل من أرض حلوان الى منتهى طرف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب فهذه حدود السواد وعليه وقع الخراج))[٢]. وبلغ مجموع مساحة أراضي السواد القابلة للزراعة ستةً وثلاثين ألف ألف جريب[٣]، وأمر عمر بوضع الخراج على الأرض حسبما تحتمل[٤].

عرفت هذه الأراضي التي حصل الخلاف حولها بين الدولة - الخلافة - والقبائل العربية المشاركة في الفتح بأراضي الخراج (الذمة) وهي أراض شاسعة سيطر عليها المسلمون بعد معركة القادسية سنة ١٥هـ [٥]، إذ كتب سعد بن أبي وقاص رسالة الى عمر بن الخطاب قبيل دخول المسلمين المدائن قال فيها: ((فإنا بأرضٍ رغيبة والأرض خلاء من أهلها وعددنا قليل))[٦]. ولعل هذا ما أشار له الشعبي وآخرين إذ قال عن السواد أنه: ((أخذ عنوة وكذلك كل أرض إلا الحصون فجلا أهلها))[٧].

وحصل اثناء عمليات الفتح أن قامت القوات العربية الفاتحة أثناء ملاحقتها للفلول الفارسية بسبي جماعات من الفلاحين غربي نهر دجلة ، وفي كور دجلة[٨]. وبعث سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية سنة ١٥هـ وبعد معركة جلولاء سنة ١٧هـ برسائل الى الخليفة عمر يسأله كيفية معاملة الفلاحين الذين سباهم المسلمون اثناء الفتح[٩]، فجاء أمر الخليفة للمسلمين بأن يدعوا الهاربين من أراضيهم الى الرجوع، وأن يصالحونهم على الذمة والجزاء[١٠]. وكتب للمسلمين ((أنه لا طاقة لكم بعمارة الأرض فخلّوا ما في أيديكم

---

(١) أبو يوسف : الخراج ، ص٢٦ (علماء أهل المدينة) / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص٣٦٦ / Hinds, The Early History of Islamicshism, P.113 .

(٢) أبو عبيد : الأموال ، ص١٥١ / ابن زنجويه : الأموال ، ج١ ، ص٢٠٩ (أبو مجلز) / ابن خرداذبة : المسالك ، ص١٤ / ابن الفقيه: البلدان ، ص٣٩٠ / ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٢١١ .

(٣) الجريب = ١٥٩٢م مربع. فالتر هنتس: المكاييل والأوزان، ص٩٦/ انظر: أبو عبيد: الأموال، ص١٣٦ (اسماعيل بن جعفر)، ١٤٨ (الشعبي)/ ابن زنجويه: الأموال ، ج١ ، ص٢١٣ / ابن خرداذبة: المسالك، ص١٤ / أبو هلال العسكري: الأوائل، ص١١٥ .

(٤) أبو يوسف : الخراج ، ص٣٥ / اليعقوبي : تاريخ ، ج٢ ، ص٤٣ / السرخسي : المبسوط ، ج١٠، ص٨٢ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٥ (سيف) / دانييل دينيت : الجزية ، ص٥١ .

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٨٥ (سيف) .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٧ (محمد بن سيرين ، والحسن بن أبي الحسن ، وطلحة وسفيان) ، ج٤ ، ص٣١ (طلحة بن الأعلم) ، ٣٣ (الشعبي) .

(٨) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٩١ ، ج٤ ، ص٥ ، ٣٠ (سيف) ، ص٧٤-٧٦ / ابن رجب : الاستخراج ، ص١٠ / جمال جودة: العرب والارض ، ص٨٢ .

(٩) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٨٤-٥٨٥ (سيف) ، ج٤ ، ص٥ ، ٣٠ (سيف) .

(١٠) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٨٥ – ٥٨٧ (سيف) ، ج٤ ، ص٣٠-٣١ (سيف) .

من السبي واجعلوا عليهم الخراج))[١] .
وهكذا تقرر إعادة الفلاحين الذين هربوا أثناء الفتح لأراضيهم ومصالحتهم عنها على أن يقيموا فيها يزرعونها وتبقى في أيديهم يملكونها ملكية تصرف وليس ملكية رقبة، إذ انتفت ملكيتهم لها نتيجة الفتح، وبذلك صاروا يعملون في الأرض ويدفعون عنها الخراج وهو الأجرة والكراء[٢]. وبقي أهل هذه الأراضي يتبايعونها ويتوارثونها فيما بينهم.
ولقد تقرر عموماً أن تبقى هذه الأرض خراجية بعد التنظيم الإداري سنة ٢١هـ وإن أسلم صاحبها، إذ يعفى من ضريبة الرأس (الجزية) وتبقى عليه ضريبة الأرض المقررة (الخراج) لقول عمر بن الخطاب لحذيفة بن اليمـان: ((وأيما رجل أسلم بعدما وضعت الخراج على أرضه ورأسه فخذ من أرضه فإنا قد أحرزنا أرضه في شركه قبل أن يسلم))[٣]. ومن أمثلة من بقيت أرضه خراجية رغم اسلامه: دهقانة نهر الملك، الرفيل، دهقان كورة العال، جميل بصبهري دهقان الفلاليج والنهرين، وبسطام بن نرسي دهقان بابل وخطرنية[٤].
اضافة لأراضي الخراج في العراق هناك أراضي الصلح وهي الأراضي التي لم يقاتل أهلها المسلمين وإنما صالحوهم دون قتال قبل استكمال الفتح، إذ عقدوا اتفاقاً مع المسلمين يدفعون بموجبه جزية عن رؤوسهم منصوص عليها في عقد الصلح، لا يزاد فيها ولا يوضع على الأرض شيئاً[٥]. وبهذا تكون ملكية هذه الأراضي من قبل اصحابها ملكية رقبة وتصرف يسمح لهم ببيعها وتوريثها ونحو ذلك[٦]. وإن أسلم صاحبها تسقط الجزية عنه وتصبح أرضه عشرية[٧].
ولقد كانت نسبة هذه الأراضي في العراق ضئيلة؛ إذ توجد في قرى الحيرة وأُلّيس وبانقيا[٨]، وأضاف الشـعبي لها عين التمر، إلا أنه يشـك في ذلك لأن المسـلمين فتحوها بعد قتال أهلها في حملة خـالد بن

---

(١) البلاذري : فتوح ، ص٣٧٠ (الوليد بن صالح) .
(٢) الصولي: أدب الكتاب ، ص٢٣١ .
(٣) ابن رجب : الاستخراج ، ص٣٥ (الشعبي) .
(٤) أبو عبيد : الأموال ، ص١٥١ / ابن زنجويه : الأموال ، ج١ ، ص٢٥٧ / ابن حزم : المحلى ، ج٧ ، ص٣٤٥ (طارق بن شهاب) (الشعبي) .
(٥) أبو يوسف : الخراج ، ص٥٩ .
(٦) أبو يوسف : الخراج ، ص٦٣ / ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٦٤ / أبو عبيد : الأموال ، ص١٦٢ / أبو علي : الأحكام السلطانية، ص١٨٤ .
(٧) أبو عبيد : الأموال ، ص٢٤٩/ ابن زنجويه: الأموال ج١ ، ص٣٩٣ / الاصطخري : أقاليم ، ص٤٦ / السرخسي : المبسوط ، ج٣، ص٧ .
(٨) أبو يوسف : الخراج ، ص٢٨ (الشعبي) / يحيى بن آدم : الخراج ، ص٥٤ / أبو عبيد : الأموال ، ص١٦٢/ البلاذري: فتوح، ص٢٤٦ (عبد الله بن المغفل) / الطبري: تاريخ، ج٣، ص٣٤٤ (ابن اسحاق)، ٣٤٦ (أبو مخنف) / صالح العلي: الخراج، ص٥٩ .

الوليد (١٢-١٣هـ) إلا أنه يمكننا اعتبارها كذلك إذا اعتبرنا أنها من أرض العرب إذ أن غالبية أهلها من العرب[١].

وقال يحيى بن آدم (ت ٢٠٣هـ) بجواز بيع أرض الصلح فقال: ((لا يباع أرض دون الجبل الا أرض بني صلوبا وأرض الحيرة، فإن لهم عهداً))[٢].

وتشترك الأراضي التي صالح عليها أهلها المسلمين دون قتال مع الأراضي التي أسلم عليها أهلها، إذ اعتبرت ملكية خاصة لأصحابها لهم الحق في التصرف فيها كيفما شاءوا، ولقد فرض على الأرض التي أسلم عليها صاحبها زكاة العشر. أما الأرض التي صالح عليها أهلها دون قتال فلم تذكر الروايات ما كان يجب على الأرض وأن تشعر بعضها بأنه فرض عليها الخراج إذا لم يسلم أصحابها اضافة للجزية ، وإن أسلموا تسقط الضريبتان[٣].

ان الروايات التي تبيّن أن أرض الصلح دفعت ضريبة الخراج ابتداءاً هي روايات متأثرة بالنظرة التي كانت موجهة نحو أرض الخراج عندما استقرت فكرة فرض هذه الضريبة على الأراضي المفتوحة[٤].

عندما أمر الخليفة عمر المسلمين بدعوة السكان للرجوع الى أراضيهم ومصالحتهم على الجزاء والذمة، وجدت أراض لم يرجع أصحابها اليها فاعتبرت مُلكاً (فيئاً) للفاتحين فقط لقول عمر ((ومن ترك أرضه من أهل الحرب فخلّاها فهي لكم))[٥]. فخرجت هذه الأراضي من دائرة عهد الذمة بين المسلمين وأهل البلاد المفتوحة لأنها شغرت عملياً من مالكيها وبالتالي لم يجد المسلمون أحداً يصالحونه عليها؛ فخرجت عن كونها أرضاً خراجية، كما أنها لم تكن أرض صلح؛ لذلك كانت صنفاً ثالثاً عرف باسم الصوافي.

وتُعّرف الصوافي بأنها كل أرض ليس لها مالك عند الفتح، وذكر من أصنافها عشرة أنواع[٦]:-

١- كل أرض كانت ملكاً لكسرى ملكية خاصة.

٢- كل أرض كانت ملكاً لأتباع كسرى ومرازبته وحاشيته.

٣- كل أرض كانت لمن قاتل مع كسرى المسلمين وقتل اثناء الفتح.

٤- كل أرض كانت لمن قاتل مع كسرى المسلمين وهرب منهم اثناء عمليات الفتح .

---

(١) أبو عبيد: الأموال، ص١٥١/ ابن حزم: المحلى، ج٧، ص٣٤٥ (طارق بن شهاب) (الشعبي)/ ابن رجب: الاستخراج، ص٣٥ .

(٢) يحيى بن آدم : الخراج ، ص ٢٥ (عبد الله بن مغفل المزني) / البلاذري : فتوح، ص٢٤٦ (عبد الله بن مغفل) / ياقوت: معجم، ج٣ ، ص٢٧٥ .

(٣) فالح حسين : الدولة العربية الاسلامية والأرض المفتوحة ، ص ١٨١٧ .

(٤) أبو عبيد: الأموال ، ص١٥١ / ابن خرداذبة : المسالك ، ص١٤ / ابن حزم : المحلى ، ج٧ ، ص٣٤٥ / فالح حسين : الدولة العربية، ص ١٨١٨ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٣٠ (سيف) / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٦٠٨ .

(٦) أبو يوسف : الخراج ، ص٥٧-٥٨ (عبد الله بن أبي حرة) / يحيى بن آدم : الخراج، ص٢١ ، ٦٩ / أبو عبيد : الأموال ، ص٣٧٥ (عبد الملك بن أبي حرة) / البلاذري : فتوح ، ص٢٧٢ (عبد الملك بن أبي حرة) / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٨٦ (سيف) / عبد العزيز الدوري : النظم الاسلامية ، ص٨٥ / صالح العلي : الخراج، ص ٦٣ .

٥- أراضي بيوت النار٠

٦- سكك البريد، أو ما يطلق عليه أحياناً دير البريد٠

٧- الآجام: وهي المناطق التي تقع جنوب العراق حيث كان يقع نهر الجنب، ولما تبطّحت البطائح فاض هذا النهر وغمر ما حوله من أراض فسميت ناحية الجنوب آجام البريد؛ إذ كان يمرّ فيها طريق البريد من المدائن الى الأهواز، والتي في ناحية الشمال آجام أغمر بشي، ويكثر في الآجام نبات القصب٠

٨- مغايض الماء: وهي مستنقعات الماء وفيه يجتمع الماء والشجر ومنها البطائح٠

٩- الأرّحاء (الطواحين): وكانت من المصالح العامة التي تشرف عليها الدولة الساسانية، وكان بعضها ملكاً لكبار ملاكي الأراضي في الدولة الساسانية٠

١٠- كل أرض اصطفاها كسرى لنفسه إما بوراثته اراضي من لا وريث له أو بمصادرة أراضي الخارجين عليه٠

ويوضح سيف بن عمر الأمر بقوله: ((فلما قدمت كتب عمر على سعد بن مالك والمسلمين عرضوا على من يليهم ممن جلا وتنحّى عن السواد أن يتراجعوا ولهم الذمة وعليهم الجزية، فتراجعوا وصاروا ذمة كمن تمّ ولزم عهده ٠٠ ولم يدخلوا في الصلح ما كان لآل كسرى، ولا ما كان لمن خرج معهم ولم يجبهم الى واحدة من اثنتين: الاسلام، أو الجزاء، فصارت فيئاً لمن أفاء الله عليه، فهي والصوافي الأولى ملك لِمن أفاء الله عليه وسائر السواد ذمة))(١)٠

وتمثل هذه الرواية نظرة القبائل العربية المشاركة في الفتح لأراضي الصوافي، وهي التي أقرّها الخليفة عمر بن الخطاب في البداية عندما كتب للمقاتلة بأحقيتهم في اقتسامها فقال: ((اعمدوا الى الصوافي التي أصفاكموها الله فوزعوها على من أفاءها الله عليه: أربعة أخماس للجند وخمس في مواضعه اليّ))(٢)٠

وترد اشارات توضح أن بعض المقاتلة قامت بالسيطرة على بعض الأراضي الخالية أثناء الفتح ويظهر أن هذا كان إثر أمر عمر للمقاتلة بقسمة الصوافي فيما بينهم ، فلقد ذكر سيف ((وكان أحظى بفيء الأرض أهل جلولاء، استأثروا بفيء ما وراء النهروان وشاركوا الناس فيما كان قبل ذلك))(٣)٠ ذلك لأن هؤلاء المقاتلة شاركوا في فتح المدائن سنة ١٦هـ وفتح جلولاء سنة ١٧هـ٠ ثم يضيف سيف ((ولما رجع أهل جلولاء الى المدائن نزلوا قطائعهم وصار السواد ذمة لهم، الا ما اصطفاهم الله به من مال الأكاسرة ومن لجَّ معهم))(٤)٠

ويبدو أن مثل هذا الاستئثار لبعض أراضي الصوافي من قبل بعض القبائل لم يكن ناتجاً عن قسمة هذه الأراضي، ذلك أن توزع هذه الأراضي في العراق وانشغال المقاتلة بالفتح حال دون قسمة الصوافي بينهم٠ ويوضح سيف ذلك بقوله: ((فلما جعل ذلك اليهم رأوا الا يفترقوا في بلاد العجم وأقروها حبيساً لهم

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٨٦ (سيف) ٠

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٣١ (سيف) / ابن حبيش: غزوات، ج٢، ص٦٥٧ / ابن دحلان: الفتوحات، ج١، ص١١٣ ٠

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٣١ ٠

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٣٣ ٠

يولونها من تراضوا عليه ثم يقتسمونها في كل عام ولا يولونها الا من اجمعوا عليه بالرضا، وكانوا لا يجمعون إلا على الأمراء، كانوا بذلك في المدائن وفي الكوفة حين تحولوا الى الكوفة))[١].

ونظراً لإجماع المقاتلة على عدم قسمة الصوافي فيما بينهم فقد قرر عمر منع بيع أراضي الصوافي ما بين الجبل وحلوان لأنها ملكاً عاماً للفاتحين[٢].

ان اعتراف الدولة بحق المقاتلة في الصوافي واعتبارها فيئاً أفاءه الله عليهم كان اعترافاً نظرياً، لأننا لم نسمع عن وجود قسمة لهذه الأراضي باستثناء حالات محدودة جداً كان أبرزها عندما قدم وفد من البصرة الى المدينة سنة ١٧هـ يشكو فيه الأحنف بن قيس من طبيعة المكان الذي نزل فيه أهل البصرة إذ قال: ((دارنا فعمة ووظيفتنا ضيقة وعددنا كثير وأشرافنا قليل وأهل البلاء فينا كثير ودرهمنا كبير وقفيزنا صغير، وقد وسّع الله علينا وزادنا في أرضنا، فوسّع علينا يا أمير المؤمنين وزدنا وظيفة توظّف علينا))، فقرَّر عمر قسمة نصف صوافي البصرة بين أهلها؛ إذ تضيف الرواية ((فنظر الى منازلهم التي كانوا بها الى ان صاروا الى الحجر فنفلهموه واقطعهموه وكان مما كان لآل كسرى فصار فيئاً فيما بين دجلة والحجر فاقتسموه، وكان سائر ما كان لآل كسرى في أرض البصرة على حال ما كان في أرض الكوفة ينزلونه من احبوا ويقتسمونه بينهم لا يستأثرون به على بدء ولا ثنى بعدما يرفعون خمسةُ الى الوالي، فكانت قطائع البصرة نصفين نصف مقسوم ونصف متروك للعسكر وللإجتماع))[٣].

والحقيقة أن معظم الصوافي في البصرة من النوع الذي يحتاج الى إحياء وعمارة كالآجام والبطائح، لذا لم يكن اقطاعها يجد معارضة من القبائل بعكس ما كان لدى أهل الكوفة التي تمتاز معظم صوافيها بالخصوبة. كما أن مثل هذه الحالة لا تسوّغ القول بأن أراضي الصوافي قسّمت على الفاتحين، لأن الظروف لم تكن لتسمح بذلك ولكنهم كانوا يستفيدون من إنتاج هذه الأراضي الذي كان يوزّع عليهم.

وفي خلافة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ) بدأ التغير الجذري لنظرة الدولة الى الصوافي، إذ كتب الوالي على الكوفة سعيد بن العاص[٤] سنة ٣٠هـ للخليفة عثمان بغلبة الروادف على أهل السابقة والشرفي في الكوفة[٥]، فقرر عثمان زيادة أعداد أهل السابقة وذلك من خلال السماح للصحابة الذين منعهم عمر بن الخطاب سابقاً من الخروج من الجزيرة العربية بالأنسياح نحو الامصار، وتصادف ذلك مع رجوع العديد من المقاتلة ممن شاركوا بفتح العراق الى الجزيرة العربية. لذلك يروى أنه جمع أهل المدينة وخطب فيهم ((ان الناس يتمخضون بالفتنة وإني والله لأتخلصنَّ لكم الذي لكم حتى أنقله اليكم ان رأيتم ذلك، فهل ترونه حتى يأتي من شهد مع أهل العراق الفتوح معه فيقيم معه في بلاده؟ فقام أولئك وقالوا: كيف تنقل لنا ما أفاء

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٣٢ .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٨٩ (الشعبي) / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٦٥٦ / ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص٣٦٧ / الخطيب البغدادي : تاريخ ، ج١ ، ص٤٥ / صالح العلي : الخراج ، ص٦٣ .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٧٥ (سيف) / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص٦٨٢-٦٨٣ .

(٤) سعيد بن العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ، كان من وجوه قريش ، تولّى الكوفة لعثمان بن عفان وغزا طبرستان فنتحها ، واعتزل الفتنة ولم يقاتل معاوية ، توفي سنة ٥٨هـ . الذهبي : سير اعلام ، ج٣ ، ص٤٤٤-٤٤٨ .

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٧٩ (سيف) / النويري : نهاية الأرب ، ج١٩ ، ص٣٤٧-٣٤٨ .

الله علينا من الأرضين يا أمير المؤمنين؟ فقال: نبيعها ممن شاء بما كان له بالحجاز، ففرحوا وفتح الله عليهم به أمراً لم يكن في حسابهم))[١] ولقد تمت هذه العملية سنة ٣٠هـ٠

ويوضّح الشعبي (ت١٠٣هـ) ما حصل بقوله ((لما ولي عثمان بن عفان كان الرجل يقدم عليه له الشرف في قومه من أهل اليمن أو الطائف أو عُمان و البحرين أو حضرموت أو اليمامة فيقول: يا أمير المؤمنين: اني رغبت في الهجرة وخلّفت أرضاً نفيسةً، وذلك أن هؤلاء أهل القرى وعقد ومساكن، فيقول عثمان: فإنا نعوّضك فيها ونجعل أرضك صافية للمسلمين فعوّض الأشعث بن قيس طيزناباد وأخذ ماله بحضرموت وعوّض طلحة بن عبيد الله النشاستج وبئر أريس، وأقطع الزبير بن العوام ما والى دير عبد الرحمن، وأقطع خبّاب بن الأرت أسبينا (أستينا) وأقطع وائل بن حجر الحضرمي ما والى زرارة٠٠))[٢]، تدل هذه الرواية على عدم حصول عملية مبادلة كما تفهم الكلمة حرفياً، بل أن ما حصل أن أعداداً من أشراف الجزيرة أحبّوا الهجرة الى العراق الا أنهم خشوا على أراضيهم في الجزيرة، فأراد عثمان حلّ هذه المشكلة بتعويضهم عن أراضيهم التي سيتركونها في الجزيرة بأراض أخرى في العراق، ويبدو أن المستفيدين من هذه العملية كما تذكر الرواية كانوا محدودين وهما: الأشعث بن قيس[٣] وطلحة بن عبيدالله[٤]، بينما بقية الأشخاص المذكورين لم يتم تعويضهم عبر عملية المبادلة بل أقطعوا من الأراضي التي بدأت الدولة تنظر لها وكأنها تملكها ملكية تصرف وملكية رقبـة٠ ولذلك فإن عملية المبادلة سرعان ما تحولت الى عملية اقطاع، ويبدو أن هذه العملية تمت في البداية ((عن تراضٍ منهم ومن الناس واقرار بالحقوق))[٥] وكان المستفيدون منها اولئك الذين شاركوا بالفتح منذ البداية ثم عادوا الى الجزيرة العربية ومعظمهم من المهاجرين والأنصار[٦]. الا أن ذلك سرعان ما فجّر نفوس الروادف ومن لا سابقة لهم والذين كانوا يشكّلون الأغلبية في الكوفة أنذاك إذ وجدوا في سياسة عثمان تجاه أراضي الصوافي ما أوجد فجوة مادية واسعة بين الأثرياء من العرب وعامة القبائل الذين لم يدركوا قيمة الأرض وأهميتها، ويبرر لهم اظهار شكواهم وتذمرهم من سياسة التفضيل في العطاء[٧].

لقد كانت معظم الأراضي التي اقطع منها عثمان من أراضي الصوافي مما غيّر من نظرة الدولة لهذا النوع

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٨٠ (سيف) / ابن الأثير: الكامل ، ج٣ ، ص٦ ٠

(٢) ابن زنجويه : الأموال ، ج٣ ، ص٦٣٥-٦٣٦ (الشعبي)/ الديار بكري : تاريخ الخميس ، ج٢ ، ص٢٦٩ ٠

(٣) الاشعث بن قيس: وهو الأشج بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة الكندي، وكان أشعث الرأس فسمي بالأشعث، وفد على النبي (ص) في سبعين رجلا ، ثم كان من رؤوس الردة بعد وفاة الرسول (ص) الا أنه تاب واشترك في القادسية وجلولاء ونهاوند واختط في الكوفة، ومات فيها ٠ ابن سعد : الطبقات ، القسم الناقص ، ص٥٧٨-٥٨١ ٠

(٤) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، شهد المشاهد مع الرسول(ص) ، وكان ثريا ، قتل يوم الجمل سنة ٣٦هـ ٠ابن سعد : الطبقات ، ج٣ ، ص١١٤-١٢٠ ٠

(٥) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٨١ (سيف) ٠

(٦) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٨٦-٥٨٧ (سيف) ٠

(٧) الطبري: تاريخ، ج٤، ص٢٨١ (سيف)، ج٥ ، ص٥٦٦ (أبو مخنف) / عبد العزيز الدوري: التكوين التاريخي، ص٣٩، ٤١ ٠

من الأراضي، فلم تعد الدولة لها الحق في ادارة وتوزيع واردات الأراضي فقط بل اصبحت متملّكة لرقبتها ايضاً فأصبحت تقطع منها كما تشاء ومما زاد الأمور سوءاً بين أهل الكوفة والخليفة عثمان وواليه سعيد بن العاص ما قاله سعيد في مجلسه أمام نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام والقادسية: ((انما السواد بستان لقريش)) فردّ عليه الأشتر النخعي حانقاً ((أتزعم أنّ السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك! والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيباً الا أن يكون كأحدنا))(١).

ويبدو أن الأشتر أظهر شكوى القبائل الكوفية من سياسة الدولة تجاه الصوافي إذ أثارت مقولته تداعيات اجراءات عثمان بشأنها، فرأت القبائل أن عثمان حوّل حقوقها الى بستان لأرستقراطية قريش. لذلك ما أن تولى الخليفة علي حتى قرّر ((أن كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لايبطله شيء ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرّق في البلدان))(٢)، ويبدو أن هذا القول جاء لتهدئة الأوضاع والنفوس؛ فليس من السهل عملياً ردّ هذه القطائع التي تفرّقت في البلدان.

ولقد اكتملت الصورة النهائية لوضع الصوافي في الدولة الاموية منذ أن ألحق معاوية بن أبي سفيان الصوافي لبيت المال في دمشق وأوجد ديوان خاص لها، فأصبحت بذلك الصوافي حقاً للخليفة يقطع منها ما شاء من حاشيته وعلية القوم(٣).

ويعبّر الفقهاء عن التطور الحاصل في أراضي الصوافي دون أن ينظروا لأصل هذا التطور، لذا قال يحيى ابن آدم (ت٢٠٣هـ) ((ان للخليفة الحق في الصوافي ان شاء أقام فيها من يعمّرها ويؤدي الى بيت مال المسلمين منها شيئاً ويكون الفضلة له وإن شاء أنفق عليها من بيت مال المسلمين واستأجر من يقوم فيها ويكون فضلها للمسلمين، وان شاء أقطعها رجلاً من له غناء من المسلمين))(٤)، وبذلك خلط الفقهاء بين الصوافي وأرض الخراج.

لم تبدِ القبائل العربية المشاركة في عمليات الفتح الاسلامي للعراق اهتماماً بامتلاك الأراضي في بدايات الفتح وذلك لإنشغالها بالمعارك وجمع الغنائم التي كانت تكفي اعطياتهم؛ إضافة الى نظرتهم البدوية لمهنة الزراعة وبالتالي عدم ادراكهم لأهمية الأرض، كما أن الخلافة حرصت في البداية على استمرار الروح العسكرية لـدى المقاتلة العرب وعدم اشغالهم بأي أمر يعيق الهدف الأسمى الذي جاءوا لأجله؛ وبعد سنوات من استقرار الفتح وتثبيت الوجود العربي في الأمصار، بدأت حركة الفتوح بالتراجع مما أدى لانخفاض واردات الغنائم مقارنـــة بالتزايد السكاني الناتج عن تزايد الهجرات القبلية مما دعا بالعديد من

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٢٣ (الشعبي) . انظر البلاذري : أنساب الأشراف ، ج٦ ، ص١٥٢ (أبو مخنف) / ابن اعثم: الفتوح، م١، ص٣٨٣ / ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص٣١ / ابن أبي الحديد : شرح نهج ، ج١ ، ص١٥٨ / الديار بكري: تاريخ، ج٢، ص٢٧٢ .

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج ، ج١ ، ص٩٠ .

(٣) اليعقوبي: تاريخ ، ج٢، ص١٤٥ / مشاكلة الناس ، ص١٦ /الصولي : أدب الكتاب ، ص٢١٩ (محمد بن كعب القرظي) / مجهول: تاريخ الخلفاء، ص١٥٩ .

(٤) يحيى بن آدم : الخراج ، ص٢١ / أبو عبيد : الأموال ، ص٣٧٥ (عبد الملك بن أبي حرة) / عواد الاعظمي : الزراعة، بحث في كتاب حضارة العراق ، بغداد ١٩٨٥ ، ج٥ ، ص٢٣٤ .

العرب للبحث عن موارد أخرى للرزق، فبدأ التسابق بين العديد من أشراف القبائل الى امتلاك الأرض بشتى الوسائل الممكنة، وساعد على ذلك مجموعة من العوامل أهمها اضافة لما قيل: انتباه العديد من أثرياء العرب خاصة من قريش وبعض القبائل اليمانية لقيمة الأرض وأهميتها في زيادة ثرائهم حيث رأوا في أنفسهم القدرة على امتلاك مساحات واسعة من الأراضي بسبب توافر الأموال الكثيرة في أيديهم كما أن لرغبة العديد من أصحاب الأراضي من أهل العراق بالهجرة الى الأمصار أن جعلتهم يبيعون أراضيهم للعرب بأثمان زهيدة، اضافة لتوفر الأيدي العاملة بكثرة، كما أن سياسة الدولة لعبت دوراً هاماً في تشجيع العرب على التملّك وتوسيع ملكيات العديد منهم عن طريق الاقطاعات بهدف جذب أكبر عدد من المناصرين لها[١]. وتعدّدت الوسائل المتّبعة في تكوين الملكيات العربية في العراق، فكان أبرزها:

١- الإقطاع :-

يُعَرف الإقطاع بأنه منح الخليفة أحد الأشخاص الحق في امتلاك مساحة محدودة من الأرض ملكية رقبة وملكية تصرّف يتمكن المُقْطع له بذلك من بيعها وتوريثها ووهبها مقابل أن يؤدي عنها زكاة الأرض[٢]. ولقد بدأ الاقطاع منذ أيام الرسول (ص) وخليفته أبو بكر رضي الله عنه[٣]، ولقد استمر الاقطاع في عهد الخلفاء الراشدين والامويين، وهو إما أن يكون إقطاعاً للدور والمساكن أو اقطاعاً للأراضي الزراعية أو الموات.

وترد بعض الاشارات المحدودة عن اقطاع الخليفة عمر بن الخطاب لأراضٍ موات في العراق، وهي من الطرق الشائعة لاستملاك الأراضي، ولقد أباحها الاسلام لقول الرسول (ص) ((من أحيا أرضاً ميتةً فهي له وليس لعرق ظالم حق))[٤]. وتُعَرف أراضي الموات بأنها الأرض التي يشترط أن لا يكون لرقبتها مالك ولا حقٌ فيها لمسلم ولا معاهد لقول الرسول (ص) ((ان عادي الأرض لله ولرسوله ولكم من بعد ، فمن أحيا شيئاً من موتان الأرض فهو أحق به))[٥].

ومن المفترض أن تكون أرض الموات غير مستثمرة، لذا فهي تحتاج لعمليات الإحياء وتتمثّل في البناء أو الحرث؛ كحفر نهر او استخراج عين[٦].

---

(١) فالح حسين : الحياة الزراعية ، ص٥٧ / الحبيب الجنحاني : التحول الاقتصادي ، ص٩٤ / محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الأراضي ، ص١٣٨ .

(٢) أبو يوسف : الخراج ، ص٥٨ / أبو عبيد : الأموال ، ص٣٧١ / يوسف زيتون : أراضي الصوافي والموات واثرها في توسيع الملكيات في صدر الاسلام ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية١٩٩٦ ، ص١٨٥ .

(٣) أبو عبيد : الأموال، ص٣٦٧ (عبد الله بن المبارك)، ٣٦٨ (ابن جريج)، ٣٧٠ (ابن عون) / ابن سعد: الطبقات ، ج٣، ص٥٦/ ابن دريد: الاشتقاق ، ص٣٠٦ / المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٩٦ .

(٤) أبو يوسف : الخراج ، ص٦٥ (محمد بن اسحاق) / الشافعي : الأم ، ج٤ ، ص٤٥ / أبو عبيد : الأموال ، ص٣٧٨ / البيهقي: السنن، ج٦، ص١٤٢ .

(٥) يحيى بن آدم : الخراج ، ص٩٣-٩٤ / الشافعي : الام ، ج٤ ، ص٤١ / القلقشندي : صبح الأعشى ، ج١٣ ، ص١٢١ .

(٦) أبو عبيد : الأموال ، ص٣٨٣-٣٨٤ .

ولقد انتشرت أراضي الموات في جنوب العراق خاصةً في منطقة البصرة والبطائح، لذا كانت أراضي البصرة تعتبر أراضٍ عشرية[١]، كما تنتشر بعضها في عيون الطف الواقعة في الحد الغربي للعراق العربي[٢].

فلقد أقطع عمر بن الخطاب نافعاً بن الحارث بن كلده الثقفي أرضاً مواتاً في البصرة[٣]، ويبدو أنه كان اقطاعاً صغيراً إذ قدّره ابن سعد (ت٢٣٠هـ) بعشرة أجربة فقط[٤].

ويذكر ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ) أن عمر أقطع قطائعاً ((لأرباب الغناء في الحرب والآثار المشهورة في الجهاد، فعل ذلك ثمناً لما بذلوه من مهجهم في طاعة الله سبحانه))[٥].

ويبدو أن اقطاعات عمر المحدودة لم تتعدَّ أراضي الموات[٦]. إذ لم يتوسع عمر في الاقطاعات لرغبته في أن يحافظ العرب على الروح القتالية لديهم، وكانت إقطاعاته المحدودة ضمن خمس الفيء (الصوافي) الذي يحق للخليفة التصرّف فيه لذلك قال سيف أن عمراً أقطع ((طلحة وجرير بن عبد الله والرُبيل بن عمرو وأقطع أبا مفزّر دارفيل... وانما القطائع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله))[٧]. كما أقطع عمر مخّرم بن شريح من بني الحارث بن كعب أرضاً سميت بالمخرمية[٨].

وأقطع عمر عدداً من المشاركين بالفتح دوراً للسكن فلقد أقطع داراً لسعد بن أبي وقاص، وأقطع عدي بن حاتم[٩] وسائر طيء ناحية جبانة بشر، وأقطع عمرو بن ميمون الأودي[١٠] الرحبة وأقطع هاشماً بن عتبة شهارسوج خنيس[١١].

---

(١) يحيى بن آدم: الخراج، ص٢٨ / الاصطخري: أقاليم، ص٤٥ / الماوردي: الأحكام، ص١٥٩ / ماسينيون: خطط البصرة، ص٣٣ .

(٢) البلاذري : فتوح ، ص٢٩٦ (قالوا) .

(٣) يحيى بن آدم : الخراج ، ص٨٥ / أبو عبيد : الأموال ، ص٣٧٠ / البلاذري : أنساب ، ج١٣ ، ص٤٣٨-٤٣٩ / فتوح البلدان، ص٣٤٥ (الحسين بن علي العجلي) ، ٣٤٦ (الوليد بن هشام) .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، ج٧ ، ص٣٦ . ويرى ابن دريد انها بلغت ٣٠٠ جريب . الاشتقاق ، ص٦٠٣ .

(٥) ابن ابي الحديد : شرح نهج ، ج١ ، ص٩٠ .

(٦) الماوردي : الأحكام ، ص١٧٠ .

(٧) الطبري: تاريخ، ج٣، ص٥٨٩ (سيف)/ ابن حبيش: غزوات، ج٢، ص٦١٠ / المقريزي: الخطط، ج١، ص٩٧ .

(٨) ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٧١ .

(٩) عدي بن حاتم الطائي أحد بني ثعل ، نزل الكوفة وابتنى بها داراً في طيء ، شهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين، ومات بالكوفة سنة ٦٨هـ . ابن سعد : الطبقات ، ج٦ ، ص٣٧٥ .

(١٠) عمرو بن ميمون: أدرك الجاهلية ولم يلق النبي (ص) وكان كوفي تابعي ثقة، توفي ٧٤ وقيل ٧٥هـ. ابن حجر: تهذيب، ج٤، ص٣٦٨ .

(١١) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بن أهيب بن زهرة بن عبد مناف ، ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، أسلم يوم الفتح وحضر مع عمه معركة القادسية ، وقاد الجيش المسلم في جلولاء ، قتل في يوم صفين . ابن حجر : الاصابة ، ج٦ ، ص٤٠٤-٤٠٥ . انظر : ابن سعد: الطبقات ، ج٦ ، ص٣٧٢ / انظر أمثلة أخرى لدى اليعقوبي : البلدان ، ص٦٩-٧٠ / ابن العربي : العواصم من القواصم ، ص١١٢ .

ظهر توسّع واضح في الإقطاع في خلافة عثمان[١]، إذ كانت أراضي الصوافي والموات من أكثر الموارد التي اعتمدها عثمان في الإقطاع، إذ أصبحت الصوافي عملياً ملكاً للدولة رغم أنها نظرياً ملكاً للفاتحين·
أما أرض الموات فلم تكن هناك صعوبة في اقطاعها·

ولقد ظهر اهتمام عدد من أشراف العرب خاصة من قريش في خلافة عثمان لامتلاك الأراضي في البلاد المفتوحة حتى قال سيف ((لم تمض سنة من امارة عثمان حتى اتخذ رجال من قريش أموالا في الامصار وانقطع اليهم الناس))[٢]·

لقد أقطع عثمان لأول مرة أراض من الصوافي التي تعتبر ملكاً للفاتحين، فذكر موسى بن طلحة (ت١٠٣هـ) ((أول من أقطع العراق عثمان بن عفان، أقطع قطائع من صوافي كسرى وما كان من أرض الجالية))[٣]· ولقد برّر عدد من الفقهاء عمل عثمان هذا لأنه ((رأى اقطاعها أردُ على المسلمين وأوفر لخراجهم من تعطيلها فأعطاها من رأى اعطاءه على أن يعمروها كما يعمرها غيرهم ويؤدوا عنها ما يجب للمسلمين))[٤]·

ونتيجة لاقطاعات عثمان وسماحه للصحابة بالخروج الى الأمصار تمكّن العديد منهم من امتلاك أراض في العراق كانت في معظمها من أراضي الصوافي المنتشرة في أرض الملطاط قرب الكوفة ما بين الحيرة والفـرات[٥]·

ومن الأمثلة على وجود هذه الملكيات في العراق ما أقطعه عثمان لعبد الله بن مسعود في النهرين[٦]، وأقطع عمار بن ياسر استينيا[٧] وقيل بل أقطعها لخبّاب بن الأرت[٨]، وأقطع عدي بن حاتم الروحاء[٩]، وأقطع

---

(١) البلاذري : أنساب ، ج٥ ، ص٢٨٦ / القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٣ ، ص١١٢ / المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٩٦ / السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص١٦٤ ·

(٢) الطبري : تاريخ ج٤ ، ص٣٩٨ (سيف) ·

(٣) البلاذري : فتوح ، ص٢٧٣ (موسى بن طلحة) / أبو هلال العسكري : الأوائل ، ص١٢٣ / ابن رجب : الاستخراج ، ص١٠٤ ·

(٤) أبو عبيد : الأموال ، ص٣٧٥ (عبد الملك بن أبي حرة) / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص٢١٧ / الماوردي : الأحكام ، ص١٧٠ ·

(٥) غيداء خزنة كاتبي: الخراج منذ الفتح الاسلامي ، ص٣٠٠-٣٠١ ·

(٦) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب من بني هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، كان أول من افشى القرآن بمكة ، وشهد كافة المشاهد مع الرسول (ص) ، توفي في المدينة سنة ٣٢هـ ·ابن سعد : الطبقات ، ج٣ ، ص٨٠-٨٥ · انظر : أبو يوسف : الخراج، ص٦٢ (موسى بن طلحة) / البلاذري : فتوح ، ص٢٧٢ (الحسين وعمرو الناقد) / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٨٩ (الشعبي) ·

(٧) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة العنسي ، هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية ، وشهد المشاهد كلها مع الرسول (ص) وقتل في معركة صفين سنة ٣٧هـ·ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص١٣١-١٤٠ · استينيا: قرية بالكوفة، أقطعها عثمان بن عفان لخباب بن الارت· ياقوت: معجم، ج١، ص١٧٦ · انظر: أبو يوسف: الخراج، ص٦٢ (موسى بن طلحة)/ البلاذري: فتوح، ص٢٧٢ (موسى بن طلحة) / الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص ٥٨٩ (الشعبي) ·

(٨) خباب بن الأرت : مولى لأم أنمار ابنة سباع بن عبد العزى الخزاعية حلفاء بني زهرة بن كلاب ، شهد بدراً، نزل سواد الكوفة وتوفي به منصرف علي من صفين سنة ٣٧هـ ·ابن سعد : الطبقات ، ج٦ ،ص٣٧٢ · انظر البلاذري : فتوح ، ص٢٧٣ (موسى بن طلحة) / صالح العلي : امتداد العرب ، ص٢٧ ·

(٩) الروحاء : قرية من قرى بغداد على نهر عيسى بن موسى قرب السندية · ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص٧٦ · انظر البلاذري : فتوح ، ص٢٧٣ (موسى بن طلحة) / أبو هلال العسكري : الأوائل ، ص ١٢٣ ·

أراضٍ أخرى للزبير بن العوام ما والى دير عبد الرحمن[١]، وأقطع وائل بن حجر الحضرمي ما والى زرارة[٢]، وأقطع أبا مربد الحنفي أرضاً بالأهواز بنهر تيري، وأقطع خالد بن عرفطة العذري حليف بني زهرة أرضه التي بحمام عمرة[٣]، وأقطع خبّاباً بن الارت صعنبا[٤]، وأقطع جرير بن عبد الله البجلي أرضاً على شاطئ الفرات[٥]، كما سمح لطلحة بن عبيدالله بشراء ضيعة النشاستج – النشاستك – قرب الكوفة بمال له في خيبر[٦]، وأقطعه كذلك الصنين[٧].

وسمح للأحنف بن قيس بشراء ضيعة طيزناباد بمال له في حضرموت[٨]، وأقطع سعد بن أبي وقاص قرية الهرمزان[٩].

كما أقطع عثمان عدداً من الأشخاص من أراضي الموات التي تتطلب الاحياء والعمارة، فلقد أقطع عثمان ابن أبي العاص الثقفي سنة ٢٩هـ[١٠] أرضاً مواتاً قرب الأُبلّة سميت بشط عثمان عمل على استخراجها وتعميرها، وقيل أن مساحتها كانت اثنا عشر ألف جريب[١١]، ومما يؤكد اتساعها أن عثمان بن أبي العاص أقطع منها لأخوتــه فأعطى أخاه حفص أرضاً ســميت حفصان، وأخاه أُمية أرضاً ســميت أميتان،

---

(١) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب. وكان من أوائل الذين أسلموا، وشارك في كل غزوات الرسول (ص) وهاجر الى الحبشة الهجرتين. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٤-٥٥ . انظر ابن زنجويه: الأموال، ج٣، ص٦٣٥-٦٣٦ .

(٢) زرارة : محلة بالكوفة سميت بزرارة بن يزيد بن عمرو بن عدس من بني البكاء وكانت منزله ، وكان زرارة على شرطة سعيد بن العاص في خلافة عثمان . ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص١٣٥ .

(٣) ابن زنجويه : الأموال ، ج٢ ، ص٦٣٥-٦٣٦ / الديار بكري : تاريخ ، ج٢ ، ص٢٦٩ .

(٤) صعنبا : قرية بالسواد اقطعها الخليفة عثمان الى خباب بن الأرت . ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص٤٠٨ . انظر: أبو يوسف : الخراج، ص٦٢ (موسى بن طلحة) / البلاذري : فتوح، ص٢٧٢ / أبو هلال العسكري : الأوائل ، ص١٢٣ .

(٥) جرير بن عبد الله عويف بن خزيمة بن حرب البجلي ، أسلم سنة ١٠هـ ، وشارك في معركة القادسية ، نزل الكوفة ، وكان له الشرف في جمع قومه المشتتين في القبائل ، اعتزل علياً ومعاوية بالجزيرة حتى توفي بالشراة في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة . ابن سعد : الطبقات ، القسم الناقص ، ص٦٠٠-٦٠٧ . انظر : البلاذري : فتوح ، ص٢٧٣ (موسى بن طلحة) .

(٦) النشاستج : ضيعة بالكوفة كانت لطلحة بن عبيدالله التيمي ، وكانت عظيمة الدخل، اشتراها من أهل الكوفة المقيمين بالحجاز بمال له بخيبر . ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٢٨٥-٢٨٦ . انظر : الطبري : تاريخ ، ج٤ ، ص٢٨١ (سيف) .

(٧) الصنين : بلد بظاهر الكوفة كان من منازل المنذر وبه نهر ومزارع . ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص٤٣١ . انظر : البلاذري : فتوح ، ص٢٧٢ (الشعبي) ، ٢٧٣ (موسى بن طلحة) / أبو هلال العسكري : الأوائل: ص١٢٣ .

(٨) طيزناباد : تقع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق، تبعد عن القادسية ميل . ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٥٤ .البلاذري : فتوح، ص٢٧٣ (موسى بن طلحة) / أبو هلال العسكري : الأوائل ، ص١٢٣ .

(٩) أبو يوسف : الخراج ، ص٦٢ (موسى بن طلحة) / البلاذري : فتوح ، ص٢٧٢ (موسى بن طلحة) ، أبو هلال العسكري ، الأوائل، ص١٢٣ .

(١٠) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن دهمان الثقفي ، نزيل البصرة ، أسلم في وفد ثقيف فاستعمله النبي (ص) على الطائف وأقره أبو بكر وعمر، ثم استعمله عمر على عُمان و البحرين سنة ١٥هـ ثم سكن البصرة مات فيها سنة ٥٠هـ أو ٥١هـ. ابن حجر: الاصابة، ج٤، ص٣٧٤ .

(١١) ابن سعد: الطبقات، ج٧ ، ص٢٢ / ابن قتيبة : المعارف ، ص١٥٣ ، ٣١٤ / البلاذري : فتوح ، ص٣٤٦ (هشام بن محمد) / ياقوت : معجم ، ج١ ،ص٤٣٥ .

وأخاه المغيرة أرض المغيرتان وأخاه الحكم أرض حكمان[١]. ولقد نتج عن تعمير هذه الأرض أن كان بنو عثمان بن العاص على قدر كبير من الغنى الذي توفّر لهم إثر امتلاكهم لهذه الأرض[٢].

وأقطع عثمان مولاه حمران بن أبان أرضاً على نهر أزىّ في البصرة[٣]، ويظهر أن اقطاعات عثمان تعدت لأناس أكثر من هؤلاء حتى قال موسى بن طلحة (ت١٠٣هـ) أن عثمان ((أقطع أناساً من أهل البصرة وأناساً من أهل الكوفة وأناساً من أهل المدينة قطائع كثيرة))[٤].

ولم يكتف عثمان باقطاعاته بل خوّل ولاته هذا الحق، فأقطع واليه على البصرة عبدالله بن عامر[٥] حمراناً ابن أبان دار حمران الموجودة في سكة بني سمرة[٦]، كما أن عبدالله بن عامر نفسه كان من أشهر الملاكين في العراق من خلال احيائه للعديد من الأراضي الموات مثل أرض النباج الواقعة على طرف سواد البصرة[٧]، ولقد قال عنه اليعقوبي أنه ((حفر الأنهار وشيد الدور وبنى القصور وأتخذ الضياع والأموال والأجنّة بالبصرة وبمكة والطائف))[٨].

ويبدو أن ابن عامر استطاع وأسرته تكوين ملكيات واسعة لهم من خلال احيائهم للأراضي الموات، إذ ينسب لابن عامر اقطاعه لأمه دجاجة بنت أسماء بن الصلت السلمية أرضاً حفر لها نهر دجاجة أو نهرأُم عبد الله[٩]. وأقطع أرضاً لزوجته حميدة حفر لها نهر سمي بنهر حميدة[١٠].

وتملّك العديد من الأشخاص المنازل والدور في خلافة عثمان في العراق مثل عبدالله بن مسعود الذي امتلك بيتاً الى جانب المسجد الجامع في الكوفة وكذلك عمرو بن حريث بن عمرو المخزومي والوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي امتلك داراً كبيرة بجانب المسجد الجامع في الكوفة[١١].

---

(١) البلاذري : : فتوح ، ص٣٥٦ (القحذمي) .

(٢) ابن سعد : الطبقات : ج٧ ، ص٢٢ / البلاذري : فتوح : ، ص٣٤٦ (هشام بن محمد) / قدامة بن جعفر : الخراج ، ص٢١٧ / القزويني : آثار البلاد ، ص٢٨٦ .

(٣) ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٣١٧ .

(٤) ابن زنجويه : الأموال ، ج٢ ، ص٧٣١ (موسى بن طلحة) .

(٥) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي ، ابن خال عثمان بن عفان ، ولاّه عثمان البصرة سنة ٢٩هـ وضمّ اليه فارس فافتتح خراسان وسجستان وكرمان، وولاّه معاوية البصرة ثم اعتزل ومات في المدينة سنة ٥٧هـ . ابن حجر : تهذيب ، ج٣ ، ص١٦٩ .

(٦) ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٥ .

(٧) مصعب الزبيري : نسب قريش ، ص١٤٨ .

(٨) اليعقوبي : مشاكلة الناس ، ص١٧ .

(٩) البلاذري : فتوح ، ص٣٥٤ (قالوا) / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٥ .

(١٠) ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٦ .

(١١) ابن سعد : الطبقات ، ج٦ ، ص٣٧١ ، ٣٧٥-٣٧٦ .

ويبدو أن الملكيات في خلافة علي من خلال وسيلة الاقطاع كانت محدودة جداً إذ لا ترد سوى إشارتين حول ذلك عندما أقطع كردوس بن هانئ الكردوسية وسويد بن غفلة الجُعفي أرضاً كانت لداذويه[١].

تزايد أعداد الملاكين العرب من أبناء القبائل العربية التي استقرت في العراق في العصر الاموي من خلال اقطاع الخلفاء والولاة لهم خاصة بعدما استكمل معاوية بن أبي سفيان تحويل ملكية الصوافي للدولة.

ومن اشهر اقطاعات معاوية اقطاعه للحسن بن علي بن أبي طالب عين صيد وهي من عيون الطّفّ – من أرض الموات – مقابل تنازله عن الخلافة[٢]. واستولى معاوية على زرارة المنسوبة لزرارة بن يزيد بن عمرو من بني البكّاء من بني عامر بن صعصعة وكانت من الصوافي فأقطعها لمحمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي[٣]. وأقطع أبا بردة بن عوف الأزدي قطيعة بالفلّوجة[٤].

و أقطع معاوية من أراضي الموات كابس بن ربيعة بن مالك من بني سامة بن لؤي الذي كان يشبه الرسول (ص) أرض المرغاب التي تنسب لنهر المرغاب الذي يستمد ماءه من نهر معقل ويبعد عن البصرة ١٨كم[٥]. وأقطع جارية بن قدامة السعدي الذي عاون عبدالله بن الحضرمي في مهمته التي أرسله فيها معاوية في أواخر خلافة علي، تسعمائة جريب[٦]. وأقطع الحتات من نسل عياض بن حماد التميمي أرضاً بالبصرة[٧].

وكان لوالي معاوية على العراق زياد بن أبيه (٤٥-٥٣هـ) دور كبير في تشجيع نشوء الملكيات العربية في العراق، فلقد كان زياد يقطع العامة من الناس والخاصة خاصةً من أراضي الموات وذلك بهدف أحيائها وتعميرها، فلقد كان إحياء الأرض في العصر الأموي يتطلب إذناً مسبقاً من الخليفة او الولاة ولعل ذلك مردّه الى إقبال العرب على امتلاك الأراضي ورغبة الأمويين في تطبيق المركزية في الإدارة[٨]. ولقد حدد الوالي زياد بن أبيه مدة الإحياء بسنتين فإن لم يحيها صاحبها تؤخذ الأرض منه[٩]. لذلك وجد في عهده أسر عربيــة كانت من أصحاب الملكيات الواسعة مثل أسرة آل أبي بكرة الثقفية الذين كانوا من أكبر ملاكي البصرة في عهــده، فلقد أُقطع زياد أبا بكرة أرض الجموم التي صارت فيما بعد لابنه عبد الرحمن

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٥٨٩ (سيف) / ابن حبيش : غزوات ، ج٢ ، ص ٦١٠ / المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٩٧ .

(٢) البلاذري : فتوح ، ص٢٩٧ .

(٣) البلاذري : فتوح ، ص٢٨١ (هشام بن محمد) / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢١٨ .

(٤) الفلوجة: الكبرى والفلوجة الصغرى قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر . ياقوت: معجم، ج٤، ص٢٧٥ . انظر : نصر بن مزاحم : صفين ، ص٨ .

(٥) ابن حبيب : المنمق ، ص٤٢٥ / المحبّر ، ص٤٦-٤٧ / البلاذري : أنساب ، ج١١ ، ص٣٢ .

(٦) البلاذري : أنساب ، ج١٢ ، ص٣٧٧ .

(٧) البلاذري : أنساب ، ج١٢ ، ص١٠٨ .

(٨) عبد العزيز الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص٨٦ / جمال جودة : العرب والأرض ، ص٢٤٠ . لقد حدد الخليفة عمر بن الخطاب فترة الإحياء بثلاث سنوات عندما رأى عددا من الناس يحتجزون الأرض دون احيائها فقال ((من أحيا أرضاً ميتة فهي له ، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين)) .أبو يوسف : الخراج، ص٦٥ (الزهري) / يحيى بن آدم : الخراج ، ص١٠٢ .

(٩) البلاذري : فتوح ، ص٣٥٦ (المدائني) .

ابن أبي بكرة[١]، وأُقطع رواد بن أبي بكرة أرضاً سميت برواذان[٢].
وأقطع عبيد الله بن أبي بكرة أرضاً عرفت بعبيدلان[٣]، وكان لسلم بن عبيدالله بن أبي بكرة قطيعة عمّرها بنهر سلم[٤]. وكان لآل بكرة قطيعة على نهر خالد مشاركة مع آل خالد بن أسيد القرشي[٥].
ويبدو أن اقطاعات آل أبي بكرة كانت واسعة لدرجة أنهم كانوا يقطعون منها أصحابهم وأخوانهم؛ فلقد أقطع أبو بكرة أبا لؤلؤة الضبي مائة جريب[٦]، وأقطع عبيد الله بن أبي بكرة عبد الله بن معمر سبعمائة جريب[٧]، وأقطع سويداً بن منجوف السدوسي اربعمائة جريب سميت بأرض سويدان[٨].
وقال ابن سعد عن اقطاعات زياد الكثيرة لآل أبي بكرة ((وكان زياد قد قّرب ولد أبي بكرة وشرّفهم وأقطعهم وولاّهم الولايات فصاروا الى دنيا عظيمة))[٩].
كما اشتهر آل زياد بن أبيه بامتلاك عدد من الأراضي ، فلقد أقطع زياد الذي كان من أكبر ملاكي العراق في خلافة معاوية كل بنت من بناته ستين جريباً من أراضي الموات احتفر لهنّ نهراً عرف بنهر البنات[١٠]. وذُكر نهر أُم حبيب المنسوب لابنة زياد بن أبيه[١١]، وكان لسلم بن زياد قطيعة آلت لابنه حرب ثم لحفيده بلال[١٢].
ومن بين الاشخاص الذين أقطعهم زياد آل سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد الذين امتلكوا أرضاً سميت سعيدان، وأقطع عبيد بن نشيط أرض سليمانان[١٣]، وأقطع أنس بن مالك أرض أنسان[١٤]، وأقطع حبيب بن شهاب الشامي التاجر[١٥]، وكانت أقل مساحة يقطعها زياد من أرض الموت ستين جريباً تزداد مساحتها حسبما يكون عليه مكانة الشخص الذي يقطع إليه.
ولم يكتفِ زياد بإقطاع أشراف العرب وعامتهم بل تعداه الى اقطاع الموالي، فلقد أقطع مولاه فيل أرض

---

(١) البلاذري : فتوح، ص٣٥٦ (المدائني) .
(٢) البلاذري : فتوح، ص٣٥٥-٣٥٦ (العقوي الدلال) / صالح العلي : خطط البصرة ومنطقتها ، ص١٥٧ .
(٣) البلاذري : فتوح ، ص٣٥٥-٣٥٦ (العقوي الدلال) .
(٤) البلاذري : فتوح ، ص٣٥٩ (المدائني) .
(٥) البلاذري : فتوح ، ص٣٦٠ (هشام بن محمد) .
(٦) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص١٦٨ (المدائني) .
(٧) ابن قتيبة : المعارف ، ص١٦٤ .
(٨) البلاذري : فتوح ، ص٣٥٨(القحذمي) / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٦ .
(٩) ابن سعد : الطبقات ، ج٧ ، ص١٠ .
(١٠) البلاذري : فتوح ، ص ٣٥٧ (القحذمي) / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٥-٤٣٦ .
(١١) ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٣١٧ .
(١٢) ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٣١٩ .
(١٣) ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٥-٤٣٦ .
(١٤) اليعقوبي : مشاكلة الناس ، ص ١٧ / ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص ٢٠٧ .
(١٥) البلاذري : فتوح ، ص٣٥٥ (قالوا) .

فيلان و مولاه مسمار أرض المسمارية و مولاه القاسم بن سليمان أرض القاسمية[١]، و أقطع معقل بن يسار[٢]، وأقطع حمران بن أبان -مولى عثمان بن عفان- قسماً من أرض عبادان[٣]. وأقطع جعفر - مولى سلم بن زياد- أرض حفر لها نهر جعفر[٤]. وأقطع مرّة بن أبي عثمان - مولى أبي بكر الصديق[٥].كما أقطع والي البصرة عبد الله بن عامر -عبد الله بن عمير بن مالك الليثي ثمانية الآف جريب وحفر له نهراً سمي بنهر ابن عمير[٦].

ولقد ساعد احياء اراضي الموات في تكوين ملكيات واسعة للعرب في العراق خلال القرن الأول الهجري خاصة في منطقة البصرة والبطائح حيث تكثر أراضي الموات ، فلقد حرص العديد من الخلفاء الأمويين على احياء أراضي الموات في العراق أو الأراضي الزراعية التي غمرتها المياه فخربت وتحتاج الى استخراج؛ كما فعل عبدالله بن درّاج – عامل خراج العراق لمعاوية بن أبي سفيان – الذي استخرج لمعاوية ((من الأرضين بالبطائح ما بلغت غلّته خمسة الآف ألف، وذلك أنه قطع القصب وغلب الماء بالمسنّيات))[٧].

وأحيا زياد بن أبيه لنفسه أرض الجموم الموات التي كانت لآل عثمان بن أبي العاص ولم يحيوها[٨].

وفي خلافة عبدالملك بن مروان استخرج الحجاج لعبد الملك أراضٍ ((من موات مرفوض ونقوض مياه ومغايض وآجام ضرب عليها المسنيات ثم قلع قصبتها فحازها لعبد الملك بن مروان وعمّرها))[٩].

ولقد أقطع الخليفة عبد الملك مالكاً بن مسمع أرضاً[١٠]، كما أقطع أرض عبادان كاملة لحمران بن أبان[١١]، وأقطع الشاعر مكحول بن عبد الله الاحمسي قطيعة بالبصرة حفر لها نهر مكحول[١٢]، وأقطع العلاء بن شريك الهذلي مائة جريب حفر لها نهر العلاء[١٣]، وكافأ عبد الملك بعضاً من أبناء قبيلة عنزة الذين هزموا عدداً من أصحاب شبيب الخارجي سنة ٧٦هـ بأن أقطعهم في بانقيا[١٤].

---

(١) البلاذري : فتوح، ص٣٦٢ (القحذمي) .

(٢) البلاذري : فتوح ، ص٣٦٢ (القحذمي) .

(٣) عبادان : تقع أسفل البصرة في جزيرة على رأس خليج البصرة ، وهي موضع فيه سبخ . ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٧٤ . انظر: البلاذري: فتوح ، ص٣٦١ (القحذمي) .

(٤) البلاذري : فتوح، ص٣٦٠ .

(٥) البلاذري : فتوح، ص٣٥٥ (القحذمي) .

(٦) الجاحظ : الحيوان ، ج٥ ، ص١٩٨ / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٥ .

(٧) البلاذري : فتوح، ص٢٩١ (جماعة من أهل العلم) / قدامة بن جعفر : الخراج، ص١٦٩ / الماوردي : الأحكام ، ص١٦٠ / Al-Ali, Al-Batiha, EI^2, Vol.I, P.1095 .

(٨) البلاذري : فتوح ، ص٣٥٦ (المدائني) .

(٩) البلاذري : فتوح ، ص٢٨٨ (شيخ من أهل واسط) .

(١٠) البلاذري : أنساب ، ج٦ ، ص٨٢ (وهب بن جريد) .

(١١) البلاذري : أنساب ، ج١٣ ، ص٣٦ (المدائني) .

(١٢) البلاذري : فتوح ، ص٣٥٦ (العقوي الدلال)(القحذمي) / ابن دريد : الاشتقاق ، ص٢٥٢ .

(١٣) البلاذري : فتوح ، ص٣٥٥ (قالوا) .

(١٤) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٢٢٤ (أبو مخنف) .

وظهر في العراق في ولاية الحجاج بن يوسف (٧٥-٩٥هـ) عدد من أسر الملاكين العرب مثل آل مسلم الباهلي، فلقد أقطع الحجاج بشار بن مسلم الباهلي أربعمائة جريب وقيل سبعمائة لأنه أهدى الحجاج فرساً سبقاً[١]، وكان لقتيبة بن مسلم أرضاً تعرف بقتيبتان[٢]، وكان ليسار بن مسلم أرضاً احتفر لها نهر يسار[٣]. وتملّك العديد من آل المهلب بن أبي صفرة العتكي العديد من الأراضي في العراق، فلقد أقطع الحجاج ضيعة المهلبان للمهلب بن أبي صفرة[٤]، وأقطعت زوجة المهلب - خيرة بنت ضمرة القشيرية - أرض عباسان التي قبضها يزيد بن عبد الملك، وأقطعها للعباس بن الوليد بن عبد الملك[٥]، وتنسب أرض الحاتمية لحاتم بن قبيصة بن المهلب[٦]، وأقطع سليمان بن عبد الملك يزيداً بن المهلب عدداً من أراضي الموات في منطقة البطيحة ((فاعتمل الشرقي والجبان والخست والريحية ومغيرتان وغيرها فصارت حوزاً))[٧]، وكان للمغيرة بن المهلب أرض المهلبان ومساحتها ألف وخمسمائة جريب، وتوجد في البصرة[٨].

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) أحيا أخوه مسلمة بن عبد الملك أراضٍ واسعة من موات العراق التي غمرتها المياه اثر البثوق التي أصابت المسنيات وأهملت نتيجة انشغال الحجاج بالثورات، وأنفق مسلمة على احيائها ثلاثة الآف ألف درهم ((فحصلت له أرضون من طساسيج متصلة فحفر السيبين وتألف الأكرة والمزارعين وعمّر تلك الأرضين))[٩]، فأصبح من كبار ملاكي البصرة.

وفي خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ) قبض على أراضي بني المهلب وأقطعها للموالين له، فأقطع المهلبان لواليه عمر بن هبيرة[١٠]. وأقطع محمد بن عمر بن عبد الرحمن من ضياع آل المهلب[١١]، وأقطع عنبسة بن سعيد بن العاص دار الروميين التي كانت (مزبلة) لأهل الكوفة[١٢]، وأقطع هلال بن

---

(١) البلاذري : فتوح ، ص٣٥٥ (قالوا) .

(٢) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الباهلي، أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان وأقام بها ١٣ سنة، افتتح خوارزم وسمرقند وبخارى وفرغانه وغيرها من مدن الشرق ، ولما تولى سليمان الخلافة ، أعلن قتيبة خلعه فلم يوافقه أكثر الناس وانتهى الأمر بمقتله سنة ٩٦هـ . ابن خلكان : وفيات ، ج٢ ، ص٢٧٨ .

(٣) البلاذري : فتوح، ص ٣٦٢ (القحذمي) / ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٣٢٤ .

(٤) البلاذري : فتوح ، ص٣٦٠ (القحذمي) .

(٥) البلاذري : فتوح، ص ٣٦٢ (القحذمي) / عواد الأعظمي : الزراعة ، بحث في كتاب حضارة العراق ، بغداد ١٩٨٥ ، ج٥، ص٢٧٨ .

(٦) البلاذري : فتوح ، ص٣٦٢ (القحذمي) .

(٧) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٦٢ (القحذمي) .

(٨) البلاذري : فتوح ، ص٣٦٠ (القحذمي والمدائني) .

(٩) البلاذري : فتوح ، ص٢٩٢ (عوانة) / قدامة بن جعفر : الخراج، ص١٧٠ .

(١٠) عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين الفزاري الشامي ، امير العراقين ، كان ينوب ليزيد بن عبد الملك فعزله هشام ، وقد جمعت في العراق سنة ١٠٣ هـ ثم عزل بخالد القسري الذي سجنه وعذبه الا أنه هرب واستجار بالأمير مسلمة بن عبد الملك ولم يلبث أن توفي سنة ١٠٧هـ . الذهبي : سير اعلام ، ج٤ ، ص٥٦٣ .

(١١) البلاذري : أنساب: ج١٠ ، ص١٧٩ .

(١٢) البلاذري : فتوح ، ص٢٨٠ (هشام بن محمد) .

أحوز المازنـــــي ارضاً حول نهر المرغاب[1].
وفي خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٠هـ) استخرج حسان النبطي - مولى بني ضبة - أراض من البطائح لصالح هشام بن عبد الملك[2]. وتمكّن الوالي خالد بن عبدالله القسري (١٠٥-١٢٥هـ) من تكوين ملكيات واسعة له عبر احياء اراضي الموات منها ((نهر خالد كان يغلّ خمسة الآف ألف درهم، وباجوا وبارمانا والجامع والمبارك ولوبة وسابور والصلح))[3]. واستمرت عملية احياء أراضي الموات في القرن الثاني الهجري من خلال حفر الأنهار وهي مصطلح يقصد به في العراق قنوات الري التي كانت في معظمها تأخذ من مياه نهر دجلة العوراء، وعادة ما كان النهر ينسب لإسم الشخص الذي حفره من الملاكين العرب أو أحد مواليهم، ولعل الرواية التي تذكر وجود مائة وعشرون ألف نهر في البصرة في أيام بلال بن أبي بردة[4] - عامل خالد القسري على البصرة - تشعر بأن معظم أراضي الموات في منطقة البصرة قد عمّرت في أواخر الدولة الأموية.
يتضح لنا مما تقدم أن عمليات الاقطاع تركزت على أراضي الصوافي والموات، ولقد استفاد العديد من أشراف العرب من هذه الاقطاعات فاستطاعوا تكوين ملكيات واسعة لهم مما أدى لظهور طبقة ارستقراطية ملاكة كان الخلفاء والامراء الأمويون وولاة العراق في طليعتهم.

٢- <u>الشراء :-</u>

بالرغم من أن الخليفة عمر بن الخطاب لم يصدر قراراً بمنع شراء المسلمين للأرض الخراجية، إذ لم يكن هناك ما يدعو لذلك أنذاك، فإنه لا توجد روايات صريحة تبين شراء المسلمين لهذه الأراضي في العراق سوى روايات نقلها الفقهاء تذكر شراء بعض الصحابة لهذه الأراضي في العراق، وقيام عمر بن الخطاب برّد بيوعـــهم[5]، ولعل ما فعله عمر كان لرغبته في أن يحافظ على أن يكون العرب أُمة عسكرية مجاهدة لا يشغلها عن هدف الجهاد مشاغل.
ولعل كثرة أراضي الموات والصوافي في العراق كان يحدّ من عمليات شراء أراضي الخراج ابتداءاً[6]، لذلك فإن الإشارات حول شراء أراض خراجية في العراق كانت محدودة للغاية.

---

(١) البلاذري : فتوح، ص٣٥٨ / ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص١٠٨ / عواد الاعظمي : الزراعة ، ج٥ ، ص٢٣٨ .
(٢) البلاذري : فتوح ، ص٢٩١ (جماعة من أهل العلم) .
(٣) البلاذري : أنساب ، ج٩ ، ص٩٨ (ابن عياش) / الزبير بن بكار : الاخبار ، ص٢٨٩ (المدائني) / الطبري: تاريخ ، ج٧ ، ص١٥١-١٥٢ .
(٤) الاصطخري : أقاليم ، ص٤٥-٤٦ / ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢١٢ .
(٥) يروي ان عمر بن الخطاب رد شراء عتبة بن فرقد السلمي لأرض على شاطئ الفرات. يحيى بن آدم: الخراج ، ص٥٩ / أبو عبيد: الأموال ، ص ١٥٧ / ابن زنجويه : الأموال ، ج١، ص٢٢٢ / ابن عساكر : تاريخ ، ج٢ ، ص١٩٢ (الشعبي) . انظر أمثلة أخرى لدى أبو يوسف : الخراج، ص٦٢ . الشافعي : الأم ، ج٧ ، ص٣٥ / السرخسي : المبسوط ، ج٣ ، ص٥ .
(٦) جمال جودة : العرب والأرض ، ص٢٤٥ .

لقد تحولت الأراضي الخراجية التي امتلكها المسلمون في العراق لأراضٍ عشرية، فلقد ذكر البلاذري: ((وبالفرات أرضون أسلم أهلها عليها حين دخلها المسلمون، وأرضون خرجت من أيدي أهلها الى قوم مسلمين بهبات وغير ذلك من أسباب المُلك فصيّرت عشرية وكانت خراجية))[١].

الا أن الفقهاء الذين ذكروا شراء العرب للأراضي الخراجية بيّنوا أنهم كانوا يدفعون عنها الخراج[٢]، ولعل هذا تعبير عن القاعدة التي استقرت عليها في أواخر العصر الأموي، عندما قرر الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠هـ أن من يملك أرضاً خراجية عليه أن يدفع ضريبة الخراج عنها بصرف النظر عن أصله أو دينه باعتبارها وقفاً لعامة المسلمين[٣]، وهذا ما عبّر عنه الفقهاء فيما بعد عندما رفضوا جواز تحويل الأراضي الخراجية لأراضي عشرية فقال أبو يوسف ((ولا يحل لأحد أن يحول أرض خراج الى أرض عشر ولا أرض عشر الى أرض خراج))[٤]. ويبدو أن مثل هذا القرار جاء نتيجة لكثرة إقبال العرب على شراء الأراضي الخراجية مما سيؤدي بالتالي لأن تتحول لأراض عشرية وهذا سيؤدي حتماً الى نقص واردات بيت المال في العراق.

ترد اشارة عن شراء أرض خراجية الا أن صاحبها المسلم كان يدفع عنها ضريبة الخراج؛ فلقد روى بكار ابن محمد عن أبيه ابن سيرين أنه اشترى أرضاً برستاق جرجرايا[٥] ورثها لأولاده من بعده وكانوا يدفعون عنها الخراج[٦]. ويبدو أن ذلك كان بعد سنة ١١٠هـ وهي السنة التي توفي فيها ابن سيرين، وكان ذلك في خلافة هشام بن عبد الملك الذي تشدد في تطبيق سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز التي تفرض الخراج على الأرض الخراجية بغض النظر عن مالكها.

ولقد اعتبر العرب ابتداءاً دفع الخراج سمة للذل والصغار، لذلك روي أن عمر بن الخطاب قال: ((لا تشتروا رقيق أهل الذمة فإنهم أهل خراج وأرضوهم فلا تبتاعوها ولا يقرن أحدكم بالصغار بعد إذ نجاه الله منه))[٧].

إن مثل هذه الرواية تعبر عن الواقع الذي آلت له الأرض الخراجية التي يمتلكها العربي بعد خلافة عمر بن عبد العزيز وتحديداً بعد سنة ١٠٠هـ، إذ أُلزم كل من يملك أرضاً خراجية بدفع الخراج عنها، ولقد وضح عمر بن عبد العزيز أن الخراج ليس ذلاً كما يعتقد فقال: ((ان الجزية التي قال الله عز وجل – حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون – إنما هي على الرؤوس لا على الأرض))[٨].

---

(١) البلاذري : فتوح ، ص٣٦١ (قالوا) / عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص٧٦ .

(٢) أبو يوسف : الخراج، ص٥٩ ، ٦٢ / الشافعي : الام ، ج٧ ، ص٣٥ / السرخسي : المبسوط ، ج٣ ،ص٥ .

(٣) يحيى بن آدم : الخراج ، ص٦٣ .

(٤) أبو يوسف : الخراج ، ص ٨٦ .

(٥) جرجرايا : بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي . ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص١٢٣ .

(٦) ابن سعد : الطبقات ، ج٧ ، ص١٠٣ / ابن زنجويه : الأموال ، ج١ ، ص٢٥٠ .

(٧) أبو عبيد : الأموال ، ص ١٥٧ / ابن زنجويه : الأموال ، ج١ ، ص٢٣٤ .

(٨) الشيباني : شرح كتاب السير ،ج١ ، ص١٥ .

كما سمح للمسلمين بشراء أراضي الصلح التي بقيت ملكيتها بيد اصحابها ممن صالحوا المسلمين إبان الفتح العربي للعراق، فلقد روي أن شريحاً اشترى أرضاً من أرض الحيرة تسمى زبا[١].

ووجدت عمليات شراء من أراضي الموات وأراضي الصوافي التي تكون قد أقطعت من قبل الخلفاء او الولاة، إذ كان من حق صاحبها بيعها، فمثلاً اشترى زياد بن أبيه أرضاً سبخة من أحد الامراء الأمويين كان قد أقطعه إياها معاوية بن أبي سفيان، فلم تعجبه فباعها لزياد بمائتي ألف درهم[٢].

وأشترى عبيد الله بن زياد بن أبيه أرضاً من عبدالله بن عثمان بن أبي العاص[٣]، وأشترى بلال بن أبي بردة أرضاً لعباد بن زيد في البصرة سميت فيما بعد بأرض بلالان[٤]، واشترى خالد بن عبد الله القسري أرضاً تسمى لوبة من آل زياد بن أبيه في سواد كسكر بين واسط والبطائح[٥].

٣- <u>التسلط والنفوذ</u> :-

لقد وجد بعض الأشخاص من الولاة والأشراف ممن استخدموا نفوذهم لتوسيع ملكياتهم الزراعية، فلقد روي أن رجلاً من بني تميم خاصم رجلاً من بني ثقيف لدى عبيد الله بن أبي بكرة لأنه استولى على ستين جريباً من أرضه[٦].

ولعل في اتساع ملكيات خالد القسري في خلافة هشام ما يشعر باستغلاله لمنصبه ونفوذه في توسيع ملكياته ويوحي بذلك قول العريان بن الهيثم له: ((هل كانت لك هذه الضياع الا في سلطانه))[٧] يقصد سلطان هشام وخلافته أي عندما أصبح خالداً والياً في خلافة هشام اتسعت أملاكه من الأراضي.

٤- <u>الإلجاء</u> :-

كان من الوسائل المحدودة جداً في العراق، إذ ترد اشارة واحدة فقط حولها تذكر إلجاء بعض القرى في منطقة البطائح لمسلمة بن عبد الملك الذي حاز أراض واسعة بعد أحيائها كانت قريبة لتلك الأراضي التي ألجئت اليه وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ)[٨].

كان الإلجاء يتبع أحياناً للتخلص من قسوة وظلم جباة الضرائب فيلجئ الملاكون الصغار أراضيهم لأمراء أو أشراف من ذوي الملكيات الكبيرة تعززاً بمكانتهم ونفوذهم، فيعمل الملاّك الصغير على تسجيل أرضه باسم الملاّك الكبير بالإتفاق المسبق معه مقابل جزء من المحصول وذلك لإتقاء قسوة جباة الضرائب[٩]،

---

(١) يحيى بن آدم : الخراج ، ص٦٢ .
(٢) البلاذري : فتوح ، ص٣٥٥-٣٥٦ (العقوي الدلال) .
(٣) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥٢٢ (الوليد بن هشام) .
(٤) البلاذري : فتوح، ص٣٥٩ (المدائني) / ياقوت : معجم ، ج١ ، ص ٤٣٦ .
(٥) ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص٢٤-٢٥ .
(٦) وكيع : اخبار القضاة ،ج١ ، ص٣٠٢ .
(٧) الطبري : تاريخ ، ج٧ ، ص١٥٢ (الهيثم بن عدي) .
(٨) البلاذري : فتوح ، ص٢٩٢ (عوانه)/ قدامة بن جعفر : الخراج ، ص١٧٠ / عبد العزيز الدوري : نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية، مستل من مجلة مجمع اللغة العربية ، المجلد (٤٩) ، ج٢ ، دمشق ، ١٩٧٤ ، ص١١ .
(٩) الاصطخري : مسالك ، ص٩٦ / ابن منظور : لسان ، ج١٣ ، ص١٧٠ / فالح حسين : الحياة الزراعية ، ص٦٤ .

وتترتب فـــي بعض الأحيان نتائج وخيمة لمثل هذا التصرف وذلك بأن تصبح الأرض ملكاً للملجئ اليه يقتسمها ورثته باعتبارها حقاً له، ويتحول الملاك الصغير لمجرد فلاح يعمل لدى الملاّك الكبير بالأجرة، مما أدى لظهور ملكيات واسعة لبعض الامراء(١).

- إنتشار العرب في العراق العربي: -

بدأ الانتشار للقبائل العربية المشاركة في فتح العراق بصورة تدريجية، إذ بدأ وفق نطاق ضيق ضمن محاولات فردية منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري، فلقد كان صاحب الأرض يخرج مع أهله للعيش في الأرض ثم تتحول تدريجياً لقرية عربية يسكنها ذرية صاحب الأرض ومن لحق به من اقربائه وأفراد عشيرته. ولقد ظهرت نتيجة لذلك مجموعة من القرى العربية التي تنسب لافراد من أبناء القبائل أو لمجموعة من العشائر.

وكانت القبائل المتحضرة التي تدرك قيمة الأرض وأهميتها من أولى القبائل التي توجّهت لإمتلاك أراضٍ لها في سواد العراق مثل قريش وبعض القبائل اليمانية.

ومن أشهر الملكيات العربية المنسوبة الى أفراد من أبناء القبائل العربية: عبدالله بن الحر الهمداني الذي كانت له ضيعة بطسوج الجبّة والبداة(٢). وكان لسماك بن يزيد السبيعي من همدان قرية جوبر عند الخرارة(٣) سنـــــة ٦٨هـــ. وكان سعد بن زيد بن وديعة قد استقر في قرية عقر قوف(٤)، وكان لسيار ابن وردان العنبري ملكيات زراعية في قرية حسان قرب واسط(٥). وكان لسليم بن صالح العنبري قرية قرب ساباط المدائن في أيام الحجاج بن يوسف(٦)، وكان لمحمد بن الأشعث بن قيس الكندي قرية الأشعث قرب القادسية سنة ٦٦هـــ(٧)، وكان لزرارة بن يزيد من بني البكّاء أرضاً عرفت باسم زرارة اقطعه اياها عثمان بن عفان، ثم عمرت وصارت قرية في سنة ٥٨هـــ(٨).

كما خرج العديد من ابناء القبائل العربية للاستقرار خارج الأمصار، فلقد كان قيس بن مروان الجعفي ((أول من نزل سورا من جُعْفِي))(٩)، وكان اسماعيل بن سالم الاسدي أول من نزل موضع بغداد قبل أن تعمر في أيام خالد القسري(١٠).

---

(١) عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي، ص٤٦-٤٧ / يوسف زيتون: أراضي الصوافي والموات، ص٢٦٧-٢٦٨ .

(٢) الجبة والبداة: طسوجين من سواد الكوفة. ياقوت: معجم، ج٢، ص١٠٨ . انظر: الطبري: تاريخ، ج٦، ص١٣٠ (المدائني) .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص١٢٣-١٢٤ (أبو مخنف) .

(٤) عقرقوف : قرية من نواحي دجيل تبعد عن بغداد ٢٤كم. ياقوت : معجم ، ج٤ ، ص٩٩٧ .

(٥) بحشل : تاريخ واسط ، ص٦٧ / ياقوت : معجم ، ج٢ ، ص٢٥٨ .

(٦) الاصفهاني : الأغاني ، ج٥ ، ص١٥٤ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٦٦ ، ١٩٨ (أبو مخنف) / ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص٤٩ .

(٨) البلاذري : فتوح ، ص٢٨١ (هشام بن محمد) / الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٣١١ (أبو مخنف) .

(٩) جعفي بن سعد العشيرة ، بطن من سعد العشيرة من مذحج القحطانية وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب. القلقشندي : نهاية ، ص٢١٦ . انظر : ابن سعد: الطبقات ، ج٦ ، ص٤٣٧ .

(١٠) ابن سعد: الطبقات، ج٧ ، ص١٥٨ .

ويورد البلاذري في كتابه فتوح البلدان مجموعة من الملكيات العربية لرجال، كان يضاف الى القرية المقطع الف ونون لتنسب الى الرجل، وربما أن هذا الاسلوب مقتبس من اللغة الفارسية التي تضيف نفس المقطع لمعنى الأرض ليصبح معناها أرض فلان[١].

ومن الأمثلة على مثل هذه الملكيات: أزرقان التي تنسب لأزرق بن مسالم مولى بني حذيفة، محمدان التي تنسب لمحمد بن علي بن عثمان الحنفي، صلتان وتنسب للصلت بن حريث الحنفي، القاسمان وتنسب للقاسم ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب التي ورثها عن أخيه عون، طلحتان وهو نهر ينسب لطلحة بن أبي رافع مولى طلحة بن عبيد الله التيمي، خيرتان وتنسب الى خيرة بنت ضمرة القشيرية زوجة المهلب بن أبي صفرة، جبيران وهي قرية تنسب لجبير بن حية، خلفان هي قطيعة لعبد الله بن خلف الخزاعي، حفصان وتنسب لحفص بن أبي العاص وهي قطيعة من اخيه عثمان، وتنسب ارض شبلان لشبل ابن عميرة العنبري، وخالدان لخالد بن عبد الله بن خالد الأموي، وهيمان لهيمان بن عدي السدوسي وخشخاشان لآل الخشخاش العنبري[٢].

كما وجدت في أنحاء السواد قرى أخرى فكان لخباب بن الأرت قرية في سواد الكوفة قتله فيها الخوارج[٣]. ونزل اسماعيل بن عبدالله القسري في قصر له في دوران خلف جسر الكوفة في أيام ولاية يوسف بن عمر[٤]. ونزل عبدالله من ولد حاتم الطائي نهر كربلاء وعقبه بها[٥]، وكان للمختار بن أبي عبيد قرية لقفا في طسوج خطرنية[٦].

وكان لصلابة بن مالك بن همام العبدي من بني عبد القيس قرية أبي صلابة على نهر الفرات[٧].

وفي أوائل القرن الثاني الهجري ظهرت قرى عربية أخرى مثل قرية لخالد بن قطن الحارثي قرب نهر صرصـــر[٨]، وكان لوقاص بن عبدة بن وقاص الحارثي من بني الحارث بن كعب قرية الوقاصية في طسوج بادوريا[٩]. وبنى أسد بن عبدالله القسري قرية عرفت بسوق أسد سكنها جماعة من الناس[١٠].

---

(١) ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٤٣٥ / يوسف زيتون : أراضي الصوافي والموات ، ص١٤٢ .

(٢) البلاذري : فتوح، ص ٣٥٦ (المدائني) ، ٣٦٠ (قالوا) / ياقوت : معجم ن ج١ ، ص٤٣٥ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ج٦ ، ص٣٧٢ .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٧ ، ص٢٥٤ .

(٥) ابن قتيبة : المعارف ، ص١٧٧ .

(٦) البلاذري : أنساب ، ج٦ ، ص٣٧٦ / الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٥٦٩ (أبو مخنف) / ابن الاثير : الكامل ، ج٣ ، ص٤٩٢ .

(٧) البلاذري : فتوح، ص٢٨١(هشام بن محمد) / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢١٧ / صالح العلي : امتداد العرب ، ص٢٨ .

(٨) الخطيب البغدادي : البخلاء ، ص١٣٧-١٣٨ .

(٩) بادوريا: طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد، وقيل كل ما كان من شرقي السراة فهو بادوريا. ياقوت :معجم، ج١، ص٣١٧، ج٥، ص٣٨٠ .

(١٠) سوق أسد : بالكوفة منسوبة الى أسد بن عبد الله القسري . ياقوت : معجم ، ج٣ ، ص٢٨٣ . انظر البلاذري: فتوح ، ص٢٨٤ (هشام بن محمد) / ابن الفقيه : البلدان ، ص٢١٨ .

واتجه بعض العرب للاستقرار في مدن وقرى أخرى موجودة منذ زمن بعيد؛ فلقد استقر أولاد مدرج بن عمرو السلمي في هيت[١].

ورحل الخشارمة من الكوفة في أواخر العصر الأموي ونزلوا ماسبذان[٢]، ونزل جماعة من آل طلحة باخمري الواقعة على مسافة ١٦كم جنوب الكوفة في أواخر العصر الأموي[٣].

ولقد انعكس تملّك العديد من أشراف العرب للاراضي الواسعة أن زاد ثراؤهم، ومثال ذلك طلحة بن عبيد الله التيمي الذي كان يعدُّ من أكبر ملاكي العراق في خلافة عثمان حتى قيل أن غلّته من العراق بلغت في اليوم الواحد ألف درهم[٤]، وكذلك الحال بالنسبة للزبير بن العوام في خلافة عثمان بن عفان[٥].

وأشتهر النعمان العبدي من بني أنمار بن ربيعة من عبد القيس بامتلاك مساحات واسعة من الاراضي حتى قيل أنه يملك أربعة الآف جريب مزروعة بالنخيل[٦].

ظهر في النصف الثاني من القرن الأول الهجري قرى عربية تنسب لعشائر عربية سكنتها مثل: الغاضرية التي سكنها بنو غاضرة من بني أسد وهم الذين تولّوا دفن الحسين بن علي وصحبه بعد مقتلهم في كربلاء[٧].

وكان لبني جعدة بن كعب من بني عامر بن صعصعة قرية بالفلوجة ذكرت سنة ٨٣هـ [٨]، وكان لبني شيبان قرية بتا في الراذانات في أيام الحجاج [٩]، ونزلت جماعة من بني تيم اللات بن ثعلبة منطقة جُبّل في أيام خالد القسري[١٠].

ووجد في أخبار تقدم الجيش العباسي نحو الكوفة سنة ١٣٢هـ ذكر لنهر بني سليم الواقع شمال الكوفة مما يوحي بوجود منازل لبني سليم هناك[١١]. ووجد في سنة ١٣٤هـ قرية ذات المطامير وهي لبني الحارث

---

(١) البلاذري : فتوح ، ص١٨٣ (بعض أهل العلم) .

(٢) ماسبذان: وأصله ماه سبذان وهي مجموعة مدن مثل أريوجان. ياقوت: معجم، ج٥، ص٤١/ ابن عبدالحق: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٢٢٠ . انظر : البلاذري : فتوح، ص٣٠٥ .

(٣) الطبري : تاريخ ، ج٧ ، ص٦٤٥-٦٤٦ (ابن اسحاق) / جمال جودة : العرب والأرض ، ص٢٦١ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، ج٣ ، ص١١٨(الواقدي) / اليعقوبي : مشاكلة الناس ، ص١٣-١٤ / ابن عبد ربه : العقد ، ج٣ ، ص٣٢٠ / التنوخي : المستجاد ، ص١٥ / ابن عساكر : تهذيب ، ج٧ ، ص٨١-٨٢ .

(٥) ابن سعد: الطبقات ، ج٣ ، ص١٥٨-١٥٩ (الواقدي) / ابن عبد ربه : العقد ، ج٣ ، ص٣٢٢ / الصولي : أدب الكتاب ، ص٢١٢ / ابن الزبير / الذخائر والتحف ، ص٢٠٣ .

(٦) البلاذري : أنساب ، ج٨ ، ص٥٦ (قالوا) .

(٧) الغاضرية: تنسب الى غاضرة من بني أسد وهي من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء. ياقوت: معجم، ج٤، ص١٨٣ . انظر: البلاذري: أنساب، ج٣ ، ص٣٨٥ / الدينوري : الأخبار ، ص٢٣١ .

(٨) البلاذري : أنساب ، ج٧ ، ص٣٤٢ / الطبري : تاريخ ،ج٦ ، ص٣٦٤ (أبو مخنف) .

(٩) ياقوت : معجم ، ج١ ، ص٣٣٤ .

(١٠) جُبّل: بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي . ياقوت : معجم ، ج٢، ص١٠٣ . انظر : الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٣٨-١٣٩ (أبو عبيدة) .

(١١) مجهول : أخبار العباس وولده ، ص٣٧٤ / مجهول : تاريخ الخلفاء ، ص٥٧٠ .

ابن كعـــب وجد فيها خمسة وثلاثون رجلاً منهم، وثمانية عشر رجلاً من غيرهم ومن مواليهم سبعة عشر رجلاً[١].

وكانت القرية الواحدة تتّسع مع الزمن لتكوّن مجموعة من القرى المتصلة، لذلك قال اليعقوبي عن العراق في القرن الثالث الهجري ((والمسافات من بغداد الى الكوفة في عمارات وقرى عظام متصلة عامرة فيها أخلاط من العجم والعرب))[٢].

ومن أبرز القبائل التي أتسعت ملكياتها همدان التي قيل أن لها عدد من الضياع ذكرت في أخبار حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي ٦٤-٦٧هـ[٣].

وكان لتزايد السكان في القرى أن تشابكت هذه القرى الصغيرة لتكّون قرىً أكبر، وأصبح يشار في المصادر لسكان هذه القرى بإسم أهل السواد تمييزاً لهم عن أهل البصرة وأهل الكوفة، ويبدو أن انتشار العرب في السواد قد توسّع بصورة ملحوظة في أواخر العصر الأموي؛ إذ ترد اشارات توحي بمشاركة عدد من عرب السواد الى جانب عرب الأمصار في الثورات المناوئة للأمويين، فمثلاً عندما تذكر ثورة زيد بن علي ١٢١هـ، فإن صاحب كتاب تاريخ الخلفاء يقول بأن زيداً ((عجّل بالخروج قبل الوقت الذي وافى فيه أهل السواد والأمصـــار))[٤].

كما ترد اشارة عن انضمام العرب الذين يسكنون قرى السواد لثورة عبد الله بن معاوية بن جعفر سنة ١٢٧هـ فقيل تبعه ((أهل المدائن وأهل السواد وأهل الكوفة))[٥].

لقد عاش معظم العرب في بدايات استقرارهم في العراق في المدن (الأمصار) ثم بدأ بعضهم بالعيش تدريجياً في القرى حيث نجحوا في امتلاك مساحات من الأراضي الزراعية، واستمر العديد من الملاكين الكبار في العيش في الأمصار، أما بشأن قراهم فكانوا يتركون الإشراف عليها لعدد من الوكلاء الذين يعيّنونهم لإدارة ملكياتهم والإشراف على ضياعهم ومراقبة الفلاحين العاملين فيها، وكان هؤلاء الوكلاء غالباً من مواليهم[٦].

وكان الوكيل يشرف على الأرض نظير حصة يحصل عليها من انتاج الضيعة يمكن أن تصل الى الربع أو الثلـث[٧]، ومثال ذلك: كان عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص يعطيان أرضهما بالثلث والربع[٨].

ومن أمثلة هؤلاء الوكلاء: عجرد النبطي الذي كان وكيلاً لهند بنت أسماء بن خارجة زوجة بشر بن مروان

---

(١) قرية ذات المطامير : بلد في الثغور الشامية ، ياقوت : معجم ، ج٥ ، ص١٤٨ ، انظر : الطبري : تاريخ ، ج٧ ، ص٤٦١-٤٦٢ / جمال جودة : العرب والأرض ، ص٢٦٢ / صالح العلي : امتداد العرب ، ص٢٩ .

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص٦٨-٦٩ .

(٣) الطبري : تاريخ، ج٦ ، ص١٣٠ (المدائني) .

(٤) مجهول : تاريخ الخلفاء ، ص٤٢٠ ، انظر الطبري :تاريخ ، ج٧ ، ص١٧١ .

(٥) خليفة بن خياط : تاريخ ، ص٣٧٥ / الطبري : تاريخ ، ج٧ ، ص٣٠٨ (أبو عبيدة) .

(٦) الزبير بن بكار، الأخبار ، ص٦٢-٦٣ / التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٣ ، ص٩ / كلود كاهن : تاريخ العرب ، ص٨٥ .

(٧) الزبير بن بكار: الأخبار ، ص٦٣ / جمال جودة : العرب والأرض ، ص٢٥١ .

(٨) أبو يوسف : الخراج، ص٦٢ (موسى بن طلحة) / البلاذري : فتوح ، ص٢٧٢ (موسى بن طلحة) .

على ضياعها في السواد[١].

وكان العرب يستعينون بمواليهم وعبيدهم في العمل الزراعي، يُشعر بذلك ما قاله رؤساء قبائل الكوفة لما رفعوا الى علي بن أبي طالب أسماء من معهم من الموالي والعبيد فقالوا: ((فقد رفعنا اليك منهم ذوي القوة والجلد وأمرناهم بالشخوص معنا ومنهم ضعفاء وهم في ضياعنا))[٢].

كما استعان العرب بالزنج خاصة في مناطق البصرة والبطائح والأهواز[٣].

إندفع العديد من الأعراب الذين كانوا يسكنون بادية الجزيرة العربية نحو تخوم العراق بعد استقرار الفتح العربي الإسلامي فيه. ولعل هذا استمرار لحركة قديمة ومتجددة دوماً للقبائل العربية البدوية التي تبحث عن الماء والكلأ والمرعى خاصة في أوقات القحط والجدب الذي يصيب مواطنها الأصلية في البادية، لذا كانت تخرج نحو باديتي البصرة والكوفة، ولقد شجّعت الدولة العربية الأعراب على المجيء لتخوم القرى في خطوة منها لتثبيتهم لاحقاً في الأمصار او القرى لتقوية الحكم العربي في العراق، وكان هذا التشجيع من قبل الدولة يرجع إلى أيام عمر بن الخطاب الذي أوقف الأراضي المفتوحة على الأمة وخصّص واردها للمقاتلة ومن لحق بهم، فروى الشعبي ((الفيء لأهل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم واقام معهم ولم يفرض لغيرهم))[٤]. وكان في ذلك دعوة للأعراب للحاق بالمقاتلة في الأمصار ومشاركتهم في الفتوح، ولعل ذلك ما ساعد على تخلي العديد من القبائل عن حياة البداوة والترحال.

ولعبت الى جانب محاولات الدولة لتشجيع هجرة الأعراب الى الأمصار العوامل الطبيعية الجغرافية، إذ تبين للأعراب خصوبة أراضي تخوم العراق الغربية والاراضي الواقعة شرق دجلة حتى إقليم الجبال حيث المنطقة الممتدة من تكريت وحلوان الى اقليم الجبال والتي تزخر بالمراعي، كما أن طبيعة مناخ المنطقة يشابه مناخ البادية[٥]، لذلك انتشر العديد من الأعراب ضمن نمط البداوة في بيوت الشعر والمظال، كما ذكر الطبري في أخبار حوادث سنة ٧٦هـ نقلاً عن أبي مخنف في معرض حديثه عن حركة شبيب الطائي الخارجي من أن بكر بن وائل خاصة بنو شيبان وعنزة كانوا منتشرين في مظالٍ لهم في مناطق الراذانات وخانقين[٦] وحدود العـــراق الشرقية المحاذية لإقليم الجبال[٧].

---

(١) الاصفهاني : الأغاني ، ج١٣ ، ص٧٠ .

(٢) الطبري : تاريخ ، ج٥ ، ص٧٩ (أبو مخنف) .

(٣) الحسيني : غاية الاختصار ، ص١٢٣ / عبد العزيز الدوري : نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية ، مستل من مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد (٢٠) ، بغداد، ١٩٧٠ ، ص١٠ .

(٤) الطبري : تاريخ ، ج٣ ، ص٦١٥ (الشعبي) .

(٥) ابن وحشية : الفلاحة النبطية ، ج١ ، ص١٩٨ / عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص٢٥ / جمال جودة : العرب والأرض ، ص٢٦٥

(٦) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد بينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ لمن يريد الجبال. ياقوت: معجم، ج٢، ص٣٤٠ .

(٧) الطبري : تاريخ ، ج٦ ، ص٢٢٤-٢٢٥ (أبو مخنف) .

وأخيراً كان لإنتقال العرب الى العراق وعيشهم في المدن (الأمصار) والقرى (الأراضي الزراعية) دور كبير في تثبيت الوجود العربي في العراق حيث ارتبط العرب بالأرض التي اصبحت تعني لهم المسكن والثروة والرزق والوطن؛ لذلك تخلت العديد من القبائل العربية عن تقاليد البداوة وحياة التنقل والترحال لتدخل حياة جديدة تتسم بالاستقرار والثبات٠

نتائج الدراسة

بدأت حركة هجرة القبائل العربية نحو أطراف الجزيرة العربية منذ زمن مبكر من التاريخ حتى أصبحت سمةً بارزةً في مجتمع الشرق القديم، فلقد كان للعرب صلات قديمة بالعراق؛ إذ كانوا يغيرون على أطرافه أو يفدون إليه للتجارة، ونجح بعضهم في الاستقرار في مراكز حضرية كما هو شأن عرب الحيرة وعرب عين التمر والأنبار، ومضى بعضهم في التنقّل والترحال في أنحاء البوادي المطلّة على العراق والتي كانت مسرحاً لحركة القبائل العربية التي تقصدها نتيجة لتظافر عوامل جعلتها تخرج من مواطنها الأولى نحو هذه البوادي إذ كانت طبيعة جغرافية الجزيرة العربية ومحدودية مواردها الاقتصادية بالمقارنة مع التزايد السكاني فيها قد أدى لحصول صراع بين أبناء القبائل على مواردها مما أنشب الحروب بينهم والتي كانت عادة ما تنتهي بخروج المغلوب فيها خارج وطنه، كما كان الضغط القبلي على ريف العراق يزداد كلما أحست القبائل بضعف سياسي لدى السلطة الحاكمة في العراق.

وبذلك تمكنت بعض القبائل العربية من الاستقرار في العراق ضمن قوس منطقة غرب الفرات، ولم تستطع الولوج لداخل العراق وذلك للإجراءات التي اتخذتها الدولة الساسانية في سبيل تنظيم حركة هجرة القبائل العربية نحو أراضيها، ولقد نظمت العلاقات بين الدولة الساسانية والقبائل العربية ضمن أُساس تبادل المنافع بين الجانبــين.

وكانت أكبر موجات الهجرة العربية وأكثرها تنظيماً تلك التي رافقت انطلاق حركة الفتح العربي الاسلامي بدعوة من الخلافة وتشجيعها، ولقد كانت بدايات عمليات الفتح العربي تقوم على أساس مشاركة أبناء القبائل الذين احتفظوا بولائهم للخلافة أيام حروب الردة، إلا أن الحاجة الماسة الى قوات كبيرة كان له أثر في تغيير خطة الخلافة بالنسبة لأهل الردة؛ إذ رُفع الحظر عن مشاركتهم في الفتوح مما وسّع من دائرة القبائل العربية المشاركة في عمليات الفتح العربي.

لقد ارتبطت مواقف القبائل العربية التي استقرت في العراق قبل الاسلام بمدى تقدم حركة الفتح، إذ شهدت بداية الفتح انضمام هذه القبائل للفرس واشتراكها في القتال الى جانبهم ضد المسلمين حتى قبيل وقعة البويب سنة ١٤هـ؛ التي شهدت تحوّلاً واضحاً إذ شعرت القبائل العربية بمدى قوة الدولة الاسلامية وأن مصلحتها تقتضي الوقوف الى جانبها لذلك انضم العديد من عرب العراق الى القوات العربية الاسلامية الفاتحة.

لقد تميّز الاستقرار العربي في العراق بعد الفتح بإنشاء مراكز خاصة لإقامة المقاتلة العرب وعيالاتهم فيها؛ أُنشئت لتكون قواعداً عسكرية لإنطلاق حملات جديدة نحو الشرق، حيث تم انزال كل قبيلة ضمن محلة او

خطة خاصة بها، إلا أن استمرار هجرة القبائل العربية وتحول العرب تدريجياً الى الاستقرار أثر في تغَير التخطيط وتنظيم القبائل وتحول المعسكرات (دور الهجرة) الى مراكز حضرية ومدن ثابتة لها مرافقها الخاصة في العصر الأموي.

ولقد اختلفت طبيعة القبائل المهاجرة لكل من البصرة والكوفة، فقد كان وقوع البصرة في الجهة الشمالية الشرقية للجزيرة العربية قد شجّع هجرة القبائل العربية من اليمامة والبحرين وعُمان نحوها، أما في الكوفة فقد كانت القبائل الشمالية هي الغالبة عند التخطيط الا أنه نتيجة لتزايد هجرة روادف القبائل اليمانية للكوفة وتوجّه الشمالية للبصرة في هجرتها؛ غلبت اليمانية على الكوفة بشكل واضح منذ أواسط خلافة عثمان بن عفان، كما أن ظروف وامكانيات كل مصر حددّ نسبة الزيادة في الهجرة، ولمّا كان استمرار فتوحات أهل البصرة وما تدرّه من غنائم أدت لإنتعاش اقتصادي فيها وبالتالي أدى لتزايد أعداد سكانها مقارنة بسكان الكوفة خلال عصر الخلفاء الراشدين وبدايات العصر الأموي.

لقد أنتجت حركة الفتح العربي متغيرات كثيرة وهامة ومؤثرة في حياة المجتمع العربي وخاصة ابناء القبائل الذين اتجهوا الى الاستقرار في البلاد المفتوحة، فنشأ الاختلاط بين العرب الفاتحين وأهل العراق؛ مما أوجد وشائج النسب وعلاقات المصاهرة التي كان لها دوراً كبيراً في تبادل الثقافات والتقاليد،وتوثيق العلاقات الاجتماعية بين الجانبين، كما كان لاستقرار أبناء القبائل العربية في المصر الواحد دور في ظهور مجموعة من المصالح الجديدة بينهم أدى لظهور نوع جديد من العصبية هي عصبية المصر.

وكان لانتشار العرب في العراق ونزولهم في ضياع لهم في أنحاء السواد وظهور القرى العربية دور كبير في نشر الاسلام والثقافة العربية مما ساعد على سرعة تعريب العراق.

المصادر و المراجع

أ- المصادر الأولية :

● القرآن الكريم ٠

● الأبشيهي: بهاء الدين أبو الفتح محمد بن احمد بن منصور (ت ٨٠٥هـ/١٤٠٣م)٠

- المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق ابراهيم صالح، ٣ ج، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م٠

● ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)٠

- الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي،١٠ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- اللباب في تهذيب الأنساب، ٣ ج، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م ٠

● الادريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠ هـ/١١٦٥م)٠

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٢ ج، مكتبة الثقافة الدينية، د٠م، د٠ت ٠

● الإربلي، عبد الرحمن سنبط قينتو (ت ٧١٧ هـ/١٣١٧م) ٠

- خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، وقف على طبعه وتصحيحه مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، د٠ت ٠

● الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م) ٠

- تاريخ الموصل، تحقيق د٠ علي حبيبة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٧م ٠

● الأزهري، أبو منصور محمد بن احمد (ت٣٧٠هـ/٩٨١م) ٠

- تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ١٥ ج، دار القومية العربية، د٠م، ١٩٦٤م ٠

● الأصبهاني، احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٩م) ٠

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠ ج ، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٩٧٠ م ٠

● الاصطخري، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)٠

- مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر الحيني، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١ م ٠

- الاقاليم، تحقيق، J. Moeller ، غوتا، أوفست مكتبة المثنى، بغداد ، د٠ت ٠

● الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت٣٦٠هـ/٩٧١م) ٠

- تاريخ سني ملوك الارض والأنبياء، ط٣، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م ٠

● الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ/٩٦٦م) ٠

- الأغاني ، ٢٣ج ، دار الفكر ، د٠م ، د٠ت ٠

- مقاتل الطالبيين ، تحقيق أحمد صقر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٤٩م ٠

● ابن أعثم ، احمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤ هـ/٩٢٧م) ٠

- الفتوح ، ٤م ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦م ٠

● الباكوي ، عبد الرشيد بن صالح بن نوري ٠

– تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار، ألف الكتاب بين ٨٠٦ و ٨١٦هـ، تحقيق ضياء الدين موسى بونياتوف، نشر إدارة التحرير الرئيسية للآداب الشرقية، موسكو، ١٩٧١م٠

● بحشل، أسلم بن سهل الرزاز الواسطي (ت ٢٩٢ هـ/٩٠٥م)٠

– تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٧م٠

● البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ/٨٧٠م)٠

– التاريخ الكبير، ٨ ج، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦ م ٠

● البطليوسي، عبد الله بن محمد بن السيد (ت ٥٢١ هـ/١١٢٧م) ٠

– الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، دار الجليل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت ، ١٩٧٣م ٠

● ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) ٠

– تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، ٢ ج، دار الشرق العربي، بيروت، د٠ت ٠

● أبو البقاء، هبة الله محمد بن نما بن علي الحلي (توفي في النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)٠

– المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق د٠صالح درادكة و د٠محمد خريسات، ٢ج، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، د٠ت ٠

● البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٤م)٠

– سمط اللآلئ، تحقيق عبد العزيز الميمني، لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٣ ٠

– معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ٤ ج، عالم الكتب، بيروت، د٠ت٠

● البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٣م)٠

– أنساب الأشراف، تحقيق د٠سهيل زكار ود٠رياض الزركلي، ١٣ ج، ط١، دار الفكر، بيروت،١٩٩٦م٠

– فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د٠ت٠

● البيروني، محمد بن احمد (ت ٤٤٠ هـ/١٠٤٩م)٠

– الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق C. Eduard Sachau، ليبسيك، ١٩٢٣م٠

● البيهقي، احمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)٠

– السنن الكبرى، ١٠ ج، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٥٢م٠

● التنوخي، القاضي أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤ هـ/٩٩٤م)٠

– المستجاد من فعلات الأجواد، تحقيق محمد كرد علي، دمشق، ١٩٧٠ م٠

– نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، ٨ ج، بغداد، ١٩٧١م٠

● الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ/١٠٣٨م)٠

– تاريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، مكتبة الاسدي، طهران،١٩٦٣م٠

● الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م)٠

- البلدان، نشر صالح احمد العلي، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٠م ٠

- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ٤ ج، دار الجيل ودار الفكر، بيروت، د٠ت ٠

- الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون ، ٧ ج ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٤٥م ٠

- رسائل، تحقيق عبد السلام هارون ، ٢ ج ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٤م ٠

● ابن جبير، محمد بن احمد (ت ٦١٤ هـ/١٢١٧م)٠

- رحلة، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٩ م ٠

● الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ/٩٤٣م)٠

- الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨م٠

● الجواليقي، أبو منصور موهوب بن احمد بن محمد بن خضر (ت ٥٤٠هـ/١١٤٦م)٠

- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق احمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦١هـ، أوفست طهران، ١٩٦٦م٠

● ابن الجوزي، الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠١م)٠

- مناقب عمر بن الخطاب، تحقيق د٠زينب ابراهيم القاروط، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م٠

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ١٨ ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م ٠

● الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨ هـ/١٠٠٨م)٠

- الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، ٦ ج، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٦م ٠

● الحازمي، أبو بكر محمد بن أبي عثمان (ت ٥٨٤ هـ/١١٨٨م)٠

- عُجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب، تحقيق عبد الله كنون، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٥م٠

● ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت ٢٤٥ هـ/٨٥٩م)٠

- المحبّر، تصحيح د٠ايلزه ليختن شتيتر، مطبعة جمعية دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن،١٩٤٢م٠

- المنمّق في أخبار قريش، صححه وعلق عليه خورشيد احمد فاروق، ط١، عالم الكتب، بيروت،١٩٨٥م٠

● ابن حبيش، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف (ت ٥٨٤ هـ/١١٨٨م)٠

- غزوات ابن حبيش، تحقيق سهيل زكار، ٢ ج، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م٠

● ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م)٠

- الإصابة في تمييز الصحابة، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض، ٨ ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م ٠

- تحرير تقريب التهذيب، تحقيق بشار عواد معروف، ٤ ج، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م٠

- تهذيب التهذيب، تحقيق الشيخ مأمون شيحا، ٦ ج، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م ٠

● ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (ت ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م)٠
- شرح نهج البلاغة، ٤ ج، ط٣، دار الاندلس، بيروت، ١٩٨٣ م ٠
● ابن حزم، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)٠
- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م ٠
- المحلّى، ١١ ج، نشر إدارة المطبعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٩ هـ ٠
● الحسيني، تاج الدين بن محمد بن حمزة (كان حياً سنة ٧٥٣ هـ/١٣٥٢م)٠
- غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار، تحقيق محمد صادق، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٣ م ٠
● الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧ هـ/١٣٢٧م)٠
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م ٠
● ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧ هـ/٩٧٨م)٠
- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د٠ت ٠
● ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٢٧٢ هـ/٨٨٦م)٠
- المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، د٠م ، د٠ت ٠
● الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧١م)٠
- البخلاء، تحقيق احمد مطلوب وآخرون، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٦٤ م ٠
- تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ٢٣ ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م٠
● ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٦م)٠
- تاريخ ابن خلدون المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ١٤ ج، طبعة مزيدة ومنقحة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩٩م ٠
● ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢م)٠
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، أعد فهارسها رياض عبدالله عبد الهادي، ٤ ج، ط١، دار أحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٧م٠
● خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٥م)٠
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم العمري، ط٢، دار القلم، دمشق، بيروت، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م٠
- الطبقات، تحقيق أكرم العمري، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٢ م٠
● الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف (ت ٣٨٧ هـ/٩٩٧م)٠
- مفاتيح العلوم، نشر إدارة المطبعة المنيرية، مطبعة الشرق، القاهرة، ١٣٤٢ هـ٠

● ابن دحلان ، احمد بن زيني (ت ١٣٠٤ هـ/١٨٨٦م)٠
– الفتوحات الاسلامية، ٢ ج، ط١، دار صادر، بيروت ، ١٩٩٧م٠
● ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ/٩٣٣م)٠
– الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، مصر، المكتب التجاري، بيروت، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٨م٠
● أبو دلف، مسعر بن المهلهل الخزرجي (ت ٣٩٠ هـ/١٠٠٠م)٠
– الرسالة الثانية، نشر بطرس بولغاكوف واينو فالادوف، دار النشر للآداب الشرقية، موسكو، ١٩٦٠م٠
● الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت ٧٣٦ هـ/١٣٣٦م)٠
– كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٢، الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة، تحقيق أدوارد بدين، قسم الدراسات الاسلامية بالمعهد الألماني للآثار، القاهرة، بيروت، ١٩٩٤م٠
● الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦ هـ/١٥٥٩م)٠
– تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ٢ ج، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، د٠ت ٠
● الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ/٨٩٥م) ٠
– الأخبار الطوال، تحقيق د٠عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٥م٠
● الذهبي، الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٧م)٠
– تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩١م٠
– تذكرة الحفّاظ، ٣ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ذ٠ت٠
– سير أعلام النبلاء، حقّق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، ١٥ ج، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١ م٠
● ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن احمد (ت ٧٥٩ هـ/١٣٥٨م)٠
– الاستخراج لأحكام الخراج، تحقيق عبد الله الصديق، المطبعة الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٤م٠
● ابن رسته، أبو علي احمد بن عمر (ت ٢٩٠ هـ/٩٠٣م)٠
– الأعلاق النفيسة، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م٠
● ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (٤٥٦ هـ/١٠٦٤م)٠
– العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، جزءان في مجلد واحد، ط٤، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢ م٠
● الزبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ/١٧٩٠م)٠
– تاج العروس من جواهر القاموس، ١٠ ج، مطابع دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م٠
● الزبير بن بكار، (ت ٢٥٦ هـ/٨٧٠م)٠
– الأخبار الموفقيات، تحقيق د٠سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢م٠

- ابن الزبير ، احمد بن الرشيد (توفي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)٠
- الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٥٩ م٠
- الزبيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦ هـ/٨٥١م)٠
- نسب قريش، نشر وتعليق أ٠ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١م٠
- الزمخشري، جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ/١١٤٤م)٠
- الأمكنة والمياه والجبال، تحقيق ابراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٦٨ م٠
- ابن زنجويه، حميد (ت ٢٥١ هـ/٨٦٥م)٠
- الأموال، تحقيق د٠شاكر ذيب فياض، ٣ ج، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ١٩٨٦م٠
- السجستاني، سهل بن محمد بن يزيد (ت ٢٥٠ هـ/٨٦٤م)٠
- المعمرون والوصايا، تحقيق عبد المنعم عامر، دار احياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م٠
- السرخسي، شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل (ت ٤٩٠ هـ/١٠٩٧م)٠
- المبسوط، تحقيق محمد راضي الحنفي، ٣٠ ج، ط٢، دار المعرفة، بيروت، د٠ت٠
- ابن سعد، محمد (ت ٢٢٠ هـ/٨٣٥م)٠
- الطبقات الكبرى، أعد فهارسها رياض عبد الله عبد الهادي، ٨ ج، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦ م٠
- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م)٠
- الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، ط١، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ١٩٧٠م ٠
- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢ هـ/١١٦٧م)٠
- الأنساب، قدّم له محمد احمد حلاق، ٤ ج، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م٠
- سهراب (ت ٣٣٤ هـ/٩٤٦م)٠
- عجائب الأقاليم السبعة الى نهاية العمارة، تحقيق هانس فون فريك، مطبعة أدولف هولز هوزن، فينا، ١٩٢٩م٠
- السويدي، أبو الفوز محمد أمين البغدادي٠
- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩ م٠
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي (ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٦م)٠
- المخصّص، ١٧ ج، المكتب التجاري، بيروت، عن طبعة بولاق، القاهرة، ١٣٢١ هـ٠
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م) ٠
- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٢م٠

● الشابشتي، علي بن محمد (ت ٣٨٨ هـ/٩٩٨م)٠

– الديارات، تحقيق كوركيس عواد، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٦م٠

● الشافعي، محمد بن ادريس (ت ٢٠٤ هـ/٨٢٠م)٠

– الأم، تحقيق محمد زهدي النجار، ٦ج، ط٢، دار المعرفة، بغداد، ١٩٦٦م٠

● الشهاب الخفاجي، شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ/١٦٥٩م)٠

– شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي، ط١، مكتبة الحرم الحسيني الكبرى، القاهرة، ١٩٥٢م٠

● الشيباني، محمد بن الحسن (ت ١٨٩ هـ/٨٠٥م)٠

– شرح لكتاب السير الكبير، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٨م٠

● شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت ٧٢٧ هـ/١٣٢٧م)٠

– نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق A. Mehren، ليبسك، ١٩٢٣م، اوفست مكتبة المثنى، بغداد، د٠ت ٠

● شيخ زاده، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان (ت ١٠٧٨ هـ/١٦٦٧م)٠

– مجمع الأنهر في ملتقى الأبحر، المطبعة العثمانية، ١٣٠٥ هـ٠

● ابن صاعد الاندلسي، صاعد بن احمد (ت ٤٦٢ هـ/١٠٧٠م)٠

– طبقات الأمم، تحقيق لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢ م٠

● الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٦ هـ/٩٤٨م)٠

– أدب الكتاب، تحقيق محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة ، ١٣٤١ هـ ٠

● الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/٩٢٣م)٠

– تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ١١ج، ط٢، د٠ن، بيروت، د٠ت٠

● ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ/١٣١٠م)٠

– الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، تحقيق محمد مايو، ط١، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ١٩٩٧م٠

● ابن عاصم، المفضّل بن سلمة (ت ٢٩١ هـ/٩٠٤م)٠

– الفاخر، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مصر، ١٩٦٠ م٠

● ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧١م)٠

– الانباه على قبائل الرواة، تحقيق ابراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م٠

● ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩ هـ/١٣٣٩م)٠

– مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ٣ج،ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م٠

● ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله (ت ٢٥٧ هـ/٨٧١م) ٠

– سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق احمد عبيد، دار الفضيلة ، القاهرة ، د٠ت ٠

– فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد صبيح ، مؤسسة دار التعاون ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ٠

● ابن عبد ربه ، احمد بن محمد (ت ٣٢٧ هـ/٩٣٩م) ٠

– العقد الفريد، شرحه وضبطه احمد أمين وآخرون ، ٥ ج ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٩٦م٠

● ابن العبري، أبو الفرج غريغورس بن أهارون الملطي (ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م) ٠

– تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م٠

● أبو عبيد ، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ/٨٣٩م)٠

– الأموال، تحقيق محمد عمارة ، ط١ ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ١٩٨٩م ٠

● أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي (ت ٢٠٩ هـ/٨٢٥م) ٠

– أيام العرب قبل الاسلام، تحقيق جاسم البياتي، جزءان في مجلد واحد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧ م٠

– الخيل، د٠ن، حيدر اباد، ١٣٥٨ هـ ٠

– نقائض جرير والفرزدق، تحقيق د٠ابراهيم حوّر، ود٠وليد محمود خالص، ٣ج، ط١، د٠ن، د٠م، ١٩٩٤ م٠

● ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي (ت ٥٤٣ هـ/١١٤٩م) ٠

– العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (ص)، تحقيق محب الدين الخطيب، خرّج أحاديثه وعلّق عليه محمود الاستانبولي، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٨٦م٠

● ابن عساكر، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ/١١٧٦م)٠

– تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، ٨٠ج، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م٠

– تهذيب تاريخ دمشق، تهذيب وترتيب الشيخ عبد القادر بدران، ٧ ج، دار المسيرة، بيروت،١٩٧٩ م٠

● ابن العماد، شهاب الدين عبد الحي بن احمد بن محمد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ/١٦٧٨م)٠

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ٩ ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م٠

● أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣٢م)٠

– المختصر في أخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب، ٢ ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م٠

– تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠ م٠

● ابن الفقيه، أبو عبد الله احمد بن محمد الهمداني (ت ٢٨٩ هـ/٩٠٢م)٠

– البلدان، تحقيق يوسف الهادي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م٠

● ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي (ت ٢٧٦ هـ/٨٩٠م)٠
– المعارف، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م٠
– عيون الأخبار، تحقيق د٠محمد الاسكندراني، ٤ ج، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م٠
– المعاني الكبير، ٧ ج، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٤٩م٠
● قدامة بن جعفر، أبو الفرج الكاتب البغدادي (ت ٣٣٧ هـ/٩٤٩م)٠
– الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق د٠محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١م٠
● القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ/١٢٨٣م) ٠
– آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت ، د٠ت ٠
● القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي (ت ٤٥٤ هـ/١٠٦٢م)٠
– عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق د٠عبد الرحيم محمد عبد الحميد علي، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧م ٠
● القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨م)٠
– نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق ابراهيم الأبياري، ط٣، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩١م٠
– صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ١٥ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م٠
– مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج، ٣ ج، وزارة الارشاد والابناء، الكويت، ١٩٦٤ م٠
● ابن كثير، أبو الفداء الحافظ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٣م)٠
– البداية والنهاية، ١٤ج، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢ م٠
● الكشي، أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز (من رجال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)٠
– رجال الكشي، تحقيق احمد الحسيني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، كربلاء ، د٠ت٠
● ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ/٨٢٠م)٠
– الأصنام، تحقيق احمد زكي، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٤م٠
– جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٣م ٠
– نسب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسن، ٢ج، ط١، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨م٠
● مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ/٧٩٦م)٠
– المدونة الكبرى، ٦ج، مطبعة السعادة، القاهرة، اوفست دار صادر ودار بيروت، بيروت، د٠ت٠

● الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ/١٠٥٨م)٠

– الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٠٩ م٠

● المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ/٨٩٨م)٠

– الكامل في اللغة والأدب، تحقيق حنا الفاخوري، ٢ ج، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م٠

– نسب عدنان وقحطان، تصحيح وضبط عبد العزيز الميمنى الراجكوتي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د٠م، ١٩٣٦م٠

● مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)٠

– أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري، وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، مطابع دار صادر، بيروت، ١٩٧١م٠

● مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)٠

– الامامة والسياسة، تحقيق سعيد صالح، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان ، ١٩٧٨م٠

● مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)٠

– العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق دي غويه، ج٣، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٧١م، اوفست مكتبة المثنى، بغداد٠

● مؤلف مجهول (من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)٠

– تاريخ الخلفاء، نشر بطرس غريازينونج ، سلسلة الآداب الشرقية ، موسكو ، ١٩٦٧م ٠

● المرعشي، الحسين بن محمد (ت ٤٢١ هـ/١٠٣٠م)٠

– غرر السير، تحقيق سهيل زكار ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦م ٠

● المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥ هـ/٩٥٧م) ٠

– التنبيه والإشراف، تصحيح ومراجعة عبد الله اسماعيل الصاوي، المكتبة التاريخية، د٠م، ١٩٣٨م٠

– مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق عبد الأمير مهنا،٤ ج، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩١م٠

● المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد البشاري (ت ٣٨٠ هـ/٩٩٠م)٠

– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١ م ٠

● المقدسي، مطهر بن طاهر (توفي حوالي ٣٥٥ هـ/٩٦٦م)٠

– البدء والتاريخ، تحقيق كلمار هوار، ٦ ج، باريس، ١٩٠٣ م٠

● المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١م)٠

– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ٢ ج، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٩٤ هـ، اوفست مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٠م٠

● ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ/١٣١١م)٠

– لسان العرب، ١٨ ج، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م٠

● الميداني، أبو الفضل احمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨ هـ/١١٢٤م)٠

– مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ٢ ج، دار المعرفة، بيروت، د٠ت٠

● نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢ هـ/٨٢٨م)٠

– وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، ط١، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٦٥ هـ٠

● نعمان بن محمد بن العراق (عاش في القرن العاشر الهجري/١٤٩٥م)٠

– معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر، تحقيق محمد حميد الله، مجمع البحوث الاسلامية، اسلام اباد، الباكستان، ١٩٧٣م٠

● النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ/١٣٣٣م)٠

– نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣١ ج، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د٠ت٠

– ج١٩، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العربية بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥ م٠

– ج٢٠، تحقيق محمد رفعت فتح الله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م٠

– ج٢١، تحقيق علي محمد البجاوي، المكتبة العربية بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م٠

● أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله (ت ٣٦٥ هـ/٩٧٦م)٠

– الأوائل، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ م ٠

● الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب (ت ٣٤٤ هـ/٩٥٦م)٠

– صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٧٤م ٠

● الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ/١٤٠٥م)٠

– مجمع الزوائد وصنع الفوائد تحرير الحافظين العراقي وابن حجر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م ٠

● الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ/٨٢٣م)٠

– كتاب الردة ونبذة من فتوح العراق، تهذيب محمد حميد الله، ط١، المؤسسة العالمية للنشر، باريس، ١٩٨٩م٠

● ابن وحشيه، أبو بكر احمد بن علي بن قيس الكسداني (ت ٢٩١ هـ/٩٠٤م)٠

– الفلاحة النبطية، تحقيق توفيق فهد، ٢ ج، ط١، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٣م٠

● ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨م)٠

– تاريخ ابن الوردي، ٢ ج، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٦م٠

● وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦ هـ/٩١٩م)٠

– أخبار القضاة، ٣ ج، عالم الكتب، بيروت، د٠ت٠

● اليافعي، أبو محمد عبدالله بن اسعد (ت ٧٦٨ هـ/١٣٦٦م)٠

– مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، ٤ ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٧م ٠

● ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٩م)٠

– المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦ م ٠

– معجم البلدان، ٥ ج، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦ م ٠

● يحيى بن آدم (ت ٢٠٣ هـ/٨١٩م)٠

– الخراج، صححه وشرحه أبو الأشبال احمد محمد شاكر، ط١، المكتبة العلمية، لاهور، ١٣٩٥هـ٠

● اليزيدي، أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد (ت ٣١٠ هـ/٩٢٣م)٠

– الأمالي، ط١، مطبعة جمعية دائرة المعارف ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٩٤٨ م ٠

● اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧م)٠

– البلدان، ط٣، المطبعة الحيدرية، النجف ، ١٩٥٧ م ٠

– تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، ٢ ج، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٣م٠

– مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ملورد، ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٠م٠

● أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء (ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٦م)٠

– الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه محمد حامد، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٣م٠

● أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢ هـ/٧٩٨م)٠

– كتاب الخراج، المطبعة السلفية ومكتبتها، د٠م ، د٠ت٠

ب - المراجع الحديثة :

أولاً : المراجع العربية :

● ابراهيم الدسوقي شتا، المعجم الفارسي الكبير، فرهنك بزرك فارسي، فارسي- عربي، ٣ج، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢ م٠

● إحسان النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٣م٠

● احمد زكي، الحياة الأدبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني للهجرة، د٠ن، دمشق، ١٩٦١م٠

● احمد سوسة، تطور الري في العراق، مطبعة المعارف ، بغداد، ١٩٤٦ م٠

– العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨١م ٠

– الدليل الجغرافي العراقي، د٠ن ، بغداد ، ١٩٦٠م ٠

– ري سامراء، ٢ ج، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٩ م٠

● أحمد كمال، الطريق الى المدائن، د٠ن ، بيروت ، ١٩٧٢م٠

● ثابت الراوي، العراق في العصر الأموي، ط٢ ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ١٩٧٠م ٠

● جاسم الخلف، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ط٣، نشر معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية، مطبعة دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٥م٠

● جرجي زيدان، العرب قبل الاسلام، طبعة بإشراف حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، ١٩٠٨م٠

– تاريخ التمدن الاسلامي، ٥ ج، ط٤، مطبعة الهلال، بيروت ، ١٩٣٥ م ٠

● جمال جودة، العرب والأرض في العراق في صدر الاسلام، رسالة ماجستير (منشورة)، بدعم من الجامعة الاردنية، الشركة العربية للطباعة والنشر، عمان، ١٩٧٩ م٠

● جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ١٠ج، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧١م٠

● جورج قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د٠ت٠

● الحبيب الجنحاني، التحول الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع صدر الاسلام، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٥م٠

● حسن الخياط، جغرافية أهوار ومستنقعات جنوبي العراق ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ١٩٧٥م ٠

● حسين البراقي، تاريخ الكوفة ، ط٢ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٠ م ٠

● حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ٣ج، منشورات دار اليمامة، الرياض، د٠ت٠

● خطاب العاني، جغرافية العراق الزراعية، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٢م٠

● خير الدين الزركلي، الاعلام، ٨ ج، ط٩، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٩٠م ٠

● رمزية عبد الوهاب الخيرو، إدارة العراق في صدر الإسلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م٠

● السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في العصر الجاهلي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م٠

● شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م٠

– حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٧٤ م ٠

● صالح العلي، الخراج في العراق في العهود الاسلامية الأولى، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٩٠م٠

– التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩م٠

– امتداد العرب في صدر الإسلام، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨١م٠

– خطط البصرة ومنطقتها، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٦م٠

– معالم العراق العمرانية، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، " آفاق عربية "، بغداد، ١٩٨٩م٠

● طه الهاشمي، جغرافية العراق، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٣٣م٠

● عبد الله خورشيد البري، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، د٠ن، القاهرة، ١٩٦٧م٠

● عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن الاسلامية، مطبعة جامعة البصرة، د٠م، ١٩٨٦م٠

● عبد الرزاق محمد البطيحي، دراسة في جغرافية العراق الزراعية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٢م٠

● عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٤م٠

– مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، ط٢، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ، ١٩٦٠م ٠

– مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٩م ٠

– النظم الاسلامية: الخلافة، الضرائب، الدواوين والوزارة، وزارة المعارف العراقية، بغداد،١٩٥٠م٠

– التكوين التاريخي للأمة العربية، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤م٠

● عبد النعيم حسنين، قاموس الفارسية، " فارسي– عربي"، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م٠

● عفيف عبد الرحمن، الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، ط١، دار الاندلس، بيروت، ١٩٨٤م٠

● علي حسين الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، د٠ت، مصر، ١٩٥٩م٠

● عمر فرّوخ، تاريخ الجاهلية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤م٠

● عمر رضا كحاله، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ٣ ج، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٩م٠

● غيداء خزنة كاتبي، الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، الممارسات والنظرية، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٤م٠

● فالح حسين، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٤م٠

● كاظم الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة، مطابع دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٧م٠

● محمد الخضري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ٢ج، ط٧، مطبعة الاستقامة، القاهرة،١٣٧٦هـ٠

● محمد علي نصر الله، تطور نظام ملكية الأراضي في الإسلام، نموذج أراضي السواد، ط٢، دار الحداثة، ١٩٨٥م٠

● محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وضبط محمد بهجت الأثري، ٣ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ هـ٠

● ناجي حسن، القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي٤٠-١٣٢هـ، ط١، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، ١٩٨٠ ٠

● نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي، مطبعة الداودي، دمشق ، ١٩٨٢م ٠

● هشام جعيط، الكوفة "نشأة المدينة العربية الإسلامية"، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م٠

● هند غسان أبو الشعر، حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة، رسالة ماجستير (منشورة) بدعم من الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٣م٠

● يوسف رزق الله غنيمة، الحيرة والمدينة والمملكة العربية، د٠ن، بغداد، ١٩٣٦م٠

– نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، د٠ن ، بغداد، ١٩٢٤م٠

ثانياً : المراجع الأجنبية المعرّبة :

● بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمير فارس ومنير البعلبكي، ٤ج، ط٣، د٠ن، بيروت، ١٩٦٠م٠

● بلات، شارل، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة ابراهيم الكيلاني، د٠ن، د٠م، ١٩٦١م٠

● ترتون، د٠أ٠س، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة وتعليق حسني حبش، د٠ن، القاهرة، ١٩٤٩م٠

● جب، هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرون، د٠ن، بيروت، ١٩٧٤م٠

● دينيت، دانييل، الجزية والإسلام، ترجمة وقدم له فوزي فهيم جاد الله، راجعه د٠إحسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، ١٩٦٠م٠

● شتريك، مكسمليان، خطط بغداد وأنهار العراق القديمة، ترجمة د٠خالد اسماعيل علي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٦م٠

● فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية وسقوطها، ترجمة يوسف العش، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٩٥٦م٠

– أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام: الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م٠

● فلوتن، فان، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم، ط٢، مكتبة النهضة المصرية والمطبعة السنية المحمدية، القاهرة، ١٩٦٥م.

● كاهن، كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الأمبراطورية العثمانية، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٢م.

● كرستنسن، آرثر، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧٥م.

● لسترانج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م.

● لومبارد، موريس، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م.

● ماسينيون، لويس، خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة تقي محمد المصعبي، منشورات جمعية منتدى النشر، النجف الأشرف، د.ت.

– خطط البصرة وبغداد، ترجمة ابراهيم السامرائي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١م.

● نولدكه، ثيودور، امراء غسان، ترجمة د.بندلي جوزي، ود.قسطنطين زريق، د.ن، بيروت،١٩٣٣م.

● هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٧٠م.

ثالثاً : المراجع الأجنبية غير المعربة :

● Adams, Robert M. Land Behind Baghdad: A History of Settlement on the Diyala plains, University of Chicago press, Chicago, 1965.

● Caskel, Werner. Gamharat An-Nasab, Das Genealogische Werk Des Hisam Ibn Muhammad Al-Kalbi, 2Bands, Leiden; E.J. Brill, Netherlands, 1966.

● Donner, Fred Mc Graw, The Early Islamic Conquests, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1981.

● Nicholson, R.A. A Literary History of the Arabs, Cambridge, 1953.

● Al-Samarraie, Husam. Agriculture in Iraq during the 3rd century A.H. Librarie du Liban, Beirut, 1972.

● Shoufani, Elias Shukri, Al-Riddah and the Muslim Conquest of Arabia, Arab Institute for Research and publishing, Beirut, and University of Toronto Press, Toronto, 1972.

● Zadok, Ran, Arabians in Mesopotamia during the late Assyrian, Chaldean A chaemenian and Hellenistic periods, Chiefly according to the Cuneiform Sources, In Z.D..M.G. 131, 1,1981.

رابعاً : الرسائل الجامعية العربية :

- حسين التلاوي، الكوفة حتى نهاية العصر الأموي، رسالة دكتوراة، جامعة دمشق، دمشق، د٠ت٠
- رباب جبار طاهر السوداني، جبهة البصرة، دراسة في أحوالها العسكرية والإدارية والاجتماعية والمالية للفترة من ١١-٤١هـ/٦٣٢-٦٦١م، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، ١٩٨٩م٠
- زياد سلمان أبو سنينه، بنو تميم في الجاهلية وصدر الإسلام حتى مطلع العصر الأموي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ١٩٩٠م٠
- فضيل احمد بني حمد، العراق في خلافة معاوية بن أبي سفيان، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ١٩٩٠م٠
- هاني حسين احمد أسعد، العطاء في صدر الإسلام، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ١٩٨٥م٠
- هشام جخيور ميري الربعي، جبهة الكوفة، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، ١٩٨٩م٠
- يوسف زيتون، أراضي الصوافي والموات وأثرها في توسع الملكيات في صدر الإسلام، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ١٩٩٦م٠

خامساً : الرسائل الجامعية الأجنبية غير المعربة :

- Butzer, K.W. Some Aspects of postglacial climatic variation in the near East Considered in Relation to Movements of population. For the degree Master. Thesis, Mcgill University, 1955.
- Donner, Fred Mc Graw, The Arab Tribes in the Muslim Conquest of Iraq, Ph.D. Thesis, Princeton University, U.S. A. 1975.
- Hinds, George Martin , The History of Islamic Schism In Iraq, Ph.D. Thesis , University of London, 1990.
- Al-Naboodah, Hassan, Eastern Arabia in the sixth and seventh centuries. A.D. Ph. D. Thesis, The University of Exeter, 1988.

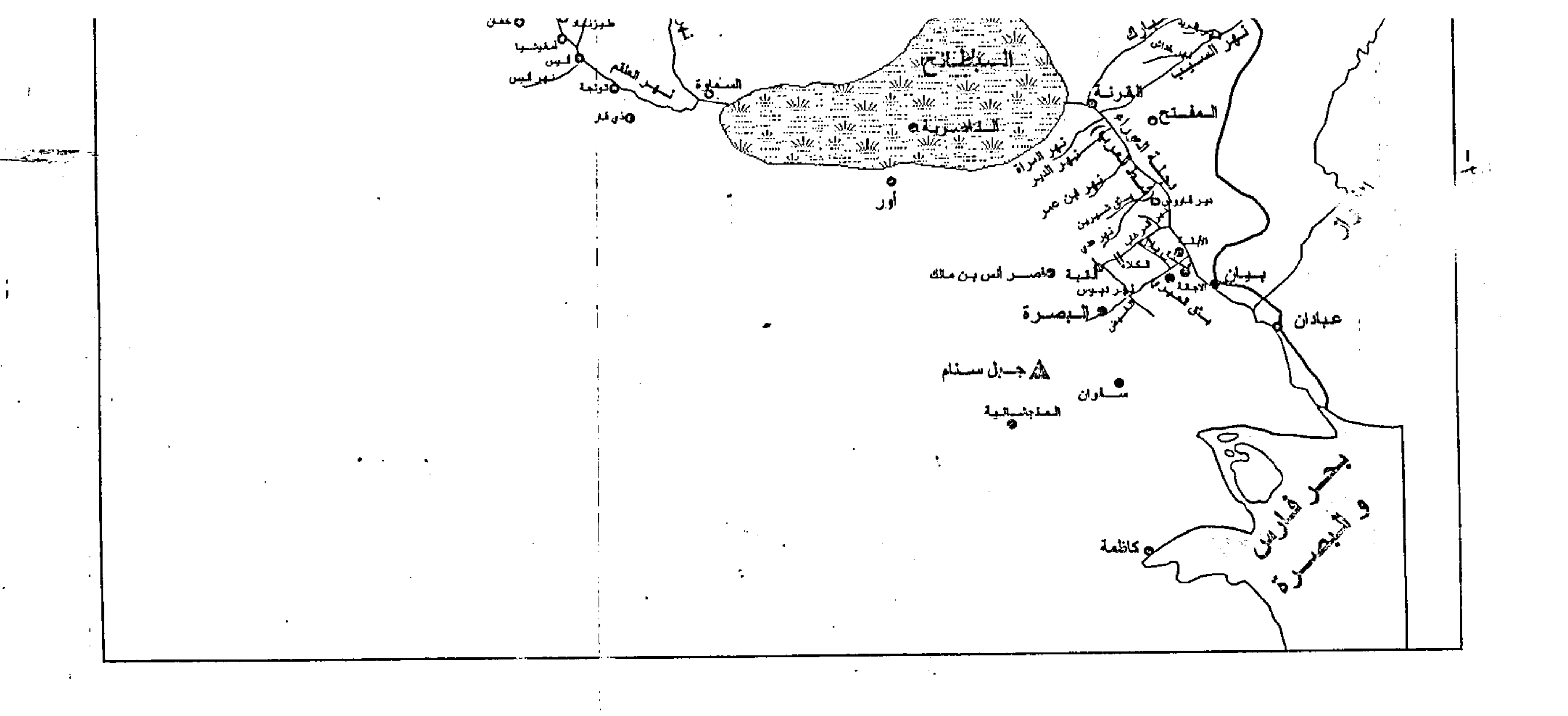
الملاحق

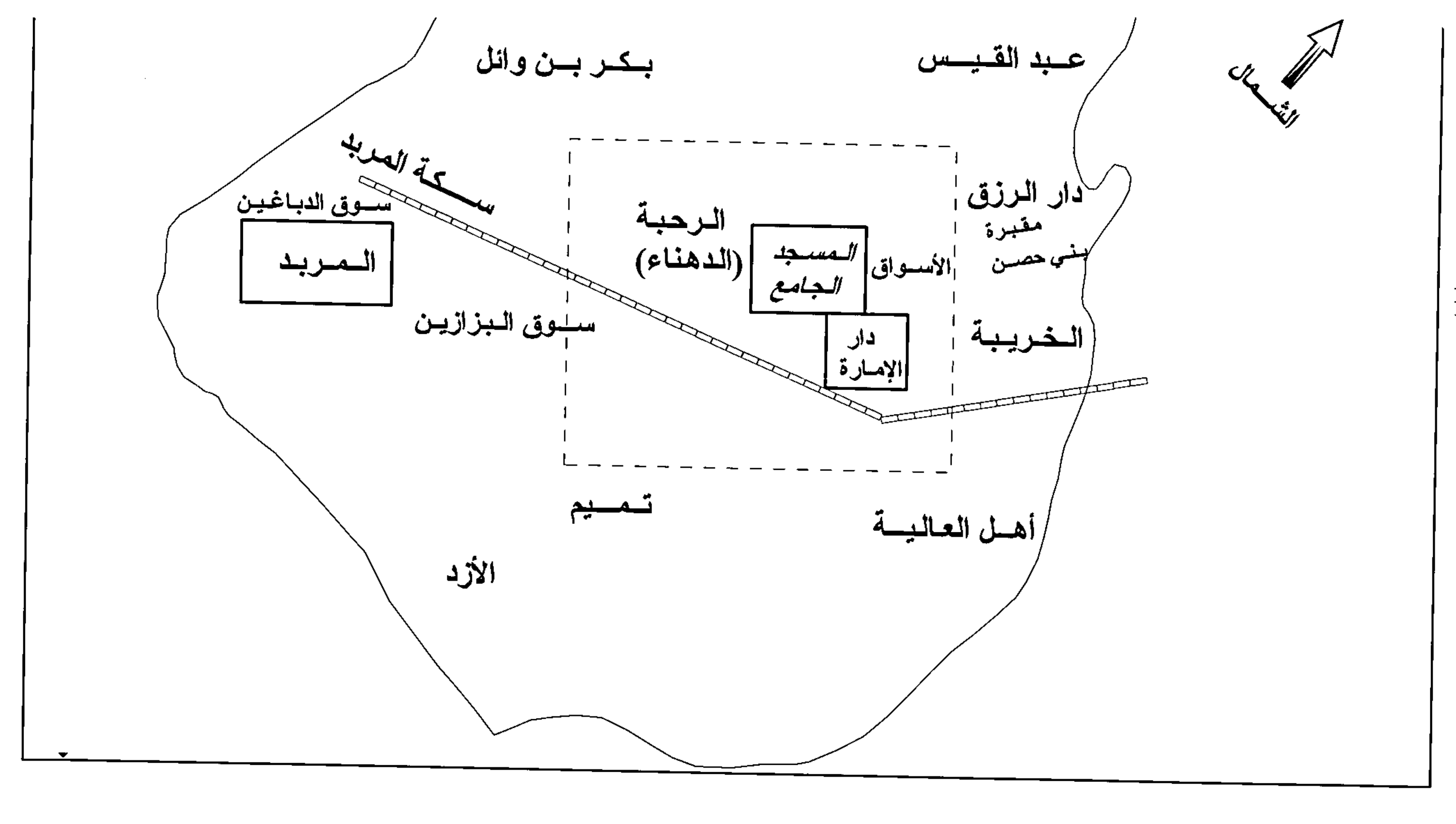
القبائل العربية المشاركة في فتح العراق العربي

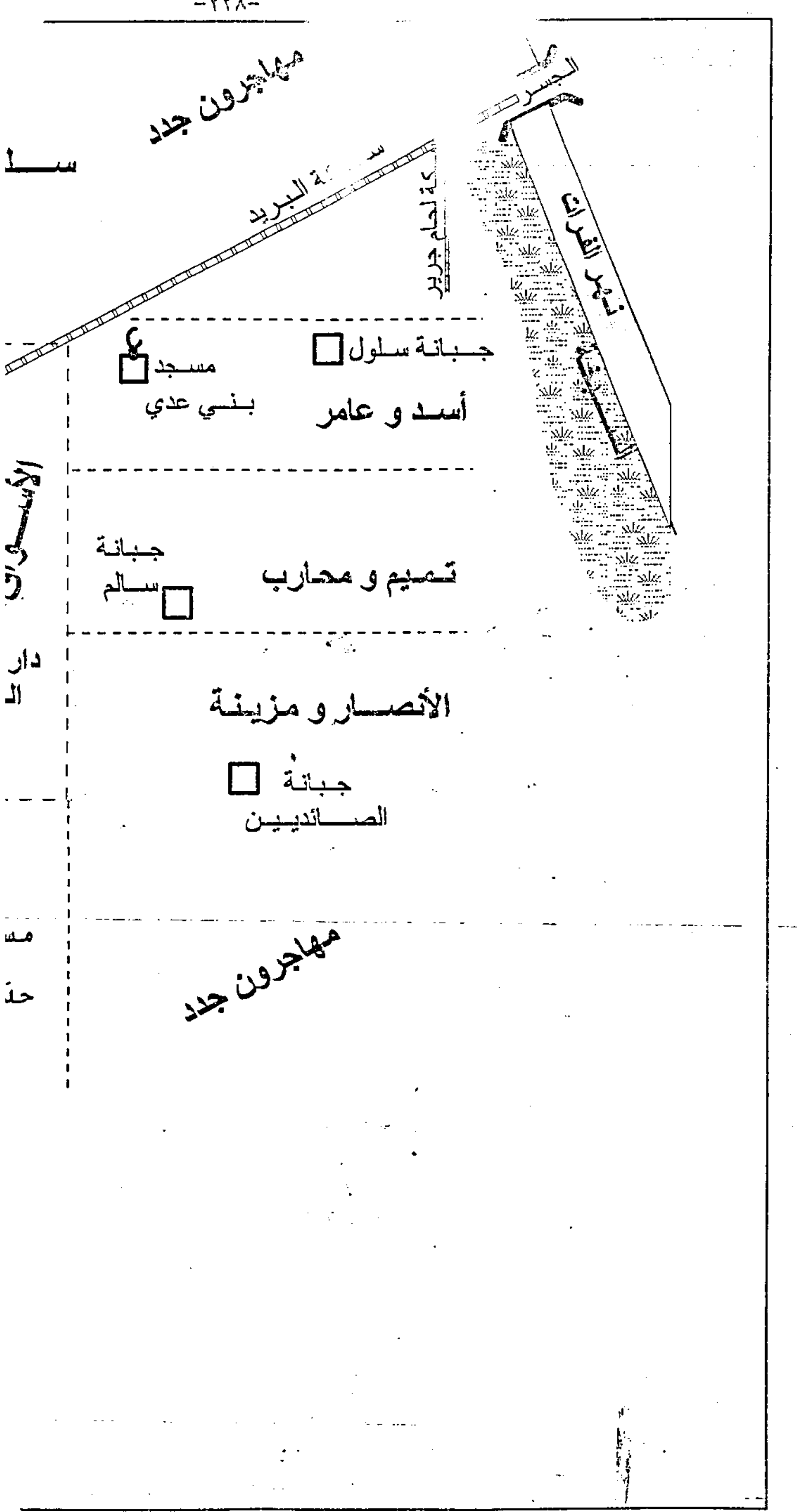
اسم القبيلة	المواقع التي شاركت فيها
بكر بن وائل :	
شيبان بن ثعلبة	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، البويب ، القادسية ، نهاوند ٠
ذهل بن ثعلبة	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، البويب ، القادسية ٠
ضبيعة	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، البويب ، القادسية ٠
يشكر بن بكر	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، البويب ، القادسية ، حملة عتبة بن غزوان ٠
عجل بن لجيم	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، البويب ، القادسية ، حملة عتبة بن غزوان٠
سدوس بن شيبان	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، البويب ، القادسية ، حملة عتبة بن غزوان٠
جديلة بن اسد : عبد القيس بن افصى	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، البويب ، القادسية ٠
النمر بن قاسط	البويب٠
تغلب	البويب٠
عنزة بن أسد	نهاوند٠
تميم	جلولاء ، نهاوند٠
حنظلة بن مالك	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، البويب ، القادسية ، حملة عتبة بن غزوان٠
أسيد بن عمرو	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ٠
سعد بن زيد مناة	حملة خالد بن الوليد ، الجسر٠
عمرو بن العلاء	البويب٠
جشم بن سعد	البويب ، القادسية٠
يربوع بن حنظلة	القادسية ٠
رياح	القادسية٠
بنو العدوية من حنظلة	حملة عتبة بن غزوان٠
الرباب	
ضبة	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، البويب ، جلولاء٠
تيم اللات	الجسر ، القادسية ٠
عكل	الجسر ، القادسية٠
خندف	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ٠

أسد بن خزيمة	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، جلولاء ، نهاوند ٠
كاهل	القادسية ٠
كنانة	البويب ٠
قريش	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، القادسية ، جلولاء ، نهاوند ، حملة عتبة بن غزوان٠
عدي بن كعب	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، حملة عتبة بن غزوان٠
محارب بن فهر	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ٠
غفار	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ٠
ضمرة	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ٠
الليث	القادسية ٠
مزينة	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، القادسية ، نهاوند ، حملة عتبة بن غزوان٠
قيس عيلان	
هوازن	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، القادسية ، حملة عتبة بن غزوان٠
غطفان	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، القادسية ٠
ثقيف	الجسر ، القادسية ، نهاوند ، حملة عتبة بن غزوان ٠
سليم بن منصور	الجسر ، القادسية ، نهاوند ، حملة عتبة بن غزوان٠
باهلة	القادسية ، حملة عتبة بن غزوان ٠
عبس	جلولاء ، نهاوند ٠
مازن	حملة عتبة بن غزوان ٠
عامر بن صعصعة	حملة عتبة بن غزوان ٠
الأزد	
بارق	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، البويب ، القادسية ، حملة عتبة بن غزوان٠
ألمع	القادسية ٠
غامد	القادسية٠
حمير	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، نهاوند ٠
قضاعة	
جهينة	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، القادسية ، جلولاء ٠
أسلم	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ٠
نهد	القادسية٠
بلي بن عمرو	حملة عتبة بن غزوان٠

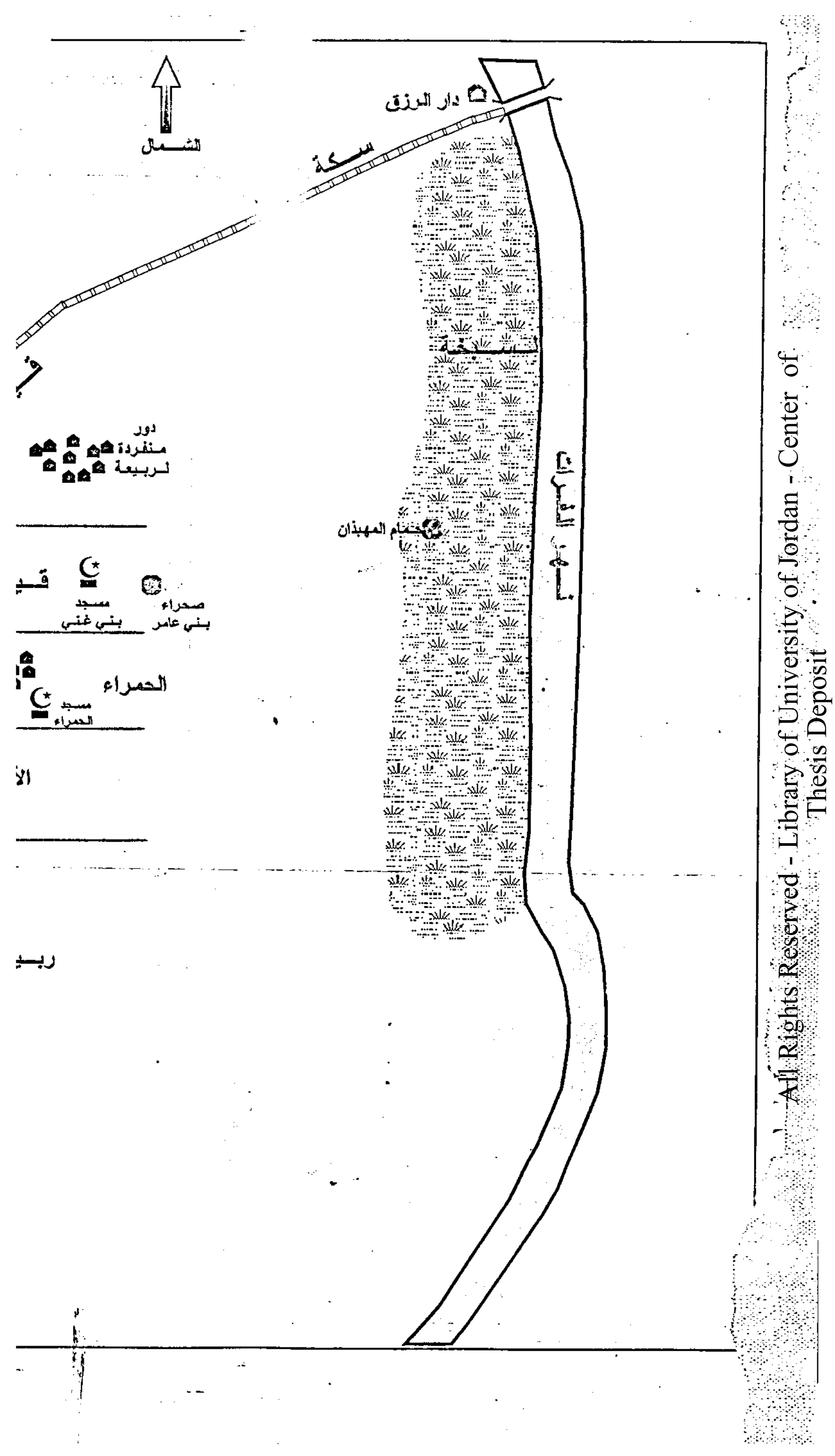
مذحج	
طيء	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، البويب ، القادسية •
منبه	القادسية •
جعفى	القادسية •
جزء	القادسية •
زبيد	القادسية ، جلولاء ، نهاوند •
مسلية	القادسية •
أنس الله	القادسية •
صداء	القادسية •
جنب	القادسية •
مراد	القادسية ، جلولاء ، نهاوند •
النخع بن عمرو	البويب ، القادسية ، جلولاء ، نهاوند •
الحارث بن كعب	القادسية •
سعد العشيرة	جلولاء •
بجيلة	البويب ، القادسية ، جلولاء ، نهاوند ، حملة عتبة بن غزوان •
كنده	جلولاء •
السكون	البويب ، القادسية •
حضرموت	القادسية ، نهاوند •
الصدف	القادسية •
خثعم	البويب ، القادسية ، نهاوند •
همدان	البويب ، القادسية ، نهاوند •
أشعر	نهاوند •
أهل المدينة المهاجرون والأنصار	حملة خالد بن الوليد ، الجسر ، القادسية ، نهاوند •
عناصر غير عربية	
الحمراء	جلولاء •
بنو العم	حملة عتبة بن غزوان •


البطائح
القرنة
المفتتح
نهر السيب
دجلة العوراء
الناصرية
أور
نهر الدير
نهر ابن عمر
نهر العلقم
السماوة
ذي قار
بيان
عبادان
قصر أنس بن مالك
البصرة
جبل سنام
سفوان
كاظمة
بحر فارس و البصرة


الشمال
عبد القيس
بكر بن وائل
سكة المربد
سوق الدباغين
المربد
الرحبة
(الدهناء)
المسجد الجامع
الأسواق
دار الرزق
مقبرة
بني حصن
الخريبة
دار الإمارة
سوق البزازين
تميم
أهل العالية
الأزد


مهاجرون جدد
الجسر
البريد
لحام جرير
نهر الفرات
جبانة سلول
مسجد
بني عدي
أسد و عامر
جبانة
سالم
تميم و محارب
دار
الأنصار و مزينة
جبانة
الصائديين
مهاجرون جدد

الشمال


الشـمـال
دار الرزق
سـكـة
السبخة
المهبذان
دور
منفردة
لـربـيـعـة
مسجد
بـنـي غـنـي
صحراء
بـنـي عامر
الحمراء
مسجد
الحمراء